مجاني الأدب
في
حدائق العرب

المطبعة الكاثوليكية - بيروت

مجاني الأدب

في

حدائق العرب

للأب لويس شيخو اليسوعي

الجزء السادس

المطبعة الكاثوليكية
بيروت

الباب الأول
في الخطب

نخبة

من كتاب اطواق الذهب في المواعظ والخطب للزمخشري

١ أَللّٰهُمَّ إِنِّي أَحْمَدُكَ عَلَى مَا أَزْلَلْتَ إِلَيَّ مِنْ نِعْمَتِكَ . وَعَلَى مَا أَزْلَلْتَ عَنِّي مِنْ نِقْمَتِكَ . عَلَى أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَهْلًا لِلْأُولَى . وَكُنْتُ بِالثَّانِيَةِ أَوْلَى . لَوْلَا فَضْلٌ مِنْكَ سَابِقٌ حَمْدَ الْحَامِدِ وَرَاءَهُ يَقْطُفُ . وَإِنْ أَعْنَقَ فَكَأَنَّهُ مَصْفُودٌ يَرْسُفُ . وَكَمْ بَاسِقٍ شُكْرُ الشَّاكِرِ يَنُوءُ تَحْتَهُ بِجَنَاحٍ مَهِيضٍ . وَإِنْ حَلَّقَ فَكَأَنَّهُ لَاصِقٌ بِالْحَضِيضِ . ثُمَّ إِنِّي أَحْمَدُكَ حَمْدًا بَعْدَ حَمْدٍ عَوْدًا عَلَى بَدْءٍ . وَأَجْعَلُ تَوْفِيقَكَ مَعِي رِدْأً وَكَفَى بِهِ مِنْ رِدْءٍ . عَلَى صُنْعٍ مَا هَجَسَ فِي ضَمِيرِ نَفْسٍ . وَلَا اتَّصَلَ يَوْمًا بِظَنٍّ وَلَا حَدْسٍ . مِنْ تَيْسِيرِ الْفِئَةِ الَّتِي بِإِحْسَانِكَ الْمُتَظَاهِرِ جَذَبْتَ إِلَيْهَا بِضَبْعِي . وَبِسُلْطَانِكَ الْقَاهِرِ قَسَرْتَ عَلَيْهَا طَبْعِي . وَبِنَظَرِكَ الصَّادِقِ خَفَّفْتَ عَلَيَّ مَجَاشِمَهَا الْمُتْعِبَةَ . وَسَهَّلْتَ تَكَالِيفَهَا الْمُتَصَعِّبَةَ . وَفَكَكْتَ مِنْ رِقِّ التَّبِعَاتِ عُنُقِي . وَمَنَنْتَ بِحَلِّ إِسَارِي وَعِتْقِي . وَرَقَّيْتَنِي إِلَى رُتْبَةِ الْقَنَاعَةِ وَهِيَ الرُّتْبَةُ الْعُلْيَا . وَزَهَّدْتَنِي فِي الْحِرْصِ عَلَى زُخْرُفِ الدُّنْيَا . وَطَبَيْتَ نَفْسِي بِغَوَارِزِ أَخْلَافِهَا عَنِ الْغِزَارِ . وَتَرَضَّيْتَهَا بَعْدَ الدِّرَّةِ بِالْغِرَارِ

٢ (الْمَقَالَةُ الْأُولَى) مَا يَخْفِضُ الْمَرْءَ عُدْمُهُ وَيُتْمُهُ . إِذَا رَفَعَهُ دِينُهُ

وَعِلْمُهُ وَلَا يَرْفَعُهُ مَالُهُ وَأَهْلُهُ . إِذَا خَفَضَهُ فُجُورُهُ وَجَهْلُهُ . أَلْعِلْمُ هُوَ ٱلْأَبُ . بَلْ هُوَ لِلنَّائِي أَرْأَبُ . وَٱلتَّقْوَى هِيَ ٱلْأُمُّ . بَلْ هِيَ إِلَى ٱللَّبَانِ أَضَمُّ . فَأَحْرِزْ نَفْسَكَ فِي حِرْزِهِمَا . وَٱشْدُدْ يَدَيْكَ بِغَرْزِهِمَا . يَسُقْكَ ٱللهُ نِعْمَةً صَيِّبَةً . وَيُحْيِكَ حَيَاةً طَيِّبَةً

٣ (أَلْمَقَالَةُ ٱلثَّانِيَةُ) يَا ٱبْنَ آدَمَ أَصْلُكَ مِنْ صَلْصَالٍ كَٱلْفَخَّارِ . وَفِيكَ مَا لَا يَسَعُكَ مِنَ ٱلتِّيهِ وَٱلْفَخَارِ . تَارَةً بِٱلْأَبِ وَٱلْجَدِّ . وَأُخْرَى بِٱلدَّوْلَةِ وَٱلْجَدِّ . مَا أَوْلَاكَ بِأَنْ لَا تُصَعِّرَ خَدَّيْكَ . وَلَا تَفْتَخِرَ بِجَدَّيْكَ تَبَصَّرْ خَلِيلِي مِمَّ مُرَكَّبُكَ . وَإِلَامَ مُنْقَلَبُكَ . فَخَفِّضْ مِنْ غُلَوَائِكَ . وَخَلِّ بَعْضَ خُيَلَائِكَ

٤ (أَلْمَقَالَةُ ٱلثَّامِنَةُ) مَا أَسْعَدَكَ لَوْ كُنْتَ فِي سَلَامَةِ ٱلضَّمِيرِ . كَسَلَاسَةِ ٱلْمَاءِ ٱلنَّمِيرِ . وَفِي ٱلنَّقَاءِ عَنِ ٱلرِّيبَةِ كَمِرْآةِ ٱلْغَرِيبَةِ . وَفِي نَفَاذِ ٱلطِّيَّةِ . كَصَدْرِ ٱلْخَطِّيَّةِ . وَفِي أَخْذِ ٱلْأُهْبَةِ . كَٱلْوَاقِعِ فِي ٱلنُّهْبَةِ . لٰكِنَّكَ ذُو تَكْدِيرٍ . كَرَجْرَجَةِ ٱلْغَدِيرِ . وَمُتَلَطِّخٌ بِٱلْخَبَائِثِ . كَالْكَثِيرِ ٱلْحَانِثِ . وَذُو عَجْزٍ وَتَوَانِي . كَمِكْسَالِ ٱلْغَوَانِي . وَتَارِكٌ لِلِٱسْتِعْدَادِ . كَٱلشَّاكِّ فِي ٱلْمَعَادِ

٥ (أَلْمَقَالَةُ ٱلْعَاشِرَةُ) إِسْتَمْسِكْ بِحَبْلِ مُؤَاخِيكَ . مَا ٱسْتَمْسَكَ بِأَوَاخِيكَ . وَٱصْحَبْهُ مَا أَصْحَبَ لِلْحَقِّ وَأَذْعَنَ . وَحُلَّ مَعَ أَشْيَاعِهِ وَظْعَنْ . فَإِنْ تَنَكَّرَتْ أَنْحَاؤُهُ . وَرَشَحَ بِٱلْبَاطِلِ إِنَاؤُهُ . فَتَعَوَّضْ مِنْ صُحْبَتِهِ وَإِنْ عُوِّضْتَ ٱلشَّسْعَ . وَٱصْطَرِفْ بِحَبْلِهِ وَإِنْ أُعْطِيتَ ٱلنِّسْعَ . فَصَاحِبْ

الصِّدْقُ أَنْفَعُ مِنَ التِّرْيَاقِ النَّافِعِ • وَقَرِينُ السُّوءِ أَضَرُّ مِنَ السُّمِّ النَّاقِعِ

٦ (المَقَالَةُ الحَادِيَةَ عَشْرَةَ) أَلشَّهْمُ الحَذِرُ. بَعِيدُ مَطَارِحِ الفِكْرِ. قَرِيبُ مَسَارِحِ النَّظَرِ. لَا يَرْقُدُ وَلَا يَكْرَى. إِلَّا وَهُوَ يَقْظَانُ الذِّكْرَى. يَسْتَنْبِطُ العِظَةَ مِنَ اللَّمْحِ الخَفِيِّ • وَيَسْتَجْلِبُ العِبْرَةَ مِنَ الطَّرْفِ القَصِيِّ • فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى بَنَاتِ نَعْشٍ فَاسْتَجْلِبْ عِبْرَتَكَ • وَإِذَا رَأَيْتَ بَنِي نَعْشٍ فَاسْتَحْلِبْ عَبْرَتَكَ. وَاعْلَمْ أَنَّ مِنَ الجَوَائِزِ • أَنْ تَرُوحَ غَدًا عَلَى الجَنَائِزِ

٧ (المَقَالَةُ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ) أَلكَرِيمُ إِذَا رِيمَ عَلَى الضَّيْمِ نَبَا • وَالسَّرِيُّ مَتَى سِيمَ الخَسْفَ أَبَى • وَالرَّزِينُ المُحْتَبِي بِحِمَالَةِ الحِلْمِ • يَنْفِرُ نُفْرَةَ الوَحْشِيِّ عَنِ الظُّلْمِ • إِشْفَاقًا عَلَى ظُفْرِهِ أَنْ يُقَلَّمَ • وَعَلَى ظَهْرِهِ أَنْ يُكَلَّمَ • وَقَلَّمَا عُرِفَتِ الأَنَفَةُ وَالإِبَاءُ • فِي غَيْرِ مَنْ شَرُفَتْ مِنْهُ الآبَاءُ • وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَمْ يَطِبْ لَهُ عِرْقٌ • وَذَنَبُ الكَلْبِ مَا بِهِ طِرْقٌ

٨ (المَقَالَةُ السَّابِعَةَ عَشْرَةَ) أَلوَجْهُ ذُو الوَقَاحَةِ. مِنْ وُجُوهِ الرَّقَاحَةِ. يُفِيءُ عَلَى صَاحِبِهِ الأَنْفَالَ • وَيَفْتَحُ لَهُ الأَقْفَالَ • وَيُلْقِطُهُ الأَرْطَابَ • وَيُلْقِمُهُ مَا اسْتَطَابَ • وَيُجَسِّرُهُ عَلَى قَوْلِ المُنْطِيقِ • وَيُيَسِّرُ لَهُ فِعْلَ مَا لَا يُطِيقُ • وَكُلُّ ذِي وَجْهٍ حَيِيٍّ • ذُو لِسَانٍ عَيِيٍّ • مُعْتَقَلٌ لَا يَنْشَطُ لِقَالٍ • وَلَا يُنْشَطُ مِنْ عِقَالٍ • وَلَا يَزَالُ ضَيِّقَ الذَّرْعِ • بَكِيءَ الضَّرْعِ • يَشْبَعُ غَيْرُهُ وَهُوَ طَيَّانُ • وَيَعْطَشُ هُوَ وَصَاحِبُهُ رَيَّانُ • وَلَكِنْ لَا كَانَ مَنْ يَتَوَقَّحُ • لِأَجْلِ أَنْ يَتَرَفَّهَ وَيَتَرَقَّحَ • فَلَعَمْرِي مَا النَّائِلُ الوَتِحُ • إِلَّا مَا

نالهُ الوقحُ . وايمُ اللهِ إنَّ الرَّشحةَ في الجبينِ . أحسنُ من الشممِ في العرنينِ . ولئن تفرعرضك وما في سقائك جرعةٌ . خيرٌ من أن تملكَ البحرَ وما في وجهكَ مزعةٌ

٩ (المقالة الثامنة عشرة) عزةُ النفسِ وبعدُ الهمةِ . الموتُ الاحمرُ والخطوبُ المدلهمةُ . ولكن من عرف منهلَ الذلِّ فعافهُ . إستعذبَ نقيعَ العزِ وذعافهُ . ومن لم يصطلِ بحرَ الهيجاءِ لم يصلْ إلى بردِ المغنمِ . ومن لم يصبرْ على براثنِ أسدِ اللقاءِ لم يصبْ أطرافاً كالغنمِ . وتحتَ علمِ الملكِ المطاعِ . ذكرُ السيوفِ والأنطاعِ . ومن لم يقضْ عليهِ عسرٌ يقذهُ . لم يقيضْ لهُ يسرٌ ينقذهُ . وما الحكمةُ الإلهيةُ الأهي . وهي القاعدةُ التي أمرَ عليها العبدُ ونهي . أليومَ عزاءٌ في كلفٍ وكربٍ . وغداً جزاءٌ بزلفٍ وقربٍ

١٠ (المقالة الحادية والعشرون) لا تنتفع بما لا تني أن تبتني وتقتني . وتعتنِ بغرسِ ما لا تجتني . هلمَّ إلى استشارةِ عقلكَ فتبصرْ . وإلى استخارةِ ذهنكَ فتدبرْ . وقل لي إذا شقَّ بصركَ . واشتدَّ حصركَ . وعاينتَ الجدَّ فشغلكَ عن ددكَ . وأوحشكَ تفريطكَ فسقطَ في يدكَ . ما يغني حينئذٍ عنكَ بنيانكَ . وماذا يجدي عليكَ قنيانكَ . وهل ينفعكَ نخيلكَ الصنوانُ وغيرُ الصنوانِ . أم يدفعُ عنكَ ما يخرجُ من طلعها من القنوانِ

١١ (المقالة الثانيةُ والعشرونَ) خلِّ عن يدكَ الباطلَ واللددَ .

وَٱعتنِقِ ٱلجِدَّ وَٱلزَمِ ٱلجُدَدَ . إنَّ ٱللهَ تعالى خلقكَ جِدّاً لا عَبَثاً . وَفطرَكَ إبريزاً لا خَبَثاً . لولا أنَّ نفسكَ بكَسبها ٱلخبيثِ خبّثتكَ . وَبِلطخِ عملِها السّيّئ لوّثتكَ . فأرخيتَ عِنانكَ فيما أنتَ عنهُ مزجورٌ . وتولّيتَ بِرُكنِكَ عمّا أنتَ عليهِ مأجورٌ . إلقاءَ بيدكَ إلى ٱلتهلُكةِ . وإضاعةَ لِحظِّكَ في عظيمِ ٱلمَهلكةِ

١٢ (ٱلمقالةُ ٱلرابعةُ وَٱلعشرونَ) مَن لِعملٍ كالظَّهرِ ٱلدَّبِرِ . ومَن لِقلبٍ كالجُرحِ ٱلغَبِرِ . دُووِيَ بكلِّ دواءٍ فلم يَنجَعْ . وَٱحتِيلَ عليهِ بكلِّ حيلةٍ فلم ينفعْ . متى رفوتُ منهُ جانباً إنتقضَ عليهِ آخرُ . وإذا سددتُ من فسادهِ منخراً جاشَ منخرٌ . ضاقتْ عن تدبيرهِ فِطَنُ ٱلأناسيِّ . وأعضلَ علاجُهُ على ٱلطبيبِ ٱلنّطاسيِّ . فيا وَيلتا من هذا ٱلسَّقامِ . وَيا غوثَنا من هذا ٱلدّاءِ ٱلعُقامِ . وما أحقَّ بمثلي أن يبيتَ بليلةِ سليمٍ . كُلَّما تُليتْ : إلّا من أتى ٱللهَ بقلبٍ سليمٍ

١٣ (ٱلمقالةُ ٱلخامسةُ وَٱلعشرونَ) إحرِصْ وفيكَ بقيّةٌ . على أنْ تكونَ لكَ نفسٌ تقيّةٌ . فلن يَسعدَ إلّا ٱلتقيُّ . وَكُلُّ من عداهُ فهوَ شقيٌّ . قبلَ أن ترى ٱلشيبَ ٱلمُجلّلَ . وَٱلصُّلبَ ٱلمهلّلَ . وَٱلجلدَ ٱلمتشنّنَ . وَٱلرأيَ ٱلمتفنّنَ . وَٱلنّوءَ ٱلمتخاذلَ . وَٱلوطءَ ٱلمتثاقلَ . وَٱلرثيةَ في ٱلمفاصلِ ناهضةً . وَٱلرعشةَ للأناملِ نافضةً . وقبلَ أنْ لا تقدرَ على ما أنتَ عليهِ قادرٌ . ولا تَصدُرَ عمّا أنتَ عنهُ صادرٌ

١٤ (ٱلمقالةُ ٱلحاديةُ وَٱلثلاثونَ) قلبُكَ آمِنٌ . وجأشُكَ متطامنٌ .

ورأيك في الشهوات بائر . وشوقك إلى ما عند الله فاتر . وأنت مترفه مترف . أطيب قطف لك مخترف . في أكناف السعة راتع . ولأخلاف الدعة راضع . وفي تيه الغفلات هائم . كأنك إحدى البهائم ما هذا خلق المؤمن . ولا هكذا صفة الموقن . المؤمن راهب راغب . ساغب لاغب . ذو هيئة بذة . محتم من كل لذة . إن رأى من نفسه جماحاً ألجم وحجر . وإن أحس منها مطمعاً ألقمها الحجر

١٥ (المقالة الثالثة والثلاثون) يا عبد الدينار والدرهم متى أنت عتيقهما . ويا أسير الحرص والطمع متى أنت طليقهما . هيهات لا عتاق إلا أن تكاتب على دينك الممزق . ولا إطلاق أو تفادي بخيرك الملزق . يا من يشبعه القرص . ما هذا الحرص . ويا من ترويه الجرع . ما هذا الجزع . ستعلم غداً إذا تندمت . أن ليس لك إلا ما قدمت . وإذا لقيت المنون . لم ينفعك مال ولا بنون . ما يصنع بالقناطير المقنطرة . عابر هذه القنطرة . وما يريد من البهجة والفرحة . نازل ظل هذه السرحة

١٦ (المقالة الثامنة والثلاثون) لم أر فرسي رهان . مثل الحق والبرهان . لله درهما متخاصرين . ولا عدمتهما من متناصرين . اصطحبا غير متباينين . اصطحاب أبانين . من شد يده بغرزهما . فقد اعتز بعزهما . ومن زل عنهما فهو من الذلة أذل . ومن القلة أقل

١٧ (المقالة التاسعة والثلاثون) أيها الشيخ أشيب ناهيك به ناهياً .

فَمالي أَراكَ ساهِياً لاهِياً . أَبْقِ عَلى نَفْسِكَ وَارْبَعْ . فَهٰذهِ أُخْرى المَراحِلِ الأَرْبَعِ . وَمَن بَلَغَ رابِعَةَ المَراحِلِ . فَقَدْ بَلَغَ مِنَ الحَياةِ السّاحِلَ . وَما بَعْدَها إِلّا المَوْرِدُ الَّذِي لَيْسَ لِأَحَدٍ عَنْهُ مَصْدَرٌ . وَلا زَيْدٌ مِن عَمْرٍو بِوُرُودِهِ أَجْدَرُ . هُوَ لَعَمْرُ اللهِ مَشْرَعٌ . جَمِيعُ النّاسِ فِيهِ شَرَعٌ . وَأَحَقُّهُم بِالاسْتِعْدادِ لَهُ مَنْ شارَفَهُ وَأَوْلاهُمْ بِالإِشْفاقِ لَهُ مَنْ قارَفَهُ

١٨ (المَقالَةُ الثّالِثَةُ وَالأَرْبَعُونَ) ما لِعُلَماءِ السُّوءِ جَمَعُوا عَزائِمَ الشَّرْعِ وَدَوَّنُوها . ثُمَّ رَخَّصُوا فِيها لِأُمَراءِ السُّوءِ وَهَوَّنُوها . لَيْتَهُمْ إِذْ لَمْ يَرْعَوْا شُرُوطَها لَمْ يَعُوها . وَإِذْ لَمْ يُسْمِعُوها كَما هِيَ لَمْ يَسْمَعُوها . إِنَّما حَفِظُوا وَعَلَّقُوا . وَصَفَّقُوا وَحَلَّقُوا . لِيَقْمُرُوا المالَ وَيَيْسِرُوا . وَيُفْقِرُوا الأَيْتامَ وَيُوسِرُوا . إِذا أَنْشَبُوا أَظْفارَهُمْ فِي نَشَبٍ فَمَنْ يَخْلَصُ . وَإِنْ قالُوا لا نَفْعَلُ أَوْ يُزادَ كَذا فَمَنْ يَنْقُصُ . دَرارِيعُ خَتّالَةٌ . مِلْؤُها ذَرارِيحُ قَتّالَةٌ . وَأَكْمامٌ واسِعَةٌ . فِيها أَصْلالٌ لاسِعَةٌ . وَأَقْلامٌ . كَأَنَّها أَزْلامٌ . وَفَتْوى . يَعْمَلُ بِها الجاهِلُ فَيَتْوى . فَإِنْ وازَنْتَ بَيْنَ هٰؤُلاءِ وَالشُّرَطِ . وَجَدْتَ الشُّرَطَ أَبْعَدَ مِنَ الشَّطَطِ . حَيْثُ لَمْ يَطْلُبُوا بِالدِّينِ الدُّنْيا . وَلَمْ يُثِيرُوا الفِتْنَةَ بِالفُتْيا

١٩ (المَقالَةُ الرّابِعَةُ وَالأَرْبَعُونَ) هَبْ أَنَّكَ اتَّقَيْتَ الكَبائِرَ الَّتِي نُصَّتْ . وَتَجَنَّبْتَ العَظائِمَ الَّتِي قُصَّتْ . وَرُضْتَ نَفْسَكَ مَعَ الرّائِضِينَ . عَلى أَنْ لا تَخُوضَ مَعَ الخائِضِينَ . فَما قَوْلُكَ فِي هَناتٍ تُوجَدُ مِنْكَ وَأَنْتَ ذاهِلٌ . وَفِي هَفَواتٍ تَصْدُرُ عَنْكَ وَأَنْتَ غافِلٌ . وَلَعَلَّكَ مُمَزِّقُ الشِّلْوِ

مأكولٌ . وإلى ٱلْمُؤَاخَذَةِ بِٱقْتِرَافِهَا موكولٌ . فَمَثَلُكَ مَثَلُ ٱلرِّئْبَالِ . في مُحَامَاتِهِ عن ٱلْأَشْبَالِ . يَصُدُّ عن ٱلتَّصَدِّي لها ٱلْبَطَلَ ٱلْحَمِيسَ . بل يَرُدُّ عن مَرَابِضِهَا ٱلْخَمِيسَ . ثُمَّ يُصْبِحُ أَبُو ٱلشِّبْلِ وَٱلنَّمْلُ إلى ٱبْنِهِ كَٱلْحَبْلِ . وهي بِأَوْصَالِهِ مُطِيفَةٌ . كَأَنَّمَا كَسَتْهُ قَطِيفَةٌ . فما أَغْنَى عنه ذِيَادُهُ . حَتَّى تَمَّ لِلنَّمْلِ كِيَادُهُ

٢٠ (ٱلْمَقَالَةُ ٱلسَّابِعَةُ وَٱلْأَرْبَعُونَ) أَلْحَازِمُ مَن لم يَزَلْ على جِدِّهِ . لم يَزَلْ عنه إلى ضِدِّهِ . وذو ٱلرَّأْيِ ٱلْجَزْلِ . مَن لَيْسَ في شيءٍ مِنَ ٱلْهَزْلِ . وكيف يكون حازمًا مَن هو مازحٌ . هيهاتَ ٱلْبَوْنُ بينهما نازحٌ . وكفاكَ أَنَّ ٱلْمَزْحَ . مَقْلُوبُ ٱلْحَزْمِ كما أَنَّ ٱلْحَزْمَ مَقْلُوبُ ٱلْمَزْحِ . رُبَّ كَلِمَةٍ غَمَسَتْكَ في ٱلذُّنُوبِ . وأَفْرَغَتْ على أَخِيكَ مِلْءَ ٱلذَّنُوبِ . فإِنْ كانَ حُرًّا زَرَعَتِ ٱلْغِمْرَ في سُوَيْدَائِهِ . وإِنْ كان عبدًا نَزَعَتِ ٱلْمَهَابَةَ مِن أَحْشَائِهِ . وتَقُولُ إِنَّهَا مُزَاحَةٌ . وعليكَ في أَنْ تَقُولَهَا مُزَاحَةٌ . ويحكَ يا تِلْعَابَةُ . لو عَلِمْتَ ما في ٱلدُّعَابَةِ . لَأَطَعْتَ في ٱطِّرَاحِهَا نُهَاتَكَ . ولَمَا غَرْغَرَتْ بها لَهَاتُكَ . أَسَرَّكَ أَنْ دَاعَبْتَ ٱلرَّجُلَ فَضَحِكَ . ولم تَشْعُرْ أَنَّهُ بِذٰلِكَ فَضَحَكَ . حيث أَعْلَمَ لو فَطِنْتَ لِإِعْلَامِهِ . أَنَّكَ ٱلشَّيْخُ ٱلْمَضْحُوكُ مِن كَلَامِهِ . وذٰلِكَ ما لَيْسَ بِهِ خَفَاءٌ . أَنَّهُ مِن صِفَاتِ ٱلسُّخَفَاءِ

٢١ (ٱلْمَقَالَةُ ٱلرَّابِعَةُ وَٱلسِّتُّونَ) شِبْتَ وغَرَامُكَ ما وَخَطَ عَارِضَيْهِ مَشِيبٌ . وشَخَتَ وغَرَامُكَ رِدَاءُ شَبَابِهِ قَشِيبٌ . ما لي أَرَاكَ صَعْبَ ٱلْمِرَاسِ . جَامِحَ ٱلرَّاسِ . كَأَنَّ وَافِدَ ٱلْمَشِيبِ لم يَخْطِمْكَ . وكَأَنَّ ٱرْتِقَاءَ

السن لم يحطمك. الشيخوخة تكسب أهلها سمتاً. وأنت ما أكسبتك إلا أمتاً. لو علمت أي وقد حل بفودك. لتبرقعت حياء من وفدك. ولكن محياك لم يتعلم الحياء. ولم يتهج من حروفه الحاء ولا الياء. تثب إلى الشر كما تثب الظباء. وتلهث إلى اللهو كما يلهث الظماء. إن حصحص الباطل فأسمع من سمع. وإن همهم الحق فكأنك بلا سمع. حملت نفسك على الرياضات وهي ريضة. ومن يحتلب اللباء من اللبوة المغيضة

خطبة لبديع الزمان الهمذاني

٢٢ أيها الناس إنكم لم تتركوا سدى. وإن مع اليوم غداً. وإنكم واردو هوة. فأعدوا لها ما استطعتم من قوة. وإن بعد المعاش معاداً. فأعدوا لها زاداً. ألا لا عذر فقد بينت لكم المحجة. وأخذت عليكم الحجة. من السماء بالخبر. ومن الأرض بالعبر. ألا وإن الذي بدأ الخلق عليما. يحيي العظام رميما. ألا وإن الدنيا دار جهاز. وقنطرة جواز. من عبرها سلم. ومن عمرها ندم. ألا وقد نصبت لكم الفخ ونثرت لكم الحب فمن يرتع. يقع. ومن يلقط. يسقط. ألا وإن الفقر حلية العاقل فاكتسوها. والغنى حلة الطغيان فلا تلبسوها. كذبت ظنون الملحدين. الذين جحدوا الدين. وجعلوا القرآن عضين. إن بعد الحدث جدثاً. وإنكم لم تخلقوا عبثاً. فحذار حر النار. وبدار عقبى الدار. ألا وإن العلم أحسن على علاته. والجهل أقبح على

الآته . وإنكم أشقى من أظلته السماء . إن شقي بكم العلماء . الناس بأئمتهم . فإن انقادوا بأزمتهم . نجوا بذمتهم . والناس رجلان عالم يرعى . ومتعلم يسعى . والباقون هامل نعام . وراتع أنعام . وويل عال أمر من سافله . وعالم شيء من جاهله . وقد سمعت أن علي بن الحسين كان قائما يعظ الناس ويقول : يا نفس حتام إلى الحياة ركونك . وإلى الدنيا وعمارتها سكونك . أما اعتبرت بمن مضى من أسلافك . وبمن وارته الأرض من آلافك . ومن فجعت به من إخوانك . ونقل إلى دار البلى من أقرانك :

فهم في بطون الأرض بعد ظهورها محاسنهم فيها بوال دواثر
خلت دورهم منهم وأقوت عراصهم وساقتهم نحو المنايا المقادر
وخلوا عن الدنيا وما جمعوا لها وضمتهم تحت التراب الحفائر

كم اختلست أيدي المنون . من قرون بعد قرون . وكم غيرت ببلاها . وغيبت أكثر الرجال في ثراها :

وأنت على الدنيا مكب منافس لخطابها فيها حريص مكاثر
على خطر تمشي وتصبح لاهيا أتدري بماذا لو عقلت تخاطر
وإن امرءا يسعى لدنياه جاهدا ويذهل عن أخراه لاشك خاسر

انظر إلى الأمم الخالية . والملوك الفانية . كيف انتسفتهم الأيام . وأفناهم الحمام . فانمحت آثارهم . وبقيت أخبارهم :

فأضحوا رميما في التراب وأقفرت مجالس منهم عطلت ومقاصر

وَخلَّوْا عن الدُّنيا وما جمعوا بها ... وما فاز منهم غير من هو صابر
وَحلّوا بدارٍ لا تزاورَ بينهم ... وأنَّى لسكّانِ القبورِ التزاوُرُ
فما إن ترى إلا رموساً ثووا بها ... مسطّحةً تسفي عليها الأعاصِرُ

كم عاينتَ من عزّةٍ وسلطانٍ. وجنودٍ وأعوانٍ. قد تمكّن من دنياه. ونال منها مناه. فبنى الحصونَ والدساكرَ. وجمع الأعلاقَ والعساكرَ:

فما صرفت كفَّ المنيّةِ إذ أتت ... مبادرةً تهوي إليه الذخائرُ
ولا دفعت عنه الحصونُ التي بنى ... وحفَّت بهِ أنهارُها والدساكرُ
ولا قارعت عنه المنيّةَ حيلةٌ ... ولا طمعت في الذبِّ عنه العساكرُ

يا قومُ الحذرَ الحذرَ. والبِدارَ البِدارَ. من الدنيا ومكايدها. وما نصبت لكم من مصايدها. وتجلّت لكم من زينتها. واستشرفت لكم من بهجتها:

وفي دونِ ما عاينتَ من فجعاتها ... إلى رفضها داعٍ وبالزهدِ آمِرُ
فجدَّ ولا تغفلْ فعيشُكَ بائدٌ ... وأنتَ إلى دارِ المنيّةِ صائرُ
ولا تطلبِ الدنيا فإنَّ طلابَها ... وإن نلتَ منها رغبةً لكَ ضائرُ

وكيف يحرص عليها لبيبٌ. أو يُسرُّ بها أريبٌ. وهو على ثقةٍ من فنائها لا تعجبون ممن ينام وهو يخشى الموتَ. ولا يرجو الفوتَ:

ألا لا ولكنّا نغرُّ نفوسَنا ... وتشغلها اللذّاتُ عمّا نحاذرُ
وكيف يلذُّ العيشَ من هو موقنٌ ... بموقفِ عدلٍ حيثُ تُبلى السرائرُ
كأنّا نرى أن لا نشورَ وأنّنا ... سُدًى ما لنا بعدَ الفناءِ مصايرُ

كَمْ غَرَّتِ ٱلدُّنْيَا مِنْ مُخْلِدٍ إِلَيْهَا . وَصَرَعَتْ مِنْ مُكِبٍّ عَلَيْهَا . فَلَمْ تُنْعِشْهُ مِنْ عَثْرَتِهِ وَلَمْ تُقِلْهُ مِنْ صَرْعَتِهِ . وَلَمْ تُدَاوِهِ مِنْ سَقَمِهِ . وَلَمْ تَشْفِهِ مِنْ أَلَمِهِ :

بَلَى أَوْرَدَتْهُ بَعْدَ عِزٍّ وَرِفْعَةٍ مَوَارِدَ سُوءٍ مَا لَهُنَّ مَصَادِرُ
فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَا نَجَاةَ وَأَنَّهُ هُوَ ٱلْمَوْتُ لَا يُنْجِيهِ مِنْهُ ٱلْمُوَازِرُ
تَنَدَّمَ لَوْ أَغْنَاهُ طُولُ نَدَامَةٍ عَلَيْهِ وَأَبْكَتْهُ ٱلذُّنُوبُ ٱلْكَبَائِرُ

بَكَى عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ خَطَايَاهُ . وَتَحَسَّرَ عَلَى مَا خَلَّفَ مِنْ دُنْيَاهُ . حَيْثُ لَمْ يَنْفَعْهُ ٱلِٱسْتِعْبَارُ . وَلَمْ يُنْجِهِ ٱلِٱعْتِذَارُ :

أَحَاطَتْ بِهِ أَحْزَانُهُ وَهُمُومُهُ وَإِبْلِيسُ لَمَّا أَعْجَزَتْهُ ٱلْمَعَاذِرُ
فَلَيْسَ لَهُ مِنْ كُرْبَةِ ٱلْمَوْتِ فَارِجٌ وَلَيْسَ لَهُ مِمَّا يُحَاذِرُ نَاصِرُ
وَقَدْ خَسِئَتْ فَوْقَ ٱلْمَنِيَّةِ نَفْسُهُ تُرَدِّدُهَا مِنْهُ ٱللُّهَى وَٱلْحَنَاجِرُ

فَإِلَى مَتَى تُرَقِّعُ بِآخِرَتِكَ دُنْيَاكَ . وَتَرْكَبُ فِي ذَاكَ هَوَاكَ . إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفَ ٱلْيَقِينِ . يَا رَاقِعَ ٱلدُّنْيَا بِٱلدِّينِ . أَبِهٰذَا أَمَرَكَ ٱلرَّحْمَانُ . أَمْ عَلَى هٰذَا دَلَّكَ ٱلْقُرْآنُ :

تُخَرِّبُ مَا يَبْقَى وَتَعْمُرُ فَانِيًا فَلَا ذَاكَ مَوْفُورٌ وَلَا ذَاكَ عَامِرُ
فَهَلْ لَكَ إِنْ وَافَاكَ حَتْفُكَ بَغْتَةً وَلَمْ تَكْتَسِبْ خَيْرًا لَدَى ٱللهِ عَاذِرُ
أَتَرْضَى بِأَنْ تَقْضِيَ ٱلْحَيَاةَ وَتَنْقَضِي وَدِينُكَ مَنْقُوصٌ وَمَالُكَ وَافِرُ

نخبة من خطب الحريري

٢٣ أَيُّهَا ٱلسَّادِرُ فِي غُلَوَائِهِ . ٱلسَّادِلُ ثَوْبَ خُيَلَائِهِ . ٱلْجَامِحُ فِي

جهالاته. الجانح إلى خزعبلاته. إلى م تستمر على غيك. وتستمرئ مرعى بغيك. وحتى م تتناهى في زهوك. ولا تنتهي عن لهوك. تبارز بمعصيتك. مالك ناصيتك. وتجترئ بقبح سيرتك. على عالم سريرتك. وتتوارى عن قريبك. وأنت بمرأى رقيبك. وتستخفي من مملوكك. وما تخفى خافية على مليكك. أتظن أن ستنفعك حالك. إذا آن ارتحالك. أو ينقذك مالك. حين توبقك أعمالك. أو يغني عنك ندمك. إذا زلت قدمك. أو يعطف عليك معشرك. يوم يضمك محشرك. هلا انتهجت محجة اهتدائك. وعجلت معالجة دائك. وفللت شباة اعتدائك. وقدعت نفسك فهي أكبر أعدائك. أما الحمام ميعادك. فما إعدادك. وبالمشيب إنذارك. فما إعذارك. وفي اللحد مقيلك. فما قيلك. وإلى الله مصيرك. فمن نصيرك. طالما أيقظك الدهر فتناعست. وجذبك الوعظ فتقاعست. وتجلت لك العبر فتعاميت. وحصحص لك الحق فتماريت. وأذكرك الموت فتناسيت. وأمكنك أن تواسي فما آسيت. تؤثر فلسا توعيه. على ذكر تعيه. وتختار قصرا تعليه. على بر توليه. وترغب عن هاد تستهديه. إلى زاد تستهديه. وتغلب حب ثوب تشتهيه. على ثواب تشتريه. يواقيت الصلات. أعلق بقلبك من مواقيت الصلاة. ومغالاة الصدقات. آثر عندك من موالاة الصدقات. وصحاف الألوان. أشهى إليك من صحائف الأديان. ودعابة الأقران. آنس لك

مِنْ تِلاوَةِ ٱلْقُرْآنِ. تأْمُرُ بِالْعُرْفِ وَتَنْتَهِكُ حِماهُ. وَتَحْمِي عَنِ ٱلنُّكْرِ وَلا تَتَحاماهُ. وَتُزَحْزِحُ عَنِ ٱلظُّلْمِ ثُمَّ تَغْشاهُ. وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللّٰهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ. ثُمَّ أَنْشَدَ:

تَبًّا لِطَالِبِ دُنْيَا ثَنَى إِلَيْهَا ٱنْصِبَابَهْ
مَا يَسْتَفِيقُ غَرَامًا بِهَا وَفَرْطَ صَبَابَهْ
وَلَوْ دَرَى لَكَفَاهُ مِمَّا يَرُومُ صُبَابَهْ

٢٤ — وله ايضاً من خطبة

أَيَا مَنْ يَدَّعِي ٱلْفَهْمْ إِلَى كَمْ يَا أَخَا ٱلْوَهْمْ تُعَبِّي ٱلذَّنْبَ وَٱلذَّمّْ
وَتُخْطِي ٱلْخَطَأَ ٱلْجَمّْ
أَمَا بَانَ لَكَ ٱلْعَيْبْ أَمَا أَنْذَرَكَ ٱلشَّيْبْ وَمَا فِي نُصْحِهِ رَيْبْ
وَلَا سَمْعُكَ قَدْ صَمّْ
أَمَا نَادَى بِكَ ٱلْمَوْتْ أَمَا أَسْمَعَكَ ٱلصَّوْتْ أَمَا تَخْشَى مِنَ ٱلْفَوْتْ
فَتَحْتَاطَ وَتَهْتَمّْ
فَكَمْ تَسْدَرُ فِي ٱلسَّهْوْ وَتَخْتَالُ مِنَ ٱلزَّهْوْ وَتَنْصَبُّ إِلَى ٱللَّهْوْ
كَأَنَّ ٱلْمَوْتَ مَا عَمّْ
وَحَتَّامَ تَجَافِيكْ وَإِبْطَاءُ تَلَافِيكْ طِبَاعًا جَمَعَتْ فِيكْ
عُيُوبًا شَمْلُهَا ٱنْضَمّْ
إِذَا أَسْخَطْتَ مَوْلَاكْ فَمَا تَقْلَقُ مِنْ ذَاكْ وَإِنْ أَخْفَقَ مَسْعَاكْ
تَلَظَّيْتَ مِنَ ٱلْهَمّْ

وَإنْ لاحَ لكَ ٱلنَّقْشْ مِنَ ٱلْأصفَرِ تَهَشّْ وَإنْ مَرَّ بِكَ ٱلنَّعْشْ
تَغامَمْتَ وَلا غَمّْ

تُعاصِي ٱلنَّاصِحَ ٱلْبَرّْ وَتَعْتاصُ وَتَزْوَرّْ وَتَنْقادُ لِمَنْ غَرّْ
وَمَنْ مانَ وَمَنْ نَمّْ

وَتَسْعَى فِي هَوَى ٱلنَّفْسْ وَتَحْتالُ عَلَى ٱلْفَلْسْ وَتَنْسَى ظُلْمَةَ ٱلرَّمْسْ
وَلا تَذْكُرُ ما ثَمّْ

وَلَوْ لاحَظَكَ ٱلْحَظّْ لَما طاحَ بِكَ ٱللَّحْظْ وَلا كُنْتَ إذا ٱلْوَعْظْ
جَلا ٱلْأحْزانَ تَغْتَمّْ

سَتُذْرِي ٱلدَّمَ لا ٱلدَّمْعْ إذا عايَنْتَ لا جَمْعْ يَقِي فِي عَرْصَةِ ٱلْجَمْعْ
وَلا خالَ وَلا عَمّْ

كَأنِّي بِكَ تَنْحَطّْ إلَى ٱللَّحْدِ وَتَنْغَطّْ وَقَدْ أَسْلَمَكَ ٱلرَّهْطْ
إلَى أضْيَقِ مِنْ سَمّْ

هُناكَ ٱلْجِسْمُ مَمْدُودْ لِيَسْتَأْكِلَهُ ٱلدُّودْ إلَى أنْ يَنْخَرَ ٱلْعُودْ
وَيُمْسِي ٱلْعَظْمُ قَدْ رَمّْ

وَمِنْ بَعْدُ فَلا بُدّْ مِنَ ٱلْعَرْضِ إذا ٱعْتُدّْ صِراطٌ جِسْرُهُ مُدّْ
عَلَى ٱلنَّارِ لِمَنْ أمّْ

فَكَمْ مِنْ مُرْشِدٍ ضَلّْ وَمِنْ ذِي عِزَّةٍ ذَلّْ وَكَمْ مِنْ عالِمٍ زَلّْ
وَقالَ ٱلْخَطْبُ قَدْ طَمّْ

فَبادِرْ أيُّها ٱلْغُمْرْ لِما يَحْلُو بِهِ ٱلْمُرّْ فَقَدْ كادَ يَهِي ٱلْعُمْرْ

وَمَا أَقْلَعَتْ عَنْ ذَمّْ

وَلَا تَرْكَنْ إِلَى ٱلدَّهْرْ وَإِنْ لَانَ وَإِنْ سَرّْ فَتُلْفَى كَمَنْ ٱغْتَرّْ

بِأَفْعَى تَنْفُثُ ٱلسَّمّْ

وَخَفِّضْ مِنْ تَرَاقِيكْ فَإِنَّ ٱلْمَوْتَ لَاقِيكْ وَسَارٍ فِي تَرَاقِيكْ

وَمَا يَنْكُلُ إِنْ هَمّْ

وَجَانِبْ صَعَرَ ٱلْخَدّْ إِذَا سَاعَدَكَ ٱلْجَدّْ وَزُمَّ ٱللَّفْظَ إِنْ نَدّْ

فَمَا أَسْعَدَ مَنْ زَمّْ

وَنَفِّسْ عَنْ أَخِي ٱلْبَثّْ وَصَدِّقْهُ إِذَا نَثّْ وَرُمَّ ٱلْعَمَلَ ٱلرَّثّْ

فَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَمّْ

وَرِشْ مَنْ رِيشُهُ ٱنْحَصّْ بِمَا عَمَّ وَمَا خَصّْ وَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلنَّقْصْ

وَلَا تَحْرِصْ عَلَى ٱللَّمّْ

وَعَادِ ٱلْخُلُقَ ٱلرَّذْلْ وَعَوِّدْ كَفَّكَ ٱلْبَذْلْ وَلَا تَسْتَمِعِ ٱلْعَذْلْ

وَنَزِّهْهَا عَنِ ٱلضَّمّْ

وَزَوِّدْ نَفْسَكَ ٱلْخَيْرْ وَدَعْ مَا يُعْقِبُ ٱلضَّيْرْ وَهَيِّئْ مَرْكَبَ ٱلسَّيْرْ

وَخَفْ مِنْ لُجَّةِ ٱلْيَمّْ

بِذَا أُوصِيتُ يَا صَاحْ وَقَدْ بُحْتُ كَمَنْ بَاحْ فَطُوبَى لِفَتًى رَاحْ

بِآدَابِي يَأْتَمّْ

وله من خطبة وهي عرية من الإعجام

أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلْمَمْدُوحِ ٱلْأَسْمَاءْ . ٱلْمَحْمُودِ ٱلْآلَاءْ . ٱلْوَاسِعِ ٱلْعَطَاءْ

المدعو لحسم اللأواء . مالك الأمم ومصور الرمم . ومكرم أهل السماح والكرم . ومهلك عاد وإرم . أدرك كل سر علمه . ووسع كل مصر حلمه . وعم كل عالم طوله . وهد كل مارد حوله . أحمده حمد موحد مسلم . وأدعوه دعاء مؤمل مسلم . وهو الله لا إله إلا هو الواحد الأحد . العادل الصمد .... ما همر ركام . وهدر حمام . وسرح سوام . وسطا حسام . إعملوا رحمكم الله عمل الصلحاء . واكدحوا لمعادكم كدح الأصحاء . واردعوا أهواءكم ردع الأعداء . وأعدوا للرحلة إعداد السعداء . وادرعوا حلل الورع . وداووا علل الطمع . وسووا أود العمل . وعاصوا وساوس الأمل . وصوروا لأوهامكم حوول الأحوال . وحلول الأهوال . ومساورة الأعلال . ومصارمة المال والآل . واذكروا الحمام وسكرة مصرعه والرمس وهول مطلعه . واللحد ووحدة مودعه . والملك وروعة سؤاله ومطلعه . والمحوا الدهر ولؤم كره . وسوء محاله ومكره . كم طمس معلما . وأمر مطعما . وطحطح عرمرما . ودمر ملكا مكرما . همه سك المسامع . وسح المدامع . وإكداء المطامع . وإرداء المسمع والسامع . عم حكمه الملوك والرعاع . والمسود والمطاع . والمحسود والحساد . والأساود والآساد . ما مول إلا مال . وعكس الآمال . وما وصل إلا وصال . وكلم الأوصال . ولا سر إلا وساء . ولؤم وأساء . ولا أصح إلا ولد الداء . وروع الأوداء . الله الله . رعاكم الله . إلى م مداومة اللهو . ومواصلة السهو . وطول

الإِصرارِ. وحملُ الآصارِ. واطراحِ كلامِ الحكماء. ومعاصاةُ إلهِ السماء. أما الهرمُ حصادُكم. والمدرُ مهادُكم. أما الحِمامُ مُدرِكُكم. والصراطُ مسلكُكم. أما الساعةُ موعدُكم. والساهِرةُ مورِدُكم. أما أهوالُ الطامةِ لكم مرصدةٌ. أما دارُ العصاةِ الحطمةُ الموصدةُ. حارسهم مالكٌ. ورواؤهم حالكٌ. وطعامهم السمومُ. وهواؤهم السمومُ. لا مالَ أسعدهم ولا ولَد. ولا عدد حماهم ولا عُدد. ألا رحِم اللهُ امرأً ملكَ هواه. وأمّ مسالكَ هُداه. وأحكم طاعةَ مولاه. وكدح لروحِ مأواه. وعمِل ما دام العمرُ مطاوِعاً. والدهرُ موادِعاً. والصحّةُ كاملةٌ. والسلامةُ حاصِلةٌ. وإلا دهمه عدمُ المرامِ. وحصرُ الكلامِ. وإلمامُ الآلامِ. وحمومُ الحِمامِ. وهدوُّ الحواسِ. ومراسُ الأرماسِ. آهاً لها حسرةً ألمُها مؤكدٌ. وأمدُها سرمدٌ. وممارسها مكمدٌ. ما لوَلهِه حاسمٌ. ولا لسدمِهِ راحمٌ. ولا له مما عراه عاصمٌ. ألهمكم اللهُ أحمدَ الإلهامِ. وردّاكم رداءَ الإكرامِ. وأحلّكم دارَ السلامِ. وأسأله الرحمةَ لكم ولأهلِ ملّةِ الإسلامِ. وهو أسمحُ الكرامِ. والمسلِّمُ والسلامُ

ولهُ من خطبةٍ أخرى

٢٦ مسكينٌ ابنُ آدمَ وأيُّ مسكينٍ. ركَنَ من الدنيا إلى غيرِ ركينٍ. واستعصمَ منها بغيرِ مكينٍ. وذُبِحَ من حبِّها بغيرِ سكّينٍ. يكلَفُ بها لغباوتِه. ويكلَبُ عليها لشقاوتِه. ويعتدُّ فيها لمفاخرتِه. ولا يتزوّدُ منها

لآخرته. أقسم بمن مرج البحرين. ونوّر القمرين. ورفع قدر الحجرين.
لو عقل ابن آدم. لما نادم. ولو فكّر في ما قدّم لبكى الدم. ولو ذكر
المكافاة. لاستدرك ما فات. ولو نظر في المآل. لحسّن قبح
الأعمال. يا عجبا كل العجب. لمن يقتحم ذات اللهب. في اكتناز
الذهب. وخزن النشب لذوي النسب. ثم من البدع العجيب أن
يعظك وخط المشيب. وتؤذن شمسك بالمغيب. ولست ترى أن
تنيب. وتهذب المعيب. ثم اندفع ينشد. إنشاد من يرشد:

يا ويح من أنذره شيبه   وهو على غيّ الصبا منكمش
يعشو إلى نار الهوى بعدما   أصبح من ضعف القوى يرتعش
ويمتطي اللهو ويعتدّه   أوطأ ما يفترش المفترش
لم يهب الشيب الذي ما رأى   نجومه ذو اللب إلا دهش
ولا انتهى عمّا نهاه النهى   عنه ولا بالى بعرض خدش
فذاك إن مات فسحقا له   وإن يعش عدّ كأن لم يعش
لا خير في محيا امرئ نشره   كنشر ميت بعد عشر نبش
وحبذا من عرضه طيّب   يروق حسنا مثل برد رقش
فقل لمن قد شاكه ذنبه   هلكت يا مسكين أو تنتعش
فأخلص التوبة تطمس بها   من الخطايا السود ما قد نقش
وعاشر الناس بخلق رضى   ودار من طاش ومن لم يطش
ورِش جناح الحرّ إن حصّه   زمانه لا كان من لم يرش

وَأَنْجِدِ الْمَوْتُورَ ظُلْماً فَإِنْ عَجَزْتَ عَنْ إِنْجَادِهِ فَاسْتَجِشْ
وَانْعِشْ إِذَا نَادَاكَ ذُو كَبْوَةٍ عَسَاكَ فِي الْحَشْرِ بِهِ تَنْتَعِشْ
وَهَاكَ كَأْسَ النُّصْحِ فَاشْرَبْ وَجُدْ بِفَضْلَةِ الْكَأْسِ عَلَى مَنْ عَطِشْ

موعظة لابن الجوزي

٢٧ إِخْوَانِي اعْلَمُوا أَنَّ مَنْ عَمِلَ فِي الْأَيَّامِ خَيْرًا حُمِدَ أَمْرُهُ . وَمَنِ اقْتَرَفَ فِيهَا شَرًّا أَضَاعَ عُمْرَهُ . سَيَنْدَمُ غَدًا مَنْ قَصَّرَ عَلَى تَقْصِيرِهِ . وَيَتَلَهَّفُ مَنْ تَرَكَ الْعَمَلَ لِمَصِيرِهِ . وَيَبْكِي هَاجِرُ الْهُدَى بَعْدَ تَبْصِيرِهِ . إِنَّمَا هِيَ أَوْقَاتٌ مُبَادَرَةٌ تَذْهَبُ . وَاغْتِنَامُ أَيَّامٍ تَنْهَبُ . فَبَادِرْ بِعُمْرِكَ قَبْلَ الْفَوْتِ . وَاغْتَنِمْ حَيَاتَكَ قَبْلَ الْمَوْتِ . يَا مَنْ يَعْصِي مَوْلَاهُ عَلَى مَا يُرِيدُ . وَيُبَارِزُهُ بِالْمَعَاصِي وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ . وَهُوَ فِي دَارِ الْأَرْبَاحِ لَا يَكْسِبُ وَلَا يَسْتَفِيدُ . وَلَا يَشُوقُهُ الْوَعْدُ وَلَا يُخَوِّفُهُ الْوَعِيدُ . أَمَلُهُ طَوِيلٌ وَلَيْسَ الْعُمْرُ بِمَدِيدٍ . وَالْمَوَاعِظُ تَقْرَعُ الْقُلُوبَ فَتَجِدُهَا أَقْسَى مِنَ الصُّخُورِ وَأَصْلَبَ مِنَ الْحَدِيدِ . تَيَقَّظْ يَا مَغْرُورُ وَافْهَمْ يَا بَلِيدُ . فَالْأَمَلُ طَوِيلٌ وَالْأَمْنُ عَزِيزٌ شَرِيدٌ . وَطَرِيقُ الْعِقَابِ بَعِيدٌ مَدِيدٌ . كَيْفَ تَرْجُو الْبَقَاءَ فِي دَارِ الْفَنَاءِ وَالرَّحِيلِ . تَأْمُلُ الرِّضَا وَالزَّمَانُ قَدْ مَضَى فِي غَيْرِ الْجَمِيلِ . أَعْدَدْتَ الْجَوَابَ وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ الْحِسَابَ يَأْتِي عَلَى الْكَثِيرِ وَالْقَلِيلِ . فَإِلَى مَتَى تُضَيِّعُ الْوَقْتَ الشَّرِيفَ . وَحَتَّى مَتَى تَتَقَرَّبُ إِلَى الْمَلِكِ اللَّطِيفِ . وَكَيْفَ أَعْرَضْتَ عَنِ الْقِيَامِ بِتَخْفِيفِ التَّكْلِيفِ . وَأَيْنَ تَأْثِيرُ الْإِنْذَارِ عِنْدَكَ وَالتَّخْوِيفُ . يَا مَنْ إِذَا دُعِيَ إِلَى صَلَاحِهِ أَبَى

وَتَخَلَّفَ . وَإِذَا وعد بِتَوْبَةٍ تَمَادَى وَأَخْلَفَ . وَإِذَا هَمَّ بِفِعْلِ الْخَيْرِ تَوَانَى وَسَوَّفَ . وَإِذَا أَدَّى وَاجِباً شَقَّ عَلَيْهِ وَتَكَلَّفَ . وَإِذَا لَاحَ لَهُ مَا يَهْوَى مِنَ الْمَخَازِي لَمْ يَتَأَنَّ وَلَمْ يَتَوَقَّفْ . وَإِذَا بَارَزَ بِالْمَعَاصِي لَمْ يَحْذَرْ وَلَمْ يَخَفْ . هٰذَا مَيْدَانُ الْمُجَاهَدَةِ فَأَيْنَ اجْتِهَادُكَ . هٰذَا الرَّحِيلُ قَدْ دَنَا فَأَيْنَ زَادُكَ . هٰذَا الصِّرَاطُ قَدْ مُدَّ فَأَيْنَ اسْتِعْدَادُكَ . هٰذَا رُكْنُ الْفَنَاءِ وَثِيقٌ فَأَيْنَ اعْتِمَادُكَ . هٰذَا الِاعْتِبَارُ قَدْ لَاحَ فَأَيْنَ أَجْدَادُكَ . هٰذَا نَذِيرُ الرَّحِيلِ قَدْ صَاحَ فَهَلْ تَمَّ مُرَادُكَ . وَكَيْفَ نَسِيتَ مَآرِبَكَ فَأَثَّرَتْ عَلَى يَقِينِكَ ارْتِيَابَكَ . أَفَأَمِنْتَ تَوْبِيخَكَ وَعِتَابَكَ حَتَّى مَلَأْتَ مِنَ الْخَطَايَا كِتَابَكَ . لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي أَصَابَكَ . حَتَّى اخْتَرْتَ خَطَأَكَ وَرَفَضْتَ صَوَابَكَ . أَنَسِيتَ حَشْرَكَ وَحِسَابَكَ . أَمْ أَعْدَدْتَ لِلسُّؤَالِ جَوَابَكَ . يَا هٰذَا ابْكِ عَلَى ذُنُوبِكَ وَكُنْ حَزِيناً وَجِلاً . قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمُ الْحَسْرَةِ وَأَنْتَ مُطْرِقٌ خَجِلاً . وَكُنْ عَلَى طَلَبِ الْخَلَاصِ بِالْإِخْلَاصِ مُسْتَسْهِلاً . قَبْلَ أَنْ يَصِيرَ دَمْعُكَ إِذَا صَغَى سَمْعُكَ مُنْهَمِلاً . كَيْفَ يَكُونُ حَالُكَ إِذَا خَرَجَ الْخَلَائِقُ مِنَ الْقُبُورِ وَفَارَ الْبَحْرُ الْمَسْجُورُ . وَتَدَكْدَكَتِ الْجِبَالُ وَالصُّخُورُ . وَتَمَزَّقَتِ السَّمَاءُ وَهِيَ تَمُورُ . وَتَقَطَّعَتِ الْأَرْضُ وَهِيَ تَحُورُ . فَهَلْ تَرَى فِي ذٰلِكَ الْيَوْمِ مِنْ فُتُورٍ . كَيْفَ يَكُونُ حَالُكَ إِذَا انْكَشَفَتْ غَداً الْأُمُورُ . وَانْهَتَكَتْ مِنَ الْمُذْنِبِينَ السُّتُورُ . وَبَرَزَ الْعَدْلُ الَّذِي لَا يَجُورُ . وَذَلَّ كُلُّ جَبَّارٍ فَجُورٍ . وَتَجَلَّى الْعَزِيزُ الصَّبُورُ . وَحِيلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ يَا مَغْرُورُ . فَنَادَيْتَ بِالْوَيْلِ

وَالْقُبُورِ . كَيفَ يَكُونُ حَالُكَ إِذَا قَدِمَتْ غَدًا النُّجُبُ لِلْمُطِيعِينَ . وَانْقَطَعْتَ أَنتَ فِي حَمَلَةِ الْمُنْقَطِعِينَ . كَيفَ يَكُونُ حَالُكَ إِذَا نُشِرَتْ غَدًا أَعْلَامُ التَّائِبِينَ . وَبَقِيتَ أَنتَ مَعَ الْخَائِبِينَ . كَيفَ يَكُونُ حَالُكَ إِذَا حُشِرَ النَّاسُ سُكَارَى . مِنْ هَوْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ حَيَارَى . وَحُسِبْتَ أَنْتَ مَعَ الْأَسَارَى . وَدَمْعُكَ يَسِيحُ . وَجَفْنُكَ قَرِيحٌ . وَعَيْنُكَ عَبْرَى . وَكَبِدُكَ حَرَّى . وَعَقْلُكَ مَسْلُوبٌ . وَفُؤَادُكَ يَذُوبُ . وَظُلَمُ الْمَعَاصِي قَدِ انْكَشَفَتْ . وَالشَّدَائِدُ عَلَيْكَ قَدْ تَضَاعَفَتْ . وَصَحِيفَتُكَ قَدْ ظَهَرَتْ . وَالزَّبَانِيَةُ إِلَيْكَ قَدْ تَبَادَرَتْ . وَالْجَحِيمُ قَدْ أَزْفَرَتْ . وَأَسْتَارُكَ قَدِ انْهَتَكَتْ . وَقَبَائِحُكَ قَدْ بَرَزَتْ وَذُنُوبُكَ قَدِ اشْتَهَرَتْ . وَدُمُوعُكَ قَدِ انْهَمَرَتْ . وَعَيْنُكَ قَدِ اسْتَعْبَرَتْ . تَلْتَفِتُ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ . وَقَدْ خَابَتْ مِنْكَ الْآمَالُ . تُنَادِي فِي قَلْبِكَ : الْحَرِيقُ . كَيفَ أَمْضِي وَأَيْنَ الطَّرِيقُ . فَحِينَئِذٍ يَهْرُبُ مِنْكَ الْأَخُ الشَّفِيقُ . وَيَنَالُ الْخِلُّ الْوَدُودُ وَالصَّاحِبُ وَالرَّفِيقُ . أَللَّهُمَّ أَجِرْنَا مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ . وَاجْعَلْنَا مِنْ تُبَّاعِ الْفَائِزِينَ مِنَ الْقَوْمِ . يَا مَنْ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ

نخبة

من مواعظ لسان الدين الخطيب

٢٨ أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَلِيِّ الْحَمِيدِ . الْمُبْدِئِ الْمُعِيدِ . الْبَعِيدِ فِي قُرْبِهِ مِنَ الْعَبِيدِ . الْقَرِيبِ فِي بُعْدِهِ فَهُوَ أَقْرَبُ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ . مُحْيِي رُبُوعِ الْعَارِفِينَ بِتَحِيَّاتِ حَيَاةِ التَّوْحِيدِ . وَمُغْنِي نُفُوسِ الزَّاهِدِينَ بِكُنُوزِ احْتِقَارِ

الافتقار إلى العرض الزهيد. ومخلص خواطر المحققين من سجون دجون التقييد إلى فسيح التجريد. نحمده وله الحمد المنتظمة درره في سلوك الدوام وسموط التأبيد. حمد من نزه أحكام وحدانيته وأعلام فردانيته عن مرابط التقييد. ومخابط الطبع البليد. ونشكره شكر من افتتح بشكره أبواب المزيد. ونشهد أنه الله الذي لا إله إلا هو شهادة نتخطى بها معالم الخلق إلى حضرة الحق على كبد التفريد... آه أي وعظ بعد وعظ الله تعالى يا أحبابنا يسمع. وفيما ذا وقد تبين الرشد من الغي يطمع. يا من يعطي ويمنع. إذا لم تقم الصنيعة فماذا تصنع. إجمعنا بقلوبنا يا من يفرق ويجمع. ولين حديدها بنار خشيتك فقد استعاذ الحكيم من قلب لا يخشع ومن عين لا تدمع. إعلموا رحمكم الله أن الحكمة ضالة المؤمن. يأخذها من الأقوال والأحوال ومن الجماد والحيوان. وما أملاه الملوان. فإن الحق نور لا يضره أن صدر من الخامل. ولا يقصر بمحصوله احتقار الحامل. وأنتم تدرون أنكم في أطوار سفر لا تستقر لها دون الغاية رحلة. ولا تتأتى معها إقامة ولا مهلة. من الأصلاب إلى الأرحام إلى الوجود إلى القبور إلى النشور إلى إحدى داري البقاء أفي الله شك. فلو أبصرتم مسافرا في البرية يبني ويفرش. ويمهد ويعرش. ألم تكونوا تضحكون من جهله. وتعجبون من ركاكة عقله. ووالله ما أموالكم وأولادكم وشواغلكم عن الله التي فيها اجتهادكم إلا بناء سفر في قفر. أو أعراس في ليلة نفر.

كأنكم بها مطرحة تعبر فيها المواشي . وتنبو العيون عن خبرها المتلاشي . إنما أموالكم ولذاتكم فتنة . والله عنده أجر عظيم .ما بعد المقيل إلا الرحيل . ولا بعد الرحيل إلا المنزل الكريم أو المنزل الوبيل . وإنكم تستقبلون أهوالا سكرات الموت بواكر حسابها . وعتب أبوابها . فلو كشف الغطاء عن ذرة منها لذهلت العقول وطاشت الألباب . وما كل حقيقة يشرحها الكلام . يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا يغرنكم بالله الغرور أفلا أعددتم لهذه الورطة حيلة . وأظهرتم للاهتمام بها مخيلة . أتعويلا على عفوه مع المقاطعة وهو القائل في مقام التهديد . إن عذابي لشديد . أأمنا من مكره مع المنابذة . ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون . أطمعا في رحمته مع المخالفة كما قيل : فسأكتبها للذين يتقون . أو مشاقة ومعاندة . ومن يشاقق الله فإن الله شديد العقاب :

هكذا هكذا يكون التعامي هكذا هكذا يكون الغرور

يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون . وما عدا عما بدا ورسولكم الحريص عليكم الرؤوف الرحيم يقول لكم : الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت . والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني . فعلام بعد هذا المعول . وماذا يتأول . اتقوا الله سبحانه في نفوسكم وانصحوها . واغتنموا فرص الحياة واربحوها . أن تقول نفس : ياحسرتا على ما فرطت في جنب

ٱللهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ ٱلسَّاخِرِينَ. وتُنَادِي أُخْرَى: هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ. تَسْتَغِيثُ أُخْرَى: يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ. وتَقُولُ أُخْرَى: رَبِّ ٱرْجِعُونِي. فَرَحِمَ ٱللهُ مَنْ نَظَرَ لِنَفْسِهِ. قَبْلَ غُرُوبِ شَمْسِهِ. وَقَدَّمَ لِغَدِهِ مِنْ أَمْسِهِ. وَعَلِمَ أَنَّ ٱلْحَيَاةَ تَجُرُّ إِلَى ٱلْمَوْتِ. وَٱلْغَفْلَةَ تَقُودُ إِلَى ٱلْفَوْتِ. وَٱلصِّحَّةَ مَرْكَبُ ٱلْأَلَمِ. وَٱلشَّبِيبَةَ سَفِينَةٌ تَقْطَعُ إِلَى سَاحِلِ ٱلْهَرَمِ

وله ايضًا من عظة

٢٩ إِخْوَانِي صُمَّتِ ٱلْآذَانُ وَٱلنِّدَاءُ جَهِيرٌ. وَكَذَبَ ٱلْعِيَانُ وَٱلْمُشَارُ إِلَيْهِ شَهِيرٌ. أَيْنَ ٱلْمَلِكُ وَأَيْنَ ٱلظَّهِيرُ. أَيْنَ ٱلْخَاصَّةُ أَيْنَ ٱلْجَمَاهِيرُ. أَيْنَ ٱلْقَبِيلُ وَٱلْعَشِيرُ. أَيْنَ ٱبْنُ أَرْدَشِيرَ. صَدَقَ وَٱللهِ ٱلنَّاعِي وَكَذَبَ ٱلْبَشِيرُ. وَغُشَّ ٱلْمُسْتَشَارُ وَٱتُّهِمَ ٱلْمُشِيرُ. وَسُئِلَ عَنِ ٱلْكُلِّ فَأَشَارَ إِلَى ٱلتُّرَابِ ٱلْمُشِيرُ:

خُذْ عَنْ حَيَاتِكَ لِلْمَمَاتِ ٱلْآتِي ... وَبِدَارِ مَا دَامَ ٱلزَّمَانُ مُوَاتِي
لَا تَغْتَرِرْ فَهُوَ ٱلسَّرَابُ بِقِيعَةٍ ... قَدْ خُودِعَ ٱلْمَاضِي بِهِ وَٱلْآتِي
يَا مَنْ يُؤَمِّلُ وَاعِظًا وَمُذَكِّرًا ... يَوْمًا لِيُوقِظَهُ مِنَ ٱلْغَفَلَاتِ
هَلَّا ٱعْتَبَرْتَ وَيَا لَهَا مِنْ عِبْرَةٍ ... بِمَدَافِنِ ٱلْآبَاءِ وَٱلْأُمَّاتِ
قِفْ بِٱلْبَقِيعِ وَنَادِ فِي عَرَصَاتِهِ ... فَلَكَمْ بِهِ مِنْ جِيرَةٍ وَلِدَاتِ
دَرَجُوا وَلَسْتَ بِخَالِدٍ مِنْ بَعْدِهِمْ ... مُتَمَيِّزٍ عَنْهُمْ بِوَصْفِ حَيَاةِ
وَٱللهِ مَا ٱسْتَهْلَلْتَ حَيًّا صَارِخًا ... إِلَّا وَأَنْتَ تُعَدُّ فِي ٱلْأَمْوَاتِ
لَا فَوْتَ عَنْ دَرْكِ ٱلْحِمَامِ لِهَارِبٍ ... وَٱلنَّاسُ صَرْعَى مَعْرَكِ ٱلْآفَاتِ
كَيْفَ ٱلْحَيَاةُ لِدَارِجٍ مُتَكَلِّفٍ ... سِنَةَ ٱلْكَرَى بِمَدَارِجِ ٱلْحَيَّاتِ

أَسَفًا عَلَيْنَا مَعْشَرَ ٱلْأَمْوَاتِ لَا نَنفَكُّ عَنْ شُغْلٍ بِهَاكَ وَهَاتِ
وَيَغُرُّنَا لَمْعُ ٱلسَّرَابِ فَنَغْتَدِي فِي غَفْلَةٍ عَنْ هَادِمِ ٱللَّذَّاتِ

يَا مَنْ غَدَا وَرَاحَ وَأَلِفَ ٱلْمِرَاحَ . يَا مَنْ شَرِبَ ٱلرَّاحَ مَمْزُوجَةً بِٱلْعَذَابِ ٱلْقَرَاحِ . وَقَعَدَ لِعِيَانِ صُرُوفِ ٱلزَّمَانِ مَقْعَدَ ٱلِٱقْتِرَاحِ . كَأَنَّكَ وَٱللهِ بِٱخْتِلَافِ ٱلرِّيَاحِ . وَسَمَاعِ ٱلصِّيَاحِ . وَهُجُومِ غَارَةِ ٱلِٱجْتِيَاحِ . فَأُدِيلَ ٱلْخُفُوتُ مِنَ ٱلِٱرْتِيَاحِ . وَنُسِيَتْ أَصْوَاتُ ٱلْغِنَاءِ بِرَنَّاتِ ٱلرِّيَاحِ . وَعُوِّضَتْ غُرَرُ ٱلنُّوبِ ٱلْقِبَاحِ . مِنْ غُرَرِ ٱلْوُجُوهِ ٱلصِّبَاحِ . وَتَنَاوَلَتِ ٱلْجُسُومَ ٱلنَّاعِمَةَ أَيْدِي ٱلِٱطِّرَاحِ . وَتُوسِيَتِ ٱلْعُهُودُ ٱلْكَرِيمَةُ بِمَرِّ ٱلْمَسَاءِ عَلَيْهَا وَٱلصَّبَاحِ . وَأَصْبَحَتْ كُمَاةُ ٱلنِّطَاحِ . مِنْ تَحْتِ ٱلْبِطَاحِ . وَحُمِلَتِ ٱلْمُهَنَّدَةُ وَٱلرِّمَاحُ ذَلِيلَةً مِنْ بَعْدِ ٱلْجِمَاحِ

تَبًّا لِطَالِبِ دُنْيَا لَا بَقَاءَ لَهَا كَأَنَّمَا هِيَ فِي تَصْرِيفِهَا حُلُمُ
صَفَاؤُهَا كَدَرٌ سَرَّاؤُهَا ضَرَرٌ أَمَانُهَا غَدَرٌ أَنْوَارُهَا ظُلَمُ
شَبَابُهَا هَرَمٌ رَاحَاتُهَا سَقَمٌ لَذَّاتُهَا نَدَمٌ وُجْدَانُهَا عَدَمُ
فَخَلِّ عَنْهَا وَلَا تَرْكَنْ لِزَهْرَتِهَا فَإِنَّهَا نِعَمٌ فِي طَيِّهَا نِقَمُ

يَا مُشْتَغِلًا بِدَارِهِ . وَرَمِّ جِدَارِهِ . عَنْ إِسْرَاعِهِ إِلَى ٱلنَّجَاةِ وَبِدَارِهِ . يَا مَنْ صَاحَ بِإِنْذَارِهِ . شَيْبُ عِذَارِهِ . يَا مَنْ صَرَفَ عَيْنَ ٱعْتِذَارِهِ بِأَقْذَارِهِ . يَا مَنْ قَطَعَهُ بُعْدُ مَزَارِهِ . وَثِقَلُ أَوْزَارِهِ . يَا مُعْتَلِقًا يَنْتَظِرُ هُجُومَ جَزَّارِهِ . يَا مَنْ أَمْعَنَ فِي خَمْرِ ٱلْهَوَى خَفْ مِنْ إِسْكَارِهِ . يَا مَنْ خَالَفَ مَوْلَى رِقِّهِ تَوَقَّ مِنْ إِنْكَارِهِ . يَا كَلِفًا بِعَارِيَةٍ تُرَدُّ . يَا مَفْتُونًا بِأَنْفَاسٍ تُعَدُّ .

يا معولاً على الإقامة والرحال تشد . كأني بك وقد أوثق الشد وألصق بالوسادة الخد . والرجل تقبض والأخرى تمد . واللسان يقول يا ليتنا نرد :

إنا إلى الله وإنا له ما أشغل الإنسان عن شانه
يرتاح للأثواب يزهى بها والخيط مغزول لأكفانه
ويخزن الفلس لوراثه مستنفداً مبلغ أكوانه
قوض عن الفاني رحال امرئ مد إليه عين عرفانه
ما ثم إلا موقف زاهد قد وكل العدل بميزانه
مفرط يشقى بتفريطه ومحسن يجزى بإحسانه

يا هذا خفي عليك مرض اعتقادك . فالتبس الشحم بالورم . جهلت قيم المعادن فبعت الشبه بالذهب . فسد حسن ذوقك فتفكهت بحنظلة . أين حرصك من أجلك . أين قولك من عملك . يدركك الحياء من الطفل فتتحامى حمى الفاحشة في البيت بسببه . ثم تواقعها بعين خالق العين ومقدر الكيف والأين . تالله ما فعل فعلك بمعبوده من قطع بوجوده . ما يكون من نجوى ثلاثة إلى عليم . تعود عليك مساعي الجوارح التي سخرها لك بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة فتبخل منها في سبيله بفلس . وأحد الأمرين لازم إما التكذيب وإما الحماقة وجمعك بين الحالتين عجيب . يرزقك السنين العديدة من غير حق وجب لك وتسيء الظن به في يوم . توجب الحق

وتعتذر بالغفلة . فما بال التمادي. تعترف بالذنب فما الحجة في الاصرار والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا . يا مدعي النسيان ماذا فعلت بعد التذكير . يا معتذراً بالغفلة أين ثمرة التنبيه . يا من قطع بالرحيل أين الزاد . يا ذبابة الحرص كم ذا تلجج في ورطة الشهد . يا نائماً ملء عينيه حذار الأجل قد أنذر . يا ثمل الاغترار قرب خمار الندم . تدعي الحذق بالصنائع وتجهل هذا القدر . تبذل النصح لغيرك وتغش نفسك هذا الغش . إندمل جرح توبتك على عظم قام بناء عزمتك على رمل . نبتت خضراء دعوتك على دمنة . عقدت كفك من الحق على قبضة ماء . أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً . فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء . إذا غام جو هذا المجلس وابتدأ رش غمام الدموع قالت النفس الأمارة : حوالينا لا علينا . فدالت رياح الغفلة وسحاب الصيف هفاف . كلما شد طفل العزيمة على درة التوبة صانعته ظئر الشهوة عن ذلك بعصفور . إذا ضيق الخوف فسحة المهل سرق الأمل حدود الجار . قال بعض الفضلاء : كانوا إذا فقدوا قلوبهم تفقدوا مطلوبهم . ولو صدق الوعظ لأثر . اللهم لا أكثر طبيب يداوي الناس وهو عليل . والخطب جليل والمتفطن قليل فهل إلى الخلاص سبيل . اللهم انظر إلينا بعين رحمتك التي وسعت الأشياء وشملت الأموات والأحياء . يا دليل الحائرين دلنا . يا عزيز ارحم ذلنا . يا ولي من لا ولي له كن لنا

كلّنا. إنْ أعرضتَ عنّا فمَنْ لنا نحنُ المذنبون وأنتَ غفّار الذنوبِ. فقلّبْ قلوبنا يا مقلّبَ القلوبِ. واسترْ عيوبنا يا ستّارَ العيوبِ. يا أملَ الطالبِ ويا غايةَ المطلوبِ

٣٠ وللسان الدين في المواعظ ما خاطب به بعض من استدعى منه الموعظة ونصه

إذا لم أنحْ يوماً على نفسيَ التي ... بحرانها أحييتُ كلَّ حبيبِ
وقد صحّ عندي أنَّ غاديةَ الردى ... تدبُّ لها واللهِ كلَّ دبيبِ
فمَنْ ذا الذي يبكي عليها بأدمعي ... إذا كنتُ موصوفاً برأيِ لبيبِ

كم قد نظرتَ إلى حبيبٍ تغارُ من إرسالِ طرفكَ بكتابِ الهوى إلى إنسانهِ. وقد ذبلتْ بالسقمِ نرجسةُ لحظهِ وذوتْ وردةُ خدّهِ واصفرّتْ لمغيبِ الفراقِ شمسُ حسنهِ وهو يجودُ بنفسهِ التي كانَ يبخلُ منها بالنفسِ. يخاطبُ بلسانِ حالهِ مسترحماً. وليتَ الفجلَ يهضمُ نفسهُ وأنتَ على أثرِ منسحبهِ إلى دستِ الحكمِ. وما أدري ما يفعلُ بي ولا بكم. ومنها تاللهِ لو لم يكنِ المخبرُ صادقاً لنشبَ بحلقِ العيشِ بعدهُ شوكةُ الشكِّ:

ولو أنّا إذا متنا تُركنا ... لكانَ الموتُ راحةَ كلِّ حيِّ
ولكنّا إذا متنا بُعثنا ... ونُسألُ بعدهُ عن كلِّ شيِّ

فالحازمُ من بترَ الآمالَ طوعاً. وقالَ: بيدي لا بيدِ عمرو. يا أيها الناسُ إنَّ وعدَ اللهِ حقٌّ فلا تغرّنّكمُ الحياةُ الدنيا ولا يغرّنّكم باللهِ الغرورُ. وقالَ أميرُ الوعّاظِ: وبضدّها تتميّزُ الأشياءُ. يا مقتولاً

مَا لَهُ طَالِبُ ثَارٍ. بَرِيدُ ٱلْمَوْتِ مُطْلَقُ ٱلْأَعِنَّةِ فِي طَلَبِكَ وَمَا يَحْمِيكَ حِصْنٌ. ثَوْبُ حَيَاتِكَ مَنْسُوجٌ مِنْ طَاقَاتِ أَنْفَاسِكَ . وَٱلْأَنْفَاسُ تَسْتَلِبُ ذَرَّاتِ ذَاتِكَ وَحَرَكَاتُ ٱلزَّمَانِ قَوِيَّةٌ فِي ٱلنَّسْجِ ٱلضَّعِيفِ . فَيَا سُرْعَةَ ٱلتَّمْزِيقِ يَا رَابِطًا مُنَاهُ بِخَيْطِ ٱلْأَمَلِ إِنَّهُ ضَعِيفُ ٱلْفَتْلِ. صَيَّادُ ٱلتَّلَفِ قَدْ بَثَّ ٱلصُّقُورَ. وَأَرْسَلَ ٱلْعِقْبَانَ وَنَصَبَ ٱلْأَشْرَاكَ وَقَطَعَ ٱلْمَوَادَّ فَكَيْفَ ٱلسَّلَامَةُ . تَهَيَّأْ لِسُرْعَةِ ٱلْمَوْتِ وَأَشَدُّ مِنْهَا قَلْبُ ٱلْقَلْبِ لَيْتَ شِعْرِي لِمَا يَؤُولُ أَمْرٌ . مَرْكَبُ ٱلْحَيَاةِ تَجْرِي فِي بَحْرِ ٱلْبَدَنِ بِرُخَاءِ ٱلْأَنْفَاسِ. وَلَا بُدَّ مِنْ عَاصِفٍ قَاصِفٍ بِفُلْكِهِ وَيُغْرِقُ ٱلرُّكَّابَ :

فَاقْضُوا مَآرِبَكُمْ عِجَالًا إِنَّمَا أَعْمَارُكُمْ سَفَرٌ مِنَ ٱلْأَسْفَارِ

(وَقَالَ) كَأَنَّكَ بِحَرْبِ ٱلتَّلَفِ قَدْ قَامَتْ عَلَى سَاقٍ وَٱنْهَزَمَتْ جُنُودُ ٱلْأَمَلِ . وَإِذَا بِمَلَكِ ٱلْمَوْتِ قَدْ بَارَزَ ٱلرُّوحَ يَجْذِبُهَا بِخَطَاطِيفِ ٱلشَّدَائِدِ مِنْ قِيَانِ ٱلْعُرُوقِ قَدْ شَدَّ أَكْتَافَ ٱلذَّبِيحِ وَحَارَ ٱلْبَصَرُ لِشِدَّةِ ٱلْهَوْلِ . وَمَلَائِكَةُ ٱلرَّحْمَةِ عَنِ ٱلْيَمِينِ قَدْ فَتَحُوا أَبْوَابَ ٱلْجَنَّةِ وَمَلَائِكَةُ ٱلْعَذَابِ عَنِ ٱلْيَسَارِ قَدْ فَتَحُوا أَبْوَابَ ٱلنَّارِ . وَجَمِيعُ ٱلْمَخْلُوقَاتِ تَسْتَوْكِفُ ٱلْخَبَرَ وَٱلْكَوْنُ كُلُّهُ قَدْ قَامَ عَلَى صَيْحَةٍ : سَعِيدٌ فُلَانٌ أَوْ شَقِيٌّ فُلَانٌ . فَهُنَاكَ تَنْجَلِي أَبْصَارُ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَيْحَكَ تَهَيَّأْ لِتِلْكَ ٱلسَّاعَةِ حَصِّلْ زَادًا قَبْلَ ٱلْفَوْتِ :

تَمَتَّعْ مِنْ شَمِيمِ عَرَارِ نَجْدٍ فَمَا بَعْدَ ٱلْعَشِيَّةِ مِنْ عَرَارِ

مَثِّلْ لِعَيْنَيْكَ سُرْعَةَ ٱلْمَوْتِ وَمَا قَدْ عَزَمْتَ أَنْ تَفْعَلَ حِينَئِذٍ فِي

وَقْتَ الأَسْرِ فافعله في وقت الإطلاق . قال أبو تمام :

أتأمل في الدنيا تجد وتعمر ... وأنت غداً فيها تموت وتقبر

تلقح آمالا وترجو نتاجها ... وعمرك مما قد ترجيه أقصر

تحوم على إدراك ما قد كفيته ... وتقبل بالآمال فيه وتدبر

وهذا صباح اليوم ينعاك ضوءه ... وليلته تنعاك إن كنت تشعر

ورزقك لا يعدوك إما معجل ... على حاله يوماً وإما مؤخر

ولا حول محتال ولا وجه مذهب ... ولا قدر يزجيه إلا المقدر

وقد قدر الأرزاق من ليس عادلا ... عن العدل بين الخلق فيما يقدر

فلا تأمن الدنيا وإن هي أقبلت ... عليك فما زالت تخون وتغدر

فما تم فيها الصفو يوماً لأهله ... ولا الرنق إلا ريثما يتغير

وما لاح نجم لا ولا ذر شارق ... على الخلق إلا حبل عمرك يقصر

تطهر وألحق ذنبك اليوم توبة ... لعلك منه إن تطهرت تطهر

وشمر فقد أبدى لك الموت وجهه ... وليس ينال الفوز إلا المشمر

فهذي الليالي مؤذناتك بالبلى ... تروح وأيام كذلك تبكر

وأخلص لدين الله صدراً ونية ... فإن الذي تخفيه يوماً سيظهر

وقد يستر الإنسان باللفظ فعله ... فيظهر عنه الطرف ما كان يستر

تذكر وفكر في الذي أنت صائر ... إليه غداً إن كنت ممن يفكر

فلا بد يوماً أن تصير لحفرة ... بأثنائها تطوى إلى يوم تنشر

مختبة من خُطَب الاعياد السيدية لابن الحديثي المعروف بابي الحليم
لعيد الميلاد الجسدي المقدس

٣١ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ اَلَّذِي تَفَرَّدَتْ ذَاتُهُ بِوَصْفِ اَلْاَحَدِيَّةِ فَلَا يُقَاسُ بِالْآحَادِ. وَتَمَيَّزَ بِصِفَاتِهِ عَنْ مَرَاتِبِ اَلْعَدَدِيَّةِ فَلَا يُمَاثِلُ خَصَائِصَ اَلْأَعْدَادِ. وَعَلَا بِعِزِّ اَلْعَظَمَةِ وَ اَلِاقْتِدَارِ عَنِ اَلنُّظَرَاءِ وَاَلْأَشْبَاهِ وَاَلْأَنْدَادِ. وَتَقَدَّسَ بِسُلْطَانِ اَلرُّبُوبِيَّةِ وَاَلِاعْتِلَاءِ عَنْ ذَمَائِمِ أَوْصَافِ اَلْعِبَادِ. اَلَّذِي أَفْرَغَ بَدَائِعَ صُوَرِ اَلْخَلَائِقِ اَلْكَوْنِيَّةِ فِي قَوَالِبِ اَلْمَوَادِّ. وَأَخْرَجَهَا إِلَى نُورِ كَمَالِ اَلْفِعْلِ مِنْ ظُلْمَةِ نَقَائِصِ اَلْقُوَّةِ وَاَلِاسْتِعْدَادِ. وَأَرْشَدَنَا مِنْ تِيهِ ظَلَامِ اَلْأَضَالِيلِ بِنُورِ اَلِاهْتِدَاءِ إِلَى أَنْهَجِ اَلْجَوَادِّ. وَفَصَمَ عَنْ أَعْنَاقِنَا أَرْبَاقَ اَلْخَطَايَا بِيَوْمِ إِشْرَاقِ مَسِيحِهِ مِنَ اَلْمَطْلَعِ اَلْبَتُولِيِّ بِالْمِيلَادِ. نَحْمَدُهُ حَمْدًا يَبْرَأُ مِنَ اَلْمَعَايِبِ وَاَلتَّزْيِيفِ فِي حَدَقِ حَذَقَةِ اَلنُّقَّادِ. وَنَشْكُرُ سَوَابِغَ نِعَمِهِ اَلْجَسِيمَةِ شُكْرًا تَتَرَنَّحُ لِرَوْنَقِ بَتِّهِ شَوَامِخُ اَلْأَطْوَادِ. أَيُّهَا اَلْمُؤْمِنُونَ إِنَّ يَوْمَكُمْ هٰذَا أَشْرَفُ اَلْأَيَّامِ. وَأَلْطَفُ اَلْمَوَاقِيتِ اَلْمُعَظَّمَةِ وَبِكْرُ اَلْأَعْيَادِ اَلْكِرَامِ. يَوْمُ اَلْفَرَحِ اَلْأَعْظَمِ وَاَلسُّرُورِ اَلْكَامِلِ. يَوْمُ اَلِاسْتِبْشَارِ اَلْأَكْرَمِ وَاَلْحُبُورِ اَلشَّامِلِ. يَوْمُ اَلْهَنَاءِ اَلْأَوْفَرِ وَاَلْجَذَلِ اَلْجَدِيدِ. يَوْمُ اَلْعِيدِ اَلْأَكْبَرِ وَمِيلَادِ اَلنَّجْلِ اَلْوَحِيدِ. يَوْمُ اِبْتِهَاجِ اَلْقُلُوبِ وَاَلْأَذْهَانِ. يَوْمُ إِزَالَةِ اَلذُّنُوبِ بِالْغُفْرَانِ. يَوْمٌ أَنْذَرَتْ بِهِ اَلْبَشَائِرُ اَلنَّبَوِيَّةُ. يَوْمٌ جَلَّ عَنِ اَلنَّظَائِرِ وَاَلْأَشْبَاهِ اَلْمِثْلِيَّةِ. يَوْمٌ تَفَتَّحَتْ فِيهِ أَبْوَابُ اَلسَّعَادَاتِ أَمَامَ اَلْبَشَرِ. وَحَصَلَتْ فِيهِ غَرَائِبُ اَلْإِفَادَاتِ

بميلاد المسيح المنتظر. هذا اليوم الذي افترت فيه نواجذ الحقائق. وتبسمت ثغور الجود والإنعام في وجوه الخلائق. هذا اليوم الذي كتبت فيه صكوك الخلاص المطلق. وأسفر ليل الشكوك عن غرة الصباح الأشرق. هذا اليوم الذي تألق فيه كوكب الحياة من أفراثا. وحقق لنا في العالم الملكوتي حصة في النور وإرثا. هذا اليوم الذي أشرقت فيه للأتقياء شمس البرارة. وذرت من الفلك المريمي في آفاق المغارة. هذا اليوم الذي اهتزت لفرحته أعطاف الوجود. وانشقت بمدى الحقائق أصداف الوعود. وتلألأت أضواء درة الحياة في أكناف قرية داود. هذا اليوم الذي ظهر فيه السيد المسيح من المقصورة البتولية. مجلببا بالناسوت على نور الأزلية. وبشرت فيه بصالح الرجاء أصقاع البرية. وتيمن بمولده الجسدي أبناء الجبلة البشرية. اليوم قرت شقاشق أشعيا النبي المجد في الأنبياء أن البتول الطاهرة تحبل وتلد أشرف الأبناء. اليوم انقض الكوكب الصبحي في فلك آل يعقوب. وفض بنوره أغساق الضلال من آفاق القلوب. اليوم نصل خضاب الأضاليل. أصحرت هضاب الأباطيل. تناثرت أوراق الرذائل. بدا الإيراق في أغصان الفضائل. اليوم تبلجت أقمار الحقائق. فتحت الذخائر والكنوز. نضيت ستور الأسرار عن وجوه الأمثال والرموز. اليوم تدكدكت أعران الضلال. تبركت الأذهان بميلاد مفيد الكمال. تنفس صباح

السَّعادةِ والإقبالِ . تسربلت جبلّة آدم من فخر الولادة المسيحية أسنى حلّةٍ وأبهى سربالٍ . اليوم أنجم سحاب العطايا . انجم ضباب الخطايا . فُتحت خزائن المواهبِ . مُنحت صوانُ الأذخارِ لكلّ آتٍ وذاهبٍ . اليوم سقطت أجنّة الطغيانِ . لبست جنّة الغفرانِ . ظهرت سنّة الإيمانِ . تقهقرت الأكنّة عن القلوبِ والأذهانِ . اليوم أصبحت القلوب من الأدرانِ مخمومةً . وأغصان الذنوب عن الأذهانِ مجمومةً . والأمّة اليهودية عند الأنام مذمومةً . وبحار الهجاء والمذامِ محصوبةً مرجومةً . فينبغي لنا معاشر المؤمنين أن نجتلي محاسن الأعيادِ بأبصار البصائرِ . ونستشف بعين الاعتبار هذه النعم الغزائرَ . فإنّنا نرى حبلًا تنزّه عن مساقط النطف الزرعيّة . ميلادًا لم تفضّ به الختوم الطبيعيّة . أمًّا قد شاخ معها اسم البتوليّة . خطيبًا يفصح بالثناء على القدرة العليّة . معلفًا أزرى برونقه على السُّدد النوريّة . مغارةً أربت شرفًا على الأواوين السريّة . رعاةً شبّوا من شظايا العصيّ نارًا مضيّة . مجوسًا تقرّب القرابين وتدني الهديّة . ملائكةً تنادي بالسلام والرجاء في أرجاء البريّة . كوكبًا يهدي موكبًا من أقيال المجوس إلى وصيد المغارة البيت لحمية . قمطًا تشرّفت بها الأعلامُ والبنود الملكيّة . طفلًا ترتجّ لهيبته أقطاب الكرات الفلكيّة . فهلمّوا الآن يا أصفياء سيّدنا المسيح . ننثر من صدف الأفواه لآلئ التسبيح . نكثر من التمجيد لهذه الرأفة . ونقف أمام الله بالرعدة

والمخافة . تتواهب الضغائن وخسائس الأحقاد . ونحل أجياد العقائد بنفائس عقود الاعتقاد . تغسل من دساتير القلوب أساطير الشكوك . ونخر له سجدا بقرابين الأعمال مع الملوك . نخلص النيات والسرائر . ونعد لنا في ظلل النور أخاير الذخائر . نتطهر من أوضار الجسوم وخطايا النفوس . ونقدم له الطاعة القلبية مع هدايا المجوس . نطرب لمولده مع رعاة الأغنام . ونسر بالفرحة التي عمت اليوم كل الأنام . نستثمر هذه المفاخر والمناقب . ونستشف مآثر العيد السعيد بالآراء الثواقب . ونقف في هذا السر الشريف وقوف الملائكة الأطهار . ونتأمل الأسرار الإلهية بعيون العقول والأفكار . ونضرع إلى الذي هدانا من متايه الأضاليل . وقادنا إلى مدارج الهدى بخزائم أوامر الإنجيل . أن يشرف جوارحنا بطاعته . ويضاعف مرابحنا برأفته . ويسدل على أبواب حواسنا ستور عصمته . ويجعل هذا العيد السعيد مباركا على أمته . ميمون النقائب على شعبه المقدس ورعيته . ويزرع الألفة والمحبة في بيعته . ويخمد نوائر الفتن الثوائر في أقطار الأرض برحمته . ويعيد كل خليل حائد عن جدد الاستواء إلى زمرته . ويقصي كل مريد خلع ربقة الطاعة عن أظلال عنايته . ويجعل سيدنا ومولانا أمير المؤمنين فلانا في أكناف الحرم الحريز الأمنع وألطاف الظل المديد الأوسع . وأعراف الحمى العزيز الأشرس . وأعلى ذروات العز الشديد الأقعس . وأن يسبغ ظـ

ٱلظَّلِيلَ ٱلنَّاصِرِيَّ. عَلَى شَعْبِ ٱلسَّيِّدِ ٱلْمَسِيحِ ٱلنَّاصِرِيِّ لِيَحْمِيَ سِرْبَهُمْ مِنَ ٱلْأَذَاءِ بِصَارِمِ عَدْلِهِ. وَيَحْرُسَ شِرْبَهُمْ مِنَ ٱلْأَقْذَاءِ بِوَافِرِ إِحْسَانِهِ وَعَزِيزِ فَضْلِهِ. بِشَفَاعَةِ ٱلْأَطْهَارِ مِنَ ٱلشُّهَدَاءِ ٱلْمُؤَيَّدِينَ. وَصَلَاةِ ٱلْأَخْيَارِ مِنَ ٱلسُّعَدَاءِ ٱلْمُتَزَهِّدِينَ. آمِينَ

لصباح احد القيامة المبارك

٣٢ أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلْمُتَفَرِّدِ بِٱلْكَمَالِ فِي عِزَّةِ ٱقْتِدَارِهِ. وَٱلْمُتَوَحِّدِ بِٱلْجَلَالِ فِي سُرَادِقِ مَجْدِهِ وَوَقَارِهِ. أَلْمُحْتَجِبِ عَنْ لَفَتَاتِ ٱلْأَبْصَارِ بِسُتُورِ أَنْوَارِهِ. أَلْمُنْتَقِبِ عَنْ لَمَحَاتِ ٱلْأَفْكَارِ بِنُورِ أَسْتَارِهِ. ٱلَّذِي أَعْجَزَتِ ٱلْأَفْهَامَ مَوَانِعُ مَعْرِفَتِهِ. وَعَجَزَتِ ٱلْأَوْهَامُ عَنْ مَوَاقِعِ قُدْرَتِهِ. وَذَهِلَتِ ٱلْأَفْكَارُ فِي بَدَائِعِ فِطْرَتِهِ. وَدَهِشَتْ بَصَائِرُ ٱلنُّظَّارِ فِي صَنَائِعِ حِكْمَتِهِ. ٱلَّذِي أَرْسَلَ مَسِيحَهُ وَوُجُوهُ ٱلْإِيمَانِ مُلَفَّعَةٌ بِرِدَاءِ ٱلضَّلَالِ. وَمَلَابِسُ ٱلْجَهْلِ وَٱلْبُهْتَانِ سَاحِبَةُ ٱلذَّلَاذِلِ وَٱلْأَذْيَالِ. وَمَرَابِعُ ٱلْفَضَائِلِ دَارِسَةُ ٱلْمَعَالِمِ وَٱلْأَطْلَالِ. وَمَرَاتِعُ ٱلرَّذَائِلِ مُخْصِبَةُ ٱلْأَخْلَاءِ مُمْتَدَّةُ ٱلْأَظْلَالِ. فَسَدَّدَ بِلَفْظِهِ ٱلْأَقْدَامَ ٱلْعَاثِرَةَ. وَشَيَّدَ بِوَعْظِهِ ٱلْأَعْلَامَ ٱلدَّاثِرَةَ. وَرَدَّ ٱلْخَلْقَ مِنْ فِجَاجِ ٱلرَّدَى بِٱلْمُعْجِزَاتِ ٱلْقَاهِرَةِ. وَقَادَهُمْ إِلَى مِنْهَاجِ ٱلْهُدَى بِٱلْآيَاتِ ٱلْبَاهِرَةِ. حَتَّى صَفَا مَشْرَبُ ٱلْإِيمَانِ مِنْ أَكْدَارِ رَنَقِهِ. وَأَشْرَقَ ٱلْحَقُّ كَٱلشَّمْسِ ٱلْمُنِيرَةِ فِي دَائِرَةِ فَلَكِهِ. وَأَزْهَرَتْ كَوَاكِبُ ٱلْهُدَى فِي جَوِّهِ وَمَشْرِقِهِ. وَتَجَلَّى ٱلدِّينُ ٱلْمَسِيحِيُّ فِي أَفْخَرِ أَثْوَابِهِ وَبَهَاءِ رَوْنَقِهِ. نَحْمَدُهُ حَمْدَ مَنْ حَسَرَ فِي أَدَاءِ

فرائض الطاعات عن ساقه ومرفقه. ونشكره شكراً تتبلج أهلة الإخلاص على جبينه ومفرقه. أيها المؤمنون إن ذا يوم القيامة وبداية الجلوس عن اليمين. فلنفرح بهذا العيد وليعانق بعضنا بعضاً. اليوم يوم القيامة المسيحية ومبدأ التجديد. وأشرف المبادي اليمينية وأول العالم العتيد. يوم أبدرت في سمائه أهلة الإنعام. وألبست الجبلة البشرية في أثنائه حلة المجد والإكرام. يوم لاحت على مفارقه طرر الكمال. وامتدت على جبهته غرر السعادة والإقبال. يوم تحلت بعقود مناقبه المعاصم والأجياد. وتطوقت بقلائد فخره نحور المواقيت والأعياد. يوم عطر أثواب الزمان تأرج نشره. وأقمر ليل الأذهان بتبلج فجره. يوم لاح على جبين المجد إشراق نجاحه. وباح بأسرار السعد إسفار صباحه. وتهللت وجوه الإقبال بفوز قداحه. واهترت معاطف القلوب بحميا ريحه ونشوة راحه. يوم أضاءت في حنادس الكآبة مطالع جلاله. وأشرقت في سماء القلوب كواكب سعده وطوالع إقباله. يوم ظهرت علائم البركات على صفحاته. وهبت نسائم الخيرات من نفحاته. وقدحت أنوار السعادة من زنوده. وعرست ركائب الجود على مناهله وورووده. وحلت معاقد الأحزان لفرحته. وقام أهل الأرض والسماء على قدم الابتهاج في صبحته. يوم بشرنا بالفلاح أديمه. ونشر علينا راية الأفراح نسيمه. وزالت عن الخلائق ضراؤه. وانحسرت عن معرفة الحق نكراؤه. وتجلت في

مَلَابِسِ ٱلْإِشْرَاقِ مَطَالِعُ بُدُورِهِ . وَتَفَرَّتْ أَغْسَاقُ ٱلضَّلَالِ عَنِ ٱلْقُلُوبِ بِطَوَالِعِ نُورِهِ . هٰذَا ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي تَسَوَّرَتْ بِفَخْرِهِ مَعَاصِمُ ٱلْكَمَالِ . وَأَضْحَكَتْ بَدَائِعُ أَسْرَارِهِ مَبَاسِمَ ٱلْآمَالِ . وَبَسَطَتْ فَرْحَتُهُ قَوَابِضَ ٱلْأَسِرَّةِ . وَٱنْتَقَلَتِ ٱلْقُلُوبُ مِنْ وَحْشَةِ ٱلْأَحْزَانِ إِلَى أُنْسِ ٱلْمَسَرَّةِ . هٰذَا ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي أَذْهَلَتِ ٱلْأَلْبَابَ غَرَائِبُهُ . وَأَخْرَقَتِ ٱلْعُقُولَ عَجَائِبُهُ . وَأَشْرَقَتْ فِي سَمَاءِ ٱلْمَجْدِ كَوَاكِبُهُ . وَزَيَّنَتْ أَجْيَادَ ٱلْأَعْيَادِ مَنَاقِبُهُ . أَلْيَوْمَ تَكَسَّفَتْ بُدُورُ ٱلْأَضَالِيلِ . تَكَشَّفَتْ سُتُورُ ٱلْأَبَاطِيلِ . تَشَقَّقَتْ رُمُوسُ ٱلْأَبْرَارِ . تَأَلَّقَتْ نُفُوسُ ٱلْأَخْيَارِ . خَرَجَ هِلَالُ ٱلنَّاسُوتِيَّةِ عَنْ ظُلَمِ ٱلسِّرَارِ . ظَهَرَ مُخَلِّصُ ٱلْكُلِّ مِنَ ٱلْمَطْلَعِ ٱلْقَبْرِيِّ مُبَرْقَعًا بِرِدَاءِ ٱلْأَنْوَارِ . أَلْيَوْمَ عَطِسَتْ أُنُوفُ ٱلْجُودِ . تَفَوَّقَتْ شُنُوفُ ٱلْوُجُودِ . فُتِحَتْ خَزَائِنُ ٱلنِّعْمَةِ . مُنِحَتْ صِوَانُ ٱلْحِكْمَةِ . تَبَلَّجَتْ أَقْمَارُ ٱلْمَعَارِفِ . تَحَلَّتِ ٱلْأَبْدَانُ بِأَبْهَى ٱلْمَطَارِفِ . هٰذَا ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي أَضْحَتْ فِيهِ غُرَرُ ٱلْآمَالِ مُبْيَضَّةً . وَلَطَائِمُ ٱلْإِقْبَالِ مُنْفَضَّةً . وَمَوَاكِبُ ٱلشَّيْطَانِ مُرْفَضَّةً . وَكَوَاكِبُ ٱلْبُهْتَانِ مُنْقَضَّةً . هٰذَا ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي تَبَلَّجَتِ ٱلْحَقَائِقُ فِي سُدْفَتِهِ . وَٱبْتَهَجَتِ ٱلْخَلَائِقُ فِي صُبْحَتِهِ . صُبَّتِ ٱلْبَرَكَاتُ فِي بُكْرَتِهِ . وَعَمَّتِ ٱلْخَيْرَاتُ بِيُمْنِهِ وَبَرَكَتِهِ . فَإِنَّ هٰذَا هُوَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي صَنَعَهُ ٱلرَّبُّ هَلُمُّوا نَبْتَهِجْ وَنَفْرَحْ فِيهِ (مزمور ١١٨ : ٢٤) . مَعَاشِرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ أَتَتْكُمْ بُشْرَى ٱلْقِيَامَةِ فِي أَبْرَكِ ٱلْبُكَرِ وَأَيْمَنِ ٱلْأَصْبَاحِ . وَقَدِمَتْ عَلَيْكُمْ رَكَائِبُ ٱلْبَهْجَةِ بَادِيَةَ ٱلْغُرَرِ وَٱلْأَوْضَاحِ . وَذَرَتْ عَلَيْكُمْ مِنْ

أشرف المطالع شموس المسرة والأفراح . فالهناء بالقيامة المسيحية لسائر الجسوم والأرواح . فهلموا الآن نؤم المدينة القدسية بأقدام العقول والأفكار . ونلمح السيد المسيح بعيون البصائر والاعتبار . نراه متألقاً من المطلع القبري . ممزقاً ملابس الموت عن طبعه البشري . ننظر ملائكة السماء بالحلل النورية . جاثمة على صهوة السدة القبرية . نبتهج مع مريم المجدلية ويوحنا . نسر بالقيامة الكرية مع تمعون الصفا ويوحنا . نسع بأقدام الهمم إلى جليل الجلال . نتلق مخلص الكل بالإكرام والإجلال . نتهادى بالسلام وحسن التحية . ونهز أعطاف القلوب بنشوة أريحية . نستبدل السخائم والأحقاد بالقبلة . ونستبشر بهذا اليوم العظيم مع الزمرة الرسلية . نبعث الهمم من قبور الغفلة والإهمال . ونشمر عن سوق العزائم تشمير الرجال . ونعد لنا في خزائن الملكوت صوالح الأعمال . ونستعد بالمصابيح والأضواء ليوم المآل . فلنقترب الآن علانية إلى كرسي نعمته . لنظفر بالمراحم ونجد النعمة للعون في زمان الضيق (عبرانيين ٤ : ١٦) . ونطلب من الله أن يجعل هذا العيد السعيد . واليوم الأشرف المجيد . مباركاً عليكم ميمون النقائب . موذناً بالسعادات الخافقة الأعلام الممتدة الذوائب . ويتقبل منكم ما أسلفتموه من الأعمال الصوالح . وذخرتموه في خزائن الملكوت من المتاجر والمرابح . ولا برحتم مكنوفين بكل نعمة وارفة الأظلال . ومنحة ضافية

الأهداب والأذيال. يتأرج في الآفاق نشر رياها. ويتبلج في سماء الإشراق بشر محياها. راتعين في أخلاء سعادات متبلجة البدور. وادعين في أثناء مواهب مبتهجة الوجوه باسمة الثغور. ولا برحت شوارد النعم لديكم ثاوية. وموارد الحكم لقلوبكم راوية. وزنود الفضائل في ألبابكم وارية. وجنود الرذائل عنكم متوارية. حتى تتلقوا مورد مخلصكم يوم النشأة الأخرى. والقيامة الكبرى. بوجوه متبلجة الوضاء. وقلوب لهجة بالثناء. ترفلون في أثواب النعيم الأبدي في العراص الملكوتية. وتتقعدون سرر العز والإكرام مع الأولياء الخواص والزمر الملائكية. بشفاعة الآباء والقديسين. وسائر الشهداء والمنتخبين. آمين

لعيد الرسل الاطهار

٣٣ ألحمد لله الذي أنار بسبحات نوره بصائر الخلصاء. وطبع سر ظهوره في صفحات سرائر الأخصاء. ووضع أكاليل المواهب الملكوتية على مفارق رؤوس الأصفياء. وأيد بنور الحكم اللاهوتية عقول الأنصار والسليحين الأوصياء. نحمده على ما أفاض علينا من حلل المجد وملابس السناء. ونشكره على جزائل نعمائه شكراً يملأ أقطار الأرض وأكناف السماء. أيها المؤمنون ان الثناء على مناقب الرسل الفضلاء زكاة الفصاحة. ونشر محاسن الرسل الأولياء يهدي إلى الأرواح روح الراحة. فإن نسائم نشر مفاخرهم إذا تأرجت وضاعت. أوجدت في القلوب من ذكر الله ما كانت أضاعت. أولئك الذين اختارهم

السيد المسيح من أحقر المناسب. وأصارهم من درج الإمامة الكهنوتية في أوفق الرتب وأعلى المناصب. واصطفاهم خدماً لشريف سدته. ودعاة يرسلهم إلى آفاق الأرض لنشر أوامر ناموسه ودعوته. وجعلهم بروجاً اثني عشرية لشمس سلطانه واشعته. وساعات ناطقة لنهار شرعه الفضلي وبشارته. واختصهم ملائكة لعرش عزته الذي لا يطور به ثل. وجنوداً محتفة بلواء سلطانه القدسي الذي لا يلم بعقده حل. ورتبهم أئمة للخلق واعلاماً للدلالة. وشرفهم بتاج الكهنوت واكاليل الرسالة. ومثلهم بالملح المصلحة للطعوم التفهة. والانوار الزواهر في السماء البيعي الذي تضيء بانواره كل جهة. وبذر زروع القدس والايمان في فراديس أذهانهم. وانبت غروس سرائر الملكوت في جنان جنانهم. وامرهم بان يكونوا مصابيح الدجى. وسلم إليهم اقاليد الملكوت ومفاتيح الرجا. وأمرهم بصفح الذنوب وغفران الخطايا. واقدرهم على استنزال المواهب واستغزار العطايا. واثبت أسماءهم في بيعة الأبكار وجرائد الأسماء. وأنفذ حكمهم في اطراف الأرض واكناف السماء. وقال لهم ما تحلونه في الأرض فهو محلول المباني والقواعد. وما تربطونه في الأرض والسماء فهو مرموم النواحي مربوط المعاقد. وأمرهم بالسعي في المتايه والمجاهل بقلوب قوية. وأن يغشوا غمرات الكرائه بنفوس عازفة عن الشهوات أبية. يتنقلون في الاغوار والانجاد. بغير سلاح يحمي سربهم من الاذاء ولا زاد. يردون على الممالك والامصار

وَيَرُدُّونَ ٱلْأُمَمَ ٱلْعَاصِيَةَ مِنْ حِنْدِسِ ٱلْمَسَاءِ إِلَى ضِيَاءِ ٱلنَّهَارِ. يَجْتَنِبُونَ ٱلْجُنُوبَ فِي ٱلطَّاعَاتِ ٱلْمَسِيحِيَّةِ وَيْثِرَ ٱلْمَرَاقِدِ. وَيَسْتَوْطِئُونَ ٱلنَّوْمَ عَلَى مَضَاجِعِ ٱلسَّيَالِ وَخَشِنِ ٱلْغَرَاقِدِ. يَقْطَعُونَ ٱلْمَسَافَاتِ ٱلشَّاسِعَةَ بِشُسُوعٍ مُقَطَّعَةٍ. وَيَخُوضُونَ ٱلْبُحُورَ ٱلزَّوَاخِرَ بِقُلُوبٍ مُحْتَفَّةٍ بِٱلتَّأْيِيدِ وَأَذْهَانٍ مُشَجَّعَةٍ. يُرْقِلُونَ إِلَى سَائِرِ ٱلْآفَاقِ بِنَجَائِبِ ٱلْهِمَمِ ٱلْعَلِيَّةِ. وَيَتَوَقَّلُونَ أَعْنَاقَ ٱللُّجَجِ ٱلْعَمِيقَةِ بِأَقْدَامِ ٱلْعَزَائِمِ ٱلْقُدْسِيَّةِ. صَابِرِينَ عَلَى مُعَانَاةِ ٱلْبَلَايَا وَٱلْمَصَاعِبِ. مُثَابِرِينَ عَلَى مُكَافَحَةِ ٱلْأَهْوَالِ فِي ٱلشُّقَقِ ٱلْبَعِيدَةِ وَٱلْمَتَاعِبِ. يَنْتَقِلُونَ مِنْ أُمَّةٍ إِلَى أُمَّةٍ. وَيَنْقُلُونَ عَنِ ٱلْقُلُوبِ غُمَّةً بَعْدَ غُمَّةٍ. لَا تُزْعِجُهُمْ نَارُ ٱلْأَهْوَالِ إِذَا تَأَجَّجَتْ وَشَبَّتْ. وَلَا تُذْهِلُهُمْ عَقَارِبُ ٱلْأَقْدَارِ إِذَا أَزْبَأَرَّتْ وَدَبَّتْ. وَلَا تَتَقَلْقَلُ عَزَائِمُهُمْ عَنْ عَوَاصِفِ رِيَاحِ ٱلْوَعِيدِ إِذَا هَبَّتْ. وَلَا تَتَزَلْزَلُ هِمَمُهُمْ عَنْ طَلَبَةِ ٱللّٰهِ إِذَا أَصَابَتْهُمْ غَمَائِمُ ٱلتَّهْدِيدِ وَصَبَّتْ. يَخْلُبُونَ بِٱلْآيَاتِ ٱلْبَاهِرَةِ قُلُوبَ رَبَّاتِ ٱلْهَوَادِجِ. يُزْعِجُونَ سُدَدَ ٱلْمَمَالِكِ ٱلْعِظَامِ بِٱلْكَلِمَاتِ ٱلسَّوَاذِجِ. فَهُمْ كَأُنَاسٍ نُضِيَتْ عَنْ أَشْبَاحِ أَبْدَانِهِمْ جَلَابِيبُ ٱلْبَشَرِيَّةِ. أَوْ كَأَنَّهُمْ مَلَائِكَةٌ تَأَرَّضُوا فَٱنْقَضُّوا مِنْ صَفِيحِ ٱلسَّمَاءِ ٱلْأَثِيرِيَّةِ. شُعْثُ ٱللِّمَمِ وَٱلنَّوَاصِي صَوَافِي ٱلْأَذْهَانِ. سُهُمُ ٱلْوُجُوهِ ضَوَامِرُ ٱلْأَبْدَانِ. ضِئَالُ ٱلْجُسُومِ مِنْ تَحَمُّلِ أَعْبَاءِ ٱلْعِبَادَةِ. غُبْرُ ٱلْوُجُوهِ مِنْ تَعْفِيرِ ٱلْخُدُودِ عَلَى هَبَوَاتِ ٱلثَّرَى وَقَشَفِ ٱلزَّهَادَةِ. نِحَافُ ٱلْأَبْدَانِ مِنَ ٱلتَّهَجُّدِ فِي ظُلُمَاتِ ٱلدَّيَاجِرِ. شُحَّابُ ٱلْأَلْوَانِ مِنْ لَفَحَاتِ ٱلسَّمَائِمِ وَحَرِّ ٱلْهَوَاجِرِ. قَدْ لَبِسُوا مَلَابِسَ ٱلْفَقْرِ عَلَى فَقَرَاتٍ بَالِيَةٍ. وَنَزَعُوا عَنْ

القلوب حنادس الكفر بخطرات عالية... مساكين ترجف من سطوتهم أسرة الممالك. جبن قد قهروا ذوي البأس والنجدة والسماحة. لكن أربوا بالحجج الدوامغ على أرباب الفصاحة... ليس لهم في خزائن القلوب من العقائل غير حب المسيح. ولا لهم في جيوب الجنوب من الأموال الجزائل غير الإيمان الصحيح. لا يثني ثنية عزائمهم عن الثناء على سيدهم ثان. ولا في صدفات قلوبهم غير درة التوحيد شيء ثان. من شذور كلامهم تنظم عقود العقائد. وبنور أفهامهم تستل السخائم ويحل معقود الحقائد. هجموا على ملوك الروم وفلاسفة اليونان. وهم منهمكون في غمرات الغي وعبادة الأوثان. قد أذهلتهم شبه الشكوك فلم تغادر لهم لبا. حتى اتخذوا لهم الصنم المسبوك إلها وربا. قد عسعست دياجير الكفر على أبصار بصائرهم. وعشعش البهتان والضلال في أوعار سرائرهم. فما فيهم إلا من عدم بها العقل الشريف فبهم. ورضي على شهوات الجسد السخيف حتى نهم. قد عاثت ذئاب الخطايا في أجسامهم. وفاحت رائحة الذنوب وزفرة الأجرام من أفمامهم. فما زالوا يصدعون قلوبهم بصوادق البراهين والبينات. ويقطعون أعذار الحكماء بمدى الأدلة وصوارم الآيات. حتى انفلقت بيضة الأذهان عن فرخ الحقائق. وافترت مضاحك الإيمان في وجوه الخلائق. وحاز الحق قصبات السبق يوم رهانه. ونكست أعلام الضلال بظاهر معجزه وبرهانه. فانتقل الناس إلى نهار البشارة

ٱلْمَسِيحِيَّةِ مِنْ لَيْلِ ٱلظَّلَامِ ٱلدَّامِسِ . وَوَضَعُوا أَقْدَامَهُمْ عَلَى جَدَدِ ٱلْهُدَى بَعْدَ أَنْ كَانُوا عَلَى ٱلطُّرُقِ ٱلطَّوَامِسِ . وَقَادُوهُمْ عَنْ تِيهِ ٱلْأَضَالِيلِ وَفِجَاجِ ٱلرَّدَى . وَأَعَادُوهُمْ بِشَرْعِ ٱلْمَسِيحِ إِلَى سَدِيدِ ٱلْمَقَاصِدِ وَمِنْهَاجِ ٱلْهُدَى . بِآيَاتٍ قَطَّتْ قَوَاضِبُهَا عُرَى ٱلْأَبَاطِيلِ مِنْ قُلُوبِ ٱلْحُكَمَاءِ . وَقَطَعَتْ مَضَارِبُهَا عَلَائِقَ ٱلشُّبُهَاتِ مِنْ أَذْهَانِ ٱلْفُضَلَاءِ . فَكَمْ مِنْ مَيْتٍ طَوَاهُ ٱلْفَنَاءُ فِي مَدَارِجِ أَكْفَانِهِ فَنَشَرُوهُ وَأَنْشَرُوهُ . وَأَعْمَى أَزَالُوا غِشَاوَةَ ٱلْعَمَاءِ عَنْ بَصَرِهِ فَبَصَّرُوهُ وَنَصَّرُوهُ . وَكَمْ مُكْتَتِمٍ فِي مَخَادِعِ ٱلْحَيَاءِ مِنْ وَحْشَةِ بَرَصِهِ فَأَظْهَرُوهُ وَطَهَّرُوهُ . وَذِي لَمَمٍ حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلْحِجَى بِٱلْبُرْءِ وَٱلشِّفَاءِ بَشَّرُوهُ . وَكَمْ مِنْ مُقْعَدٍ حَلُّوا قَيْدَ ٱلزَّمَانَةِ مِنْ رِجْلِهِ فَأَنْهَضُوهُ .... وَكَلَامٍ عَلَيْهِ مَسْحَةُ ٱلْبَشَاعَةِ بَيَّنُوهُ بِٱلْآيَاتِ ٱلْبَوَاهِرِ وَحَقَّقُوهُ . حَتَّى ٱنْتَشَرَتْ أَعْلَامُ رَايَاتِهِ ٱلْخَافِقَةِ . وَتَأَلَّقَتْ عَلَى ٱلْآفَاقِ ذَوَائِبُ شَمْسِهِ ٱلشَّارِقَةِ . وَزَهَرَتْ كَوَاكِبُ ٱلْإِيمَانِ فِي سَمَاءِ ٱلْبِيعَةِ . وَتَقَرَّرَ فِي قُلُوبِ ٱلْخَلْقِ شَرَفُ ٱلسُّنَّةِ ٱلْإِفْضَالِيَّةِ وَمَفَاخِرُ ٱلشَّرِيعَةِ .... فَلَمَّا أَزِفَ وَقْتُ ٱرْتِحَالِهِمْ . وَخَسَفَتْ عُقْدَةُ ٱلْمَوْتِ أَقْمَارَ آجَالِهِمْ . فَفِيهِمْ مَنْ عُمِّرَ طَوِيلًا . وَفِيهِمْ مَنْ مَاتَ قَتِيلًا . وَفِيهِمْ مَنْ قُتِلَ مَصْلُوبًا . وَصُلِبَ مَكْبُوبًا . وَقُبِرَ مَحْصُوبًا . وَقُتِلَ مَضْرُوبًا . فَمَنْ عُمِّرَ مِنْهُمْ عَاشَ بِٱللّٰهِ سَعِيدًا . وَمَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ مَاتَ فِي ٱللّٰهِ شَهِيدًا . شَقُوا فِي عَالَمِ ٱلْفَنَاءِ قَلِيلًا . وَسَعِدُوا فِي عَالَمِ ٱلْبَقَاءِ طَوِيلًا . وَٱسْتَخْلَفُوا عَلَى رَعَايَا ٱلْمَسِيحِ أَئِمَّةً يَهْدُونَ إِلَى مَقَارِّ ٱلْمَلَكُوتِ . مُؤَيَّدِينَ بِٱلْمَوَاهِبِ ٱلرُّوحَانِيَّةِ وَوَقَارِ ٱلْكَهَنُوتِ ....

البَابُ الثاني
في الخُطَبِ الحَماسِيَّة

تحريض خالد على القتال في اجنادين

٣٤ يَا مَعَاشِرَ ٱلنَّاسِ أُنْصُرُوا ٱللهَ يَنْصُرْكُمْ . وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللهِ وَٱحْتَسِبُوا أَنْفُسَكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللهِ وَٱصْبِرُوا عَلَى قِتَالِ أَعْدَائِكُمْ . وَقَاتِلُوا عَنْ حَرِيمِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ وَدِينِكُمْ . وَلَيْسَ لَكُمْ مَلْجَأٌ تَلْجَأُونَ إِلَيْهِ وَمَكْمَنٌ تَكْمُنُونَ فِيهِ . فَأَقْرِنُوا ٱلْمَنَاكِبَ وَقَدِّمُوا ٱلْمَضَارِبَ . وَلَا تَحْمِلُوا حَتَّى آمُرَكُمْ بِٱلْحَمْلَةِ . وَلٰكِنِ ٱلسِّهَامُ مُجْتَمِعَةٌ إِذَا خَرَجَتْ مِنْ أَكْبَادِ ٱلْقِسِيِّ كَأَنَّهَا تَخْرُجُ مِنْ كَبِدِ قَوْسٍ وَاحِدٍ . فَإِنَّهُ إِذَا تَلَاحَقَتِ ٱلسِّهَامُ رَشْقًا كَٱلْجَرَادِ لَمْ يَخْلُ أَنْ يَكُونَ فِيهَا سَهْمٌ صَائِبٌ . وَٱصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَٱتَّقُوا ٱللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَا تَلْقَوْنَ عَدُوًّا مِثْلَ هٰذِهِ ٱلْفِئَةِ حُمَاتِهِمْ وَأَبْطَالِهِمْ وَمُلُوكِهِمْ

خطبة أمراء المسلمين لاهل جيشهم قبل وقعة اليرموك

٣٥ وَلَمَّا حَانَ ٱلْقِتَالُ خَرَجَ مُعَاذٌ مُحَرِّضًا ٱلنَّاسَ يَقُولُ : يَا أَهْلَ ٱلدِّينِ وَيَا أَنْصَارَ ٱلْهُدَى وَٱلْحَقِّ ٱعْلَمُوا أَنَّ رَحْمَةَ ٱللهِ تَعَالَى لَا تُنَالُ إِلَّا بِٱلْعَمَلِ وَٱلنِّيَّةِ وَلَا تُدْرَكُ بِٱلْمَعْصِيَةِ وَٱلتَّمَنِّي وَبِغَيْرِ عَمَلٍ مَرْضِيٍّ . وَلَا يُؤْتِي ٱللهُ مَغْفِرَتَهُ ٱلْوَاسِعَةَ إِلَّا ٱلصَّالِحِينَ وَٱلصَّادِقِينَ . فَإِنَّهُ قَدْ قَسَمَ أَنْ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ . وَٱسْتَحْيُوا رَحِمَكُمْ

اللهُ مِنَ اللهِ تعالى أن يراكُمُ اللهُ منهزمين مِنْ عدوِّكُمْ وأنتمْ في قبضتهِ وليس لكُمْ ملجأ من دونه

وخرج مِن بعدهِ أبو سفيان بن حرب فطاف بين الصفوفِ وهو شاكٍ في سلاحهِ راكبٌ فرسهُ وهو يقول : معاشرَ الناسِ أنتمُ العربُ الكرامُ السادةُ العظامُ وقدْ أصبحتمْ في ديارِ الأعلاجِ منقطعين عن الأهلِ والوطنِ . واللهِ لا ينجيكمْ منهم اليومَ إلَّا الطعنَ والضربُ تبلغون بذلك أربكم وتنالون الفوزَ من ربكمْ . واعلموا أنَّ الصبرَ في مواطنِ البأسِ مما يفرجُ اللهُ بهِ الهمَّ وينجي بهِ من الغمِ . فاصدقوهمُ القتالَ فإنَّ النصرَ ينزلُ مع الصبرِ . فإنْ صبرتم ملكتم أمصارهمْ وبلادهمْ واستعبدتمْ نساءهمْ وأبناءهمْ . وإنْ وليتمْ فليس بين أيديكمْ إلَّا مفاوزُ لا تقطعُ إلَّا بالزادِ الكثيرِ والماءِ الغزيرِ وهؤلاء يرجعون إلى دارٍ وقصورٍ . فامتنعوا بسيوفكمْ وجاهدوا في اللهِ حقَّ جهادهِ ولا تموتنَّ إلَّا وأنتمْ مسلمون (فتوح الشام للواقدي)

خطبة طارق قبل فتوح الاندلس

٣٦ لما بلغَ طارقًا دنوُّ رذريق قامَ في أصحابهِ فحمدَ اللهَ وأثنى عليهِ بما هو أهلهُ ثمَّ حثَّ المسلمين على الجهادِ ورغَّبهمْ ثمَّ قال : أيها الناسُ أينَ المفرُّ . البحرُ من ورائكمْ والعدوُّ أمامكمْ وليس لكمْ واللهِ إلَّا الصدقُ والصبرُ . واعلموا أنكمْ في هذهِ الجزيرةِ أضيعُ من الأيتامِ . في مأدبةِ اللئامِ . وقدِ استقبلكمْ عدوُّكمْ بجيشهِ . وأسلحتهُ وأقواتهُ موفورةٌ

وأنتم لا وزر لكم إلا سيوفكم ولا أقوات إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم. وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمرا ذهب ريحكم وتعوضت القلوب من رعبها عنكم الجراة عليكم. فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية. فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت. وإني لم أحذركم أمرا أنا عنه بنجوة ولا حملتكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس. أبدأ بنفسي. واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلا استمتعتم بالأرفه الألذ طويلا. فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي فما حظكم فيه بأوفر من حظي. وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الخيرات العميمة. وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المومنين من الأبطال عربانا. ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهارا وأختانا. ثقة منه بارتياحكم للطعان. واستماحكم بمجالدة الأبطال والفرسان. ليكون حظه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته وإظهار دينه بهذه الجزيرة. وليكون مغنمها خالصة لكم من دونه ومن دون المومنين سواكم. والله تعالى ولي إنجادكم على ما يكون لكم ذكرا في الدارين. واعلموا أني أول مجيب إلى ما دعوتكم إليه وأني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم لذريق فقاتله إن شاء الله تعالى. فاحملوا معي فإن هلكت بعده فقد كفيتم أمره ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون

أمورَكُم إليهِ . وإن هلكتُ قبلَ وصولي إليـه فاخلفوني في عزيمتي هذهِ واحملوا بأنفسِكُم عليهِ واكفُوا الهمَّ من فتحِ هذهِ الجزيرةِ بقتلِهِ

خطبة ابي حمزة بالمدينة

٣٧ قالَ مالكُ بنُ أنس : خطبنا أبو حمزةَ خطبةً شكَّ فيها المستبصرُ وردّتِ المرتابَ . قالَ : أوصيكُم بتقوى اللهِ وطاعتهِ والعملِ بسُنَّتِهِ وصلةِ الرحمِ وتعظيمِ ما صغّرتِ الجبابرةُ في حقِّ اللهِ . وتصغيرِ ما عظّمتْ من الباطلِ وإماتةِ ما أحيوا من الجورِ . وإحياءِ ما أماتوا من الحقوقِ . وأنْ يطاعَ اللهُ ويُعصى العبادُ في طاعتهِ فالطاعةُ للعبادِ من أهلِ طاعةِ اللهِ ولا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالقِ ندعو إلى سنةِ اللهِ والقسمِ بالسويّةِ والعدلِ في الرعيّةِ ووضعِ الأخماسِ في مواضعِها التي أمرَ اللهُ بها . إنّا واللهِ ما خرجنا أشرًا ولا بطرًا ولا لهوًا ولا لعبًا . ولا لدولةِ ملكٍ نريدُ أن نخوضَ فيها ولا لثأرٍ قد نيلَ منّا . ولكن لمّا رأينا الأرضَ قد أظلمتْ ومعالمَ الجورِ قد ظهرتْ وكثُرَ الادّعاءُ في الدينِ وعُمِلَ بالهوى وعُطِّلتِ الأحكامُ وقُتِلَ القائمُ بالقسطِ وعُنِّفَ القائلُ بالحقِّ سمعنا مناديًا ينادي إلى الحقِّ وإلى طريقٍ مستقيمٍ . فأجبنا داعيَ اللهِ (الآية) فأقبلنا من قبائلَ شتّى قليلينَ مستضعفينَ في الأرضِ . فآوانا اللهُ وأيّدنا بنصرِهِ فأصبحنا بنعمتِهِ إخوانًا وعلى الدينِ أعوانًا . يا أهلَ المدينةِ أوّلُكم خيرُ أوّلٍ وآخرُكم شرُّ آخرٍ . إنّكم أطعتم قرّاءَكم وفقهاءَكم فاختانوكم عن كتابٍ غيرِ ذي عوجٍ

بتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين . فأصبحتم عن الحق ناكبين أمواتاً غير أحياء وما تشعرون . يا أهل المدينة يا أبناء المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ما أصح أصلكم وأسقم فرعكم . كان آباؤكم أهل اليقين وأهل المعرفة بالدين والبصائر النافذة والقلوب الواعية وأنتم أهل الضلالة والجهالة . استعبدتكم الدنيا فأذلتكم والأماني فأضلتكم . فتح الله لكم باب الدين فأفسدتموه . وأغلق عنكم باب الدنيا ففتحتموه . سراع إلى الفتنة بطاء عن السنة . عمي عن البرهان . صم عن العرفان . عبيد الطمع حلفاء الجزع . نعم ما ورثكم آباؤكم لو حفظتموه وبئس ما تورثون أبناءكم إن تمسكوا به . نصر الله آباءكم على الحق وخذلكم على الباطل . كان عدد آبائكم قليلاً طيباً وعددكم كثير خبيث . اتبعتم الهوى فأرداكم . واللهو فأسهاكم . ومواعظ القرآن تزجركم فلا تزدجرون . وتعبركم فلا تعتبرون . سألناكم عن ولاتكم هؤلاء فقلتم والله ما فيهم الذي يعلم . أخذوا المال من غير حله فوضعوه في غير حقه وجاروا في الحكم فحكموا بغير ما أنزل الله . واستأثروا بفيئنا فجعلوه دولة بين الأغنياء منهم وقلنا لكم : تعالوا إلى هؤلاء الذين ظلمونا وظلموكم وجاروا في الحكم فحكموا بغير ما أنزل الله . فقلتم : لا نقوى على ذلك ووددنا أنا أصبنا من يكفينا فقلنا : نحن نكفيكم ثم الله راع علينا وعليكم إن ظفرنا لنعطين كل ذي حق حقه . فجئنا فاتقينا الرماح بصدورنا والسيوف

بوجوهنا فعرضتم لنا دونهم فقاتلتمونا فأبعدكم الله. فوالله لو قلتم: لا نعرف الذي تقول ولا نعلمه لكان أعذر مع أنه لا عذر للجاهل. ولكن أبى الله إلا أن ينطق بالحق على ألسنتكم ويأخذكم به في الآخرة (العقد الفريد لابن عبد ربه)

تقليد السلطان الى الملك الظاهر

(لما بويع بالخلافة للمستنصر بالله صعد فخر الدين بن لقمان رئيس الكتّاب منبرًا فقرأ على الملك الظاهر تقليد السلطان وكان التقليد من إنشائه. وصورته:)

٣٨ الحمد لله الذي أضفى على الإسلام ملابس الشرف. وأظهر بهجة درره وكانت خافية بما استحكم عليها من الصدف. وشيد ما وهى من علائه حتى أنسى به ذكر من سلف. وقيض لنصره ملوكًا اتفق عليهم من اختلف. أحمده على نعمه التي وقعت الأعين منها في الروض الأنف. وألطافه التي وقف الشاكر عليها فليس له عنها منصرف. وبعد فإن أولى الأولياء بتقديم ذكره. وأحقهم أن يصبح القلم راكعًا وساجدًا لتسطير مناقبه وبره. من سعى فأضحى سعيه للحمد متقدمًا. ودعا إلى طاعته فأجاب من كان منجدًا ومتهمًا. وما بدت يد في المكرمات إلا كان لها زندًا ومعصمًا ولا استباح بسيفه حمى وغى إلا أضرم منه نارًا وأجرى منه دمًا. ولما كانت هذه المناقب الشريفة مختصة بالمقام العالي المولوي السلطاني الملكي الظاهري الركني شرفه الله وأعلاه. ذكره الديوان العزيز المستنصري أعز الله

سُلْطَانه تنويهاً بتشريف قدره . واعترافاً بصنيعه الذي تنفد العبارة المنهبة ولا تقوم بشكره . وكيف لا وقد أقام الدولة العباسية بعد أن أقعدتها زمانة الزمان . وأذهبت ما كان لها من محاسن وإحسان . وعتب دهرها المسيء لها فأعتب . وأرضى عنها زمنها وقد كان صال عليها صولة مغضب . فأعاد لها سلماً بعد أن كان عليها حرباً . وصرف إليها اهتمامه فرجع كل متضايق من أمورها واسعاً رحباً . ومنح أمير المؤمنين عند القدوم عليه حنواً وعطفاً . وأظهر من الولاء رغبة في ثواب الله ما لا يخفى . وأبدى من الاهتمام بأمر الشريعة والبيعة أمراً لو رامه غيره لامتنع عليه . ولو تمسك بحبله متمسك لانقطع به قبل وصوله إليه . ولكن الله ادخر هذه الحسنة ليثقل بها ميزان ثوابه . ويخفف بها يوم القيامة حسابه والسعيد من خفف من حسابه . فهذه منقبة أبى الله إلا أن يخلدها في صحيفة صنعه . ومكرمة تضمنت لهذا البيت الشريف لجمعه . بعد أن حصل الإياس من جمعه . وأمير المؤمنين يشكر لك هذه الصنائع . ويعترف أنه لولا اهتمامك لاتسع الخرق على الراقع . وقد قلدك الديار المصرية والبلاد الشامية . والديار البكرية والحجازية واليمنية والفراتية . وما يتجدد من الفتوحات غوراً ونجداً . وفوض أمر جندها ورعاياها إليك حتى أصبحت بالمكارم فرداً . ولا جعل منها بلداً من البلاد ولا حصناً من الحصون يستثنى . ولا جهة من الجهات

تعدُ في الأعلى ولا في الأدنى . فلاحظ أمور الأمة فقد أصبحت لها حاملاً . وخلص نفسك من التبعات اليوم ففي غدٍ تكون مسؤولاً لا سائلاً . ودع الاغترار بأمر الدنيا فما نال أحد منها طائلاً . وما رآها أحد بعين الحق إلا رآها حائلاً زائلاً . فالسعيد من قطع منها آماله الموصولة . وقدم لنفسه زاد التقوى فتقدمة غير التقوى مردودة لا مقبولة . وابسط يدك بالإحسان والعدل فقد أمر الله بالعدل وحث على الإحسان . وكفّر به عن المرء ذنوباً كتبت عليه وآثاماً . وجعل يوماً واحداً منها كعبادة العابد ستين عاماً . وما سلك أحد سبيل العدل إلا واجتنى ثماره من الأفنان ورجع الأمر بعد بعد تداعي أركانه وهو مشيد الأركان . وتحصن به من حوادث زمانه . والسعيد من تحصن من حوادث الزمان . وكانت أيامه في الأيام أبهى من الأعياد . وأحلى من العقود إذا حلي بها عاطل الأجياد . وهذه الأقاليم المنوطة بك تحتاج إلى نواب وحكام . وأصحاب رأي من أصحاب السيوف والأقلام . فإذا استعنت بأحد منهم في أمورك فنقب عليه تنقيباً . واجعل عليه في تصرفاته رقيباً . واسأل عن أحواله ففي يوم القيامة تكون عنه مسؤولاً وبما اجترم مطلوباً . ولا تول منهم إلا من تكون مساعيه حسنات لك لا ذنوباً . وأمرهم بالأناة في الأمور والرفق . ومخالفة الهوى إذا ظهرت أدلة الحق . وأن يقابلوا الضعفاء في حوائجهم بالثغر الباسم والوجه الطلق . وأن لا

يعاملوا أحداً على الإحسان والإساءة إلا بما يستحق . وأن يكونوا لمن تحت أيديهم من الرعايا إخواناً . وأن يوسعوهم براً وإحساناً . وأن لا يستحلوا حرماتهم إذا استحل الزمان لهم حرماناً . فالمسلم أخو المسلم ولو كان أميراً عليه وسلطاناً . والسعيد من نسج ولاته في الخير على منواله . واستنوا بسنته في تصرفاته وأحواله . وتحملوا عنه ما تعجز قدرته عن حمل أثقاله . ومما يؤمرون به أن يمحى ما أحدث من سيء السنن . وجدد من المظالم التي هي من أعظم المحن . وأن يشتري بإبطالها المحامد فإن المحامد رخيصة بأغلى ثمن . ومهما جبي بها من الأموال فإنما هي باقية في الذم حاصلة . وأجياد الخزائن وإن أضحت بها حالية فإنما هي على الحقيقة منها عاطلة . وهل أشقى ممن احتقب إثماً . واكتسب بالمساعي الذميمة ذماً . وجعل السواد الأعظم له يوم القيامة خصماً . وتحمل ظلم الناس فيما صدر عنه من أعماله وقد خاب من حمل ظلماً . وحقيق بالمقام الشريف المولوي السلطاني الملكي الظاهري الركني أن تكون ظلامات الأنام مردودة بعدله . وعزائمه تخفف ثقلاً لا طاقة له بحمله . فقد أضحى على الإحسان قادراً . وصنعت له الأيام ما لم تصنعه لغيره ممن تقدم من الملوك وإن جاء آخراً . فاحمد الله على أن وصل إلى جانبك إمام هدى أوجب لك مزية التعظيم . ونبه الخلائق على ما أفضل الله به من هذا الفضل العظيم . وهذه أمور يجب أن تلاحظ وترعى . وأن يوالى عليها حمد

ٱللهِ فَإِنَّ ٱلْحَمْدَ يَجِبُ عَلَيْهَا عَقْلًا وَشَرْعًا . وَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّكَ صِرْتَ فِي ٱلْأُمُورِ أَصْلًا وَصَارَ غَيْرُكَ فَرْعًا . وَمِمَّا يَجِبُ أَيْضًا تَقْدِيمُ ذِكْرِهِ أَمْرُ ٱلْجِهَادِ ٱلَّذِي أَضْحَى عَلَى ٱلْأُمَّةِ فَرْضًا . وَهُوَ ٱلْعَمَلُ ٱلَّذِي يَرْجِعُ بِهِ مُسَوَّدُ ٱلصَّحَائِفِ مُبَيَّضًا . وَقَدْ وَعَدَ ٱللهُ ٱلْمُجَاهِدِينَ بِٱلْأَجْرِ ٱلْعَظِيمِ . وَأَعَدَّ لَهُمْ عِنْدَهُ ٱلْمَقَامَ ٱلْكَرِيمَ . وَبِكَ صَانَ ٱللهُ حِمَى ٱلْإِسْلَامِ مِنْ أَنْ يُبْتَذَلَ . وَبِعَزْمِكَ حَفِظَ عَلَى ٱلْمُسْلِمِينَ نِظَامَ هٰذِهِ ٱلدُّوَلِ . وَسَيْفُكَ أَثَّرَ فِي قُلُوبِ ٱلْكَافِرِينَ قُرُوحًا لَا تَنْدَمِلُ . وَبِكَ يُرْجَى أَنْ يَرْجِعَ مِنَ ٱلْخِلَافَةِ مَا كَانَ عَلَيْهِ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْأُوَلِ . فَأَيْقِظْ لِنُصْرَةِ ٱلْإِسْلَامِ جَفْنًا مَا كَانَ غَافِيًا وَلَا هَاجِعًا . وَكُنْ فِي مُجَاهَدَةِ أَعْدَاءِ ٱللهِ إِمَامًا مَتْبُوعًا لَا تَابِعًا . هَدَاكَ ٱللهُ إِلَى مَنَاهِجِ ٱلْحَقِّ وَمَا زِلْتَ مُهْتَدِيًا إِلَيْهَا . وَأَلْزَمَكَ ٱلْمَرَاشِدَ وَلَا تَحْتَاجُ إِلَى تَنْبِيهٍ عَلَيْهَا . وَٱللهُ يُمِدُّكَ بِأَسْبَابِ نَصْرِهِ وَيُوزِعُكَ شُكْرَ نِعَمِهِ فَإِنَّ ٱلنِّعْمَةَ تَسْتَتِمُّ بِشُكْرِهِ (للسيوطي)

٣٩ خطبة أبي أذينة يغري الاسود بن المنذر بقتل آل غسان وكانوا قتلوا اخا له

مَا كُلَّ يَوْمٍ يَنَالُ ٱلْمَرْءُ مَا طَلَبَا ... وَلَا يُسَوِّغُهُ ٱلْمِقْدَارُ مَا وَهَبَا
وَأَحْزَمُ ٱلنَّاسِ مَنْ إِنْ فُرْصَةٌ عَرَضَتْ ... لَمْ يَجْعَلِ ٱلسَّبَبَ ٱلْمَوْصُولَ مُنْقَضِبَا
وَأَنْصَفُ ٱلنَّاسِ فِي كُلِّ ٱلْمَوَاطِنِ مَنْ ... سَقَى ٱلْمُعَادِينَ بِٱلْكَأْسِ ٱلَّتِي شَرِبَا
وَلَيْسَ يَظْلِمُهُمْ مَنْ رَاحَ يَضْرِبُهُمْ ... بِحَدِّ سَيْفٍ بِهِ مِنْ قَبْلِهِمْ ضُرِبَا
وَٱلْعَفْوُ إِلَّا عَنِ ٱلْأَكْفَاءِ مَكْرُمَةٌ ... مَنْ قَالَ غَيْرَ ٱلَّذِي قَدْ قُلْتُهُ كَذَبَا
قَتَلْتَ عَمْرًا وَتَسْتَبْقِي يَزِيدَ لَقَدْ ... رَأَيْتَ رَأْيًا يَجُرُّ ٱلْوَيْلَ وَٱلْحَرَبَا

لا تقطعن ذنب الأفعى وترسلها   إن كنت شهماً فأتبع رأسها الذنبا
هم جردوا السيف فاجعلهم له جزراً   وأوقدوا النار فاجعلهم لها حطبا
إن تعف عنهم يقول الناس كلهم   لم يعف حلماً ولكن عفوه رهبا
هم أهلة غسان ومجدهم   عالٍ فإن حاولوا ملكاً فلا عجبا
وعرضوا بفداء واصفين لنا   خيلاً وإبلاً تروق العجم والعربا
أيحلبون دماً منا ونحلبهم   رسلاً لقد شرفونا في الورى حلبا
علام تقبل منهم فدية وهم   لا فضة قبلوا منا ولا ذهبا

٤٠ قال صفي الدين الحلي يحرض السلطان الملك الصالح على الاحتراز من المغول ومنافرتهم عند اقبالهم ويهنيه بعيد النحر

لا يمتطي المجد من لم يركب الخطرا   ولا ينال العلى من قدم الحذرا
ومن أراد العلى عفواً بلا تعب   قضى ولم يقض من إدراكها وطرا
لا بد للشهد من نحل يمنعه   لا يجتني النفع من لم يحمل الضررا
لا يبلغ السؤل إلا بعد مؤلمة   ولا يتم المنى إلا لمن صبرا
وأحزم الناس من لو مات من ظمأ   لا يقرب الورد حتى يعرف الصدرا
وأغزر الناس عقلاً من إذا نظرت   عيناه أمراً غدا بالغير معتبرا
فقد يقال عثار الرجل إن عثرت   ولا يقال عثار الرأي إن عثرا
من دبر العيش بالآراء دام له   صفواً وجاء إليه الخطب معتذرا
يهون بالرأي ما يجري القضاء به   من أخطأ الرأي لا يستذنب القدرا
من فاته العز بالأقلام أدركه   بالبيض يقدح من أطرافها الشررا

بكل أبيض قد أجرى الفرند به ... ماء الردى فلو استقطرته قطرا
خاض العجاجة عريانا فما انقشعت ... حتى أتى بدم الأبطال مؤتزرا
لا يحسن الحلم إلا في مواطنه ... ولا يليق الوفا إلا لمن شكرا
ولا ينال العلى إلا فتى شرفت ... خلاله فأطاع الدهر ما أمرا
كالصالح الملك المرهوب سطوته ... فلو توعد قلب الدهر لانفطرا
لما رأى الشر قد أبدى نواجذه ... والغدر عن نابه للحرب قد كشرا
رأى القسي إناثا في حقيقتها ... فعافها واستشار الصارم الذكرا
فجرد العزم من قبل الصفاح لها ... ملك عن البيض يستغني بما شهرا
يكاد يقرأ من عنوان همته ... ما في صحائف ظهر الغيب قد سطرا
كالبحر والدهر في يومي ندى وردى ... والليث والغيث في يومي وغى وقرى
ما جاد للناس إلا قبل ما سألوا ... ولا عفا قط إلا بعد ما قدرا
لاموه في بذله الأموال قلت لهم ... هل تقدر السحب ألا ترسل المطرا
إذا غدا الغصن غضا من منابته ... من شاء فليجن من أفنانه الثمرا
من آل أرتق المشهور ذكرهم ... إذ كان كالمسك إن أخفيته ظهرا
الحاملين من الخطي أطوله ... والناقلين من الأسياف ما قصرا
لم يرحلوا عن حمى أرض إذا نزلوا ... إلا وأبقوا بها من جودهم أثرا
تبقى صنائعهم في الأرض بعدهم ... والغيث إن سار أبقى بعده الزهرا
لله در سما الشهباء من فلك ... وكلما غاب نجم أطلعت قمرا
يا أيها الملك الباني لدولته ... ذكرا طوى ذكر أهل الأرض وانتشرا

كانت عداك لها دستٌ فقد صدعت ... حصاةُ جدِّك ذاك الدستَ فانكسرا
فأوقع إذا غدروا وسوطَ العذاب بهم ... يظلّ يخشاك صرفُ الدهر إن غدرا
وأرعب قلوبَ العدى تُنصر بخذلهم ... إنّ النبيَّ بفضل الرعب قد نُصرا
ولا تُكدّر بهم نفساً مطهّرةً ... فالبحر من يومه لا يعرف الكدرا
ظنّوا تأنّيك عجزاً وما علموا ... أنّ التأنّي فيهم يُعقب الظفرا
أحسنتمُ فبغوا جهلاً وما اعترفوا ... لكم ومن كفر النعمى فقد كفرا
واسعد بعيدك ذا الأضحى وضحِّ به ... وصِل وصلِّ لربّ العرش مؤتمرا
وانحر عداك فبالإنعام ما انتصحوا ... إن كان غيرك للأنعام قد نحرا

٦١ ولصفيّ الدين الحلّي يحرّض السلطان الملك المنصور نجم الدين غازي ابن ارتق صاحب ماردين على حضوره حصار قلعة إربل حين أرسل الجيوش ولم يحضرها سنة اثنتين وسبعمائة:

أبدِ سنا وجهك من حجابه ... فالسيف لا يقطع في قرابه
والليث لا يُرهب من زئيره ... إذا اغتدى محتجباً بغابه
والنجم لا يهدي السبيل سارياً ... إلّا إذا أسفر من حجابه
والشهد لولا أن يُذاق طعمه ... لما غدا مميّزاً عن صابه
إذا بدا نورك لا يصدّه ... تزاحم الموكب في ارتكابه
ولا يضرّ البدر وهو مشرق ... أنّ رفيق الغيم من نقابه
قم غير مأمور ولكن مثلما ... هزّ الحسام ساعة اجتذابه
كم مدركٍ في يومه بعزمه ... ما لم يكن بالأمس في حسابه
من كانت السمر اللدان رسله ... كان بلوغ النصر من جوابه

وَلَا تَقُلْ إِنَّ ٱلصَّغِيرَ عَاجِزٌ   هَلْ يَجْرَحُ ٱللَّيْثَ سِوَى ذُبَابِهِ
فَارْمِ ذُرَى قَلْعَتِهِمْ بِقَلْعَةٍ   تَقْلَعُ أُسَّ ٱلطَّوْدِ مِنْ تُرَابِهِ
فَإِنَّهَا إِذَا رَأَتْكَ مُقْبِلًا   مَادَتْ وَخَرَّ ٱلسُّورُ لِٱضْطِرَابِهِ
إِنْ لَمْ تُحَاكِ ٱلدَّهْرَ فِي دَوَامِهِ   فَإِنَّهَا تَحْكِيهِ فِي ٱنْقِلَابِهِ
وَٱجْلُ لَهُمْ عَزْمًا إِذَا جَلَوْتَهُ   فِي ٱللَّيْلِ أَغْنَى ٱللَّيْلَ عَنْ شِهَابِهِ
عَزْمَ مَلِيكٍ يَخْضَعُ ٱلدَّهْرُ لَهُ   وَتَسْجُدُ ٱلْمُلُوكُ فِي أَعْتَابِهِ
تُحَاذِرُ ٱلْأَحْدَاثُ مِنْ حَدِيثِهِ   وَتَجْزَعُ ٱلْخُطُوبُ مِنْ خِطَابِهِ
قَدْ صَرَفَ ٱلْحُجَّابَ عَنْ حَضْرَتِهِ   وَصَيَّرَ ٱلْهَيْبَةَ مِنْ حُجَّابِهِ
إِذَا رَأَى ٱلْأَمْرَ بِعَيْنِ فِكْرِهِ   رَأَى خَطَاءَ ٱلرَّأْيِ مِنْ صَوَابِهِ
وَإِنْ أَجَالَ رَأْيَهُ فِي مُشْكِلٍ   أَعَانَهُ ٱلْحَقُّ عَلَى طِلَابِهِ
تَنْقَادُ مَعْ آرَائِهِ أَيَّامُهُ   مِثْلَ ٱنْقِيَادِ ٱللَّفْظِ مَعْ إِعْرَابِهِ
لَا يَزْجُرُ ٱلْبَارِحَ فِي ٱعْتِرَاضِهِ   وَلَا غُرَابَ ٱلْبَيْنِ فِي تَنْعَابِهِ
يَقْرَأُ مِنْ عُنْوَانِ سِرِّ رَأْيِهِ   مَا سَطَّرَ ٱلْقَضَاءُ فِي كِتَابِهِ
قَدْ أَشْرَقَتْ بِنُورِهِ أَيَّامُهُ   كَأَنَّمَا تَبْسِمُ عَنْ أَحْسَابِهِ
يَكَادُ أَنْ تُلْهِيَهُ عَنْ طَعَامِهِ   مَطَالِبُ ٱلْحَمْدِ وَعَنْ شَرَابِهِ
مَا سَارَ لِلنَّاسِ ثَنَاءٌ سَائِرٌ   إِلَّا وَحَطَّ رَحْلَهُ بِبَابِهِ
إِذَا ٱسْتَجَارَ مَالُهُ بِكَفِّهِ   أَعَانَهُ ٱلْجُودُ عَلَى ذَهَابِهِ
وَإِنْ كَسَا ٱلدَّهْرُ ٱلْأَنَامَ مَفْخَرًا   ظَنَنْتَهُ يَخْلَعُ مِنْ ثِيَابِهِ
يَا مَلِكًا يَرَى ٱلْعَدُوُّ قُرْبَهُ   كَٱلْأَجَلِ ٱلْمَحْتُومِ فِي ٱقْتِرَابِهِ

لَا تَبْذُلِ الْحِلْمَ لِغَيْرِ شَاكِرٍ   فَإِنَّهُ يُفْضِي إِلَى إِعْجَابِهِ
فَاغْزُ الْعِدَى بِعَزْمَةٍ مِنْ شَأْنِهَا   إِتْيَانُ حَزْمِ الرَّأْيِ مِنْ أَبْوَابِهِ
تُسْلِمُ أَرْوَاحَ الْعِدَى إِلَى الرَّدَى   وَتُرْجِعُ الْأَمْرَ إِلَى أَرْبَابِهِ
حَتَّى يَقُولَ كُلُّ رَبِّ رُتْبَةٍ   قَدْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى نِصَابِهِ
قَدْ رَفَعَ اللهُ الْعَذَابَ عَنْهُمُ   فَشَمَّرُوا السَّاعِدَ فِي طِلَابِهِ
دَنَوْا إِلَى الْمُلْكِ بِعَيْنِ غَادِرٍ   أَطْمَعَهُ حِلْمُكَ فِي اقْتِضَابِهِ
إِنْ لَمْ تُقَطِّعْ بِالظُّبَى أَوْصَالَهُمْ   لَمْ تُقْطَعِ الْآمَالُ مِنْ أَسْبَابِهِ
لَا تَقْبَلِ الْعُذْرَ فَإِنَّ رَبَّهُ   قَدْ أَضْمَرَ التَّصْحِيفَ فِي كِتَابِهِ
فَتَوْبَةُ الْمُقْلِعِ إِثْرَ ذَنْبِهِ   وَتَوْبَةُ الْغَادِرِ مَعْ عِقَابِهِ
لَوْ أَنَّهُمْ خَافُوا كِفَاءَ ذَنْبِهِمْ   لَمْ يُقْدِمُوا يَوْمًا عَلَى ارْتِكَابِهِ
فَاصْرِمْ حِبَالَ عَزْمِهِمْ بِصَارِمٍ   قَدْ بَالَغَ الْقُيُونُ فِي انْتِخَابِهِ
يَعْتَذِرُ الْمَوْتُ إِلَى شَفْرَتِهِ   وَتَقْصُرُ الْآجَالُ عَنْ عِتَابِهِ
يُذِيقُهُمْ فِي شَيْبِهِ أَضْعَافَ مَا   أَذَاقَهُ الْقُيُونُ فِي شَبَابِهِ
يَا مَلِكًا يَعْتَذِرُ الدَّهْرُ لَهُ   وَتَخْدُمُ الْأَيَّامُ فِي رِكَابِهِ
لَمْ يَكُ تَحْرِيضِي لَكُمْ إِسَاءَةً   وَلَمْ أَحِلْ فِي الْقَوْلِ عَنْ آدَابِهِ
وَلَا يَعِيبُ السَّيْفَ وَهْوَ صَارِمٌ   هَزُّ يَدِ الْجَاذِبِ فِي انْتِدَابِهِ
ذِكْرُكَ مَشْهُورٌ وَنَظْمِي سَائِرٌ   كِلَاهُمَا أَمْعَنَ فِي اغْتِرَابِهِ
ذِكْرٌ جَمِيلٌ غَيْرَ أَنَّ نَظْمَهُ   يَزِيدُهُ حُسْنًا مَعَ اصْطِحَابِهِ
كَالدُّرِّ لَا يُظْهِرُ حُسْنَ عِقْدِهِ   إِلَّا جَوَازُ السِّلْكِ فِي أَثْقَابِهِ

الباب الثالث
في المناظرات

مناظرة بين بلاد الاندلس

هذا ما خاطب به أديب الأندلس أبو بحر صفوان بن إدريس الامير عبد الرحمان ابن السلطان يوسف بن عبد المؤمن بن علي :

٤٢ لَمَّا تَخَاصَمَتْ فِيكَ مِنَ ٱلْأَنْدَلُسِ ٱلْأَمْصَارُ . وَطَالَ بِهَا ٱلْوُقُوفُ عَلَى حُبِّكَ وَٱلِاقْتِصَارُ . كُلُّهَا يُفْصِحُ قَوْلًا وَيَقُولُ : أَنَا أَحَقُّ وَأَوْلَى . وَيُصِيخُ إِلَى إِجَابَةِ دَعْوَتِهِ وَيُصْغِي . وَيَتْلُو إِذَا بُشِّرَ بِكَ : ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي . تَنَمَّرَتْ (حِمْصُ) غَيْظًا . وَكَادَتْ تَفِيظُ فَيْظًا . وَقَالَتْ : مَا لَهُمْ يَزِيدُونَ وَيَنْقُصُونَ وَيَطْمَعُونَ وَيَحْرِصُونَ . إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ . أَلِيَ ٱلسَّهْمُ ٱلْأَسَدُّ . وَٱلسَّاعِدُ ٱلْأَشَدُّ . وَٱلنَّهْرُ ٱلَّذِي يَتَعَاقَبُ عَلَيْهِ ٱلْجَزْرُ وَٱلْمَدُّ . أَنَا مِصْرُ ٱلْأَنْدَلُسِ وَٱلنِّيلُ نَهْرِي . وَسَمَائِي ٱلتَّأَنُّسُ وَٱلنُّجُومُ زَهْرِي . إِنْ تَحَادَيْتُمْ فِي ذَٰلِكَ ٱلشَّرَفِ . فَحَسْبِي أَنْ أُفِيضَ فِي ذَٰلِكَ ٱلشَّرَفِ . وَإِنْ تَحَجَّبْتُمْ بِأَشْرَفِ ٱللَّبُوسِ . فَأَيُّ إِزَارٍ ٱشْتَمَلْتُمُوهُ كَشَنْتَبُوسَ . إِلَى مَا شِئْتَ مِنْ أَبْنِيَةٍ رِحَابٍ . وَرَوْضٍ يَسْتَغْنِي بِنَضْرَتِهِ عَنِ ٱلسَّحَابِ . قَدْ مَلَأَتْ زَهَرَاتِي وِهَادًا وَأَنْجَادًا . وَتَوَشَّحَ سَيْفُ نَهْرِي بِحَدَائِقِي نِجَادًا . فَأَنَا أَوْلَاكُمْ بِسَيِّدِنَا ٱلْهُمَامِ وَأَحَقُّ . ٱلْآنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ . فَنَظَرَتْهَا (قُرْطُبَةُ) شَزْرًا وَقَالَتْ : لَقَدْ كَثُرَتِ نَزْرًا . وَبَذَرَتْ فِي ٱلصَّخْرِ ٱلْأَصَمِّ بَزْرًا . كَلَامُ ٱلْعِدَى ضَرْبٌ مِنْ

الهذيان. وإني للإيضاح والبيان. متى استحال المستقبح مستحسنا. ومن أودع أجفان المهجور وسنا. أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا. يا عجبا للمراكز تقدم على الأسنة. وللأثفار تفضل على الأعنة. إن ادعيتم سبقا. فما عند الله خير وأبقى. لي البيت المطهر الشريف. والاسم الذي ضرب عليه رواقه التعريف. في بقيعي محل الرجال الأفاضل. فليرغم أنف المناضل. وفي جامعي مشاهد ليلة القدر. فحسبي من نباهة القدر. فما لأحد أن يستأثر علي بهذا السيد الأعلى. ولا أرضى له أن يوطىء غير ترابي نعلا. فأقروا لي بالأبوة. وانقادوا لي على حكم البنوة. ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة. وكفوا عن تباريكم. ذلكم خير لكم عند باريكم. (فقالت غرناطة): لي المعقل الذي يمتنع ساكنه من النجوم. ولا تجري إلا تحته جياد الغيث السجوم. فلا يخفني من معاند ضرر ولا حيف. ولا يهتدي إلي خيال طارق ولا طيف. فاستسلموا قولا وفعلا. فقد أفلح اليوم من استعلى. لي بطاح تقلدت من جداولها أسلاكا. وأطلعت كواكب زهرها فعادت أفلاكا. فحسني لا يطمع فيه ولا يحتال. فدعوني فكل ذات ذيل تختال. فأنا أولى بهذا السيد الأعدل. ومالي به من عوض ولا بدل. ولم لا يعطف علي عنان مجده ويثني. وإن أنشد يوما فإياي يعني:

بلاد بها عق الشباب تمائمي وأول أرض مس جلدي ترابها

فما لكم تعترون لفخري وتنتمون . وتتأخرون في ميداني وتتقدمون . تبرؤوا إلي مما تزعمون . ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . (فقالت مالقة) : أتتركوني بينكم هملا . ولم تعطوني في سيدنا أملا . ولم ولي البحر العجاج . والسيل الثجاج . والجنات الأثيرة . والفواكه الكثيرة . لدي من البهجة ما تستغني به الحمام عن الهديل . ولا تجنح الأنفس الرقاق الحواشي إلى تعويض عنه ولا تبديل . فما لي لا أعطى في ناديكم كلاما . ولا أنشر في جيش فخاركم أعلاما . فكأن الأمصار نظرتها ازدراء . فلم ترلحديثها في ميدان الذكر إجراء . لأنها موطن لا يخلى منه بطائل . وتظن البلاد تأولت فيها قول القائل :

إذا نطق السفيه فلا تجبه خير من إجابته السكوت

(فقالت مرسية) : أمامي تتعاطون الفخر . وبحضرة الدر تنفقون الصخر . إن عدت المفاخر فلي منها الأول والآخر . أين أوشالكم من بحري . وخرزكم من لؤلؤ نحري . فلي الروض النضير . والمرأى الذي ما له من نظير . فمن دوحات . كم لها من بكور وروحات . ومن أرجاء . إليها تمد أيدي الرجاء . فأبنائي فيه في الجنة الدنيوية مودعون . يتنعمون فيما يأخذون ويدعون . ولهم فيها ما تشتهي أنفسهم ولهم فيها ما يدعون . فانقادوا لأمري . وحاذروا اصطلاء جمري . وخلوا بيني وبين سيدنا أبي زيد . وإلا ضربتكم ضرب زيد . فأنا أولاكم بهذا الملك المستأثر بالتعظيم . وما يلقاها إلا

ذو حظ عظيم . (فقالت بلنسية) : فيم الجدال والقراع . وعلام الإستهام والإقتراع . وإلام التعريض والتصريح . وتحت الرغوة اللبن الصريح . أنا أحوزه من دونكم . فاخمدوا ناري تحرككم وهدونكم . فلي المحاسن الشامخة الأعلام . والجنات التي تلقي إليها الآفاق يد الإستسلام . وبرصافتي وجسري أعارض مدينة السلام . فأجمعوا على الانقياد لي والسلام . وإلا فعضوا بنانا . واقرعوا أسنانا . فأنا حيث لا تدركون وإني ومولانا لا يهلكنا بما فعل السفهاء منا . (فعند ذلك أرغمت جمرة تدمير بالشرار) واستدت أسهمها لنحور الشرار وقالت : عش رجبا . تر عجبا . أبعد العصيان والعقوق . تتهيأن لرتب ذوي الحقوق . هذه سماء الفخر فمن ضمك أن تعرجي . ليس بعشك فادرجي . لك الوصب والخبل . الآن وقد عصيت قبل . أيتها الصانعة الفاعلة . من أدراك أن تضربي وما أنت فاعلة . ما الذي يجديك الروض والزهر . أم يفيدك الجدول والنهر . وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر . هل أنت إلا محط رحل النفاق . ومنزل ما لسوق الخصب فيه من نفاق . ذراك لا يكتحل الطرف فيه بهجوع . وقراك لا يسمن ولا يغني من جوع . فإلام تبرز الإماء في منصة العقائل . ولكن اذكري قول القائل :

بلنسية بيني عن القلب سلوة فإنك روض لا أحن لزهرك
وكيف يحب المرء دارا تقسمت على صارمي جوع وفتنة مشرك

بيد أني أسأل الله تعالى أن يوقد من توفيقك ما خمد. وينيل من تسديدك ما جمد. ولا يطيل عليك في الجهالة الأمد. وإياه سبحانه نسأل أن يرد سيدنا ومولانا إلى أفضل عوائده. ويجعل مصائب أعدائه من فوائده. ويمكن حسامه من رقاب المشغبين. ويبقيه وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين. ويصل له تأييداً وتأبيداً. ويمهد له الأيام حتى تكون الأحرار لعبيد عبيده عبيداً. ويمد على الدنيا بساط سعده ويهبه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده:

آمين آمين لا أرضى بواحدة حتى أضيف إليها ألف آمينا

ثم السلام الذي يتأنق عبقاً ونشراً. ويتألق رونقاً وبشراً. على حضرتهم العلية. ومطالع أنوارهم السنية الجلية. ورحمة الله تعالى وبركاته (نفح الطيب للمقري)

نخبة من مفاخرة بين السيف والقلم للشيخ جمال الدين ابن نباتة

٤٣ (قال) برز القلم بإفصاحه. ونشط لارتياحه. ورقي من الأنامل على أعواده. وقام خطيباً بمحاسنه في حلة مداده. والتفت إلى السيف وقال: بسم الله الرحمن الرحيم والقلم وما يسطرون. ما أنت بنعمة ربك بمجنون. الحمد لله الذي علم بالقلم وشرفه بالقسم. وخط به ما قدر وقسم. أما بعد فإن القلم منار الدين والدنيا. ونظام الشرف والعليا. ومجاديح سحب الخير إذا احتاجت الهمم إلى السقيا. ومفتاح باب اليمن المجرب إذا أعيا. وسفير الملك المحجب.

وعذيق الملك المرجب . وزمام أموره السائرة . وقادمة أجنحته الطائرة . ومطلق أرزاق عفاته المتواترة . وأنملة الهدى المشيرة إلى ذخائر الدنيا والآخرة . به رقم الكتاب الذي لا يأتيه الباطل . وسننه التي تهذب الخواطر الحواطل . فهو في مراضي الدول عونة للشائدين . وبعين الله في ليالي النفس تقلب وجهه في الساجدين . إن نظمت فرائد العلوم فإنما هو سلكها . وإن علت أسرة الكتب فإنما هو ملكها . أو رقمت برود البيان فإنما هو جلالها . وإن تشعبت فنون الحكم فإنما هو أمانها ومآلها . وإذا انقسمت أمور الممالك فإنما هو عصمتها وثمالها . وإن اجتمعت رعايا الصنائع فإنما هو إمامها المتلفع بسواده . وإن زخرت بحار الأفكار فإنما هو المستخرج دررها من ظلمات مداده . وإن وعد وفى بجلب النفع . وإن أوعد أخاف كأنما يستمد من النقع . هذا وهو لسان الملوك المخاطب . ورسيلها لا بكار الفتوح والخاطب . والمنفق في تعمير دولها محصول أنفاسه . والمتحمل أمورها الشاقة على عينه وراسه . والمتيقظ لجهاد أعدائها والسيف في جفنه نائم . والمجهز لبأسها وكرمها جيشي الحروب والمكارم . والجاري بما أمر الله من العدل والإحسان . والمسود الناصر فكأنما هو لعين الدهر إنسان . طالما ذب عن حرمها . فشد الله أزره ورفع ذكره . وقام في المحاماة عن دينها أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره . وقاتل على البعد والصوارم في القرب . وأوتي

مِن مُعجِزاتِ ٱلنُّبُوءَةِ نَوعًا مِنَ ٱلنَّصرِ بِٱلرُّعبِ . وَبَعثَ جَحافِلَ ٱلسُّطُورِ فَٱلقِسِيّ دالاتٌ وَٱلرِّماحُ أَلِفاتٌ وَٱللّاماتُ لاماتٌ . وَٱلهَمزاتُ كَواسِرُ ٱلطَّيرِ ٱلَّتي تَتبَعُ ٱلجَحافِلَ . وَٱلأَترِبَةُ عَجاجُها ٱلمُحمَرُّ مِن دَمِ ٱلكُلى وَٱلمَفاصِلِ . فَهوَ صاحِبُ فَضيلَتَيِ ٱلعَلَمِ وَٱلعِلمِ . وَساحِبُ ذَيلَيِ ٱلفَخارِ في ٱلحَربِ وَٱلسِّلمِ . لا يُعادِيهِ إِلّا مَن سَفِهَ نَفسَهُ . وَلَبِسَ لُبسَهُ . وَطُبِعَ عَلى قَلبِهِ . وَفَلَّ ٱلجِدالُ مِن غَربِهِ . وَخَرَجَ في وَزنِ ٱلمُعارَضَةِ عَن ضَربِهِ . وَكَيفَ يُعادى مَن إِذا كَرَعَ في نِقسِهِ . قيلَ إِنّا أَعطَيناكَ ٱلكَوثَرَ . وَإِذا ذُكِرَ شانِئُهُ ٱلسَّيفُ قيلَ إِنَّ شانِئَكَ هُوَ ٱلأَبتَرُ . أَقولُ قَولي هٰذا وَأَستَغفِرُ ٱللهَ مِنَ ٱلشَّرَفِ وَخُيَلائِهِ . وَٱلفَخارِ وَكِبرِيائِهِ . وَأَتَوَكَّلُ عَلى ٱللهِ فيما حَكَمَ . وَأَسأَلُهُ ٱلتَّدبيرَ فيما جَرى بِهِ ٱلقَلَمُ . ثُمَّ ٱكتَفى بِما ذَكَرَهُ مِن أَدَواتِهِ . وَجَلَسَ عَلى كُرسِيِّ دَواتِهِ مُتَمَثِّلًا بِقَولِ ٱلقائِلِ :

قَلَمٌ يَفُلُّ ٱلجَيشَ وَهوَ عَرَمرَمٌ وَٱلبيضُ ما سُلَّت مِنَ ٱلأَغمادِ
وَهَبَت لَهُ ٱلآجامُ حينَ نَشا بِها كَرَمَ ٱلسُّيولِ وَصَولَةَ ٱلآسادِ

فَعِندَ ذٰلِكَ نَهَضَ ٱلسَّيفُ قائِمًا عَجِلًا . وَتَلَمَّظَ لِسانُهُ لِلقَولِ مُرتَجِلًا . وَقالَ : بِسمِ ٱللهِ ٱلرَّحمانِ ٱلرَّحيمِ وَأَنزَلنا ٱلحَديدَ فيهِ بَأسٌ شَديدٌ وَمَنافِعُ لِلنّاسِ وَلِيَعلَمَ ٱللهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِٱلغَيبِ إِنَّ ٱللهَ قَوِيٌّ عَزيزٌ . ٱلحَمدُ للهِ ٱلَّذي جَعَلَ ٱلجَنَّةَ تَحتَ ظِلالِ ٱلسُّيوفِ . وَشَرَعَ حَدَّها في ذَوي ٱلعِصيانِ فَأَغَصَّتهُم بِماءِ ٱلحُتوفِ . وَشَيَّدَ مَراتِبَ ٱلَّذينَ

يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ وعقدٌ مرصوفٌ . وَأَجْناهُم مِنْ ورق حديدِها الأخضرِ ثمارَ نعيمِها الدانيةِ القطوفِ . أمَّا بعدُ فإنَّ السيفَ زندُ الحقِ الوري وزندهُ القويُّ . وحدّهُ الفارقُ بينَ الرشيدِ والغويِ . والنجمُ الهادي إلى العزِ وسبيلهِ . والثغرُ الباسمُ عن تباشيرِ فلولِه . وخصهُ اللهُ على الأقلامِ بأنَّ به للحقِ منهاجا . وأطلعهُ في ليالي النقعِ والشكِ سراجًا وهاجًا . وفتحَ بابَ الدينِ بمصباحِهِ حتى دخلَ فيهِ الناسُ أفواجًا . فهو ذو الرأيِ الصائبِ . وشهابُ العزمِ الثاقبِ . وسماءُ العزِ التي زُيِّنَتْ مِن آثارِهِ بزينةِ الكواكبِ . والحدُّ الذي كأنه ماءٌ دافقٌ يخرجُ عندَ قطعِ الأجسادِ من بينِ الصلبِ والترائبِ . لا تجحدُ آثارُهُ ولا ينكرُ قرارهُ . إذا اشتبَت في الدجى والنقعِ نارُهُ . يجمعُ بينَ الحالتينِ البأسِ والكرمِ . ويصاغُ في طوقِ الحليتينِ فهو إمَّا طوقٌ في نحورِ الأعداءِ وإمَّا خلخالٌ في عراقيبِ أهلِ النقمِ . وتُحسمُ بهِ أهواءُ الفتنِ المضلةِ . وتحذفُ بهمتهِ الجازمةِ حروفُ العلةِ . وإذا انحنى في سماءِ القتامِ بالضربِ فهو القويُّ الاستطاعةِ الطويلُ المعمرُ . إذا قصفَ سواهُ في ساعةٍ فما أولاهُ بطولِ الإحسانِ . وما أجملَ ذكرَهُ في أخبارِ المعمرينَ ومقاتلِ الفرسانِ . كأنَّ الغيثَ في غمدِهِ للطالبِ المنتجعِ . وكأنه زنادٌ يُستضاءُ بهِ إلَّا أنَّ دفعَ الدماءِ شررُهُ الملتمعُ . كم قد مدَّ فأدركَ الطلابَ . ودعا النصرَ بلسانهِ المخمرِ من أثرِ الدماءِ فأجابَ . وتشعبتِ

الدُّوَلُ لِقَائِمٍ نَصْرُهُ الْمُنْتَظَرِ. وَحَازَتْ أَبْكَارُ الْفُتُوحِ بِحَدِّهِ الظَّفَرَ. وَغَدَتْ أَيَّامُهَا بِهِ ذَاتَ حُجُولٍ مَعْلُومَةٍ وَغُرَرٍ. وَشَدَّتْ بِهِ الظُّهُورَ. وَحَمِدَتْ عَلَائِقَهُ فِي الْأُمُورِ. وَاتَّخَذَتْهُ الْمُلُوكُ حِرْزًا لِسُلْطَانِهَا. وَحِصْنًا عَلَى أَوْطَانِهَا وَقُطَّانِهَا. وَجَرَّدَتْهُ عَلَى صُرُوفِ الْأَقْدَارِ فِي شَأْنِهَا. وَنَدَبَ فِيمَا أَعْيَتْ عَلَيْهِ الْمَصَالِحُ. وَبَاشَرَ اللِّمَمَ فَهُوَ عَلَى الْحَقِيقَةِ بَيْنَ الْهُدَى وَالضَّلَالِ فَرْقٌ وَاضِحٌ. وَأَغَاثَ فِي كُلِّ فَصْلٍ فَهُوَ إِمَّا لِغِمْدِهِ سَعْدُ الْأَخْبِيَةِ وَإِمَّا لِحَامِلِهِ سَعْدُ السُّعُودِ. وَإِمَّا لِصِدِّهِ سَعْدُ الذَّابِحِ. يَجْلِسُ عَلَى رُؤُوسِ الْأَعْدَاءِ قَهْرًا. وَيَشْرَحُ أَنْبَاءَ الشَّجَاعَةِ قَائِلًا لِلْقَلَمِ: ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا. وَهَلْ يُفَاخِرُ مَنْ وَقَفَ الْمَوْتُ عَلَى بَابِهِ. وَعَضَّ الْحَرْبُ الضَّرُوسُ بِنَابِهِ. وَقَذَفَتْ شَيَاطِينُ الْقِرَاعِ بِشُهُبِهِ. وَمُنِحَ آيَاتٍ شَرِيفَةً مِنْهَا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ غَرْبِهِ. وَمِنْهَا: أَنَّ اللهَ أَنْشَأَ بَرْقَهُ فَكَانَ لِلْمَارِدِ مَصْرَعًا. وَلِلرَّائِدِ مَرْتَعًا. أَقُولُ قَوْلِي هٰذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ مِنْ لَفْظٍ يَجْمَحُ. وَرَأْيٍ إِلَى الْخِصَامِ يَجْنَحُ. وَلِسَانٍ يُحْوِجُهُ اللَّدَدُ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ فَيَجْرَحَ. وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ فِي صَدِّ الْبَاطِلِ وَصَرْفِهِ. وَأَسْأَلُهُ الْإِعَانَةَ عَلَى كُلِّ بَاحِثٍ عَنْ حَتْفِهِ بِظِلْفِهِ. ثُمَّ اخْتَفَى فِي بَعْضِ الْخَمَائِلِ. وَتَمَثَّلَ بِقَوْلِ الْقَائِلِ:

سَلِ السَّيْفَ عَنْ أَصْلِ الْفَخَارِ وَفَرْعِهِ ... فَإِنِّي رَأَيْتُ السَّيْفَ أَفْصَحَ مِقْوَلَا

(فَلَمَّا وَعَى الْقَلَمُ) خُطْبَتَهُ الطَّوِيلَةَ الطَّائِلَةَ. وَنَشْطَتَهُ الْجَلِيلَةَ الْجَائِلَةَ. وَفَهِمَ كِنَايَتَهُ وَتَلْوِيحَهُ. وَتَعْرِيضَهُ بِالذَّمِّ وَتَصْرِيحَهُ. وَتَعْدِيلَهُ فِي

الحديث وتجريحه. استغاث باللفظ النصير. وأحدّ وما أدراك ما حدة القصير. وقام في دواته وقعد. واضطرب على وجه القرطاس وارتعد. وعدل إلى السب الصراح. ورأى أنه إن سكت تكلم ولكن بأفواه الجراح. فانحرف إلى السيف وقال: أيها المعتز بطبعه. المغتر بلمعه. الناقض حبل الأنس بقطعه. الناسخ بهجيره من ظلال العيش فيئا. السراب الذي يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا. الخيس الذي طالما عادت عليه عوائد شره. أتعرض بسبي. وتتعرض لمكايد حربي. ألست ذا الخدع البالغة والحرب خدعة. والمنن النافعة ولا خير فيمن لا تبغي الأنام نفعه. ألست المسود الأحق بقول القائل:

نفس عصام سودت عصاما وعلمته الجود والإقداما

أتفاخرني وأنا للوصل وأنت للقطع. وأنا للعطاء وأنت للمنع. وأنا للصلح وأنت للضراب. وأنا للعمارة وأنت للخراب. وأنا المعمر. وأنت المدمر. وأنت المقلد وأنا صاحب التقليد. وأنت العابث وأنا المجود ومن أولى من القلم بالتجويد. فما أقبح شبهك. وما أشنع يوما ترى فيه العيون وجهك. أعلى مثلي يشق القول. ويرفع الصوت والصول. وأنا ذو اللفظ المكين. وأنت ممن دخل تحت قول القرآن: أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين. فقد تعديت حدك. وطلبت ما لم تبلغ به جهدك. هيهات أنا المنتصب

لِمَصالحِ الدُّوَلِ وأَنتَ في الغمدِ طريحٌ . والمتعبُ في تمهيدِها وأنتَ غافلٌ مستريحٌ . والساهرُ وقد مُهِّدَ لكَ في الغمدِ مضجعٌ . والجالسُ عن يمينِ الملكِ وأنتَ عن يسارِهِ فأيُّ الحالتَينِ أرفعُ . والساعي في تدبيرِ حالِ القومِ . والمفني لنفعِهِم العمرَ إذا كانَ نفعُكَ يومًا أو بعضَ يومٍ . فاقطعْ عنكَ أسبابَ المفاخرةِ . واسترْ أنيابَكَ عندَ المكاشرةِ . فما يحسنُ بالصامتِ محاورةُ المفصحِ . واللهُ يعلمُ المفسدَ من المصلحِ . على أنه لا يُنكرُ لمثلِكَ التصدي . ولا يُستغربُ منه على مثلي التعدي . ما أنا أوّلُ من أطاعَ البارئَ وتجرأتَ عليهِ . ومددتَ يدَ العدوانِ إليهِ . أوَ لستَ الذي قيلَ فيهِ :

شيخٌ يرى الصلواتِ الخمسَ نافلةً ويستحلُّ دمَ الحجاجِ في الحرمِ

قد سُلبتَ الرحمةَ وإنما يرحمُ اللهُ من عبادِهِ الرحماءَ . وجُلبتَ القسوةَ فكم هيجتَ سبّةً حمراءَ . وأثرتَ دهماءَ . وخمشتَ الوجوهَ وكيفَ لا وأنتَ كالظفرِ كونًا . وقطعتَ اللذاتِ ولمَ لا وأنتَ كالصبحِ لونًا . أينَ بطشُكَ من حلمي . وجهلُكَ من علمي . وجسمُكَ من جسمي :

شتانَ ما بينَ جسمٍ صِيغَ من ذهبٍ وذاكَ جسمي وجسمٍ صِيغَ من بهقِ

أينَ عينُكَ الزرقاءُ من عيني الكحيلةِ . ورؤيتُكَ الشنعاءُ من رؤيتي الجميلةِ . أينَ لونُ الشيبِ من لونِ الشبابِ . وأينَ نذيرُ الأعداءِ من رسولِ الأحبابِ . هذا وكم أكلتَ الأكبادَ غيظًا .

وحَمِيتَ الأضغانَ قيظاً. وشكوتَ الصدى فسُقيتَ ولكن بشواظٍ من نارٍ. وأخنتَ عليكَ الأيامُ حتى انتعلَ بأبعاضِك الحمارُ. ولولا تعرّضُك إليَّ لما وقعتَ في المقتِ. ولولا إساءتُك لما كنتَ تصقلُ في كلِّ وقتٍ. فدعْ عنكَ هذا الفخرَ المديدَ. وتأمّلْ وصفي إذا كُشِفَ عنكَ الغطاءُ فبصرُكَ اليومَ حديدٌ. وافهمْ قولَ ابنِ الرومي:

بذا قضى اللهُ في الأقلامِ إذ بُرِيَت أنَّ السيوفَ لها مُذ أُرهِفَت خدمُ

(فعند ذلك وثب السيف) على قدِّه. وكاد الغضبُ يُخرجُه من حدِّه. وقال: أيُّها المتطاولُ على قِصَرِه. والماشي على طريقِ غررِه. والمتعرّضُ مني إلى الدمارِ. والمتحرّشُ بي فهو كما تقولُ العامّةُ: ذنبُه قشٌّ ويتحرّشُ بالنارِ. لقد شمّرتَ عن ساقِك حتى أغرقتك الغمراتُ. وأتعبتَ نفسَك فيما لا تُدرِكُ إلى أن أذهبها التعبُ حسراتٍ. أولستَ الذي طالما أرعشَ السيفُ للهيبةِ عطفَك. ونكّسَ للخدمةِ رأسَك وطرفَك. وأمرَ بعضَ رعيّتِه وهو السكّينُ فقطعَ قفاكَ وشقَّ أنفَك. ورفعَك في مهمّاتٍ خاملةٍ وحطَّك. وجذبَك للاستعمالِ وقطَّك. فليتَ شعري كيف جسرتَ. وعبستَ على مثلي وبسرتَ. وأنتَ السوقةُ وأنا الملكُ. وأنا الصادقُ وأنتَ المؤتفكُ. وأنتَ لصونِ الحطامِ وأنا لصونِ الممالكِ. وأنتَ لحفظِ المزارعِ وأنا لحفظِ المسالكِ. وأنتَ للفلاحةِ وأنا للفلاحِ. وأنتَ حاطبُ الليلِ من نفسِه وأنا ساري الصباحِ. وأنا الباصرُ وأنتَ الأرمدُ. وأنا

المَخْدُومُ الأَبْيَضُ وَأَنْتَ الخَادِمُ الأَسْوَدُ. وَأُقْسِمُ بِمَنْ صَيَّرَ فِي قَبْضَتِي أَنْوَاعَ الْيُمْنِ إِنَّكَ عَنْ بُلُوغِ قَدْرِي لَأَذَلُّ رُتْبَة. وَعَنْ بَرْيِ كَفِّي لَأَخْيَبُ طِلْبَة. فَإِنِّي لَا أُنْكِرُ قَوْلَ بَعْضِ أَرْبَابِكَ حَيْثُ قَالُوا

أُفٍّ لِرِزْقِ الْكَتَبَهْ أُفٍّ لَهُ مَا أَصْعَبَهْ
يَرْتَشِفُ الرِّزْقُ بِهِ مِنْ شِقِّ تِلْكَ الْقَصَبَهْ
يَا قَلَمًا يَرْفَعُ فِي الطِّرْسِ لِوَجْهِي ذَنَبَهْ
مَا أَعْرِفُ الْمِسْكِينَ إِلَّا كَاتِبًا ذَا مَتْرَبَهْ

إِنْ عَايَنْتَ الدِّيوَانَ وَقَعْتَ فِي الْحِسَابِ وَالْعَذَابِ. أَوِ الْبَلَاغَةَ سَحَرْتَ وَبَالَغْتَ فَأَنْتَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ. أَوْ فَخَرْتَ بِتَقْيِيدِ الْعُلُومِ فَمَا لَكَ مِنْهَا سِوَى لَمْحَةِ الطَّرْفِ. أَوْ بِرَقْمِ الْمَصَاحِفِ فَإِنَّكَ تَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ. أَوْ جَمَعْتَ عَمَلًا فَإِنَّمَا جَمْعُكَ لِلتَّكْسِيرِ. أَوْ رَفَعْتَ إِلَيَّ طَرْفَكَ رَجَعَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ. وَهَلْ أَنْتَ فِي الدُّوَلِ إِلَّا خَيَالٌ تَكْتَفِي الْهِمَمُ بِطَيْفِهِ. أَوْ إِصْبَعٌ تَلْعَقُ بِهَا الرِّزْقَ إِذَا أَكَلَ الضَّارِبُ بِقَائِمِ سَيْفِهِ. وَسَاعٍ عَلَى رَأْسِهِ قَلَّ مَا أَجْدَى. وَسَارٍ رُبَّمَا أَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى. ثُمَّ وَقَفَ وَأَكْدَى. أَيْنَ أَنْتَ مِنْ حَظِّيَ الْأَسْنَى وَكَفِّيَ الْأَغْنَى. وَمَا خُصِصْتُ بِهِ مِنَ الْجَوْهَرِ الْفَرْدِ إِذَا عَجَزْتَ أَنْتَ عَنِ الْعَرَضِ الْأَدْنَى. كَمْ بَرَزْتَ فَمَا أَغْنَيْتَ فِي مُهِمِّهِ. وَكَمْ خَرَجْتَ مِنْ دَوَاتِكَ لِتَسْطِيرِ سَيِّئَةٍ. فَخَرَجْتَ كَمَا قِيلَ مِنْ ظُلْمَةٍ إِلَى ظُلْمَةٍ. وَهَبْ أَنَّكَ كَمَا قُلْتَ مَفْتُوقُ اللِّسَانِ. جَرِيُّ الْجَنَانِ. مُدَاخِلٌ بِمَخْلَبِكَ بَيْنَ ذَوِي الْاقْتِنَاصِ.

مَعْدُودٌ مِنْ شَيَاطِينِ ٱلدُّوَلِ وَأَنْتَ فِي ٱلطِّرْسِ وَٱلنِّقْسِ بَيْنَ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ. فَلَوْ جَرَيْتَ خَلْفِي إِلَى أَنْ تَخْفَى. وَصِحْتَ بِصَرِيرِكَ إِلَى أَنْ تَخُفُتَ وَتَخْفَى. لَمَا كُنْتَ مِنِّي إِلَّا بِمَنْزِلَةِ ٱلْمَدَرَةِ مِنَ ٱلسِّمَاكِ ٱلرَّامِحِ. وَٱلْبَعْرَةِ عَلَى تَيَّارِ ٱلْخِضَمِّ ٱلطَّافِحِ. فَلَا تَعِدْ نَفْسَكَ بِمُعْجِزِي فَإِنَّكَ مِمَّنْ يَمِينُ. وَلَا تَحْلِفْ لَهَا أَنْ تَبْلُغَ مَدَايَ فَلَيْسَ لِمَخْضُوبِ ٱلْبَنَانِ يَمِينٌ. وَمِنْ صَلَاحِ نَجْمِكَ أَنْ تَعْتَرِفَ بِفَضْلِي ٱلْأَكْبَرِ. وَتُؤْمِنَ بِمُعْجِزَتِي ٱلَّتِي بُعِثْتُ مِنْكَ إِلَى ٱلْأَسْوَدِ وَٱلْأَحْمَرِ. لِتَسْتَوْجِبَ حَقًّا. وَتَسْلَمَ مِنْ نَارٍ حَرٍّ تَلَظَّى لَا يَصْلَاهَا إِلَّا ٱلْأَشْقَى. وَإِنْ لَمْ يَتَّضِحْ لِرَأْيِكَ إِلَّا ٱلْإِصْرَارُ. وَأَبَتْ حَصَائِدُ لِسَانِكَ إِلَّا أَنْ تُوقِعَكَ فِي ٱلنَّارِ. فَلَا رَعَى ٱللّٰهُ عَزَائِمَكَ ٱلْقَاصِرَةَ. وَلَا جَمَعَ عَقَارِبَ لَيْلِ نَفْسِكَ ٱلَّتِي إِنْ عَادَتْ فَإِنَّ نِعَالَ ٱلسُّيُوفِ لَهَا حَاضِرَةٌ. ثُمَّ قَطَعَ ٱلْكَلَامَ. وَتَمَثَّلَ بِقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ:

ٱلسَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءً مِنَ ٱلْكُتُبِ فِي حَدِّهِ ٱلْحَدُّ بَيْنَ ٱلْجِدِّ وَٱللَّعِبِ
بِيضُ ٱلصَّفَائِحِ لَا سُودُ ٱلصَّحَائِفِ فِي مُتُونِهِنَّ جَلَاءُ ٱلشَّكِّ وَٱلرِّيَبِ

فَلَمَّا تَحَقَّقَ تَحْرِيفُ ٱلْقَلَمِ حَرَجَهُ. وَفَهِمَ مِقْدَارَ ٱلْغَيْظِ ٱلَّذِي أَخْرَجَهُ. وَسَمِعَ هٰذِهِ ٱلْمَقَالَةَ ٱلَّتِي يَقْطُرُ مِنْ جَوَانِبِهَا ٱلدَّمُ. وَرَأَى أَنَّهُ هُوَ ٱلْبَادِي بِهٰذِهِ ٱلْمُنَاقَشَةِ وَٱلْبَادِي أَظْلَمُ. رَجَعَ إِلَى خِدَاعِهِ. وَتَنَحَّى عَنْ طَرِيقِ قِرَاعِهِ. وَعَلِمَ أَنَّ ٱلدَّهْرَ دَهْرُهُ. وَأَقْدَرُ عَلَى حُكْمِ ٱلْوَقْتِ قَدْرُهُ. وَأَنَّهُ أَحَقُّ بِقَوْلِ ٱلْقَائِلِ:

لَحْنُهَا مُعْرَبٌ وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا أَنَّ إِعْرَابَ غَيْرِهَا مَلْحُونُ

فالتفت إليه وقال: أيها الملتهب في قدحه. والخارج عما نسب إليه من صفحه. ما هذه الزيادة في السباب. والتطفيف في كيل الجواب. وأين علم الشيوخ عند جهل الشباب. أما كان الأحسن بك أن تترك هذا الرفث. وتلم أخاك على الشعث. وتحلم كما زعمت أنك السيد. وتركو على الغيظ كما تركو على النار الجيد. أما تعلم أني معينك في تشييد الممالك. ورفيقك فيما تسلكه لنفعها من المسالك. أما أنا وأنت للملك كاليدين. وفي تشييده كالركنين. وما أراك عبتني في الأكثر إلا بنحول الجسد الذي ليس خلقه علي. وضعفه الذي ليس أمره إلي. على أن أذكى النسمات أعلها وأدنفها. وهذه سادات العرب تعد ذلك من فضلها الأظهر. وحسنها الأشهر. ولو أنك تقول بالفصاحة. وتقف في هذه الساحة. لأسمعتك في ذلك من أشعارهم. وأتحفتك بما يفخرون به من آثارهم. فيا لله من هذه الحجة البائرة. والكرة الخاسرة. وعلى هذه النسبة ما عبتني به من فقر الأنبياء. وذل الحكماء. على أن إطلاقات معروفي معروفة. وسطوات أمري في وجوه الأعداء المكسوفة مكشوفة. فاستغفر الله مما فرط في مقالك. والتفويض من عوائد احتمالك. فلا تشمت بنا الأضداد ولا تسلط بفرقتنا المفسدين في الأرض. إن الله لا يحب الفساد. واغضض الآن من خيلائك بعض هذا الغض. ولا تشك أني قسيمك وإن أبيت إلا أن تهدد. وتجرد

الشغب وتحدد . فاذكر محلنا في اليد الشريفة السلطانية الملكية المؤيدة . أيد الله نعمها . وجازى بالإحسان شيمها . وأيقظ في الآجال والآمال سيفها وقلمها . ولا عطل مشاهد المدح من أنسها . ولا أخلى فرائض البأس والكرم من قيام خمسها . فاقسم من بأسه بالليل وما وسق . ومن بشر طلعته بالقمر إذا اتسق . لو تجاور الأسد والظباء بتلك اليد لوردا بالأمن في منهل . ورتعا في روض لا يجهل . فما ينبغي لنا بين تلك الأنامل غير سلوك الأدب . والمعاضدة على محو الأزمات والنوب . والاستقامة على الحق ولا عوج . والحديث من تلك الراحة عن البحر ولا حرج . هذه نصيحتي إليك والدين النصيحة . والله تعالى يطلعك على معاني الرشد الصريحة . ويجعل بينك وبين الغي حجابا مستورا . وينسيك ما تقدم من القول وكان ذلك في الكتاب مسطورا . فعند ذلك نكس السيف طرفه وقبل خديعة القلم قائلا لأمر ما جدع قصير أنفه : وأمسك عن المشاغبة خيفة الزلل . فإن السيوف معروفة بالخلل . ثم قال : أيها الضعيف الجبار . البازغ في ليل المداد نجما وكم في النجوم غرار . لقد تظلمت من أمر أنت البادي بظلمه . وتسورت إلى فتح باب أنت السابق إلى فتح ختمه . وقد فهمت الآن ما ذكرت من أمر اليد الشريفة ونعم ما ذكرت . وأحسن بما أشرت . وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره وقد تغافلت عن قولك الأحسن . ورددتك

إلى أُمّك ٱلدَّواة كي تفرغينها ولا تحزن . وسألت ٱلله تعالى أن يزيد محاسن تلك ٱليد ٱلعالية تمامًا على ٱلذي أحسن فإنها ٱليد ٱلتي :

لو أثّر ٱلتقبيل في يد منعم   لمحا براجم كفها ٱلتقبيل

وٱلراحة ٱلتي :

تسعى ٱلقلوب لغوثها ولغيثها   فيجيبه ٱلتأمين وٱلتأميل

وٱلأنامل ٱلتي علّمها ٱلله بالسيف وٱلقلم . ومكّنها من رتبتي ٱلعلم وٱلعلم . وتدارك بكرمها آمال ٱلعفاة بعد إن ولا ولم . ولولا أن هذا ٱلمضمار يضيق عن وصفه ٱلسابق إلى غاية ٱلخصل . ومجده ٱلذي إذا جرّ ذيله ودّ ٱلفضل لو تمسك منه بالفضل . لأطلت ٱلآن في ذكر مجدها ٱلأوضح . وأفصحت في مدحها ولا نكر لمثلها أن أنطقت ٱلصامت فأفصح . ثم إنك بعد ما تقدم من ٱلقول ٱلمزيد . وٱلمجادلة ٱلتي عزّ أمرها على ٱلحديد . أقررت أنت أننا للملك كاليدين . ولم تقر أيّنا ٱليمين . وفي آفاقه كالقمرين . ولم تذكر أيّنا ٱلواضحة ٱلجبين . وما يشفي ضناي ويروي صداي إلا أن يحكم بيننا من لا يردّ حكمه . ولا يتهم فهمه . فيظهر أيّنا ٱلمفضول من ٱلفاضل . وٱلمخذول من ٱلخاذل . ويقصر عن ٱلقول ٱلمناظر . ويستريح ٱلمناضل . وقد رأيت أن يحكم بيننا ٱلمقام ٱلأعظم ٱلذي أشرت إلى يده ٱلشريفة . وتوسلت بمحاسنها ٱللطيفة . فإنه مالك زمامنا . ومنشىء غمامنا . ومصرف كلامنا . وحامل أعبائنا . ٱلذي ما هوى للهوى وصاحب

أمرنا ونهينا وتالله ما ضلّ صاحبكم وما غوى. ليفصل الأمر بحكمه. ويقدّمنا إلى مجلسه الشريف فيحكم بيننا بعلمه. فقدّم خيرة الله على ذلك الاشتراط. وقل بعد تقبيلنا الأرض له في ذلك البساط: خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحقّ ولا تشطط. واهدنا إلى سواء الصراط. فنشط القلم فرحاً. ومشى في أرض الطرس مرحاً. وطرب لهذا الجواب. وخرّ راكعاً وأناب. وقال: سمعاً وطاعة. وشكر الله على هذه الساعة

يا برد ذاك الذي قالت على كبدي

ألآن ظهر ما تبغيان. وقضي الأمر الذي فيه تستفتيان. وحكم بيننا الرأي المنير. ونبّأنا بحقيقة الأمر ولا ينبّئك مثل خبير. ثمّ تفاصلا على ذلك. وتراضيا على ما يحكم به المالك. وكانوا أحقّ بها وأهلها وانتبه المملوك من سنة فكره. وطالع بما اختلج سواد هذه الليلة في سرّه. والله تعالى يديم أيّام مولانا السلطان التي هي نظام المفاخر. ومقام المآثر. وغوث الشاكي وغيث الشاكر. ويمتّع بظلال مقامه الذي لا تكسر الأيّام مقدار ما هو جابر. ولا تجبر ما هو كاسر. إن شاء الله تعالى (خزانة الادب للحموي)

رسالة لابن الوردي في السيف والقلم

٤٤ لمّا كان السيف والقلم عدّتي العمل والقول. وعمدتي الدول فإن عدمتهما دولة فلا حول. وركني إسناد الملك المعربين عن

المخفوضِ والمرفوعِ . ومقدمتي نتيجةِ الجدلِ الصادرِ عنهما المحمولُ والموضوع . فكرتُ أيهما أعظم فخرًا . وأعلى قدرًا . فجلستُ لهما مجلسَ الحكمِ والفتوى . ومثلتهما في الفكرِ حاضرينِ للدعوى . وسويتُ بينَ الخصمينِ في الإكرامِ . واستنطقتُ لسانَ حالِهما للكلامِ (فقالَ القلمُ) : بسمِ اللهِ مجراها ومرساها . والنهارِ إذا جلاها . والليلِ إذا يغشاها . أما بعدَ حمدِ اللهِ باريِ القلمِ . ومشرفِه بالقسمِ . وجعلِه أولَ ما خلقَ . وجملَ الورقَ بغصنِه كما جملَ الغصنَ بالورقِ . والصلاةِ على القائلِ : جفّتِ الأقلامُ . فإنَّ القلمَ قصبُ السباقِ . والكاتبُ بسبعةِ أقلامٍ من طبقاتِ الكتابِ في السبعِ الطباقِ . جرى بالقضاءِ والقدرِ . ونابَ عن اللسانِ فيما نهى وأمرَ . طالما أربى على البيضِ والسمرِ في ضرابِها وطعانِها . وقاتلَ في البعدِ والصوارمُ في القربِ ملءُ أجفانِها . وماذا يشبهُ القلمَ في طاعةِ ناسِه . ومشيِهِ لهم على أمِّ راسِه . (قالَ السيفُ) : بسمِ اللهِ الخافضِ الرافعِ . وأنزلنا الحديدَ فيهِ بأسٌ شديدٌ ومنافعُ . أما بعدَ حمدِ اللهِ الذي أنزلَ آيةَ السيفِ . فعظمَ بها حرمةَ الجرحِ وآمنَ خيفةَ الحيفِ والصلاةِ على الذي نفذَ بالسيفِ سطورَ الطروسِ . وخدمتهُ الأقلامُ ماشيةً على الرؤوسِ . وعلى آلهِ وصحبِه الذينَ أرهفتْ سيوفُهم . وبنيتْ بها على كسرِ الأعداءِ حروفُهم . فإنَّ السيفَ عظيمُ الدولةِ . شديدُ الصولةِ . محا أسطارَ البلاغةِ . وأساغَ ممنوعَ الإساغةِ . من اعتمدَ على غيرِه

فِي قَهْرِ ٱلْأَعْدَاءِ تَعَبٌ . وَكَيْفَ لَا وَفِي حَدِّهِ ٱلْحَدُّ بَيْنَ ٱلْجِدِّ وَٱللَّعِبِ . فَإِنْ كَانَ ٱلْقَلَمُ شَاهِدًا فَٱلسَّيْفُ قَاضِي . وَإِنِ ٱقْتَرَبَتْ مُجَادَلَتُهُ بِأَمْرٍ مُسْتَقْبَلٍ قَطَعَهُ ٱلسَّيْفُ بِفِعْلٍ مَاضِي . بِهِ ظَهَرَ ٱلدِّينُ . وَهُوَ ٱلْعُدَّةُ لِقَمْعِ ٱلْمُعْتَمِدِينَ . حَمَلَتْهُ دُونَ ٱلْقَلَمِ يَدُ نَبِيِّنَا . فَشَرُفَ بِذٰلِكَ فِي ٱلْأُمَمِ شَرَفًا بَيِّنًا . ٱلْجَنَّةُ تَحْتَ ظِلَالِهِ . وَلَاسِيَّمَا حِينَ يُسَلُّ فَتَرَى وَدْقَ ٱلدَّمِ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ . زُيِّنَتْ بِزِينَةِ ٱلْكَوَاكِبِ سَمَاءُ غِمْدِهِ . وَصَدَقَ ٱلْقَائِلُ : ٱلسَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءً مِنْ ضِدِّهِ . لَا يَعْبَثُ بِهِ ٱلْحَامِلُ . وَلَا يَتَنَاوَلُهُ كَٱلْقَلَمِ بِأَطْرَافِ ٱلْأَنَامِلِ . مَا هُوَ كَٱلْقَلَمِ ٱلْمُشَبَّهِ بِقَوْمٍ عُرُّوا عَنْ لُبُوسِهِمْ . ثُمَّ نُكِسُوا كَمَا قِيلَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ . فَكَأَنَّ ٱلسَّيْفَ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ . أَوْ كَوْكَبٍ رَاشِقٍ . مُقَدَّرًا فِي ٱلسَّرْدِ . فَهُوَ ٱلْجَوْهَرُ ٱلْفَرْدُ . لَا يُشْرَى كَٱلْقَلَمِ بِثَمَنٍ بَخْسٍ . وَلَا يَبْلَى كَمَا يَبْلَى ٱلْقَلَمُ بِسَوَادٍ وَطَمْسٍ . كَمْ لِقَائِمِهِ ٱلْمُنْتَظَرِ . مِنْ أَثَرٍ فِي عَيْنٍ أَوْ عَيْنٍ فِي أَثَرٍ . فَهُوَ فِي جِرَابِ ٱلْقَوْمِ قِوَامُ ٱلْحَرْبِ . وَلِهٰذَا جَاءَ مَطْبُوعَ ٱلشَّكْلِ دَاخِلَ ٱلضَّرْبِ . (قَالَ ٱلْقَلَمُ) : أَوَمَنْ يَنْشَأُ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ . يُفَاخِرُ وَهُوَ ٱلْقَائِمُ عَنِ ٱلشِّمَالِ ٱلْجَالِسَ عَلَى ٱلْيَمِينِ . أَنَا ٱلْمَخْصُوصُ بِٱلرِّيِّ وَأَنْتَ ٱلْمَخْصُوصُ بِٱلصَّدَى . أَنَا آلَةُ ٱلْحَيَاةِ وَأَنْتَ آلَةُ ٱلرَّدَى . مَا لِنْتَ إِلَّا بَعْدَ دُخُولِ ٱلسَّعِيرِ . وَمَا حُدِّدْتَ إِلَّا عَنْ ذَنْبٍ كَبِيرٍ . أَنْتَ تَنْفَعُ فِي ٱلْعُمْرِ سَاعَةً . وَأَنَا أُفْنِي ٱلْعُمْرَ فِي ٱلطَّاعَةِ . أَنْتَ لِلرَّهَبِ . وَأَنَا لِلرَّغَبِ . وَإِذَا كَانَ بَصَرُكَ حَدِيدًا فَبَصَرِي مَاءُ ذَهَبٍ . أَيْنَ

تَقْلِيدُكَ مِنِ اجْتِهَادِي . وَأَيْنَ نَجَاسَةُ دَمِكَ مِنْ تَطْهِيرِ مِدَادِي . (قَالَ السَّيْفُ) : أَمِثْلُكَ يُعَيِّرُ مِثْلِي بِالدِّمَاءِ . فَطَالَمَا أُمِرْتُ بَعْضَ فِرَاخِي وَهِيَ السِّكِّينُ . فَأَصْبَحَتْ مِنَ النَّفَّاثَاتِ فِي عُقَدِكَ يَا مِسْكِينُ . فَأَخْلَتْ مِنَ الْحَيَاةِ جُثْمَانَكَ . وَشَقَّتْ أَنْفَكَ وَقَطَعَتْ لِسَانَكَ . وَيْكَ إِنْ كُنْتَ لِلدِّيوَانِ فَمُحَاسِبٌ مَهْمُومٌ . أَوْ لِلْإِنْشَاءِ فَخَادِمٌ لِمَخْدُومٍ . أَوْ لِلْبَلِيغِ فَسَاحِرٌ مَذْمُومٌ . أَوْ لِلْفَقِيهِ فَنَاقِصٌ فِي الْمَعْلُومِ . أَوْ لِلشَّاعِرِ فَسَائِلٌ مَحْرُومٌ . أَوْ لِلشَّاهِدِ فَخَائِفٌ مَسْمُومٌ . أَوْ لِلْمُعَلِّمِ فَلِلْحَيِّ الْقَيُّومِ . وَأَمَّا أَنَا فَلِيَ الْوَجْهُ الْأَزْهَرُ . وَالْحِلْيَةُ وَالْجَوْهَرُ . وَالْهَيْبَةُ إِذَا أُشْهِرُ . وَالصُّعُودُ عَلَى الْمِنْبَرِ . شَكْلِي الْحَسَنُ عَلِيٌّ . وَلِمَ لَا أَحْمِلُكَ الْحَطَبَ بَدَلِي . ثُمَّ إِنِّي مَمْلُوكٌ كَمَالِكِي . فَإِنَّكَ كَنَاسِكٍ . أَسْلُكُ الطَّرَائِقَ . وَأَقْطَعُ الْعَلَائِقَ . (قَالَ الْقَلَمُ) : أَمَّا أَنَا فَابْنُ مَاءِ السَّمَاءِ . وَأَلِيفُ الْغَدِيرِ وَحَلِيفُ الْهَوَاءِ . وَأَمَّا أَنْتَ فَابْنُ النَّارِ وَالدُّخَانِ . وَبَاتِرُ الْأَعْمَارِ وَخَوَّانُ الْإِخْوَانِ . تَفْصِلُ مَا لَا يُفْصَلُ . وَتَقْطَعُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ . لَا جَرَمَ شُمِّرَ السَّيْفُ وَصُقِلَ قَفَاهُ . سُقِيَ مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ مِعَاهُ . يَا غُرَابَ الْبَيْنِ . وَيَا عُدَّةَ الْحَيْنِ . وَيَا مُعْتَلَّ الْعَيْنِ . وَيَا ذَا الْوَجْهَيْنِ . كَمْ أَفْنَيْتَ وَأَعْدَمْتَ . وَأَرْمَلْتَ وَأَيْتَمْتَ . (قَالَ السَّيْفُ) : يَا ابْنَ الطِّينِ . أَلَسْتَ ضَامِرًا وَأَنْتَ بَطِينٌ . كَمْ جَرَيْتَ بِعَكْسٍ . وَتَصَرَّفْتَ فِي مَكْسٍ . وَزَوَّرْتَ وَحَرَّفْتَ . وَنَكَّرْتَ وَعَرَّفْتَ . وَسَطَّرْتَ هَجْوًا وَشَتْمًا . وَخَلَّدْتَ عَارًا وَذَمًّا أَبْشِرْ بِفَرْطِ رَوْعَتِكَ . وَشِدَّةِ خِيفَتِكَ . إِذَا قِسْتَ بَيَاضَ

صَفيحتي بِسوادِ صَحيفتك. فَألِنْ خِطابَكَ فأنتَ قصيرُ المُدَّةِ. وأحسِنْ جوابَكَ فعندي حِدَّةٌ. وأقلِلْ مِنْ غِلظتِكَ وجبهِكَ. واشتغِلْ عن ذمِّ فِي وجهي بمدَّةٍ فِي وجهكَ. وإلا فأذنْ ضربةً مِنِّي تَرومُ أرومتكَ. فتستأصِلُ أصلكَ وتجتثُّ جرثومتكَ. فسقياً لِمَنْ غابَ بكَ عن غابِكَ. ورعياً لِمَنْ أهابَ بكَ لِسلخِ إهابِكَ. (فلما رأى القلمُ) السيفَ قدِ احتدّ. ألانَ لهُ مِنْ خِطابِهِ ما اشتدّ. وقالَ: أما الأدبُ فيؤخذُ عنِّي. وأما اللطفُ فيُكتسبُ مِنِّي. فإنْ لِنتَ لِنتَ. وإنْ أحسنتَ أحسنتَ. نحنُ أهلُ السمعِ والطاعةِ. ولهذا تُجمعُ فِي الدَّواةِ الواحدةِ مِنا جماعةٌ. وأما أنتم فأهلُ الحدَّةِ والخلافِ. ولهذا لم يجمعوا بينَ سيفينِ فِي غلافٍ. (قالَ السيفُ): أمكراً ودعوى عِفَّةٍ. لِأمرٍ ما جدعَ قصيرٌ أنفَهُ لو كنتَ كما زعمتَ ذا أدبٍ. لما قابلتَ رأسَ الكاتبِ بعقدةِ الذنبِ. أنا ذو الصيتِ والصوتِ. وغراراي لسانا مشرفيٍّ ينتجلُ غرائبَ الموتِ. أنا مِنْ مارجٍ مِنْ نارٍ. والقلمُ مِنْ صلصالٍ كالفخارِ. وإذا زعمَ القلمُ أنهُ مثلي أمرتُ مَنْ يدقُّ رأسهُ بنعلي. (قالَ القلمُ): صهْ فصاحبُ السيفِ بلا سعادةٍ كالأعزلِ. (قالَ السيفُ) مهْ فقلمُ البليغِ بغيرِ حظٍّ مِغزلٌ. (قالَ القلمُ): أنا أزكى وأطهرُ. (قالَ السيفُ): أنا أبهى وأبهرُ. فتلا (ذو القلمِ) لقلمِهِ: إنَّا أعطيناكَ الكوثرَ. فتلا (صاحبُ السيفِ) لسيفِهِ: فصلِّ لربكَ وانحرْ. فتلا ذو القلمِ لقلمِهِ: إنَّ شانئكَ هوَ الأبترُ. (قالَ): أما وكتابي

ٱلْمَسْطُورِ. وَبَيْتِي ٱلْمَعْمُورِ. وَٱلتَّوْرَاةِ وَٱلْإِنْجِيلِ. وَٱلْقُرْآنِ ذِي ٱلتَّبْجِيلِ. إِنْ لَمْ تَكُفَّ عَنِّي غَرْبَكَ. وَتُبْعِدْ مِنِّي قُرْبَكَ. لَأَكْتُبَنَّكَ مِنَ ٱلصُّمِّ ٱلْبُكْمِ. وَلَأُسَطِّرَنَّ عَلَيْكَ بِعِلْمِي سِجِلًّا بِهٰذَا ٱلْحُكْمِ. (قَالَ ٱلسَّيْفُ): أَمَا وَمَتْنِي ٱلْمَتِينِ. وَفَتْحِي ٱلْمُبِينِ. وَلِسَانِيَ ٱلرَّطِينِ. وَوَجْهِيَ ٱلصَّلْتِينِ. إِنْ لَمْ تَغِبْ عَنْ بَيَاضِي بِسَوَادِكَ. لَأُسَخِّمَنَّ وَجْهَكَ بِمِدَادِكَ. وَلَقَدْ كَسَبْتُ مِنَ ٱلْأَسَدِ فِي ٱلْغَابَةِ. تَوْقِيحَ ٱلْعَيْنِ وَٱلصَّلَابَةِ. مَعَ أَنِّي مَا أَلَوْتُكَ نُصْحًا. أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا. (قَالَ ٱلْقَلَمُ): سَلِّمْ إِلَيَّ مَعَ مَنْ سَلَّمَ. إِنْ كُنْتَ أَعْلَى فَأَنَا أَعْلَمُ. وَإِنْ كُنْتَ أَحْلَى فَأَنَا أَحْلَمُ. وَإِنْ كُنْتَ أَقْوَى فَأَنَا أَقْوَمُ. أَوْ كُنْتَ أَلْوَى فَأَنَا أَلْوَمُ. أَوْ كُنْتَ أَطْرَى فَأَنَا أَطْرَبُ. أَوْ كُنْتَ أَعْلَى فَأَنَا أَغْلَبُ. أَوْ كُنْتَ أَعْتَى فَأَنَا أَعْتَبُ. أَوْ كُنْتَ أَقْضَى فَأَنَا أَقْضَبُ. (قَالَ ٱلسَّيْفُ): كَيْفَ لَا أُفَضِّلُكَ وَٱلْمَقَرُّ ٱلْفُلَانِيُّ شَادٌّ أَزْرِي. (قَالَ ٱلْقَلَمُ): كَيْفَ لَا أُفَضِّلُكَ وَهُوَ عَزَّ نَصْرُهُ وَلِيُّ أَمْرِي

(قَالَ ٱلْحَكَمُ بَيْنَ ٱلسَّيْفِ وَٱلْقَلَمِ): فَلَمَّا رَأَيْتُ ٱلْحُجَّتَيْنِ نَاهِضَتَيْنِ. وَٱلْبَيِّنَتَيْنِ بَيِّنَتَيْنِ مُتَعَارِضَتَيْنِ. وَعَلِمْتُ أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا نِسْبَةً صَحِيحَةً إِلَى هٰذَا ٱلْمَقَرِّ ٱلْكَرِيمِ. وَرِوَايَةً مُسْنَدَةً عَنْ حَدِيثِهِ ٱلْقَدِيمِ. لَطُفَتِ ٱلْوَسِيلَةُ. وَدَقَّتِ ٱلْحِيلَةُ. حَتَّى رَدَدْتُ ٱلْقَلَمَ إِلَى كِنِّهِ. وَأَغْمَدْتُ ٱلسَّيْفَ فَنَامَ مِلْءَ جَفْنِهِ. وَأَخَّرْتُ بَيْنَهُمَا ٱلتَّرْجِيحَ. وَسَكَتُّ عَمَّا هُوَ عِنْدِيَ ٱلصَّحِيحُ. إِلَى أَنْ يَحْكُمَ ٱلْمَقَرُّ بَيْنَهُمَا بِعِلْمِهِ. وَيَسْكُنَ

سَوْرَةَ غَضَبِهِمَا ٱلْوَافِرِ وَلَجَاجِهِمَا ٱلْمَدِيدِ بِبَسِيطِ حِلْمِهِ . وَيُعَامِلُهُمَا بِمَا وَقَرَ فِي صَدْرِهِ مِنَ ٱلْوَقَارِ وَسَكَنَ فِي قَلْبِهِ مِنَ ٱلسَّكِينَـــةِ . وَإِذَا كَانَ فِي هٰذِهِ ٱلْمَدِينَةِ مَالِكُنَا فَلَا يُفْتَى وَمَالِكٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ

مشاورة المهدي لاهل بيتهِ في حرب خراسان

٦٥ هذا ما تراجع فيه المهديّ ووزراؤُهُ وما دار بينهم من تدبير الراي في حرب خراسان أيّام تحاملت عليهم العمّال واعتفت . فحملتهم الدالّة وما تقدّم لهم من المكانة على أن نكثوا بيعتهم ونقضوا موثقهم وطردوا العمّال والتووا بما عليهم من الخراج . وحمل المهديَّ ما يُحِبّ من مصلحتهم ويكره من عنتهم على أن أقال عثرتهم واغتفر زلّتهم . واحتمل دالّتهم تطوّلًا بالفضل واتساعًا بالعفو وأخذًا بالحجّة ورفقًا بالسياسة . ولذلك لم يزل مذ حمّلهُ الله أعباء الخلافة وقلّده أمور الرعيّة رفيقًا بمدار سلطانه بصيرًا باهل زمانه باسطًا للمعدلة في رعيّته تسكن الى كنفهِ وتأنس بعفوهِ وتثق بحلمهِ . فاذا وقعت الأقضية اللازمة والحقوق الواجبة فليس عندهُ مَوَادةٌ ولا إغضاءٌ ولا مداهنةٌ اثرةً للحقّ وقيامًا بالعدل وأخذًا بالحزم . فدعا أهل خراسان الاغترار بحلمهِ والثقة بعفوهِ أن كسروا الخراج وطردوا العمّال وسألوا ما ليس لهم من الحقّ . ثمّ خلطوا احتجاجًا باعتذارٍ وخصومةً باقرارٍ وتنصُّلًا باعتلالٍ . فلمّا انتهى ذلك الى المهديّ خرج الى مجلس خلائهِ وبعث الى نفرٍ من لحمتهِ ووزرائهِ فاعلمهم الحال واستنصحهم للرعيَّة . ثمّ أمر الموالي بالابتداء وقال للعبّاس بن محمدٍ : أي عمّ تعقّب قولنا وكن حكمًا بيننا . وأرسل الى ولديهِ موسى وهارون فاحضرهما الأمر وشاركهما في الراي وأمر محمد بن الليث بحفظ مراجعتهم واثبات مقالتهم في كتاب

(فَقَالَ سَلَّامٌ صَاحِبُ ٱلْمَظَالِمِ) : أَيُّهَا ٱلْمَهْدِيُّ إِنَّ فِي كُلِّ أَمْرٍ غَايَةً وَلِكُلِّ قَوْمٍ صِنَاعَةً ٱسْتَفْرَغَتْ رَأْيَهُمْ وَٱسْتَغْرَقَتْ أَشْغَالَهُمْ وَٱسْتَنْفَدَتْ أَعْمَارَهُمْ . وَذَهَبُوا بِهَا وَذَهَبَتْ بِهِمْ وَعُرِفُوا بِهَا وَعُرِفَتْ بِهِـمْ . وَلِهٰذِهِ ٱلْأُمُورِ ٱلَّتِي جُعِلْنَا فِيهَا غَايَةً وَطَلَبَتْ مَعُـونَتَنَا عَلَيْهَا أَقْوَامٌ مِنْ أَبْنَاءِ ٱلْحَرْبِ وَسَاسَةِ ٱلْأُمُورِ وَقَادَةِ ٱلْجُنُـودِ وَفُرْسَانِ ٱلْهَزَاهِزِ وَإِخْوَانِ ٱلتَّجَارِبِ وَأَطْفَالِ ٱلْوَقَائِعِ ٱلَّذِينَ شَحَتْهُمْ سِجَالُهَا . وَفَيَّأَتْهُمْ ظِـلَالُهَا .

وعفتهم شدائدها. وقرمتهم نواجذها. فلو عجمت ما قبلهم وكشفت ما عندهم لوجدت نظائر تؤيد أمرك. وتجارب توافق نظرك. ولأحاديث تقوي قلبك. فأما نحن معاشر عمالك وأصحاب دواوينك فحسن بنا وكثير منا أن نقوم بثقل ما حملتنا من عملك واستودعتنا من أمانتك. وشغلتنا به من إمضاء عدلك وإنفاذ حكمك وإظهار حقك. (فأجابه المهدي:) إن في كل قوم حكمة ولكل زمان سياسة وفي كل حال تدبيرا يبطل الآخر الأول ونحن أعلم بزماننا وتدبير سلطاننا. (قال): نعم أيها المهدي أنت متسع الرأي وثيق العقدة. قوي المنة بليغ الفطنة. معصوم النية محضور الروية. مؤيد البديهة موفق العزيمة. معان بالظفر مهدي إلى الخير. إن هممت ففي عزمك مواقع الظن. وإن اجتمعت صدع فعلك ملتبس الشك. فاعزم يهد الله إلى الصواب قلبك. وقل ينطق الله بالحق لسانك. فإن جنودك جمة وخزائنك عامرة ونفسك سخية وأمرك نافذ. (فأجابه المهدي): إن المشاورة والمناظرة بابا رحمة ومفتاحا بركة لا يهلك عليهما رأي ولا يتفيل معهما حزم. فأشيروا برأيكم وقولوا بما يحضركم فإني من ورائكم وتوفيق الله من وراء ذلك. (قال الربيع): أيها المهدي إن تصاريف وجوه الرأي كثيرة. وإن الإشارة ببعض معاريض القول يسيرة. ولكن خراسان أرض بعيدة المسافة متراخية الشقة متفاوتة السبيل. فإذا ارتأيت من محكم التدبير ومبرم

التقدير ولباب الصواب رأيا قد أحكمه نظرك وقلبه تدبيرك فليس وراءه مذهب طاعن ولا دونه معلق لخصومة عائب. ثم أجبت البرد به وانطوت الرسل عليه كان بالحري أن لا يصل إليهم محكمه. وقد حدث منهم ما ينقضه. فالدهر أن ترجع إليك الرسل وترد عليك الكتب بحقائق أخبارهم وشوارد آثارهم ومصادر أمورهم. فتحدث رأيا غيره وتبتدع تدبيرا سواه. قد انفرجت الحلق وتحللت العقد واسترخى الخناق وامتد الزمان. ثم لعلما موقع الآخرة كمصدر الأولى. ولكن الرأي لك أيها المهدي وفقك الله أن تصرف إجالة النظر وتقليب الفكر فيما جمعتنا له واستشرتنا فيه. من التدبير لحربهم والحيل في أمرهم إلى الطلب لرجل ذي دين فاضل. وعقل كامل. وورع واسع ليس موصوفا بهوى في سواك. ولا متهما في أثرة عليك ولا ظنينا على دخلة مكروهة. ولا منسوبا إلى بدعة محذورة. فيقدح في ملكك ويربض الأمور لغيرك. ثم تسند إليه أمورهم وتفوض إليه حربهم وتأمره في عهدك ووصيتك إياه بلزوم أمرك ما لزمه الحزم وخلاف نهيك إذا خالفه الرأي عن استحالة الأمور واشتداد الأحوال التي ينقض أمر الغائب عنها ويثبت رأي الشاهد لها. فإنه إذا فعل ذلك فواثب أمرهم من قريب وسقط عنه ما يأتي من بعيد تمت الحيلة وقويت المكيدة ونفذ العمل وأحد النظر إن شاء الله. (قال الفضل بن العباس): أيها المهدي إن

وَلِيَ الْأُمُورِ وَسَائِسَ الْحُرُوبِ رُبَّمَا نَحَّى جُنُودَهُ وَفَرَّقَ أَمْوَالَهُ فِي غَيْرِ مَا ضِيقِ أَمْرٍ حَزَبَهُ وَلَا ضَغْطَةِ حَالٍ اضْطَرَّتْهُ فَيَقْعُدُ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا وَبَعْدَ التَّفْرِقَةِ لَهَا عَدِيمًا مِنْهَا فَاقِدًا لَهَا لَا يَثِقُ بِقُوَّةٍ وَلَا يَصُولُ بِعُدَّةٍ وَلَا يَفْزَعُ إِلَى ثِقَةٍ . فَالرَّأْيُ لَكَ أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ وَفَّقَكَ اللَّهُ أَنْ تُعْفِيَ خَزَائِنَكَ مِنَ الْإِنْفَاقِ لِلْأَمْوَالِ وَجُنُودَكَ مِنْ مُكَابَدَةِ الْأَسْفَارِ وَمُقَارَعَةِ الْخِطَارِ وَتَغْرِيرِ الْقِتَالِ . وَلَا تُسْرِعْ لِلْقَوْمِ فِي الْإِجَابَةِ إِلَى مَا يَطْلُبُونَ وَالْعَطَاءِ لِمَا يَسْأَلُونَ فَيَفْسُدَ عَلَيْكَ أَدَبُهُمْ وَتُجَرِّئَ مِنْ رَعِيَّتِكَ غَيْرَهُمْ . وَلَكِنِ اغْزُهُمْ بِالْحِيلَةِ وَقَاتِلْهُمْ بِالْمَكِيدَةِ وَصَارِعْهُمْ بِاللِّينِ وَخَاتِلْهُمْ بِالرِّفْقِ . وَأَبْرِقْ لَهُمْ بِالْقَوْلِ وَأَرْعِدْ نَحْوَهُمْ بِالْفِعْلِ . وَابْعَثِ الْبُعُوثَ وَجَنِّدِ الْجُنُودَ وَكَتِّبِ الْكَتَائِبَ وَاعْقِدِ الْأَلْوِيَةَ وَانْصِبِ الرَّايَاتِ . وَأَظْهِرْ أَنَّكَ مُوَجِّهٌ إِلَيْهِمُ الْجُيُوشَ مَعَ أَحْنَقِ قُوَّادِكَ عَلَيْهِمْ وَأَسْوَئِهِمْ أَثَرًا فِيهِمْ . ثُمَّ ادْسُسِ الرُّسُلَ وَابْثُثِ الْكُتُبَ وَضَعْ بَعْضَهُمْ عَلَى طَمَعٍ مِنْ وَعْدِكَ وَبَعْضًا عَلَى خَوْفٍ مِنْ وَعِيدِكَ . وَأَوْقِدْ بِذَلِكَ وَأَشْبَاهِهِ نِيرَانَ التَّحَاسُدِ فِيهِمْ وَاغْرِسْ أَشْجَارَ التَّنَافُسِ بَيْنَهُمْ . حَتَّى تَمْلَأَ الْقُلُوبَ مِنَ الْوَحْشَةِ وَتَنْطَوِيَ الصُّدُورُ عَلَى الْبِغْضَةِ وَيَدْخُلَ كُلًّا مِنْ كُلٍّ الْحَذَرُ وَالْهَيْبَةُ . فَإِنَّ مَرَامَ الظَّفَرِ بِالْغِيلَةِ . وَالْقِتَالَ بِالْحِيلَةِ . وَالْمُنَاهَبَةَ بِالْكُتُبِ وَالْمُكَايَدَةَ بِالرُّسُلِ وَالْمُقَارَعَةَ بِالْكَلَامِ اللَّطِيفِ الْمَدْخَلِ فِي الْقُلُوبِ الْقَوِيِّ الْمَوْقِعِ مِنَ النُّفُوسِ الْمَعْقُودِ بِالْحُجَجِ الْمَوْصُولِ بِالْحِيَلِ الْمَبْنِيِّ عَلَى اللِّينِ الَّذِي يَسْتَمِيلُ الْقُلُوبَ وَيَسْتَرِقُّ

العقول والآراء. ويستميل الأهواء. ويستدعي المواتاة أنفذ من القتال بظبات السيوف وأسنة الرماح. كما أن الوالي الذي يستنزل طاعة رعيته بالحيل ويفرق كلمة عدوه بالمكايدة أحكم عملا وألطف منظرا وأحسن سياسة من الذي لا ينال ذلك إلا بالقتال والإتلاف للأموال والتغرير والخطار. وليعلم المهدي أنه إن وجه لقتالهم رجلا لم يسر لقتالهم إلا بجنود كثيفة تخرج عن حال شديدة وتقدم على أسفار ضيقة وأموال متفرقة وقواد غششة إن ائتمنهم استنفدوا ماله وإن استنصحهم كانوا عليه لا له. (قال المهدي): هذا رأي قد أسفر نوره وأبرق ضوءه وتمثل صوابه للعيون ومجد حقه في القلوب. ولكن فوق كل ذي علم عليم. ثم نظر إلى ابنه علي. فقال: ما تقول. (قال علي): أيها المهدي إن أهل خراسان لم يخلعوا عن طاعتك ولم ينصبوا من دونك أحدا يقدح في تغيير ملكك ويريض الأمور لفساد دولتك. ولو فعلوا لكان الخطب أيسر والشأن أصغر. والحال أذل لأن الله مع حقه الذي لا يخذله وعند موعده الذي لا يخلفه. ولكنهم قوم من رعيتك وطائفة من شيعتك الذين جعلك الله عليهم واليا. وجعل العدل بينك وبينهم حاكما. طلبوا حقا وسألوا إنصافا. فإن أجبت إلى دعوتهم ونفست عنهم قبل أن يتلاحم منهم حال أو يحدث من عندهم فتق أطعت أمر الرب. وأطفأت نائرة الحرب. ووفرت خزائن المال. وطرحت تغرير القتال. وحمل

ٱلنَّاسُ مَحْمَلَ ذٰلِكَ عَلَى طَبِيعَةِ جُودِكَ وَسَجِيَّةِ حِلْمِكَ وَإِسْجَاحِ خَلِيقَتِكَ وَمَعْدَلَةِ نَظَرِكَ. فَأَمِنْتَ أَنْ تُنْسَبَ إِلَى ضَعْفٍ وَأَنْ يَكُونَ ذٰلِكَ فِيمَا بَقِيَ دُرْبَةً. وَإِنْ مَنَعْتَهُمْ مَا طَلَبُوا وَلَمْ تُجِبْهُمْ إِلَى مَا سَأَلُوا ٱعْتَدَلَتْ بِكَ وَبِهِمِ ٱلْحَالُ وَسَاوَيْتَهُمْ فِي مَيْدَانِ ٱلْخِطَابِ فَمَا أَرَبُ ٱلْمَهْدِيِّ أَنْ يَعْمِدَ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْ رَعِيَّتِهِ مُقِرِّينَ بِمَمْلَكَتِهِ مُذْعِنِينَ بِطَاعَتِهِ لَا يُخْرِجُونَ أَنْفُسَهُمْ عَنْ قُدْرَتِهِ فَيُمَلِّكَهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَيَخْلَعَ نَفْسَهُ عَنْهُمْ وَيَقِفَ عَلَى ٱلْحِيَلِ مَعَهُمْ. ثُمَّ يُجَازِيَهِمُ ٱلسُّوءَ فِي حَدِّ ٱلْمُقَارَعَةِ وَمِضْمَارِ ٱلْمُخَاطَرَةِ. أَيُرِيدُ ٱلْمَهْدِيُّ وَفَّقَهُ ٱللّٰهُ ٱلْأَمْوَالَ فَلَعَمْرِي لَا يَنَالُهَا وَلَا يَظْفَرُ بِهَا إِلَّا بِإِنْفَاقِ أَكْثَرَ مِنْهَا مِمَّا يُطْلَبُ مِنْهُمْ وَإِضْعَافِ مَا يَدَّعِي قِبَلَهُمْ. وَلَوْ نَالَهَا فَحُمِلَتْ إِلَيْهِ أَوْ وُضِعَتْ بِخَرَائِطِهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ تَجَافَى لَهُمْ عَنْهَا وَطَالَ عَلَيْهِمْ بِهَا لَكَانَ مِمَّا إِلَيْهِ يُنْسَبُ وَبِهِ يُعْرَفُ مِنَ ٱلْجُودِ ٱلَّذِي طَبَعَهُ ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَجَعَلَ قُرَّةَ عَيْنِهِ وَنَهْمَةَ نَفْسِهِ فِيهِ. فَإِنْ قَالَ ٱلْمَهْدِيُّ: هٰذَا رَأْيٌ مُسْتَقِيمٌ سَدِيدٌ فِي أَهْلِ ٱلْخَرَاجِ ٱلَّذِينَ شَكَوْا ظُلْمَ عُمَّالِنَا وَتَحَامُلَ وُلَاتِنَا. فَأَمَّا ٱلْجُنُودُ ٱلَّذِينَ نَقَضُوا مَوَاثِيقَ ٱلْعُهُودِ وَأَنْطَقُوا لِسَانَ ٱلْإِرْجَافِ وَفَتَحُوا بَابَ ٱلْمَعْصِيَةِ وَكَسَرُوا قَيْدَ ٱلْفِتْنَةِ فَقَدْ يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ أَجْعَلَهُمْ نَكَالًا لِغَيْرِهِمْ وَعِظَةً لِسِوَاهُمْ. فَلْيَعْلَمِ ٱلْمَهْدِيُّ أَنَّهُ لَوْ أُتِيَ بِهِمْ مَغْلُولِينَ فِي ٱلْحَدِيدِ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ، ثُمَّ ٱتَّسَعَ لِحَقْنِ دِمَائِهِمْ عَفْوُهُ. وَلِإِقَالَةِ عَثْرَتِهِمْ صَفْحُهُ. وَٱسْتَبْقَاهُمْ لِمَا هُمْ فِيهِ مِنْ حَرْبِهِ أَوْ لِمَنْ بِإِزَائِهِمْ مِنْ عَدُوِّهِ لَمَا كَانَ بِدْعًا مِنْ رَأْيِهِ وَلَا مُسْتَنْكَرًا مِنْ نَظَرِهِ. لَقَدْ عَلِمَتِ

ٱلْعَرَبُ أَنَّهُ أَعْظَمُ ٱلْخُلَفَاءِ وَٱلْمُلُوكِ عَفْوًا وَأَشَدُّهُمْ وَقْعًا وَأَصْدَقُهُمْ صَوْلَةً. وَأَنَّهُ لَا يَتَعَاظَمُهُ عَفْوٌ وَلَا يَتَكَاءَدُهُ صَفْحٌ وَإِنْ عَظُمَ ٱلذَّنْبُ وَجَلَّ ٱلْخَطْبُ. فَٱلرَّأْيُ لِلْمَهْدِيِّ وَفَّقَهُ ٱللهُ أَنْ يُحَلِّلَ عُقَدَهُمُ ٱلْغَيْظَ بِٱلرَّجَاءِ لِحُسْنِ ثَوَابِ ٱللهِ فِي ٱلْعَفْوِ عَنْهُمْ. وَأَنْ يَذْكُرَ أَوْلَى حَالَاتِهِمْ وَضَيْعَةَ عِيَالَاتِهِمْ بِرًّا بِهِمْ وَتَوَسُّعًا لَهُمْ. فَإِنَّهُمْ إِخْوَانُ دَوْلَتِهِ وَأَرْكَانُ دَعْوَتِهِ وَأَسَاسُ حَقِّهِ ٱلَّذِينَ بِعِزَّتِهِمْ يَصُولُ وَبِحُجَّتِهِمْ يَقُولُ. وَإِنَّمَا مَثَلُهُمْ فِيمَا دَخَلُوا فِيهِ مِنْ مَسَاخِطِهِ وَتَعَرَّضُوا لَهُ مِنْ مَعَاصِيهِ وَٱنْطَوَوْا فِيهِ عَنْ إِجَابَتِهِ. وَمَثَلُهُ فِي قِلَّةِ مَا غَيَّرَ ذَٰلِكَ مِنْ رَأْيِهِ فِيهِمْ أَوْ نَقَلَ عَنْ حَالِهِ لَهُمْ أَوْ تَغَيَّرَ مِنْ نِعْمَتِهِ بِهِمْ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ أَخَوَيْنِ مُتَنَاصِرَيْنِ مُتَوَازِرَيْنِ أَصَابَ أَحَدَهُمَا خَبَلٌ عَارِضٌ وَلَهْوٌ حَادِثٌ فَنَهَضَ إِلَى أَخِيهِ بِٱلْأَذَى وَتَحَامَلَ عَلَيْهِ بِٱلْمَكْرُوهِ. فَلَمْ يَزْدَدْ أَخُوهُ إِلَّا رِقَّةً لَهُ وَلُطْفًا بِهِ وَٱحْتِيَالًا لِمُدَاوَاةِ مَرَضِهِ وَمُرَاجَعَةِ حَالِهِ عَطْفًا عَلَيْهِ وَبِرًّا بِهِ وَمَرْحَمَةً لَهُ. (فَقَالَ ٱلْمَهْدِيُّ:) أَمَّا عَلِيٌّ فَقَدْ كَوَى سِمَتَ ٱللِّيَانِ. وَفَضَّ ٱلْقُلُوبَ فِي أَهْلِ خُرَاسَانَ. وَلِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ. فَقَالَ: مَا تَرَى يَا أَبَا مُحَمَّدٍ (يَعْنِي مُوسَى ٱبْنَهُ). (فَقَالَ مُوسَى:) أَيُّهَا ٱلْمَهْدِيُّ لَا تَسْكُنْ إِلَى حَلَاوَةِ مَا يَجْرِي مِنَ ٱلْقَوْلِ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ وَأَنْتَ تَرَى ٱلدِّمَاءَ تَسِيلُ مِنْ خَلَلِ فِعْلِهِمْ. ٱلْحَالُ مِنَ ٱلْقَوْمِ يُنَادِي بِمُضْمَرَةِ شَرٍّ وَخَفِيَّةِ حِقْدٍ. قَدْ جَعَلُوا ٱلْمَعَاذِيرَ عَلَيْهَا سِتْرًا وَٱتَّخَذُوا ٱلْعِلَلَ مِنْ دُونِهَا حِجَابًا. رَجَاءَ أَنْ يُدَافِعُوا ٱلْأَيَّامَ بِٱلتَّأْخِيرِ وَٱلْأُمُورَ بِٱلتَّطْوِيلِ فَيَكْسِرُوا حِيَلَ ٱلْمَهْدِيِّ فِيهِمْ وَيُفْنُوا جُنُودَهُ عَنْهُمْ. حَتَّى يَتَلَاحَمَ أَمْرُهُمْ

وَتَلاحق مادّتهم وتستفحل حربهم وتستمر الأمور بهم . والمهدي من قولهم في حال غرّة ولباس أمنة قد فتر لها وأنس بها وسكن إليها . ولولا ما اجتمعت به قلوبهم وبردت عليه جلودهم من المناصبة بالقتال والإضمار للقراع عن داعية ضلال أو شيطان فساد لرهبوا عواقب أخبار الولاة وغب سكون الأمور . فليشدد المهدي وفقه الله أزره لهم ويكتب كتائبه نحوهم وليضع الأمر على أشد ما يحضره فيهم . وليوقن أنه لا يعطيهم خطة يريد بها صلاحهم إلا كانت دربة إلى فسادهم وقوة على معصيتهم وداعية إلى عودتهم وسببا لفساد من بحضرته من الجنود . ومن ببابه من الوفود . الذين إن أقرهم وتلك العادة وأجراهم على ذلك الأرب . لم يبرح في فتق حادث وخلاف حاضر لا يصلح عليه دين ولا تستقيم به دنيا . وإن طلب تغييره بغير استحكام العادة واستمرار الدربة لم يصل إلى ذلك إلا بالعقوبة المفرطة والمؤونة الشديدة . والرأي للمهدي وفقه الله أن لا يقيل عثرتهم ولا يقبل معذرتهم حتى تطأهم الجيوش وتأخذهم السيوف . ويستحر بهم القتل ويحدق بهم الموت . ويحيط بهم البلاء ويطبق عليهم الذل . فإن فعل المهدي بهم ذلك كان مقطعة لكل عادة سوء فيهم . وهزيمة لكل عادة سوء فيهم . واحتمال المهدي في مؤونة غزوتهم هذه تضع عنه غزوات كثيرة ونفقات عظيمة

(قال المهدي) : قد قال القوم فاحكم يا أبا الفضل . (فقال

العباس بن محمد) : أيها المهدي أما الموالي فأخذوا بفروع الرأي وسلكوا جنبات الصواب وتعدوا أمورا قصر بنظرهم عنها أنه لم تأت تجاربهم عليها . (وأما الفضل) فأشار بالأموال أن لا تنفق والجنود أن لا تفرق . وبأن لا يعطى القوم ما طلبوا ولا يبذل لهم ما سألوا . وجاء بأمر بين ذلك استصغارا لأمرهم واستهانة بحربهم وإنما يهيج جسيمات الأمور صغارها . (أما علي) فأشار باللين وأفرد الرفق وإذا جرد الوالي لمن غمط أمره وسفه حقه اللين بحتا والخير محضا لم يخلطهما بشدة تعطف القلوب على لينه ولا بشر يحبسهم إلى خيره . فقد ملكهم الخلع لعذرهم ووسع لهم الفرجة لثني أعناقهم . فإن أجابوا دعوته وقبلوا لينه من غير خوف اضطرهم ولا شدة ونزوة في رؤوسهم يستدعون بها البلاء إلى أنفسهم ويستصرخون بها رأي المهدي فيهم . وإن لم يقبلوا دعوته ويسرعوا لإجابته باللين المحض والخير الصراح فذلك ما عليه الظن بهم والرأي فيهم وما قد يشبه أن يكون من مثلهم . لأن الله تعالى خلق الجنة وجعل فيها من النعيم المقيم والملك الكبير ما لا يخطر على قلب بشر ولا تدركه الفكر ولا تعلمه نفس ثم دعا الناس إليها ورغبهم فيها . فلولا أنه خلق نارا جعلها لهم رحمة يسوقهم بها إلى الجنة لما أجابوا ولا قبلوا . (وأما موسى) فأشار بأن يعصبوا بشدة لا لين فيها وأن يرموا بشر لا خير معه . وإذا أضمر الوالي لمن فارق طاعته وخالف جماعته

الْخَوْفَ مُفْرَدًا وَالشَّرَّ مُجَرَّدًا لَيْسَ مَعَهُمَا طَمَعٌ وَلَا لِينٌ يَثْنِيهِمُ اشْتَدَّتِ الْأُمُورُ بِهِمْ وَانْقَطَعَتِ الْحَالُ مِنْهُمْ إِلَى أَحَدِ أَمْرَيْنِ : إِمَّا أَنْ تَدْخُلَهُمُ الْحَمِيَّةُ مِنَ الشِّدَّةِ وَالْأَنَفَةُ مِنَ الذِّلَّةِ وَالِامْتِعَاضُ مِنَ الْقَهْرِ فَيَدْعُوهُمْ ذٰلِكَ إِلَى التَّمَادِي فِي الْخِلَافِ وَالِاسْتِبْسَالِ فِي الْقِتَالِ وَالِاسْتِسْلَامِ لِلْمَوْتِ . وَإِمَّا أَنْ يَنْقَادُوا بِالْكُرْهِ وَيُذْعِنُوا بِالْقَهْرِ عَلَى بِغْضَةٍ لَازِمَةٍ وَعَدَاوَةٍ بَاقِيَةٍ تُورِثُ النِّفَاقَ وَتُعْقِبُ الشِّقَاقَ . فَإِذَا أَمْكَنَتْهُمْ فُرْصَةٌ أَوْ ثَابَتْ لَهُمْ قُدْرَةٌ أَوْ قَوِيَتْ لَهُمْ حَالٌ عَادَ أَمْرُهُمْ إِلَى أَصْعَبَ وَأَغْلَظَ وَأَشَدَّ مِمَّا كَانَ . (وَقَالَ) فِي قَوْلِ أَبِي الْفَضْلِ أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ أَكْفَى دَلِيلٍ وَأَوْضَحُ بُرْهَانٍ وَأَبْيَنُ خَبَرٍ . بِأَنْ قَدْ أَجْمَعَ رَأْيَهُ وَحَزَمَ نَظَرَهُ عَلَى الْإِرْشَادِ بِبَعْثَةِ الْجُيُوشِ إِلَيْهِمْ وَتَوْجِيهِ الْبُعُوثِ نَحْوَهُمْ مَعَ إِعْطَائِهِمْ مَا سَأَلُوا مِنَ الْحَقِّ وَإِجَابَتِهِمْ إِلَى مَا سَأَلُوهُ مِنَ الْعَدْلِ . (قَالَ الْمَهْدِيُّ) : ذٰلِكَ رَأْيِي . (قَالَ هَارُونُ) : خَلَطْتَ الشِّدَّةَ أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ بِاللِّينِ . وَانْتَظَمَ أَمْرُ الدُّنْيَا بِالدِّينِ . فَصَارَتِ الشِّدَّةُ أَمَرَّ فِطَامٍ لِمَا تَكْرَهُ وَعَادَ اللِّينُ أَهْدَى قَائِدٍ إِلَى مَا تُحِبُّ . وَلٰكِنْ أَرَى غَيْرَ ذٰلِكَ . (قَالَ الْمَهْدِيُّ) : لَقَدْ قُلْتَ قَوْلًا بَدِيعًا . وَخَالَفْتَ بِهِ أَهْلَ بَيْتِكَ جَمِيعًا . وَالْمَرْءُ مُؤْتَمَنٌ عَمَّا قَالَ وَظَنِينٌ بِمَا ادَّعَى حَتَّى يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ عَادِلَةٍ وَحُجَّةٍ ظَاهِرَةٍ فَاخْرُجْ عَمَّا قُلْتَ . (قَالَ هَارُونُ) : أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ إِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ وَالْأَعَاجِمُ قَوْمٌ مَكَرَةٌ . وَرُبَّمَا اعْتَدَلَتِ الْحَالُ بِهِمْ وَاتَّفَقَتِ الْأَهْوَاءُ مِنْهُمْ . فَكَانَ بَاطِنُ مَا يُسِرُّونَ عَلَى ظَاهِرِ مَا يُعْلِنُونَ . وَرُبَّمَا افْتَرَقَتِ الْحَالَانِ وَخَالَفَ

القلبُ اللسانَ فانطوى القلبُ على مَحْجُوبةٍ تُبْطَن. واستتر بمدخولةٍ لا تُعلَن. والطبيبُ الرفيقُ بطبِّه البصيرُ بأمرهِ العالمُ بمقدم يدهِ وموضع ميسمِه لا يتعجل بالدواء حتى يقع على معرفةِ الداء. فالرأي للمهدي وفقه الله أن يفر باطنَ أمرهم فرّ المسنة. ويمخض ظاهر حالهم مخض السقاء بمتابعةِ الكتبِ ومظاهرةِ الرسلِ وموالاةِ العيونِ حتى تهتك حجب عيونهم وتكشف أغطية أمورهم. فإن انفرجت الحالُ وأفضت الأمورُ به إلى تغيير حالٍ أو داعيةِ ضلالٍ اشتملت الأهواءُ عليه وانقاد الرجالُ إليه وامتدت الأعناقُ نحوه بدينٍ يعتقدونه وإثمٍ يستحلونه عصبهم بشدةٍ لا لين فيها ورماهم بعقوبةٍ لا عفو معها. وإن انفرجت العيونُ واهتصرت الستورُ ورفعت الحجبُ والحالُ فيهم مريعة والأمورُ بهم معتدلةٌ في أرزاقٍ يطلبونها وأعمالٍ ينكرونها وظلاماتٍ يدعونها وحقوقٍ يسألونها بماتةِ سابقتهم ودالةِ مناصحتهم فالرأي للمهدي وفقه الله أن يتسع لهم بما طلبوا ويتجافى لهم عما كرهوا ويشعب من أمرهم ما صدعوا ويرتق من فتقهم ما قطعوا. ويولي عليهم من أحبوا ويداوي بذلك مرض قلوبهم وفساد أمورهم. فإنما المهدي وأمته وسواد أهل مملكته بمنزلةِ الطبيبِ الرفيقِ والوالدِ الشفيقِ والراعي المجرب الذي يحتال لمرابض غنمه وضوال رعيته حتى يبرئ المريضة من داء علتها. ويرد الصحيحة إلى أنس جماعتها. ثم إن خراسان بخاصة الدين لهم

دَالَّةٌ مَحْمُولَةٌ وَمَاتَّةٌ مَقْبُولَةٌ وَوَسِيلَةٌ مَعْرُوفَةٌ وَحُقُوقٌ وَاجِبَةٌ. لِأَنَّهُمْ أَيْدِي دَوْلَتِهِ وَسُيُوفُ دَعْوَتِهِ وَأَنْصَارُ حَقِّهِ وَأَعْوَانُ عَدْلِهِ. فَلَيْسَ مِنْ شَأْنِ الْمَهْدِيِّ الِاضْطِغَانُ عَلَيْهِمْ وَلَا الْمُؤَاخَذَةُ لَهُمْ وَلَا التَّوَعُّرُ بِهِمْ وَلَا الْمُكَافَأَةُ بِإِسَاءَتِهِمْ. لِأَنَّ مُبَادَرَةَ حَسْمِ الْأُمُورِ ضَعِيفَةٌ قَبْلَ أَنْ تَقْوَى وَمُحَاوَلَةَ قَطْعِ الْأُصُولِ ضَئِيلَةٌ قَبْلَ أَنْ تَغْلُظَ أَحْزَمُ فِي الرَّأْيِ وَأَصَحُّ فِي التَّدْبِيرِ مِنَ التَّأْخِيرِ لَهَا وَالتَّهَاوُنِ بِهَا. حَتَّى يَلْتَئِمَ قَلِيلُهَا بِكَثِيرِهَا وَتَجْتَمِعَ أَطْرَافُهَا فِي جُمْهُورِهَا. (قَالَ الْمَهْدِيُّ): مَا زَالَ هَارُونُ يَقَعُ وَقْعَ الْحَيَا حَتَّى خَرَجَ خُرُوجَ الْقَدَحِ مِنَ الْمَاءِ. قَالَ وَانْسَلَّ انْسِلَالَ السَّيْفِ فِيمَا ادَّعَى فَدَعْوَا مَا سَبَقَ مُوسَى فِيهِ أَنَّهُ هُوَ الرَّأْيُ. وَثَنَّى بَعْدَهُ هَارُونُ وَلَكِنْ مَنْ لِأَعِنَّةِ الْخَيْلِ وَسِيَاسَةِ الْحَرْبِ وَقَادَةِ النَّاسِ إِنْ أَمْعَنَ بِهِمُ اللَّجَاجُ وَأَفْرَطَتْ بِهِمُ الدَّالَّةُ. (قَالَ صَالِحٌ): لَسْنَا نَبْلُغُ أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ بِدَوَامِ الْبَحْثِ وَطُولِ الْفِكْرِ أَدْنَى فِرَاسَةِ رَأْيِكَ وَبَعْضَ لَحَظَاتِ نَظَرِكَ. وَلَيْسَ يَنْقُصُ عَنْكَ مِنْ بُيُوتَاتِ الْعَرَبِ وَرِجَالَاتِ الْعَجَمِ ذُو دِينٍ فَاضِلٍ وَرَأْيٍ كَامِلٍ وَتَدْبِيرٍ قَوِيٍّ. تُقَلِّدُهُ حَرْبَكَ وَتَسْتَوْدِعُهُ جُنْدَكَ. مِمَّنْ يَحْتَمِلُ الْأَمَانَةَ الْعَظِيمَةَ وَيَضْطَلِعُ بِالْأَعْبَاءِ الثَّقِيلَةِ. وَأَنْتَ بِحَمْدِ اللهِ مَيْمُونُ النَّقِيبَةِ مُبَارَكُ الْعَزِيمَةِ مَخْبُورُ التَّجَارِبِ مَحْمُودُ الْعَوَاقِبِ مَعْصُومُ الْعَزْمِ. فَلَيْسَ يَقَعُ اخْتِيَارُكَ وَلَا يَقِفُ نَظَرُكَ عَلَى أَحَدٍ تُوَلِّيهِ أَمْرَكَ وَتُسْنِدُ إِلَيْهِ ثَغْرَكَ إِلَّا أَرَاكَ اللهُ مَا تُحِبُّ وَجَمَعَ لَكَ مِنْهُ مَا تُرِيدُ

(قَالَ ٱلْمَهْدِيُّ): إِنِّي لَأَرْجُو ذَٰلِكَ لِقَدِيمِ عَادَةِ ٱللهِ فِيهِ وَحُسْنِ مَعُونَتِهِ عَلَيْهِ. وَلَكِنْ أُحِبُّ ٱلْمُوَافَقَةَ عَلَى ٱلرَّأْيِ وَٱلِاعْتِبَارَ لِلْمُشَاوَرَةِ فِي ٱلْأَمْرِ ٱلْمُهِمِّ. (قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ ٱللَّيْثِ): أَهْلُ خُرَاسَانَ أَيُّهَا ٱلْمَهْدِيُّ قَوْمٌ ذَوُو عِزَّةٍ وَمَنَعَةٍ وَشَيَاطِينُ خَدَعَةٌ. زُرُوعُ ٱلْحَمِيَّةِ فِيهِمْ نَابِتَةٌ. وَمَلَابِسُ ٱلْأَنَفَةِ عَلَيْهِمْ ظَاهِرَةٌ. فَٱلرَّوِيَّةُ عَنْهُمْ عَازِبَةٌ وَٱلْعَجَلَةُ عَنْهُمْ حَاضِرَةٌ. تَسْبِقُ سُيُولُهُمْ مَطَرَهُمْ وَسُيُوفُهُمْ عَذْلَهُمْ. لِأَنَّهُمْ بَيْنَ سَفَلَةٍ لَا تَعْدُو مَبْلَغَ عُقُولِهِمْ وَمَنْظَرَ عُيُونِهِمْ. (وَبَيْنَ) رُؤَسَاءَ لَا يُلْجَمُونَ إِلَّا بِشِدَّةٍ وَلَا يُفْطَمُونَ إِلَّا بِٱلْمُرِّ. وَإِنْ وَلَّى ٱلْمَهْدِيُّ عَلَيْهِمْ وَضِيعًا لَمْ تَنْقَدْ لَهُ ٱلْعُظَمَاءُ. وَإِنْ وَلَّى أَمْرَهُمْ شَرِيفًا تَحَامَلَ عَلَى ٱلضُّعَفَاءِ. وَإِنْ أَخَّرَ ٱلْمَهْدِيُّ أَمْرَهُمْ وَدَافَعَ حَرْبَهُمْ حَتَّى يُصِيبَ لِنَفْسِهِ مِنْ حَشَمِهِ وَمَوَالِيهِ أَوْ بَنِي عَمِّهِ أَوْ بَنِي أَبِيهِ نَاصِحًا يَتَّفِقُ عَلَيْهِ أَمْرُهُمْ وَثِقَةً تَجْتَمِعُ لَهُ أَمْلَاؤُهُمْ بِلَا أَنَفَةٍ تَلْزَمُهُمْ وَلَا حَمِيَّةٍ تَدْخُلُهُمْ وَلَا مُصِيبَةٍ تَنْفِرُهُمْ تَنَفَّسَتِ ٱلْأَيَّامُ بِهِمْ وَتَرَاخَتِ ٱلْحَالُ بِأَمْرِهِمْ. فَدَخَلَ بِذَٰلِكَ مِنَ ٱلْفَسَادِ ٱلْكَبِيرِ وَٱلضَّيَاعِ ٱلْعَظِيمِ مَا لَا يَتَلَافَاهُ صَاحِبُ هَٰذِهِ ٱلصِّفَةِ وَإِنْ وُجِدَ. وَلَا يَسْتَصْلِحُهُ وَإِنْ جَهَدَ. إِلَّا بَعْدَ دَهْرٍ طَوِيلٍ وَشَرٍّ كَبِيرٍ. وَلَيْسَ ٱلْمَهْدِيُّ وَفَّقَهُ ٱللهُ قَاطِعًا عَادَاتِهِمْ. وَلَا قَارِعًا صِفَاتِهِمْ. بِمِثْلِ أَحَدِ رَجُلَيْنِ لَا ثَالِثَ لَهُمَا وَلَا عَدْلَ فِي ذَٰلِكَ بِهِمَا. أَحَدُهُمَا لِسَانٌ نَاطِقٌ مَوْصُولٌ بِسَمْعِكَ وَيَدٌ مُمَثَّلَةٌ لِعَيْنِكَ. وَصَخْرَةٌ لَا تُزَعْزَعُ وَبُهْمَةٌ لَا تُثْنَى وَبَازِلٌ لَا يُفْزِعُهُ صَوْتُ ٱلْجَلْجَلِ. نَقِيُّ ٱلْعِرْضِ نَزِيهُ ٱلنَّفْسِ جَلِيلُ ٱلْخَطَرِ قَدِ ٱتَّضَعَتِ ٱلدُّنْيَا عَنْ

قَدْرِهِ وَسَمَا نَحْوَ الْآخِرَةِ بِهِمَّتِهِ. فَجَعَلَ الْغَرَضَ الْأَقْصَى لِعَيْنِهِ نُصْبًا وَالْغَرَضَ الْأَدْنَى لِقَدَمِهِ مَوْطِئًا. فَلَيْسَ يَقْبَلُ عَمَلًا. وَلَا يَتَعَدَّى أَمَلًا. وَهُوَ رَأْسُ مَوَالِيكَ. وَأَنْصَحُ بَنِي أَبِيكَ. رَجُلٌ قَدْ غُذِيَ بِلَطِيفِ كَرَامَتِكَ. وَنَبَتَ فِي ظِلِّ دَوْلَتِكَ. وَنَشَأَ عَلَى قَوَائِمِ أَدَبِكَ. فَإِنْ قَلَّدْتَهُ أَمْرَهُمْ وَحَمَّلْتَهُ ثِقَلَهُمْ وَأَسْنَدْتَ إِلَيْهِ ثَغْرَهُمْ كَانَ قُفْلًا فَتَحَهُ أَمْرُكَ وَبَابًا أَغْلَقَهُ نَهْيُكَ. فَجَعَلَ الْعَدْلَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَمِيرًا وَالْإِنْصَافَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ حَاكِمًا. وَإِذَا أَحْكَمَ الْمَنْصَفَةَ وَسَلَكَ الْمَعْدَلَةَ فَأَعْطَاهُمْ مَا لَهُمْ وَأَخَذَ مِنْهُمْ مَا عَلَيْهِمْ غَرَسَ فِي الَّذِي لَكَ بَيْنَ صُدُورِهِمْ وَأَسْكَنَ لَكَ فِي السُّوَيْدَاءِ دَاخِلَ قُلُوبِهِمْ طَاعَةً رَاسِخَةَ الْعُرُوقِ بَاسِقَةَ الْفُرُوعِ مُتَمَائِلَةً فِي حَوَاشِي عَوَامِّهِمْ مُتَمَكِّنَةً فِي قُلُوبِ خَوَاصِّهِمْ. فَلَا يَبْقَى فِيهِمْ رَيْبٌ إِلَّا نَفَوْهُ. وَلَا يَلْزَمُهُمْ حَقٌّ إِلَّا أَدَّوْهُ. وَهَذَا أَحَدُهُمَا. وَالْآخَرُ عُودٌ مِنْ غَيْضَتِكَ وَنَبْعَةٌ مِنْ أُرُومَتِكَ فَتِيُّ السِّنِّ كَهْلُ الْحِلْمِ رَاجِحُ الْعَقْلِ مَحْمُودُ الصَّرَامَةِ مَأْمُونُ الْخِلَافِ يُجَرِّدُ فِيهِمْ سَيْفَهُ وَيَبْسُطُ عَلَيْهِمْ خَيْرَهُ بِقَدْرِ مَا يَسْتَحِقُّونَ وَعَلَى حَسَبِ مَا يَسْتَوْجِبُونَ. وَهُوَ فُلَانٌ أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ فَسَلِّطْهُ أَعَزَّكَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَوَجِّهْهُ بِالْجُيُوشِ إِلَيْهِمْ. وَلَا تَمْنَعْكَ ضَرَاعَةُ سِنِّهِ وَحَدَاثَةُ مَوْلِدِهِ فَإِنَّ الْحِلْمَ وَالثِّقَةَ مَعَ الْحَدَاثَةِ خَيْرٌ مِنَ الشَّكِّ وَالْجَهْلِ مَعَ الْكُهُولَةِ. وَإِنَّمَا أَحْدَاثُكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ فِيمَا طَبَعَكُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَاخْتَصَّكُمْ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَامِدِ الْفِعَالِ وَمَحَاسِنِ الْأُمُورِ وَصَوَابِ التَّدْبِيرِ وَصَرَامَةِ الْأَنْفُسِ كَفِرَاخِ عِتَاقِ الطَّيْرِ

المحكمة لأخذ الصيد بلا تدريب. والعارفة لوجوه النفع بلا تأديب. فالحلم والعلم والعزم والحزم والجود والتؤدة والرفق ثابت في صدوركم مزروع في قلوبكم مستحكم لكم متكامل عندكم بطبائع لازمة وغرائز ثابتة. (قال معاوية بن عبد الله) : إفتاء أهل بيتك أيها المهدي في الحلم على ما ذكر. وأهل خراسان في حال عز على ما وصف. ولكن إن ولى المهدي عليهم رجلا ليس بقديم الذكر في الجنود ولا نبيه الصوت في الحروب. ولا بطويل التجربة للأمور ولا بمعروف السياسة للجيوش والهيبة في الأعداء. دخل ذلك أمران عظيمان وخطران مهولان. أحدهما أن الأعداء يغتمزونها منه ويحتقرونها فيه. ويجترئون بها عليه في النهوض به والمقارعة له والخلاف عليه. قبل ما حين الإختبار لأمره والتكشف لحاله والعلم بطباعه. والأمر الآخر أن الجنود التي يقود والجنود التي يسوس إذا لم يختبروا منه البأس والنجدة ولم يعرفوه بالصوت والهيبة انكسرت شجاعتهم وماتت نجدتهم واستأخرت طاعتهم إلى حين اختبارهم ووقوع معرفتهم. وربما وقع البوار. قبل الإختبار. وبباب المهدي وفقه الله رجل مهيب نبيه حنيك صيت. له نسب زاك وصوت عال. قد قاد الجيوش وساس الحروب. وتألف أهل خراسان واجتمعوا عليه بالمقة. ووثقوا به كل الثقة. فلو ولاه المهدي أمرهم لكفاه الله شرهم (قال المهدي) : جانبت قصد الرمية وأبيت إلا عصبية. إذ

رأي الحدث من أهل بيتنا كرأي عشرة حلماء من غيرنا . ولكن أين تركتم ولي العهد . (قالوا) : لم يمنعنا من ذكره إلا كونه شبيه جده ، ونسيج وحده . ومن الدين وأهله . بحيث يقصر القول عن أدنى فضله . ولكن وجدنا الله عز وجل حجب عن خلقه وستر من دون عباده علم ما تختلف به الأيام ومعرفة ما تجري عليه المقادير من حوادث الأمور وريب المنون المخترمة لخوالي القرون ومواضي الملوك . فكرهنا شسوعه عن محلة الملك ودار السلطان ومقر الإمامة والولاية . وموضع المدائن والخزائن ومستقر الجنود ومعدن الجود . ومجمع الأموال التي جعلها الله قطباً لدار الملك ومصيدة لقلوب الناس . ومثابة لإخوان الطمع وثوار الفتن ودواعي البدع وفرسان الضلال وأبناء الموت . وقلنا : إن وجه المهدي ولي عهده فحدث في جيوشه وجنوده ما قد حدث بجنود الرسل من قبله لم يستطع المهدي أن يعقبهم بغيره إلا أن ينهد إليهم بنفسه . وهذا خطر عظيم وهول شديد إن تنفست الأيام بمقامه . واستدارت الحال بإمامه . حتى يقع عوض لا يستغنى عنه أو يحدث أمر لا بد منه . صار ما بعده مما هو أعظم هولاً وأجل خطراً له تبعاً وبه متصلاً . (قال المهدي) : الخطب أيسر مما تذهبون إليه . وعلى غير ما تصفون الأمر عليه . نحن أهل البيت نجري من أسباب القضايا ومواقع الأمور على سابق من العلم ومحتوم من الأمر . وقد تناهى ذلك بأجمعه إلينا وتكامل بحذافيره عندنا فيه

نُدَبِّرُ وعلى اللهِ نتوكّلُ . إنّه لا بُدّ لوليّ عهدي (ووليّ عهدي عقبي بعدي) أنْ يقودَ إلى خراسانَ البعوثَ ويتوجّه نحوها بالجنودِ . أمّا الأوّلُ فإنّه يُقدّمُ إليهم رُسلَه ويُعمِلُ فيهم حِيَلَه . ثمّ يخرجُ نشطاً إليهم حنقاً عليهم يريدُ أنْ لا يدعَ أحداً من إخوانِ الفتنِ ودواعي البدعِ وفرسانِ الضلالِ إلّا توطّأه بحرّ القتلِ وألبسه قناعَ القهرِ وقلّده طوقَ الذلِّ . ولا أحداً من الذين عملوا في قصّ جناحِ الفتنةِ وإخمادِ نارِ البدعةِ ونُصرةِ ولاةِ الحقّ إلّا أجرى عليهم ديمَ فضلِه وجداولَ نصلِه . فإذا خرجَ مزمعاً به مجمعاً عليه لم يسِرْ إلّا قليلاً حتّى يأتيه أنْ قد عملتْ حيلُه وكدحتْ كتبُه ونفذتْ مكايدُه . فهدأتْ نافرةُ القلوبِ ووقعتْ طائرةُ الأهواءِ واجتمعَ عليه المختلفونَ بالرضا . فيميلُ نظراً لهم وبرّاً بهم وتعطّفاً عليهم إلى عدوٍّ قد أخافَ سبيلَهم وقطعَ طريقَهم ومنعَ حجّاجَهم بيتَ اللهِ الحرامَ وسلبَ تجّارَهم رزقَ اللهِ الحلالَ . وأمّا الآخرُ فإنّه يوجّه إليهم ثمّ تعتقدُ له الحجّةُ عليهم بإعطاءِ ما يطلبونَ وبذلِ ما يسألونَ . فإذا سمحتِ الفرقُ بقراباتِها له وجنحَ أهلُ النواحي بأعناقِهم نحوه فأصغتْ إليه الأفئدةُ واجتمعتْ له الكلمةُ وقدمتْ عليه الوفودُ قصدَ لأوّلِ ناحيةٍ بخعتْ بطاعتِها وألقتْ بأزمّتِها فألبسها جناحَ نعمتِه وأنزلها ظلَّ كرامتِه وخصّها بعظيمِ حبائِه . ثمّ عمَّ الجماعةَ بالمعدلةِ وتعطّفَ عليهم بالرحمةِ فلا يبقى فيهم ناحيةٌ دانيةٌ ولا فرقةٌ قاصيةٌ إلّا دخلتْ عليها بركتُه . ووصلتْ إليها منفعتُه .

فأغنى فقيرها. وجبر كسيرها. ورفع وضيعها. وزاد رفيعها ما خلا ناحيتين ناحية يغلب عليها الشقاء وتستميلهم الأهواء فتستخف بدعوته وتبطئ عن إجابته وتتثاقل عن حقه فتكون آخر من يبعث وأبطأ من يوجه. فيصطلي عليها موجدة ويبتغي لها علة. لا يلبث أن يجد بحق يلزمهم وأمر يجب عليهم فتستلحمهم الجيوش وتأكلهم السيوف ويستحر بهم القتل ويحيط بهم الأسر ويفنيهم التتبع. حتى يخرب البلاد ويوتم الأولاد وناحية لا يبسط لهم أمانا ولا يقبل لهم عهدا ولا يجعل لهم ذمة. لأنهم أول من فتح باب الفرقة وتدرع جلباب الفتنة وربض في شق العصا. ولكنه يقتل أعلامهم ويأسر قوادهم. ويطلب هرابهم في لجج البحار وقلل الجبال وخمل الأودية وبطون الأرض تقتيلا وتغليلا وتنكيلا حتى يدع الديار خرابا والنساء أيامى. وهذا أمر لا نعرف له في كتبنا وقتا ولا نصحح منه غير ما قلنا تفسيرا. وأما موسى ولي عهدي فهذا أوان توجهه إلى خراسان وحلوله بجرجان. وما قضى الله من الشخوص إليها والمقام فيها خير للمسلمين مغبة وله بإذن الله عاقبة من المقام. بحيث يغمر في لجج بحورنا ومدافع سيولنا ومجامع أمواجنا. فيتصاغر عظيم فضله ويتذأب مشرق نوره ويتقلل كثير ما هو كائن منه. فمن يصحبه من الوزراء ويختار له من الناس. (قال محمد بن الليث): أيها المهدي إن ولي عهدك أصبح لأمتك وأهل ملتك علما قد تثنت نحوه أعناقها ومدت سمته أبصارها.

وَقَدْ كَانَ لِقُرْبِ دَارِهِ مِنْكَ وَمَحَلِّ جِوَارِهِ لَكَ عَطَلُ الْحَالِ غُفْلَ الْأَمْرِ وَاسِعَ الْعُذْرِ. فَأَمَّا إِذَا انْفَرَدَ بِنَفْسِهِ وَخَلَا بِنَظَرِهِ وَصَارَ إِلَى تَدْبِيرِهِ فَإِنَّ مِنْ شَأْنِ الْعَامَّةِ أَنْ تَتَفَقَّدَ مَخَارِجَ رَأْيِهِ وَتَسْتَنْصِتَ لِمَوَاقِعِ آثَارِهِ. وَتَسْأَلَ عَنْ حَوَادِثِ أَحْوَالِهِ فِي بِرِّهِ وَمَرْحَمَتِهِ وَإِقْسَاطِهِ وَمَعْدَلَتِهِ وَتَدْبِيرِهِ وَسِيَاسَتِهِ وَوُزَرَائِهِ وَأَصْحَابِهِ. ثُمَّ يَكُونُ مَا سِيقَ إِلَيْهِمْ أَغْلَبَ الْأَشْيَاءِ عَلَيْهِمْ وَأَمْلَكَ الْأُمُورِ بِهِمْ وَأَلْزَمَهَا لِقُلُوبِهِمْ وَأَشَدَّهَا اسْتِمَالَةً لِرَأْيِهِمْ وَعَطْفًا لِأَهْوَائِهِمْ. فَلَا يَعْلَمُ الْمَهْدِيُّ وَفَّقَهُ اللهُ نَاظِرًا لَهُ فِيمَا يُقَوِّي عُمُدَ مَمْلَكَتِهِ وَيُسَدِّدُ أَرْكَانَ وِلَايَتِهِ وَيَسْتَجْمِعُ رِضَا أُمَّتِهِ بِأَمْرٍ هُوَ أَزْيَنُ لِحَالِهِ وَأَظْهَرُ لِجَمَالِهِ. وَأَفْضَلُ مَغَبَّةً لِأَمْرِهِ وَأَجَلُّ مَوْقِعًا فِي قُلُوبِ رَعِيَّتِهِ وَأَحْمَدُ حَالًا فِي نُفُوسِ أَهْلِ مِلَّتِهِ وَلَا أَدْفَعُ مَعَ ذَلِكَ بِاسْتِجْمَاعِ الْأَهْوَاءِ لَهُ وَأَبْلَغُ فِي اسْتِعْطَافِ الْقُلُوبِ عَلَيْهِ مِنْ مَرْحَمَةٍ تَظْهَرُ مِنْ فِعْلِهِ وَمَعْدَلَةٍ تَنْتَشِرُ عَنْ أَثَرِهِ وَمَحَبَّةٍ لِلْخَيْرِ وَأَهْلِهِ. وَأَنْ يَخْتَارَ الْمَهْدِيُّ وَفَّقَهُ اللهُ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ كُلِّ بَلْدَةٍ وَفُقَهَاءِ أَهْلِ كُلِّ مِصْرٍ أَقْوَامًا تَسْكُنُ الْعَامَّةُ إِلَيْهِمْ إِذَا ذُكِرُوا وَتَأْنَسُ الرَّعِيَّةُ بِهِمْ إِذَا وُصِفُوا. ثُمَّ تَسْهُلُ لَهُمْ عِمَارَةُ سُبُلِ الْإِحْسَانِ وَفَتْحُ بَابِ الْمَعْرُوفِ كَمَا قَدْ كَانَ فُتِحَ لَهُ وَسُهِّلَ عَلَيْهِ

(قَالَ الْمَهْدِيُّ): صَدَقْتَ وَنَصَحْتَ ثُمَّ بَعَثَ فِي ابْنِهِ مُوسَى فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّ إِنَّكَ قَدْ أَصْبَحْتَ لِسَمْتِ وُجُوهِ الْعَامَّةِ نُصْبًا وَلِمَثْنَى أَعْطَافِ الرَّعِيَّةِ غَايَةً. فَحَسَنَتُكَ شَامِلَةٌ وَإِسَاءَتُكَ نَائِيَةٌ وَأَمْرُكَ

ظَاهِرٌ . فعليكَ بتقوى اللهِ وطاعتهِ فاحتمِلْ سُخطَ النَّاسِ فيهما ولا تطلبْ رِضاهُم بخلافِهما . فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ كافِيكَ من أسخطَهُ عليكَ إيثارُكَ رِضاهُ . وليسَ بكافِيكَ مَن يُسخِطُهُ عليكَ إيثارُكَ رِضا مَن سِواهُ . ثُمَّ اعلَمْ أنَّ للهِ تعالى في كُلِّ زمانٍ فترةً من رُسُلِهِ وبقايا من صفوةِ خلقِهِ وخبايا لنُصرةِ حقِّهِ يُجدِّدُ حبلَ الإسلامِ بدعواهُم ويُشيِّدُ أركانَ الدِّينِ بنُصرتِهِم . ويتَّخِذُ لأولياءِ دِينِهِ أنصارًا وعلى إقامةِ عدلِهِ أعوانًا يَسُدُّونَ الخَلَلَ ويُقيمونَ المَيْلَ ويدفعونَ عنِ الأرضِ الفسادَ . وإنَّ أهلَ خُراسانَ أصبحوا أيدي دولتِنا وسيوفَ دعوتِنا الذينَ نستدفِعُ المكارِهَ بطاعتِهِم ونستصرِفُ نُزولَ العظائمِ بمُناصحتِهِم ونُدافِعُ رَيبَ الزَّمانِ بعزائمِهِم ونُزاحِمُ رُكنَ الدَّهرِ ببصائرِهِم . فهُم عِمادُ الأرضِ إذا أرجفَت كَنَفُها خوفُ الأعداءِ إذا أبرزَت صفحتَها وحصونُ الرَّعيَّةِ إذا تضايقَتِ الحالُ بها . قد مضَت لهُم وقائعُ صادقاتٌ ومواطِنُ صالحاتٌ أخمدَت نيرانَ الفِتَنِ وقصمَت دواعيَ البِدَعِ وأذلَّت رِقابَ الجبَّارينَ . ولم ينفكُّوا كذلكَ ما جرَوا مع ريحِ دولتِنا وأقاموا في ظلِّ دعوتِنا واعتصموا بحبلِ طاعتِنا التي أعزَّ اللهُ بها ذِلَّتَهُم ورفعَ بها ضَعتَهُم . وجعلَهُم بها أربابًا في أقطارِ الأرضِ ومُلوكًا على رِقابِ العالمينَ بعدَ لِباسِ الذُّلِّ وقِناعِ الخوفِ وإطباقِ البلاءِ ومُحالفةِ الأسى وجَهدِ البأسِ والضُّرِّ . فظاهِرْ عليهِم لِباسَ كرامتِكَ وأنزِلْهُم في حدائقِ نِعمتِكَ . ثُمَّ اعرِفْ لهُم حقَّ

طاعتهم ووسيلة دالَّتهم وماتّة سابقتهم وحرمة مناصحتهم بالإحسان إليهم والتوسعة عليهم والإثابة لمحسنهم والإقالة لمسيئهم. أي بني ثم عليك العامة فاستدع رضاها بالعدل عليها واستجلب مودتها بالإنصاف لها. وتحسن بذلك لربك وذلك أن تأمر قاضي كل بلد وخيار أهل كل مصر أن يختاروا لأنفسهم رجلاً توليه أمرهم وتجعل العدل حاكماً بينه وبينهم. فإن أحسن حمدت وإن أساء عذرت. ولا ينفكن في ظل كرامتك نازلاً وبعرى حبلك متعلقاً رجلان أحدهما كريمة من كرائم رجالات العرب وأعلام بيوتات الشرف له أدب فاضل وحلم راجح ودين صحيح. والآخر له دين غير مغمود وموضع غير مدخول بصير بتقليب الكلام وتصريف الرأي وأنحاء العرب ووضع الكتب عالم بحالات الحروب وتصاريف الخطوب. يضع آداباً نافعة وآثاراً باقية من محاسنك وتحصين أمرك وتحلية ذكرك. فتستشيره في حربك وتدخله في أمرك. فرجل أصبته كذلك فهو يأوي إلى محلتي ويرعى في خضرة جناني. ولا تدع أن تختار لك من فقهاء البلدان وخيار الأمصار أقواماً يكونون جيرانك وسمارك وأهل مشاورتك فيما تورد وأصحاب مناظرتك فيما تصدر. فسر على بركة الله أصحبك الله من عونه وتوفيقه دليلاً يهدي إلى الصواب قلبك وهادياً ينطق بالخير لسانك (لابن عبد ربه)

الباب الرابع
في المقامات

نخبة من مقامات ابن الوردي

المقامة الانطاكية

٤٦ حَدَّثَ إنسانٌ . مِن معرَّةِ النُّعمانِ . قالَ : كثيرًا ما كُنتُ أسمعُ بينَ البريَّةِ . الثَّناءَ على نُزْهِ أنطاكيَةَ . وأنَّها قِطَعٌ لِمَن لم يصِلْها . وخُروجٌ لِمَن لم يدخُلْها . ولفرطِ ثنائِهِ عليها . تجهَّزتُ للمسيرِ إليها . فلمَّا دخلتُها . وشاهدتُها وتأمَّلتُها . أكبرتُ طولَها وطَولَها . وعجِبتُ لِحصانتِها والعاصي دائرٌ حولَها . فانتهيتُ مِن بدايتِها . إلى دارِ ولايتِها . فوجدتُ والِيَ المدينةِ . شابًّا ذا سكينةٍ . فلمَّا سلَّمتُ عليهِ . وأجلسني إليهِ . أخذَ في مؤانستي . وأظهرَ الابتهاجَ بمجالستي . فغبطتُهُ بحُسنِ زينتِهِ . وطيبِ مدينتِهِ . فتنفَّسَ الصُّعداءَ . وترنَّمَ منشدًا :

كَم مِن صديقٍ صدوقِ الودِّ تحسبُهُ ... في راحةٍ ولديهِ الهمُّ والكمدُ
لا تغبطَنَّ بني الدُّنيا بنعمتِهِم ... فراحةُ القلبِ لم يظفرْ بها أحدُ

قلتُ : للهِ درُّ فصاحتِكَ . ما السَّببُ في عدمِ راحتِكَ . قالَ : لقد جمعتْ هذهِ المدينةُ بينَ عربٍ ورومٍ . وأنا معهم في الحيِّ القيُّومِ . لا أطيقُ فيهم قرارًا . لو اطَّلعتَ عليهم لولَّيتَ منهم فرارًا . ومَن يطيقُ الجمعَ بينَ الضِّدَّينِ . أم مَن يقدرُ على موالاةِ ندَّينِ . وكيفَ يظفرُ ساكنُ أنطاكيةَ بنيلِ أرَبٍ . وقد حُنِيَتْ أضلُعُ العجمِ

على بعض العرب . كم أجد ويلعبون. وهم من بعد غلبهم سيغلبون :

من كل فظ أعجمي غث الكلام مذمم
إن نبهته مروءة فتقول عجمته نم

قلت : قصر عن خطاك خطاك . واشكر من أنطاك أنطاك .
فسورها منيع . وعاصيها مطيع . وأطيارها تحن إلى نغماتها الجوارح .
وأنهارها مطردة وعيونها سوارح . ونسيمها يبطل رائحة المسك السحيق . وساكنها يزهى على الغصن الوريق . يصدأ بهوائها السلاح . وتجلى به القلوب والأرواح . برية بحرية . سهلية جبلية :

متكامل فيها السرور لمن بها يوماً أقام كما تكامل سورها
وخلت قلوب قصورها فاستضحكت إذ عاش شاكرها ومات كفورها
من حل فيها نال وصل حبيبها وشفى كليم الروح منه طورها
ما تلك إلا جنة الدنيا وها ولدانها جليت عليك وحورها
فضية وسنية وندية أرجاؤها ورياضها وقصورها
لما بكى فقد الهموم سحابها ضحكت وقد عاش السرور زهورها
فالأرض منها سندس وخلاله سلت سيوف والسيوف نهورها
هي دار مملكة الرضا فلأجل ذا قد أسبلت دون الهموم ستورها
جمعت فنون الطيب في أفنانها وعلا على المسك الذكي عبيرها
تصفيق عاصيها المطيع مرقص أغصانها لما شدته طيورها
فربوعها محروسة وسفوحها مأنوسة لا ينطوي منشورها

فَأَعْجِبْ لِأَرْضٍ كَالسَّمَاءِ مُنِيرَةٍ أَضْحَتْ تُضِيءُ شُمُوسُهَا وَبُدُورُهَا
فَتَبَسَّمَتْ وَتَنَسَّمَتْ أَرْجَاؤُهَا أَرَجًا فَمَا الْغُصْنُ النَّضِيرُ نَظِيرُهَا

فَلَمَّا أَتَمَّتْ جَلَاءَ هٰذِهِ الْعَرُوسِ. وَرَقَمَهَا سَامِعُوهَا عَلَى وَجَنَاتِ الطُّرُوسِ. قَالَ الْوَالِي: لَقَدْ زِدْتَ وَصْفَهَا. وَشَمَخَتْ عَلَى الْبِلَادِ أَنْفُهَا. وَمَا أَنْطَاكِيَةُ لَوْ كَانَ عِنْدَكَ إِنْصَافٌ. إِلَّا طَرَفٌ سَكَنَتْهُ الْأَطْرَافُ. فَلَوْ أَنَّكَ جَمَعْتَ بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ. وَأَرْهَقْتَ الْعِدَّةَ لِنَقْصِ الْبَيْعَتَيْنِ. وَأَغْلَقْتَ بَابَ الْبَحْرِ. وَجَسَرْتَ عَلَى قَطْعِ الْجِسْرِ. وَسَوَّدْتَ الْبَيْضَاءَ. وَأَيْبَسْتَ الْخَضْرَاءَ. لَكَانَ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ هٰذَا النَّظْمِ الْأَنِيقِ. فِي اسْتِرْقَاقِ هٰذَا الْبَلَدِ الْعَتِيقِ. وَمَاذَا تَرَكْتَ لِدِمَشْقَ مِنَ الْمِنَّةِ وَالصِّفَةِ. وَقِيلَ إِنَّهَا فِي الْأَرْضِ هِيَ الْجَنَّةُ لَقَدْ عَرَفْتَ النَّكِرَةَ وَنَكَّرْتَ الْمَعْرِفَةَ. ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ خَجِلًا. وَأَنْشَدَ مُرْتَجِلًا:

مَدَحْتَ أَنْطَاكِيَةً حَتَّى تَوَارَى عَقْلُهَا
وَلَمْ يَكُنْ عِنْدِي كَمَا ذَكَرْتَهُ مَحَلُّهَا
لِأَنَّهَا دَائِرَةٌ عَلَا عَلَيْهَا ذُلُّهَا
فَكَيْفَ لَا أُبْغِضُهَا وَكَيْفَ لَا أَمَلُّهَا
وَعُجْمُهَا أَكْثَرُهَا وَعُرْبُهَا أَقَلُّهَا
لَوْلَا حَبِيبٌ سَاكِنٌ فِيهَا وَلَوْلَا ظِلُّهَا
لَقُلْتُ مِنْ مُدْنِ لَظًى لَكِنَّنِي أُجِلُّهَا
لَكِنْ أَقُولُ قَوْلَةً لَيْسَ يُرَدُّ عَدْلُهَا

لَوْ كَانَ فِيهَا رَاحَةٌ   مَا فَارَقَتْهَا أَهْلُهَا

فَلَمَّا تَمَّ الْوَالِي نِظَامَهُ. ابْتَدَرْتُ مَلَامَهُ. وَقُلْتُ: إِذَا رَغِبْتَ عَنْ أَنْطَاكِيَةَ وَأَهْلِيهَا. فَمَا وَجْهُ مُقَامِكَ فِيهَا. فَقَالَ: أَلْزَمَنِي أَنْ أُقِيمَ. مَرْسُومُ كَرِيمٍ. مِمَّنْ غَمَرَنِي بِالْعَطَا. وَإِذَا خُولِفَ سَطَا. فَكَيْفَ الْخَلَاصُ. وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ. مِنْ مَدِينَةٍ بَيْتُ الْمَاءِ أَرْفَعُ مِنْهَا بِكَثِيرٍ. وَلِعِظَمِ السَّمَكَةِ فِيهَا قَدْرٌ كَبِيرٌ:

فَقُلْتُ وَقَدْ أَنْكَرْتُ مِنْهُ مَقَالَهُ   وَغِرْتُ لَهَا وَيْلَاهُ مِنْ سُوءِ حَالِهَا
أَلَا طَالَمَا كَانَتْ أَسِرَّةُ مُلْكِهَا   مُكَلَّلَةً بِالدُّرِّ قَبْلَ زَوَالِهَا
وَكَمْ خَفَقَتْ فِيهَا الْبُنُودُ وَكَمْ حَوَتْ   مُلُوكًا تَرَى الْجَوْزَاءَ تَحْتَ نِعَالِهَا
مُعَظَّمَةٌ فِي الْمِلَّتَيْنِ بِحُسْنِهَا   مُكَرَّمَةٌ فِي الدَّوْلَتَيْنِ بِمَالِهَا
أَلَمْ تَحْتَرِمْ فِيهَا حَبِيبًا نَزِيلَهَا   وَمَا أَنْتَ لَوْ أَنْصَفْتَنِي مِنْ رِجَالِهَا
وَسَافَرْتُ مِنْهَا ذَلِكَ الْوَقْتَ مُنْشِدًا   وَعَيْنَايَ كُلٌّ أَسْعَدَتْ بِسِجَالِهَا
قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ   لَقَدْ هُزِلَتْ حَتَّى بَدَا مِنْ هُزَالِهَا

نخبة من مقامات شهاب الدين الخفاجي

من مقامتي الغربة والمغربية

٤٧ حَدَّثَ الرَّبِيعُ بْنُ رَيَّانَ. عَنْ شَقِيقِ بْنِ النُّعْمَانِ. قَالَ: لَمَّا هَزَّتْنِي أَرْيَحِيَّةُ الشَّبَابِ. إِلَى اقْتِعَادِ سَنَامِ الْأَرْضِ عَلَى غَارِبِ الْاِغْتِرَابِ. وَقَدْ أَجْدَبَتِ الْأَرْضُ مِنْ كُلِّ مَاجِدٍ. يَجْتَنِي جَنَى الْمَجْدِ وَتُجْنَى لَهُ ثِمَارُ الْمَحَامِدِ. وَتَعَطَّلَتْ مِنْ كَرِيمٍ. تَلْتَفُّ عَلَيْهِ الْمَحَافِلُ. وَتَسِيرُ فِي ظِلَالِ

أَعْلَامِهِ الْجَحَافِلُ . وَتَبَدَّلَتْ بِأُنْسِهَا وَحْشًا . فَلَا تَرَى غَيْرَ جَائِعٍ يَتَجَشَّا . أَقْسَمْتُ بِبَيْتٍ سَالَتْ بِبَطْحَائِهِ أَعْنَاقُ الْمَطَايَا . وَثَمِلَ رُكْبَانُهُ بِكَأْسِ السُّرَى فِي الْغَدَايَا وَالْعَشَايَا . لَأَغْتَرِبَنَّ غُرْبَةً قَارِظِيَّةً يَخْفُقُ مِنْهَا قَلْبُ الْخَافِقَيْنِ . وَتَدْبَغُ أَدِيمَ الْجَسَدِ عَلَى مَمَرِّ الْجَدِيدَيْنِ . وَتُنْسِي صَخْرَةَ السُّؤَالِ عَنْ حُصَيْنٍ . وَتُنْسِي غَطَفَانَ . غُرْبَةَ سِنَانٍ . فَقَالَ لِي خَبِيرُ الْأَيَّامِ : الْهِجْرَةُ مِنْ سُنَنِ الْكِرَامِ . كَمَا فَرَّ مُوسَى حِينَ هَمَّ بِهِ الْقِبْطُ . وَقَدْ كُنْتُ قَرَأْتُ فِي بَعْضِ الْأَسْفَارِ . إِذَا أَرَادَ اللّٰهُ سَعَةَ رِزْقِ عَبْدٍ حَبَّبَ لَهُ الْأَسْفَارَ . فَزَجَرْتُ السَّانِحَ وَالْبَارِحَ . وَالطَّائِرَ الْغَادِيَ وَالرَّائِحَ . حَتَّى رَأَيْتُ الصُّبْحَ أَبْلَجَ . وَمَرَّ بِي طَائِرٌ أَغَرُّ مِنَ الْبَلَجِ . فَتَمَسَّكْتُ بِذَيْلِ الْحَزْمِ . وَصَمَّمْتُ عَلَى الْعَزْمِ . وَقُلْتُ :

بِقَوْلِكَ طٰهٰ سَافِرُوا تَغْنَمُوا لَقَدْ ... بَدَا لِي فَأْلٌ فِي الْمَطَالِبِ رَابِحُ
فَمَا خَطَّ فِي رَمْلٍ وَلَا طَرَقَ الْحَصَى ... كَأَيْدِي جِيَادٍ فِي السَّرَابِ سَوَابِحُ

وَجَنَبْتُ الْجِيَادَ إِلَى الْمَهَارِي . وَلَبِسْتُ حُلَّةَ دُجًى مُزَرَّرَةً بِالدَّرَارِي . مَعَ صُقُورٍ عَلَى مُتُونِ أَعْوَجِيَّاتٍ وَرِكَابٍ . بِإِقْدَامِ أَقْدَامٍ تَرِفُّ بَيْنَ غَرْزٍ وَرِكَابٍ . عَلَى سُفُنِ ذَوْدٍ وَزَوَارِقَ . وَسُرُوجٍ سَوَابِحَ فِي بِحَارِ السَّرَابِ غَوَارِقَ . فَلَمْ يَزَلْ يَرْفَعُنَا الْآلُ . بَيْنَ رِفَاقٍ صَحْبٍ وَآلٍ . عَلَى عِيسٍ مَا لَهَا غَيْرُ النَّصَبِ عِقَالٌ . وَظُهُورِ سَوَابِحَ مَا لَهَا غَيْرُ الْكَلَالِ شِكَالٌ . حَتَّى نَزَلْنَا عَلَى الْخَوَرْنَقِ وَالسَّدِيرِ . وَأَنَخْنَا مَطَايَا الْعَزْمِ بَيْنَ رَوْضَةٍ وَغَدِيرٍ . فَسَأَلْنَا عَنْ بَيْضَةِ الْبَلَدِ . وَطَوْدِهَا الَّذِي لَهُ بِسَفْحِهَا أَرْفَعُ سَنَدٍ .

فقالوا : هو النضر بن كنانة . المقرطس سهام آرائه من أعز كنانة . شيخ لبس عمائم دهره الثلاث . فهي على هامة همته ثلاث . من شجرة مورقة النسب . مثمرة بيانع ثمار الحسب . جاهه عريض طويل . فائض على العدو والخليل . وطيب شمائله في كل ناد انتشر . فنمة روضات تزدري الزهر . هيجها نضح من نضح السحر . فقلت : بخ بخ الجاه زكاة الشرف . ومن أحسن إلى من أساء إليه فقد انتصف . ومن تردى بساطع الأنوار . واحتبى بحباء الوقار . ولم يبق له ليل يصبح بجانبيه نهار . فالسعادة له شعار ودثار . فقلت : سأفيض له وعلي أجمل ردا . وأذهب إليه في رفقتي غدا . فلما عطس الصباح . وشمتته كل ذات جناح . ورفعت ذكاء رأسها من مشرق الأنوار . فأشرقت على عالم الكون والفساد لنشاهد ما فيه من الأسرار . أتيت داره . فرأيت بدورا لها المنازل دارة . دار يسافر بها النظر . ويتسابق في محاسنها السمع والبصر . داخلها بهو وقصور . وسرادق لا يعرف كماله القصور . في صدرها همام خلفه وسادة . أحدق به وجوه أعيان وسيادة . يتنفسون بأنفاس النعامى . بين أوراق ريحان وخزامى :

لو أنصفوه لقاموا في مجالسه على الرؤوس قيام الظل في الماء

فقلت له : حياك الله وبياك . ولا زالت مشكاة أنسك مشرقة بمحياك . فرد التحية بأحسن منها وما ردها . وأمدها بطلاقة بشر

كانت سلّمًا لكرامة أعدها . وحوله من حواشيه فِئام . وأغصان غلمان بناديه قيام . كأن على رؤوسهم الطير . يتهلل بشرهم بكل خير ومير . في روض نادٍ مثمر مورقٍ . عليه مخايل جودٍ مغدقٍ . فتجاذبنا أهداب الحديث . وأتى بنوادر حارّة من كل تليدٍ وحديث . فلما خضنا لجة الكلام ووقفت الأقلام على ساحل التمام . قال لي : هات من هناتك . وأنشدني ما قلته من أبياتك . فأنشدته منها :

سلّ الزمانُ عليَّ عضبَهْ ليروعني وأحدَّ غربَهْ حده
وأسال من جفني كرا هُ مراغمًا وأسال غربَهْ مجرى الدمع
وأجالني في الأفق أطـ ـوي شرقه وأجوب غربَهْ مغربه
فبكل جوٍّ طلعةٌ في كل يومٍ لي وغربَهْ غروب
وكذا المغرَّبُ شخصهُ متغرّبٌ ونواه غربَهْ بعيده

فلما ارتوى الحديث من أعذب الموارد والمصادر . ورجع الحوار حارّ النوادر . بارد البوادر . قال : لا فضّ الله فاك . ولا أقضّ في مهد الهنا مثواك . فقد تركت بنيات الطريق . وجلوت خرائد فكرك في معرضٍ أنيقٍ . ولم تنثر درر المدامع . إلا من درٍّ مودعٍ في صدف المسامع . وما أقصر الليل على الراقد . وأهون السقم على العائد . وقد أصبت دار المقامة . فأنت جار أبي دؤاد بدار الكرامة . فالزمه لزوم الطوق جيد الحمامة . فما لك لا تظمأ بهذا المقام . وكيف يظمأ من كان جار الغمام .

مَا بَيْنَ عَصْرٍ سَابِقٍ مُتَلَفِّتٍ شَوْقاً إِلَيْكَ وَلَاحِقٍ يَتَطَلَّعُ

نخبة من مقامات بديع الزمان الهمذاني

المقامة الاهوازية

٤٨ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: كُنْتُ بِالْأَهْوَازِ فِي رُفْقَةٍ مَتَى مَا تَرَقَّ الْعَيْنُ فِيهِمْ تَسْهَلْ. لَيْسَ فِينَا إِلَّا أَمْرَدُ بِكْرُ الْآمَالِ. أَوْ مُخْتَطٌّ حَسَنُ الْإِقْبَالِ. مَرْجُوُّ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي. فَأَفَضْنَا فِي الْعِشْرَةِ كَيْفَ نَضَعُ قَوَاعِدَهَا. وَالْأُخُوَّةِ كَيْفَ نُحْكِمُ مَعَاقِدَهَا. وَالشُّرْبِ فِي أَيِّ وَقْتٍ نَتَعَاطَاهُ. وَالْأُنْسِ كَيْفَ نَتَهَادَاهُ. وَفَائِتِ الْحَظِّ كَيْفَ نَتَلَافَاهُ. وَالشَّرَابِ مِنْ أَيْنَ نُحَصِّلُهُ. وَالْمَجْلِسِ كَيْفَ نُرَتِّبُهُ. فَقَالَ: أَحَدُنَا عَلَيَّ الْبَيْتُ وَالنُّزُلُ. وَقَالَ آخَرُ: عَلَيَّ الشَّرَابُ وَالنُّقْلُ. وَلَمَّا أَجْمَعْنَا عَلَى الْمَسِيرِ اسْتَقْبَلَنَا رَجُلٌ فِي طِمْرَيْنِ فِي يُمْنَاهُ عُكَّازَةٌ. وَعَلَى كَتِفِهِ جِنَازَةٌ. فَتَطَيَّرْنَا لَمَّا رَأَيْنَا الْجِنَازَةَ وَأَعْرَضْنَا عَنْهَا صَفْحاً. وَطَوَيْنَا دُونَهَا كَشْحاً. فَصَاحَ بِنَا صَيْحَةً كَادَتْ لَهَا الْأَرْضُ تَنْفَطِرُ. وَالسَّمَاءُ تَنْكَدِرُ. وَقَالَ: لَتَرَوُنَّهَا صُغْراً. وَلَتَرْكَبُنَّهَا كُرْهاً وَقَسْراً. مَا لَكُمْ تَتَطَيَّرُونَ مِنْ مَطِيَّةٍ رَكِبَهَا أَسْلَافُكُمْ وَسَيَرْكَبُهَا أَخْلَافُكُمْ. وَتَتَقَذَّرُونَ سَرِيراً وَطِئَهُ آبَاؤُكُمْ. وَسَيَطَاهُ أَبْنَاؤُكُمْ. أَمَا وَاللَّهِ لَتُحْمَلُنَّ عَلَى هٰذِهِ الْعِيدَانِ. إِلَى تِلْكُمُ الدِّيدَانِ. وَلَتُنْقَلُنَّ بِهٰذِهِ الْجِيَادِ. إِلَى تِلْكُمُ الْوِهَادِ. وَقَدْ حَانَ حِينُهُ وَبِحَكُمْ تَتَطَيَّرُونَ. كَأَنَّكُمْ مُخَيَّرُونَ. وَتَتَكَرَّهُونَ. كَأَنَّكُمْ مُنَزَّهُونَ. هَلْ تَنْفَعُ هٰذِهِ الطِّيَرَةُ. يَا فَجَرَةُ. قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَلَقَدْ نَغَّصَ

ما كُنّا عقدناهُ . وأبطلَ ما كُنّا أردناهُ . فملنا إليهِ وقلنا لهُ : ما أحوجنا إلى وَعظِكَ . وأعشقنا لِلفظِكَ . ولو شئتَ لزدتَ قالَ : إنَّ وراءكُم مَوارِدَ أنتم وارِدُوها وقد سِرتُم إليها عشرينَ حجّةً :

وإنَّ امرءاً قد سارَ عِشرينَ حِجّةً إلى منهلٍ مِن وِردِهِ لَقريبُ

ومِن فوقِكُم من يعلمُ أسرارَكُم . ولو شاءَ لهتكَ أستارَكُم . يُعامِلكُم في الدُّنيا بِحلمٍ ويقضي عليكُم في الآخرةِ بِعلمٍ . فليكُنِ المَوتُ مِنكُم على ذكرٍ . لِئلّا تأتوا بِنُكرٍ . فإنّكُم إذا استشعرتُموهُ . لم تجمحوا . ومتى ذكرتُموهُ . لم تمرحوا . وإن نسيتُموهُ . فهو ذاكِرُكُم . وإن كرهتُموهُ . فهو زائِرُكُم . قُلنا : فما حاجتُكَ . قالَ : أطولُ مِن أن تُحَدَّ . وأكثرُ مِن أن تُعَدَّ . قُلنا : فسانِحُ الوقتِ . قالَ : ردُّ فائتِ العُمرِ . ودفعُ نازِلِ الأمرِ . قُلنا : ليسَ ذلِكَ إلينا ولكِن ما شِئتَ مِن متاعِ الدُّنيا وزُخرفِها . قالَ : لا حاجةَ لي فيها

المقامة القزوينية

٤٩ حدَّثنا عيسى بنُ هِشامٍ قالَ : غزوتُ الثَّغرَ بِقزوينَ . سنةَ خمسٍ وسبعينَ . فيمن غزاهُ . فما أجزنا حزناً . إلّا هبطنا بطناً . حتّى وقفَ المسيرُ بِنا على بعضِ قُراها . فمالَتِ الهاجِرةُ بِنا إلى ظِلِّ أثلاتٍ . في حُجرتِها عينٌ كلِسانِ الشَّمعةِ . أصفى مِن الدَّمعةِ . تسيحُ في الرَّضراضِ . سَيحَ النَّضناضِ . فنِلنا مِن الطَّعامِ ما نِلنا . ثُمَّ مِلنا إلى الظِّلِّ فقِلنا . فما ملكنا النَّومُ حتّى سمِعنا صوتاً أنكرَ مِن صوتِ حِمارٍ فذادَ عن القومِ .

رائد النوم . وفتحت التوأمتين إليه وقد حالت الأشجار دونه . وأصغيت فإذا هو يقول . على إيقاع الطبول :

أدعو إلى الله فهل من مجيب إلى ذرى رحب ومرعى خصيب
وجنة عالية ما تني قطوفها دانية ما تغيب
يا قوم إني رجل تائب من بلد الكفر وأمري عجيب
إن أك آمنت فكم ليلة جحدت ربي وأتيت المريب
يا رب خنزير تمششته ومسكر أحرزت منه النصيب
ثم هداني الله وانتاشني من ذلة الكفر اجتهاد المصيب
فظلت أخفي الدين في أسرتي وأعبد الله بقلب منيب
أسجد للات حذار العدى ولا أرى الكعبة خوف الرقيب
وأسأل الله إذا جنني ليل وأضناني يوم عصيب
رب كما أنك أنقذتني فنجني إني فيهم غريب
ثم اتخذت الليل لي مركبا وما سوى العزم أمامي جنيب
هذلك من سيري في ليلة يكاد رأس الطفل فيها يشيب
حتى إذا جزت بلاد العدى إلى حمى الدين نفضت الوجيب
فقلت إذ لاح شعار الهدى نصر من الله وفتح قريب

فلما بلغ هذا البيت قال : يا قوم وطئت داركم بعزم لا العشق شاقه . ولا الفقر ساقه . وقد تركت وراء ظهري حدائق وأعنابا . وكواعب أترابا . وخيلا مسومة . وقناطير مقنطرة . وعدة وعديدا .

وَمَرَاكِبَ وَعَبِيدًا . وَخَرَجْتُ خُرُوجَ ٱلْحَيَّةِ مِنْ جُحْرِهِ . وَبَرَزْتُ بُرُوزَ ٱلطَّائِرِ مِنْ وَكْرِهِ . مُؤْثِرًا دِينِي عَلَى دُنْيَايَ . جَامِعًا يُمْنَايَ إِلَى يُسْرَايَ . وَاصِلًا سَيْرِي بِسُرَايَ . فَلَوْ دَفَعْتُمُ ٱلنَّارَ بِشَرَارِهَا . وَرَمَيْتُمُ ٱلرُّومَ بِجَارِهَا . وَأَعَنْتُمُونِي عَلَى غَزْوِهَا مُسَاعَدَةً وَإِسْعَادًا . وَمُرَافَقَةً وَإِرْفَادًا . وَلَا شَطَطَ فَكُلٌّ عَلَى قَدْرِ قُدْرَتِهِ . وَحَسَبِ ثَرْوَتِهِ . وَلَا أَسْتَكْثِرُ ٱلْبَدْرَةَ . وَأَقَلُّ ٱلذَّرَّةَ . وَلَا أَرُدُّ ٱلتَّمْرَةَ . وَلِكُلٍّ مِنِّي سَهْمَانِ سَهْمٌ أُذَلِّقُهُ لِلِّقَاءِ . وَآخَرُ أُفَوِّقُهُ بِٱلدُّعَاءِ . وَأَرْشُقُ بِهِ أَبْوَابَ ٱلسَّمَاءِ . عَنْ قَوْسِ ٱلظَّلْمَاءِ . قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَٱسْتَفَزَّنِي رَائِعُ أَلْفَاظِهِ وَسَرَوْتُ جِلْبَابَ ٱلنَّوْمِ . وَعَدَوْتُ إِلَى ٱلْقَوْمِ . فَإِذَا وَٱللهِ شَيْخُنَا أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلْإِسْكَنْدَرِيُّ بِسَيْفٍ قَدْ شَهَرَهُ . وَزِيٍّ قَدْ نَكَّرَهُ . فَلَمَّا رَآنِي غَمَزَ عَلَيَّ بِعَيْنِهِ وَقَالَ : رَحِمَ ٱللهُ مَنْ أَعَانَنَا بِفَاضِلِ ذَيْلِهِ . وَقَسَمَ لَنَا مِنْ نَيْلِهِ . ثُمَّ أَخَذَ مَا أَخَذَ وَخَلَوْتُ بِهِ فَقُلْتُ أَأَنْتَ مِنْ أَوْلَادِ ٱلنَّبِيطِ فَقَالَ :

أَنَا حَالِي مَعَ ٱلزَّمَا ... نِ كَحَالِي مَعَ ٱلنَّسَبْ
نَسَبِي فِي يَدِ ٱلزَّمَا ... نِ إِذَا سَامَهُ ٱنْقَلَبْ
أَنَا أُمْسِي مِنَ ٱلنَّبِيـ ... ـطِ وَأُضْحِي مِنَ ٱلْعَرَبْ

المقامة الناجمية

٥٠ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : بِتُّ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي كَتِيبَةِ فَضْلٍ مِنْ رُفْقَانِي فَتَذَاكَرْنَا ٱلْفَصَاحَةَ . وَمَا وَدَّعْنَا ٱلْحَدِيثَ حَتَّى قَرَعَ عَلَيْنَا ٱلْبَابُ . فَقُلْتُ : مَنِ ٱلْمُنْتَابُ . فَقَالَ : وَفْدُ ٱللَّيْلِ وَبَرِيدُهُ . وَفَلُّ ٱلْجُوعِ

وطريده. وغريب نضوه طليح. وعيشه تبريح. ومن دون فرخيه مهامه فيح. وضيف ظله خفيف. وضالته رغيف. فهل منكم مضيف. فبادرنا إلى فتح الباب وأنخنا راحلته. وجمعنا رحلته. وقلنا: دارك أتيت. وأهلك وافيت. وهلم البيت. وضحكنا إليه ورحبنا به وأريناه ضالته وساعدناه حتى شبع. وحادثناه حتى أنس. وقلنا: من الطالع بمشرقه. الفاتن بمنطقه. فقال: لا يعرف العود كالعاجم. وأنا المعروف بالناجم. عاشرت الدهر لأخبره. فعصرت أعصره. وحلبت أشطره. وجربت الناس لأعرفهم فعرفت منهم غثهم وسمينهم. والغربة لأذوقها فما لحتني أرض إلا فقأت عينها. ولا انتظمت رفقة إلا ولجت بينها. فأنا في الشرق أذكر. وفي الغرب لا أنكر. فما ملك إلا وطئت بساطه. ولا خطب إلا خرقت سماطه. وما سكنت حرب إلا وكنت فيها سفيرا. قد جربني الدهر في زمني رضائه وبوسه. ولقيني بوجهي بشره وعبوسه. فما بحت لبوسه إلا بلبوسه:

وإن كان صرف الدهر قدما أضر بي وحملني من ريبه ما يحمل
فقد جاء بالإحسان حيث أحلني محلة صدق ليس عنها محول

قلنا: لا فض فوك. ولله أنت وأبوك. ما يحرم السكوت إلا عليك ولا يحل النطق إلا لك. فمن أين طلعت وأين تغرب. وما الذي يحدو أملك أمامك. ويسوق غرضك قدامك. قال: أما الوطن. فاليمن. وأما الوطر. فالمطر. وأما السائق فالضر. والعيش

ٱلْمُرُّ. قُلْنَا: فَلَوْ أَقَمْتَ بِهَذَا ٱلْمَكَانِ لَقَاسَمْنَاكَ ٱلْعُمْرَ فَمَا دُونَهُ وَلَصَادَفْتَ مِنَ ٱلْأَمْطَارِ مَا يُزْرِعُ. وَمِنَ ٱلْأَنْوَاءِ مَا يُكْرِعُ. قَالَ: مَا أَخْتَارُ عَلَيْكُمْ صَحْبًا. وَلَقَدْ وَجَدْتُ فِنَاءَكُمْ رَحْبًا. وَلَكِنْ أَمْطَارُكُمْ مَاءٌ وَٱلْمَاءُ لَا يُرْوِي ٱلْعِطَاشَ. قُلْنَا: فَأَيُّ ٱلْأَمْطَارِ يُرْوِيكَ. قَالَ: مَطَرُ خَلَفِيٍّ وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

سِجِسْتَانُ أَيَّتُهَا ٱلرَّاحِلَهْ ... وَبَحْرًا يَوُمُّ ٱلْمُنَى سَاحِلَهْ
سَتَقْصِدُ أَرْجَانَ إِنْ زُرْتَهَا ... بِوَاحِدَةٍ مِائَةٍ كَامِلَهْ
وَفَضْلُ ٱلْأَمِيرِ عَلَى ٱبْنِ ٱلْعَمِيدِ ... كَفَضْلِ قُرَيْشٍ عَلَى بَاهِلَهْ

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَخَرَجَ وَوَدَّعْنَاهُ. وَأَقَمْنَا بَعْدَهُ بُرْهَةً نَشْتَاقُهُ. وَيُؤْلِمُنَا فِرَاقُهُ. فَبَيْنَا نَحْنُ بِيَوْمِ غَيْمٍ فِي سِمْطِ ٱلثُّرَيَّا جُلُوسٌ إِذِ ٱلْمَرَاكِبُ تُسَاقُ وَٱلْجَنَائِبُ تُقَادُ وَإِذَا رَجُلٌ قَدْ هَجَمَ عَلَيْنَا فَقُلْنَا: مَنِ ٱلْهَاجِمُ. فَإِذَا شَيْخُنَا ٱلنَّاجِمُ. يَرْفُلُ فِي نَيْلِ ٱلْمُنَى. وَذَيْلِ ٱلْغِنَى. فَقُمْنَا إِلَيْهِ مُعَانِقِينَ وَقُلْنَا: مَا وَرَاءَكَ يَا عِصَامُ. فَقَالَ: جِمَالٌ مُوقَرَةٌ وَبِغَالٌ مُثْقَلَةٌ. وَحَقَائِبُ مُقْفَلَةٌ. وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

مَوْلَايَ أَيُّ رَذِيلَةٍ لَمْ يَأْبَهَا ... خَلَفٌ وَأَيُّ فَضِيلَةٍ لَمْ يَأْتِهَا
مَا يُسْمِعُ ٱلْعَافِينَ إِلَّا هَاكَهَا ... لَفْظًا وَلَيْسَ يُجَابُ إِلَّا هَاتِهَا
إِنَّ ٱلْمَكَارِمَ أَسْفَرَتْ عَنْ أَوْجُهٍ ... بِيضٍ وَكَانَ ٱلْخَالُ فِي وَجَنَاتِهَا
بِأَبِي شَمَائِلَهُ ٱلَّتِي تَجْلُو ٱلْعُلَا ... وَيَدًا تَرَى ٱلْبَرَكَاتِ فِي حَرَكَاتِهَا
مَنْ عَدَّهَا حَسَنَاتِ دَهْرٍ إِنَّنِي ... مِمَّنْ يَعُدُّ ٱلدَّهْرَ مِنْ حَسَنَاتِهَا

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَسَأَلْنَا ٱللهَ بَقَاءَهُ. وَأَنْ يَرْزُقَنَا لِقَاءَهُ.

وَأَقَامَ ٱلنَّاجِمُ أَيَّامًا مُقْتَصِرًا مِنْ لِسَانِهِ . عَلَى شُكْرِ إِحْسَانِهِ . وَلَا يَنْصَرِفُ مِنْ كَلَامِهِ إِلَّا فِي مَدْحِ أَيَّامِهِ . وَٱلتَّحَدُّثِ بِإِنْعَامِهِ

نخبة من مقامات الحريري

المقامة البرقعيديّة

٥١ حَكَى ٱلْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ . قَالَ : أَزْمَعْتُ ٱلشُّخُوصَ مِنْ بَرْقَعِيدَ . وَقَدْ شِمْتُ بَرْقَ عِيدٍ . فَكَرِهْتُ ٱلرِّحْلَةَ عَنْ تِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ . أَوْ أَشْهَدَ بِهَا يَوْمَ ٱلزِّينَةِ . فَلَمَّا أَظَلَّ بِفَرْضِهِ وَنَفْلِهِ . وَأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ . أَتْبَعْتُ ٱلسُّنَّةَ فِي لُبْسِ ٱلْجَدِيدِ . وَبَرَزْتُ مَعَ مَنْ بَرَزَ لِلتَّعْيِيدِ . وَحِينَ ٱلْتَأَمَ جَمْعُ ٱلْمُصَلَّى وَٱنْتَظَمَ . وَأَخَذَ ٱلزِّحَامُ بِٱلْكَظَمِ . طَلَعَ شَيْخٌ فِي شَمْلَتَيْنِ . مَحْجُوبُ ٱلْمُقْلَتَيْنِ . وَقَدِ ٱعْتَضَدَ شِبْهَ ٱلْمِخْلَاةِ . وَٱسْتَقَادَ لِعَجُوزٍ كَٱلسِّعْلَاةِ . فَوَقَفَ وِقْفَةَ مُتَهَافِتٍ . وَحَيَّا تَحِيَّةَ خَافِتٍ . وَلَمَّا فَرَغَ مِنْ دُعَائِهِ . أَجَالَ خَمْسَهُ فِي وِعَائِهِ . فَأَبْرَزَ مِنْهُ رِقَاعًا قَدْ كُتِبْنَ بِأَلْوَانِ ٱلْأَصْبَاغِ . فِي أَوَانِ ٱلْفَرَاغِ . فَنَاوَلَهُنَّ عَجُوزَهُ ٱلْحَيْزَبُونَ . وَأَمَرَهَا بِأَنْ تَتَوَسَّمَ ٱلزَّبُونَ . فَمَنْ آنَسَتْ نَدَى يَدَيْهِ . أَلْقَتْ وَرَقَةً مِنْهُنَّ لَدَيْهِ . فَأَتَاحَ لِيَ ٱلْقَدَرُ ٱلْمَعْتُوبُ . رُقْعَةً فِيهَا مَكْتُوبٌ :

لَقَدْ أَصْبَحْتُ مَوْقُوذًا بِأَوْجَاعٍ وَأَوْجَالِ
وَمَمْنُوًّا بِمُخْتَالٍ وَمُحْتَالٍ وَمُغْتَالِ
وَخَوَّانٍ مِنَ ٱلْإِخْوَا نِ قَالٍ لِي لِإِقْلَالِي
وَإِهْمَالٍ مِنَ ٱلْعُمَّا لِ فِي تَضْلِيعِ أَعْمَالِي

فَكَمْ أُصْلَى بِأَذْحَالٍ وَإِمْحَالٍ وَتَرْحَالِ
وَكَمْ أَخْطُرُ فِي بَالٍ وَلَا أَخْطُرُ فِي بَالِ
فَلَيْتَ ٱلدَّهْرَ لَمَّا جَارَ أَطْفَا لِي أَطْفَالِي
فَلَوْلَا أَنَّ أَشْبَالِي أَغْلَالِي وَأَعْلَالِي
لَمَّا جَهَّزْتُ آمَالِي إِلَى آلٍ وَلَا وَالِ
وَلَا جَرَّرْتُ أَذْيَالِي عَلَى مَسْحَبِ إِذْلَالِي
فَمِحْرَابِي أَحْرَى بِي وَأَسْمَالِي أَسْمَى لِي
فَهَلْ حُرٌّ يَرَى تَخْفِيفَ أَثْقَالِي بِمِثْقَالِ
وَيُطْفِي حَرَّ بَلْبَالِي بِسِرْبَالٍ وَسِرْوَالِ

قَالَ ٱلْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَلَمَّا ٱسْتَعْرَضْتُ حُلَّةَ ٱلْأَبْيَاتِ تُقْتُ إِلَى مَعْرِفَةِ مُلْحِمِهَا. وَرَاقِمِ عَلَمِهَا. فَنَاجَانِي ٱلْفِكْرُ بِأَنَّ ٱلْوُصْلَةَ إِلَيْهِ ٱلْعَجُوزُ. وَأَفْتَانِي بِأَنَّ حُلْوَانَ ٱلْمُعَرِّفِ يَجُوزُ. فَرَصَدْتُهَا وَهِيَ تَسْتَقْرِي ٱلصُّفُوفَ صَفًّا صَفًّا. وَتَسْتَوْكِفُ ٱلْأَكُفَّ كَفًّا كَفًّا. وَمَا إِنْ يُنْجِحُ لَهَا عَنَاءٌ. وَلَا يَرْشَحُ عَلَى يَدِهَا إِنَاءٌ. فَلَمَّا أَكْدَى ٱسْتِعْطَافُهَا. وَكَدَّهَا مَطَافُهَا. عَاذَتْ بِٱلِٱسْتِرْجَاعِ. وَمَالَتْ إِلَى إِرْجَاعِ ٱلرِّقَاعِ. وَأَنْسَاهَا ٱلشَّيْطَانُ ذِكْرَ رُقْعَتِي. فَلَمْ تَعُجْ إِلَى بُقْعَتِي. وَآبَتْ إِلَى ٱلشَّيْخِ بَاكِيَةً لِلْحِرْمَانِ. شَاكِيَةً تَحَامُلَ ٱلزَّمَانِ. فَقَالَ: إِنَّا لِلّٰهِ. وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى ٱللّٰهِ. ثُمَّ أَنْشَدَ:

لَمْ يَبْقَ صَافٍ وَلَا مُصَافٍ وَلَا مَعِينٌ وَلَا مُعِينُ
وَفِي ٱلْمَسَاوِي بَدَا ٱلتَّسَاوِي فَلَا أَمِينٌ وَلَا ثَمِينُ

ثُمَّ قالَ لَها: مَنِّي ٱلنَّفسَ وَعِدِيها. وَٱجْمَعِي ٱلرِّقاعَ وَعُدِّيها. فَقالَتْ: لَقَدْ عَدَدْتُها. لَمَّا ٱسْتَعَدْتُها. فَوَجَدتُ يَدَ ٱلضَّياعِ. قَدْ غالَتْ إِحْدى ٱلرِّقاعِ. فَقالَ: تَعْساً لَكِ يا لَكاعِ. أَنُحْرَمُ وَيْحَكِ ٱلْقَنَصَ وَٱلْحِبالَةَ. وَٱلْقَبَسَ وَٱلذُّبالَةَ. إِنَّها لَضِغْثٌ عَلى إِبالَةٍ. فَٱنْصاعَتْ تَقُصُّ مَدْرَجَها. وَتَنْشُدُ مُدْرَجَها. فَلَمَّا دانَتْنِي قَرَنْتُ بِٱلرُّقْعَةِ دِرْهَماً وَقِطْعَةً. وَقُلْتُ لَها: إِنْ رَغِبْتِ فِي ٱلْمَشُوفِ ٱلْمُعْلَمِ. وَأَشَرْتُ إِلَى ٱلدِّرْهَمِ. فَبُوحِي بِٱلسِّرِّ ٱلْمُبْهَمِ. وَإِنْ أَبَيْتِ أَنْ تَشْرَحِي. فَخُذِي ٱلْقِطْعَةَ وَٱسْرَحِي. فَمالَتْ إِلَى ٱسْتِخْلاصِ ٱلْبَدْرِ ٱلتَّمِّ. وَٱلْأَبْلَجِ ٱلْهِمِّ. وَقالَتْ: دَعْ جِدالَكَ. وَسَلْ عَمَّا بَدا لَكَ. فَٱسْتَطْلَعْتُها. طِلْعَ ٱلشَّيْخِ وَبَلْدَتِهِ. وَٱلشِّعْرِ وَناسِجِ بُرْدَتِهِ. فَقالَتْ: إِنَّ ٱلشَّيْخَ مِنْ أَهْلِ سَرُوجَ. وَهُوَ ٱلَّذِي وَشَّى ٱلشِّعْرَ ٱلْمَنْسُوجَ. ثُمَّ خَطِفَتِ ٱلدِّرْهَمَ خَطْفَةَ ٱلْباشِقِ. وَمَرَقَتْ مُرُوقَ ٱلسَّهْمِ ٱلرَّاشِقِ. فَخالَجَ قَلْبِي أَنَّ أَبا زَيْدٍ هُوَ ٱلْمُشارُ إِلَيْهِ. وَتَأَجَّجَ كَرْبِي لِمُصابِهِ بِناظِرَيْهِ. وَآثَرْتُ أَنْ أُفاجِيَهُ وَأُناجِيَهُ. لِأَعْجُمَ عُودَ فِراسَتِي فِيهِ. وَما كُنْتُ لِأَصِلَ إِلَيْهِ إِلَّا بِتَخَطِّي رِقابِ ٱلْجَمْعِ. ٱلْمَنْهِيِّ عَنْهُ فِي ٱلشَّرْعِ. وَعِفْتُ أَنْ يَتَأَذَّى بِي قَوْمٌ. أَوْ يَسْرِيَ إِلَيَّ لَوْمٌ. فَسَدِكْتُ بِمَكانِي. وَجَعَلْتُ شَخْصَهُ قَيْدَ عِيانِي. إِلى أَنِ ٱنْقَضَتِ ٱلْخُطْبَةُ. وَحَقَّتِ ٱلْوَثْبَةُ. فَخَفَفْتُ إِلَيْهِ. وَتَوَسَّمْتُهُ عَلى ٱلْتِحامِ جَفْنَيْهِ. فَإِذا ٱلْمَعِيَّتي ٱلْمَعِيَّةُ ٱبْنِ عَبَّاسٍ. وَفِراسَتِي فِراسَةُ إِياسٍ. فَعَرَّفْتُهُ حِينَئِذٍ شَخْصِي. وَآثَرْتُهُ بِأَحَدِ قُمُصِي. وَأَهَبْتُ بِهِ إِلى قُرْصِي. فَهَشَّ لِمَعارِفَتِي وَعِرْفانِي. وَلَبَّى دَعْوَةَ

رُغفاني . وَانطلق ويدي زمامه . وظلي إمامه . والعجوز ثالثة الأثافي . والرقيب الذي لا يخفى عليه خافي . فلما استخلص وكني وأحضره عُجالة مكني . قال لي : يا حارث أمعنا ثالث . فقلت : ليس إلا العجوز . قال : ما دونها سر محجوز . ثم فتح كريمتيه . ورأرأ بتوأمتيه . فإذا سراجا وجهه يقدان . كأنهما الفرقدان . فابتهجت بسلامة بصره . وعجبت من غرائب سيره . ولم يلقني قرار . ولا طاوعني اصطبار . حتى سألته ما دعاك إلى التعامي . مع سيرك في المعامي . وجوبك الموامي . وإيغالك في المرامي . فتظاهر باللكنة . وتشاغل باللهنة . حتى إذا قضى وطره . أتأر إلي نظره . وأنشد :

ولما تعامى الدهر وهو أبو الورى عن الرشد في أنحائه ومقاصده
تعاميت حتى قيل إني أخو عمى ولا غرو أن يحذو الفتى حذو والده

ثم قال لي : انهض إلى المخدع فأتني بغسول يروق الطرف . وينقي الكف . وينعم البشرة . ويعطر النكهة . ويشد اللثة . ويقوي المعدة . وليكن نظيف الظرف . أريج العرف . فتي الدق . ناعم السحق . يحسبه اللامس ذرورا . ويخاله الناشق كافورا . واقرن به خلالة نقية الأصل . محبوبة الوصل . أنيقة الشكل . مدعاة إلى الأكل . لها نحافة الصب . وصقال العضب . وآلة الحرب . ولدونة الغصن الرطب . قال : فنهضت فيما أمر . لأدرأ عنه الغمر . ولم أهم إلى أنه قصد أن يخدع . بإدخالي المخدع . ولا تظنيت أنه سخر من

الرَّسُولِ . فِي اسْتِدْعَاءِ الْخِلَالَةِ وَالْغَسُولِ . فَلَمَّا عُدْتُ بِالْمُلْتَمَسِ . فِي أَقْرَبَ مِنْ رَجْعِ النَّفَسِ . وَجَدْتُ الْجَوَّ قَدْ خَلَا . وَالشَّيْخَ وَالشَّيْخَةَ قَدْ أَجْفَلَا . فَاسْتَشَطْتُ مِنْ مَكْرِهِ غَضَبًا . وَأَوْغَلْتُ فِي إِثْرِهِ طَلَبًا . فَكَانَ كَمَنْ قُمِسَ فِي الْمَاءِ . أَوْ عُرِجَ بِهِ إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ

المقامة الاسكندرية

٥٢ قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ : طَحَا بِي مَرَحُ الشَّبَابِ . وَهَوَى الِاكْتِسَابِ . إِلَى أَنْ جُبْتُ مَا بَيْنَ فَرْغَانَةَ . وَغَانَةَ . أَخُوضُ الْغِمَارَ . لِأَجْنِيَ الثِّمَارَ . وَأَقْتَحِمُ الْأَخْطَارَ . لِكَيْ أُدْرِكَ الْأَوْطَارَ . وَكُنْتُ لَقِفْتُ مِنْ أَفْوَاهِ الْعُلَمَاءِ . وَثَقِفْتُ مِنْ وَصَايَا الْحُكَمَاءِ . أَنَّهُ يَلْزَمُ الْأَدِيبَ الْأَرِيبَ . إِذَا دَخَلَ الْبَلَدَ الْغَرِيبَ . أَنْ يَسْتَمِيلَ قَاضِيَهُ . وَيَسْتَخْلِصَ مُرَاضِيَهُ . لِيَشْتَدَّ ظَهْرُهُ عِنْدَ الْخِصَامِ . وَيَأْمَنَ فِي الْغُرْبَةِ جَوْرَ الْحُكَّامِ . فَاتَّخَذْتُ هٰذَا الْأَدَبَ إِمَامًا . وَجَعَلْتُهُ لِمَصَالِحِي زِمَامًا . فَمَا دَخَلْتُ مَدِينَةً . وَلَا وَلَجْتُ عَرِينَةً . إِلَّا وَامْتَزَجْتُ بِحَاكِمِهَا امْتِزَاجَ الْمَاءِ بِالرَّاحِ . وَتَقَوَّيْتُ بِعِنَايَتِهِ تَقَوِّيَ الْأَجْسَادِ بِالْأَرْوَاحِ . فَبَيْنَمَا أَنَا عِنْدَ حَاكِمِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ . فِي عَشِيَّةٍ عَرِيَّةٍ . وَقَدْ أَحْضَرَ مَالَ الصَّدَقَاتِ . لِيَفُضَّهُ عَلَى ذَوِي الْفَاقَاتِ . إِذْ دَخَلَ شَيْخٌ عِفْرِيَةٌ . تَعْتَلُهُ امْرَأَةٌ مُصْبِيَةٌ . فَقَالَتْ : أَيَّدَ اللهُ الْقَاضِيَ . وَأَدَامَ بِهِ التَّرَاضِيَ . إِنِّي امْرَأَةٌ مِنْ أَكْرَمِ جُرْثُومَةٍ . وَأَطْهَرِ أُرُومَةٍ . وَأَشْرَفِ خُؤُولَةٍ وَعُمُومَةٍ . مِيسَمِي الصَّوْنُ . وَشِيمَتِي الْهَوْنُ . وَخُلُقِي نِعْمَ الْعَوْنُ . وَبَيْنِي وَبَيْنَ جَارَاتِي بَوْنٌ . وَكَانَ أَبِي إِذَا خَطَبَنِي بُنَاةُ الْمَجْدِ .

وَأَرْبَابُ الْجِدِّ. سَكَّتَهُمْ وَبَكَّتَهُمْ. وَعَافَ وُصْلَتَهُمْ وَصِلَتَهُمْ. وَاحْتَجَّ بِأَنَّهُ عَاهَدَ اللهَ تَعَالَى بِحَلْفَةٍ. أَنْ لَا يُصَاهِرَ غَيْرَ ذِي حِرْفَةٍ. فَقَيَّضَ الْقَدَرُ لِنَصَبِي. وَوَصَبِي. أَنْ حَضَرَ هٰذَا الْخُدَعَةُ نَادِيَ أَبِي. فَأَقْسَمَ بَيْنَ رَهْطِهِ. أَنَّهُ وَفْقُ شَرْطِهِ. وَادَّعَى أَنَّهُ طَالَمَا نَظَمَ دُرَّةً إِلَى دُرَّةٍ. فَبَاعَهُمَا بِبَدْرَةٍ. فَاغْتَرَّ أَبِي بِزَخْرَفَةِ مُحَالِهِ. وَزَوَّجَنِيهِ قَبْلَ اخْتِبَارِ حَالِهِ. فَلَمَّا اسْتَخْرَجَنِي مِنْ كِنَاسِي. وَرَحَّلَنِي عَنْ أُنَاسِي. وَنَقَلَنِي إِلَى كَسْرِهِ. وَحَصَّلَنِي تَحْتَ أَسْرِهِ. وَجَدْتُهُ قُعَدَةً جُثَمَةً. وَأَلْفَيْتُهُ ضُجَعَةً نُوَمَةً. وَكُنْتُ صَحِبْتُهُ بِرِيَاشٍ وَزِيٍّ. وَأَثَاثٍ وَرِيٍّ. فَمَا بَرِحَ يَبِيعُهُ فِي سُوقِ الْهَضْمِ. وَيُتْلِفُ ثَمَنَهُ فِي الْخَضْمِ وَالْقَضْمِ. إِلَى أَنْ مَزَّقَ مَا لِي بِأَسْرِهِ. وَأَنْفَقَ مَالِي فِي عُسْرِهِ. فَلَمَّا أَنْسَانِي طَعْمَ الرَّاحَةِ. وَغَادَرَ بَيْتِي أَنْقَى مِنَ الرَّاحَةِ. قُلْتُ لَهُ: يَا هٰذَا إِنَّهُ لَا مُخَبَّأَ بَعْدَ بُوسٍ. وَلَا عِطْرَ بَعْدَ عَرُوسٍ. فَانْهَضْ لِلِاكْتِسَابِ بِصِنَاعَتِكَ. وَأَجْنِنِي ثَمَرَةَ بَرَاعَتِكَ. فَزَعَمَ أَنَّ صِنَاعَتَهُ قَدْ رُمِيَتْ بِالْكَسَادِ. لِمَا ظَهَرَ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْفَسَادِ. وَلِي مِنْهُ سُلَالَةٌ. كَأَنَّهُ خِلَالَةٌ. وَكِلَانَا مَا يَنَالُ مَعَهُ شُبْعَةً. وَلَا تَرْقَأُ لَهُ مِنَ الطَّوَى دَمْعَةٌ. وَقَدْ قُدْتُهُ إِلَيْكَ. وَأَحْضَرْتُهُ لَدَيْكَ. لِتَعْجُمَ عُودَ دَعْوَاهُ. وَتَحْكُمَ بَيْنَنَا بِمَا أَرَاكَ اللهُ. فَأَقْبَلَ الْقَاضِي عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ: قَدْ وَعَيْتُ قَصَصَ عِرْسِكَ. فَبَرْهِنِ الْآنَ عَنْ نَفْسِكَ. وَإِلَّا كَشَفْتُ عَنْ لَبْسِكَ. وَأَمَرْتُ بِحَبْسِكَ. فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الْأُفْعُوَانِ. ثُمَّ شَمَّرَ لِلْحَرْبِ الْعَوَانِ. وَقَالَ:

إِسْمَعْ حَدِيثِي فَإِنَّهُ عَجَبٌ   يُضْحِكُ مِنْ شَرْحِهِ وَيُنْتَحَبُ
أَنَا أمْرُؤٌ لَيْسَ فِي خَصَائِصِهِ   عَيْبٌ وَلَا فِي فَخَارِهِ رِيَبُ
سَرُوجُ دَارِي ٱلَّتِي وُلِدْتُ بِهَا   وَٱلْأَصْلُ غَسَّانُ حِينَ أَنْتَسِبُ
وَشُغْلِيَ ٱلدَّرْسُ وَٱلتَّبَحُّرُ فِي ٱلْـ   ـعِلْمِ طِلَابِي وَحَبَّذَا ٱلطَّلَبُ
وَرَأْسُ مَالِي سِحْرُ ٱلْكَلَامِ ٱلَّذِي   مِنْهُ يُصَاغُ ٱلْقَرِيضُ وَٱلْخُطَبُ
أَغُوصُ فِي لُجَّةِ ٱلْبَيَانِ فَأَخْتَارُ ٱللَّآلِي مِنْهَا وَأَنْتَخِبُ
وَأَجْتَنِي ٱلْيَانِعَ ٱلْجَنِيَّ مِنَ ٱلْـ   ـقَوْلِ وَغَيْرِي لِلْعُودِ يَحْتَطِبُ
وَآخُذُ ٱللَّفْظَ فِضَّةً فَإِذَا   مَا صُغْتُهُ قِيلَ إِنَّهُ ذَهَبُ
وَكُنْتُ مِنْ قَبْلُ أَمْتَرِي نَشَبًا   بِٱلْأَدَبِ ٱلْمُقْتَنَى وَأَحْتَلِبُ
وَيَمْتَطِي أَخْمَصِي لِحُرْمَتِهِ   مَرَاتِبًا لَيْسَ فَوْقَهَا رُتَبُ
وَطَالَمَا زُفَّتِ ٱلصِّلَاتُ إِلَى   رَبْعِي فَلَمْ أَرْضَ كُلَّ مَنْ يَهَبُ
فَٱلْيَوْمَ مَنْ يَعْلَقُ ٱلرَّجَاءُ بِهِ   أَكْسَدُ شَيْءٍ فِي سُوقِهِ ٱلْأَدَبُ
لَا عِرْضُ أَبْنَائِهِ يُصَانُ وَلَا   يُرْقَبُ فِيهِمْ إِلٌّ وَلَا نَسَبُ
كَأَنَّهُمْ فِي عِرَاصِهِمْ جِيَفٌ   يُبْعَدُ مِنْ نَتْنِهَا وَيُجْتَنَبُ
فَحَارَ لُبِّي لِمَا مُنِيتُ بِهِ   مِنَ ٱللَّيَالِي وَصَرْفُهَا عَجَبُ
وَضَاقَ ذَرْعِي لِضِيقِ ذَاتِ يَدِي   وَسَاوَرَتْنِي ٱلْهُمُومُ وَٱلْكُرَبُ
وَقَادَنِي دَهْرِيَ ٱلْمُلِيمُ إِلَى   سُلُوكِ مَا يَسْتَشِينُهُ ٱلْحَسَبُ
فَبِعْتُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لِي سَبَدٌ   وَلَا بَتَاتٌ إِلَيْهِ أَنْقَلِبُ
وَٱدَّنْتُ حَتَّى أَثْقَلْتُ سَالِفَتِي   بِحَمْلِ دَيْنٍ مِنْ دُونِهِ ٱلْعَطَبُ

ثُمَّ طَوَيْتُ ٱلْحَشَا عَلَى سَغَبٍ خَمْساً فَلَمَّا أَمَضَّنِي ٱلسَّغَبُ
لَمْ أَرَ إِلَّا جِهَازَهَا عَرَضاً أَجُولُ فِي بَيْعِهِ وَأَضْطَرِبُ
فَجُلْتُ فِيهِ وَٱلنَّفْسُ كَارِهَةٌ وَٱلْعَيْنُ عَبْرَى وَٱلْقَلْبُ مُكْتَئِبُ
وَمَا تَجَاوَزْتُ إِذْ عَبِثْتُ بِهِ حَدَّ ٱلتَّرَاضِي فَيَحْدُثَ ٱلْغَضَبُ
فَإِنْ يَكُنْ غَاظَهَا تَوَهُّمُهَا أَنَّ بَنَانِي بِٱلنَّظْمِ تَكْتَسِبُ
أَوْ أَنَّنِي إِذْ عَزَمْتُ خِطْبَتَهَا زَخْرَفْتُ قَوْلِي لِيَنْجَحَ ٱلْأَرَبُ
فَوَٱلَّذِي سَارَتِ ٱلرِّفَاقُ إِلَى كَعْبَتِهِ تَسْتَحِثُّهَا ٱلنُّجُبُ
مَا ٱلْمَكْرُ بِٱلْمُحْصَنَاتِ مِنْ خُلُقِي وَلَا شِعَارِي ٱلتَّمْوِيهُ وَٱلْكَذِبُ
وَلَا يَدِي مُذْ نَشَأْتُ نِيطَ بِهَا إِلَّا مَوَاضِي ٱلْيَرَاعِ وَٱلْكُتُبُ
بَلْ فِكْرَتِي تَنْظِمُ ٱلْقَلَائِدَ لَا كَفِّي وَشِعْرِي ٱلْمَنْظُومُ لَا ٱلسُّخُبُ
فَهَذِهِ ٱلْحِرْفَةُ ٱلْمُشَارُ إِلَى مَا كُنْتُ أَحْوِي بِهَا وَأَجْتَلِبُ
فَأْذَنْ لِشَرْحِي كَمَا أَذِنْتَ لَهَا وَلَا تُرَاقِبْ وَٱحْكُمْ بِمَا يَجِبُ

قَالَ : فَلَمَّا أَحْكَمَ مَا شَادَهُ . وَأَكْمَلَ إِنْشَادَهُ . عَطَفَ ٱلْقَاضِي إِلَى ٱلْفَتَاةِ . بَعْدَ أَنْ شُعِفَ بِٱلْأَبْيَاتِ وَقَالَ : أَمَا إِنَّهُ قَدْ ثَبَتَ عِنْدَ جَمِيعِ ٱلْحُكَّامِ وَوُلَاةِ ٱلْأَحْكَامِ . ٱنْقِرَاضُ جِيلِ ٱلْكِرَامِ . وَمَيْلُ ٱلْأَيَّامِ إِلَى ٱللِّئَامِ . وَإِنِّي لَإِخَالُ بَعْلَكِ صَدُوقاً فِي ٱلْكَلَامِ . بَرِيئاً مِنَ ٱلْمَلَامِ . وَهَا هُوَ قَدِ ٱعْتَرَفَ لَكِ بِٱلْقَرْضِ . وَصَرَّحَ عَنِ ٱلْمَحْضِ . وَبَيَّنَ مِصْدَاقَ ٱلنَّظْمِ . وَتَبَيَّنَ أَنَّهُ مَعْرُوقُ ٱلْعَظْمِ . وَإِعْنَاتُ ٱلْمَعْذِرِ مَلَامَةٌ . وَحَبْسُ ٱلْمُعْسِرِ مَأْثَمَةٌ . وَكِتْمَانُ ٱلْفَقْرِ زَهَادَةٌ . وَٱنْتِظَارُ ٱلْفَرَجِ بِٱلصَّبْرِ عِبَادَةٌ .

فَارْجِعِي إِلَى خِدْرِكِ. وَاعْذِرِي أَبَا عُذْرِكِ. وَنَهْنِهِي عَنْ غَرْبِكِ. وَسَلِّمِي لِقَضَاءِ رَبِّكِ. ثُمَّ إِنَّهُ فَرَضَ لَهُمَا فِي الصَّدَقَاتِ حِصَّةً. وَنَاوَلَهُمَا مِنْ دَرَاهِمِهَا قَبْصَةً. وَقَالَ لَهُمَا: تَعَلَّلَا بِهَذِهِ الْعُلَالَةِ. وَتَنَدَّيَا بِهَذِهِ الْبُلَالَةِ. وَاصْبِرَا عَلَى كَيْدِ الزَّمَانِ وَكَدِّهِ. فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ. فَنَهَضَا وَلِلشَّيْخِ فَرْحَةُ الْمُطْلَقِ مِنَ الْإِسَارِ. وَهِزَّةُ الْمُوسِرِ بَعْدَ الْإِعْسَارِ. قَالَ الرَّاوِي: وَكُنْتُ عَرَفْتُ أَنَّهُ أَبُو زَيْدٍ سَاعَةَ بَزَغَتْ شَمْسُهُ. وَنَزَغَتْ عِرْسُهُ. وَكِدْتُ أُفْصِحُ عَنِ افْتِنَانِهِ. وَأُثْمَارِ أَفْنَانِهِ. ثُمَّ أَشْفَقْتُ مِنْ عُثُورِ الْقَاضِي عَلَى بُهْتَانِهِ. وَتَزْوِيقِ لِسَانِهِ. فَلَا يَرَى عِنْدَ عِرْفَانِهِ أَنْ يُرَشِّحَهُ لِإِحْسَانِهِ. فَأَحْجَمْتُ عَنِ الْقَوْلِ إِحْجَامَ الْمُرْتَابِ. وَطَوَيْتُ ذِكْرَهُ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكِتَابِ. إِلَّا أَنِّي قُلْتُ بَعْدَ مَا فَصَلَ. وَوَصَلَ إِلَى مَا وَصَلَ: لَوْ أَنَّ لَنَا مَنْ يَنْطَلِقُ فِي أَثَرِهِ. لَأَتَانَا بِفَصِّ خَبَرِهِ. وَبِمَا يَنْشُرُ مِنْ حِبَرِهِ. فَأَتْبَعَهُ الْقَاضِي أَحَدَ أُمَنَائِهِ. وَأَمَرَهُ بِالتَّجَسُّسِ عَنْ أَنْبَائِهِ. فَمَا لَبِثَ أَنْ رَجَعَ مُتَدَهْدِهًا. وَقَهْقَرَ مُقَهْقِهًا. فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي: مَهْيَمْ. يَا أَبَا مَرْيَمَ. فَقَالَ: لَقَدْ عَايَنْتُ عَجَبًا. وَسَمِعْتُ مَا أَنْشَأَ لِي طَرَبًا. فَقَالَ لَهُ: مَاذَا رَأَيْتَ. وَمَا الَّذِي وَعَيْتَ. قَالَ: لَمْ يَزَلِ الشَّيْخُ مُذْ خَرَجَ يُصَفِّقُ بِيَدَيْهِ. وَيُخَالِفُ بَيْنَ رِجْلَيْهِ. وَيُغَرِّدُ بِمِلْءِ شِدْقَيْهِ. وَيَقُولُ:

كِدْتُ أَصْلَى بِبَلِيَّهْ مِنْ وَقَاحٍ شَمَّرِيَّهْ
وَأَزُورُ السِّجْنَ لَوْلَا حَاكِمُ الْإِسْكَنْدَرِيَّهْ

فَضَحِكَ الْقَاضِي حَتَّى هَوَتْ دَنِّيَّتُهُ. وَذَوَتْ سَكِينَتُهُ. فَلَمَّا فَاءَ

إلى الوقارِ. وعقّبَ الاستغرابَ بالاستغفارِ. قالَ: اللّهمّ بحرمةِ عبادِكَ المقرّبينَ. حرّمْ حبسي على المتأدّبينَ. ثمّ قالَ لذلكَ الأمينِ: عليّ بهِ. فانطلقَ مجدًّا بطلبِهِ. ثمّ عادَ بعدَ لأْيِهِ. مخبرًا بتأْيِهِ. فقالَ لهُ القاضي: أما إنّهُ لو حضرَ. لكُفِيَ الحذرَ. ثمّ لأولَيْتُهُ ما هوَ بهِ أوْلى. ولأرَيْتُهُ أنّ الآخرةَ خيرٌ لهُ منَ الأولى. قالَ الحارثُ بنُ همّامٍ: فلمّا رأيتُ صغوَ القاضي إليهِ. وفوتَ ثمرةِ التّنبيهِ عليهِ. غشيَتْني ندامةُ الفرزدقِ حينَ أبانَ النّوارَ. والكُسَعيِّ لمّا استبانَ النّهارَ

المقامة البغدادية

٥٣ روى الحارثُ بنُ همّامٍ. قالَ: ندوتُ بضواحي الزّوراءِ معَ مشيخةٍ منَ الشّعراءِ. لا يَعلقُ لهمْ مُبارٍ بغبارٍ. ولا يجري معهمْ مُمارٍ في مضمارٍ. فأفضْنا في حديثٍ يفضحُ الأزهارَ. إلى أنْ نصفْنا النّهارَ. فلمّا غاضَ درُّ الأفكارِ. وصبَتِ النّفوسُ إلى الأوكارِ. لمحْنا عجوزًا تُقبلُ منَ البُعدِ. وتحضُرُ إحضارَ الجُرْدِ. وقدِ استتلَتْ صِبيةً أنحفَ منَ المغازلِ. وأضعفَ منَ الجوازلِ. فما كذّبَتْ إذ رأتْنا. أنْ عرَتْنا. حتّى إذا ما حضرَتْنا. قالتْ: حيّا اللهُ المعارفَ. وإنْ لمْ يكُنّ معارفَ. اعلموا يا مآلَ الآملِ. وثمالَ الأراملِ. أنّي منْ سرَواتِ القبائلِ. وسريّاتِ العقائلِ. لمْ يزلْ أهلي وبعلي يحُلّونَ الصّدرَ ويسيرونَ القلبَ. ويمطونَ الظّهرَ. ويولونَ اليدَ. فلمّا أردى الدّهرُ الأعضادَ. وفجعَ بالجوارحِ الأكبادَ. وانقلبَ ظهرًا لبطنٍ. نبا النّاظرُ. وجفا الحاجبُ.

ما باتَ جارٌ لهم ساغباً ‏ ‏ ولا لِرَوعٍ قالَ حالَ الجريضْ
فغيَّضتْ منهم صروفُ الردى ‏ ‏ بحارَ جودٍ لم نخلها تَغيضْ
وأودعتْ منهم بطونَ الثرى ‏ ‏ أُسْدَ التحامي وأُساةَ المريضْ
فمحملي بعدَ المطايا المطا ‏ ‏ وموطني بعدَ اليفاعِ الحضيضْ
وأفرخي ما تأتلي تشتكي ‏ ‏ بؤساً لهُ في كلِّ يومٍ وميضْ
إذا دعا القانتُ في ليلهِ ‏ ‏ مولاهُ نادوهُ بدمعٍ يفيضْ
يا رازقَ النعّابِ في عشّهِ ‏ ‏ وجابرَ العظمِ الكسيرِ المهيضْ
أتحْ لنا اللهمَّ من عِرضهُ ‏ ‏ من دنسِ الذمِّ نقيٌّ رحيضْ
يطفىء نارَ الجوعِ عنّا ولو ‏ ‏ بمذقةٍ من حازرٍ أو مخيضْ
فهل فتى يكشفُ ما نابهم ‏ ‏ ويغنمُ الشكرَ الطويلَ العريضْ

قالَ الراوي: فواللهِ لقد صدعتْ بأبياتها أعشارَ القلوبِ. واستخرجتْ خبايا الجيوبِ. حتّى ماحها من دينهِ الامتياحُ. وارتاحَ لرفدها من لم نخلهُ يرتاحُ. فلمّا افعوعمَ جيبها تبراً. وأولاها كلٌّ منّا برّاً. تولّتْ يتلوها الأصاغرُ. وفوها بالشكرِ فاغرٌ. فاشرأبّتِ الجماعةُ بعدَ ممرِّها. إلى سبرِها. لتبلوَ مواقعَ برِّها. فكفلتُ لهم باستنباطِ السرِّ المرموزِ. ونهضتُ أقفو أثرَ العجوزِ. حتّى انتهتْ إلى سوقٍ مغتصّةٍ بالأنامِ. مختصّةٍ بالزحامِ. فانغمستْ في الغمارِ. وامّلستْ من الصبيةِ الأغمارِ. ثمّ عاجتْ بخلوِّ بالٍ. إلى مسجدٍ خالٍ. فأماطتِ الجلبابَ. ونضتِ النقابَ. وأنا ألمحها من خصاصِ البابِ. وأرقبُ ما

وَذَهَبَتِ ٱلْعَيْنُ . وَفُقِدَتِ ٱلرَّاحَةُ . وَصَلَدَ ٱلزَّنْدُ . وَوَهَنَتِ ٱلْيَمِينُ . وَضَاعَ ٱلْيَسَارُ . وَبَانَتِ ٱلْمَرَافِقُ . وَلَمْ يَبْقَ لَنَا ثَنِيَّةٌ وَلَا نَابٌ . فَمُذْ أَغْبَرَ ٱلْعَيْشُ ٱلْأَخْضَرُ . وَٱزْوَرَّ ٱلْمَحْبُوبُ ٱلْأَصْفَرُ . ٱسْوَدَّ يَوْمِي ٱلْأَبْيَضُ . وَٱبْيَضَّ فَوْدِي ٱلْأَسْوَدُ . حَتَّى رَثَى لِي ٱلْعَدُوُّ ٱلْأَزْرَقُ . فَحَبَّذَا ٱلْمَوْتُ ٱلْأَحْمَرُ . وَتِلْوِي مَنْ تَرَوْنَ عَيْنُهُ فِرَارُهُ . وَتَرْجُمَانُهُ ٱصْفِرَارُهُ . قُصْوَى بُغْيَةِ أَحَدِهِمْ ثُرْدَةٌ . وَقُصَارَى أُمْنِيَّتِهِ بُرْدَةٌ . وَكُنْتُ آلَيْتُ أَنْ لَا أَبْذُلَ ٱلْحُرَّ إِلَّا لِلْحُرِّ . وَلَوْ أَنِّي مُتُّ مِنَ ٱلضُّرِّ . وَقَدْ نَاجَتْنِي ٱلْقَرُونَةُ . بِأَنْ تُوجَدَ عِنْدَكُمُ ٱلْمَعُونَةُ . وَآذَنَتْنِي فِرَاسَةُ ٱلْحَوْبَاءِ . بِأَنَّكُمْ يَنَابِيعُ ٱلْحِبَاءِ . فَنَضَّرَ ٱللهُ ٱمْرَأً أَبَرَّ قَسَمِي . وَصَدَّقَ تَوَسُّمِي . وَنَظَرَ إِلَيَّ بِعَيْنٍ يُقْذِيهَا ٱلْجُمُودُ . وَيُقْذِيهَا ٱلْجُودُ . قَالَ ٱلْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ : فَهِمْنَا لِبَرَاعَةِ عِبَارَتِهَا . وَمُلَحِ ٱسْتِعَارَتِهَا . وَقُلْنَا لَهَا : قَدْ فَتَنَ كَلَامُكِ . فَكَيْفَ إِلْحَامُكِ . فَقَالَتْ : بِفَجْرِ ٱلصَّخْرِ . وَلَا فَخْرَ . فَقُلْنَا : إِنْ جَعَلْتِنَا مِنْ رُوَاتِكِ . لَمْ نَبْخَلْ بِمُوَاسَاتِكِ . فَقَالَتْ : لَأُرِيَنَّكُمْ أَوَّلًا شِعَارِي . ثُمَّ لَأُرْوِيَنَّكُمْ أَشْعَارِي . فَأَبْرَزَتْ رُدْنَ دِرْعٍ دَرِيسٍ . وَبَرَزَتْ بَرْزَةَ عَجُوزٍ دَرْدَبِيسٍ . وَأَنْشَدَتْ :

أَشْكُو إِلَى ٱللهِ ٱشْتِكَاءَ ٱلْمَرِيضْ ... رَيْبَ ٱلزَّمَانِ ٱلْمُتَعَدِّي ٱلْبَغِيضْ
يَا قَوْمُ إِنِّي مِنْ أُنَاسٍ غَنُوا ... دَهْرًا وَجَفْنُ ٱلدَّهْرِ عَنْهُمْ غَضِيضْ
فَخَارُهُمْ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ... وَصِيتُهُمْ بَيْنَ ٱلْوَرَى مُسْتَفِيضْ
كَانُوا إِذَا مَا نُجْعَةٌ أَعْوَزَتْ ... فِي ٱلسَّنَةِ ٱلشَّهْبَاءِ رَوْضًا أَرِيضْ
تُشَبُّ لِلسَّارِينَ نِيرَانُهُمْ ... وَيُطْعِمُونَ ٱلضَّيْفَ لَحْمًا غَرِيضْ

سَتُبْدِي مِنَ ٱلْعُجَابِ. فَلَمَّا ٱنْسَرَتْ أُهْبَةُ ٱلْخَفَرِ. رَأَيْتُ مُحَيَّا أَبِي زَيْدٍ قَدْ سَفَرَ. فَهَمَمْتُ أَنْ أَهْجُمَ عَلَيْهِ. لِأُعَنِّفَهُ عَلَى مَا أَجْرَى إِلَيْهِ. فَٱسْتَلْقَى ٱسْتِلْقَاءَ ٱلْمُتَمَرِّدِينَ. ثُمَّ رَفَعَ عَقِيرَةَ ٱلْمُغَرِّدِينَ. وَٱنْدَفَعَ يُنْشِدُ:

يَا لَيْتَ شِعْرِي أَدَهْرِي أَحَاطَ عِلْمًا بِقَدْرِي
وَهَلْ دَرَى كُنْهَ غَوْرِي فِي ٱلْخِدْعِ أَمْ لَيْسَ يَدْرِي
كَمْ قَدْ قَمَرْتُ بَنِيهِ بِحِيلَتِي وَبِمَكْرِي
وَكَمْ بَرَزْتُ بِعُرْفٍ عَلَيْهِمِ وَبِنُكْرِ
أَصْطَادُ قَوْمًا بِوَعْظٍ وَآخَرِينَ بِشِعْرِ
وَأَسْتَفِزُّ بِخَلٍّ عَقْلًا وَعَقْلًا بِخَمْرِ
وَتَارَةً أَنَا صَخْرٌ وَتَارَةً أُخْتُ صَخْرِ
وَلَوْ سَلَكْتُ سَبِيلًا مَأْلُوفَةً طُولَ عُمْرِي
لَخَابَ قِدْحِي وَقَدْحِي وَدَامَ عُسْرِي وَخُسْرِي
فَقُلْ لِمَنْ لَامَ هٰذَا عُذْرِي فَدُونَكَ عُذْرِي

قَالَ ٱلْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَلَمَّا ظَهَرْتُ عَلَى جَلِيَّةِ أَمْرِهِ. وَبَدِيعَةِ إِمْرِهِ. وَمَا زَخْرَفَ فِي شِعْرِهِ مِنْ عُذْرِهِ. عَلِمْتُ أَنَّ شَيْطَانَهُ ٱلْمَرِيدَ. لَا يَسْمَعُ ٱلتَّفْنِيدَ. وَلَا يَفْعَلُ إِلَّا مَا يُرِيدُ. فَثَنَيْتُ إِلَى أَصْحَابِي عِنَانِي. وَأَبْثَثْتُهُمْ مَا أَثْبَتَهُ عِيَانِي. فَوَجَمُوا لِضَيْعَةِ ٱلْجَوَائِزِ. وَتَعَاهَدُوا عَلَى مَحْرَمَةِ ٱلْعَجَائِزِ

المقامة الكرجية

٥٤ حَكَى ٱلْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ: شَتَوْتُ بِٱلْكَرَجِ لِدَيْنٍ أَقْتَضِيهِ.

وَأَرَبٍ أَقْضِيهِ. فَبَلَوْتُ مِنْ شِتَائِهَا ٱلْكَالِحِ. وَصِرِّهَا ٱلنَّافِحِ. مَا عَرَّفَنِي جَهْدَ ٱلْبَلَاءِ. وَعَكَفَ بِي عَلَى ٱلِٱصْطِلَاءِ. فَلَمْ أَكُنْ أُزَايِلُ وِجَارِي. وَلَا مُسْتَوْقَدَ نَارِي. إِلَّا لِضَرُورَةٍ أُدْفَعُ إِلَيْهَا. أَوْ إِقَامَةِ جَمَاعَةٍ أُحَافِظُ عَلَيْهَا. فَٱضْطُرِرْتُ فِي يَوْمٍ جَوُّهُ مُزْمَهِرٌّ. وَدَجْنُهُ مُكْفَهِرٌّ. إِلَى أَنْ بَرَزْتُ مِنْ كِنَانِي. لِمُهِمٍّ عَنَانِي. فَإِذَا شَيْخٌ عَارِي ٱلْجِلْدَةِ. بَادِي ٱلْجُرْدَةِ. وَقَدِ ٱعْتَمَّ بِرَيْطَةٍ. وَٱسْتَثْفَرَ بِفُوَيْطَةٍ. وَحَوَالَيْهِ جَمْعٌ كَثِيفُ ٱلْحَوَاشِي. وَهُوَ يُنْشِدُ وَلَا يُحَاشِي:

يَا قَوْمِ لَا يُنْبِئْكُمُ عَنْ فَقْرِي   أَصْدَقُ مِنْ عُرْيِي أَوَانَ ٱلْقُرِّ
فَٱعْتَبِرُوا بِمَا بَدَا مِنْ ضُرِّي   بَاطِنَ حَالِي وَخَفِيَّ أَمْرِي
وَحَاذِرُوا ٱنْقِلَابَ سِلْمِ ٱلدَّهْرِ   فَإِنَّنِي كُنْتُ نَبِيهَ ٱلْقَدْرِ
آوِي إِلَى وَفْرٍ وَحَدٍّ يَفْرِي   تُفِيدُ صُفْرِي وَتُبِيدُ تَمْرِي
وَتَشْتَكِي كُومِي غَدَاةَ أَقْرِي   فَجَرَّدَ ٱلدَّهْرُ سُيُوفَ ٱلْغَدْرِ
وَشَنَّ غَارَاتِ ٱلرَّزَايَا ٱلْغُبْرِ   وَلَمْ يَزَلْ يَنْحَتُنِي وَيَبْرِي
حَتَّى عَفَتْ دَارِي وَغَاضَ دَرِّي   وَبَارَ سِعْرِي فِي ٱلْوَرَى وَشِعْرِي
وَصِرْتُ نِضْوَ فَاقَةٍ وَعُسْرِ   عَارِي ٱلْمَطَا مُجَرَّدًا مِنْ قِشْرِي
كَأَنَّنِي ٱلْمِغْزَلُ فِي ٱلتَّعَرِّي   لَا دِفْءَ لِي فِي ٱلصِّنِّ وَٱلصِّنَّبْرِ
غَيْرُ ٱلتَّضَحِّي وَٱصْطِلَاءِ ٱلْجَمْرِ   فَهَلْ خِضَمٌّ ذُو رِدَاءٍ غَمْرِ
يَسْتُرُنِي بِمُطْرَفٍ أَوْ طِمْرِ   طِلَابَ وَجْهِ ٱللهِ لَا لِشُكْرِي

ثُمَّ قَالَ: يَا أَرْبَابَ ٱلثَّرَاءِ. ٱلرَّافِلِينَ فِي ٱلْفِرَاءِ. مَنْ أُوتِيَ خَيْرًا

فَلْيُنْفِقْ. وَمَنِ ٱسْتَطَاعَ أَنْ يُرْفِقَ فَلْيُرْفِقْ. فَإِنَّ ٱلدُّنْيَا غَرُورٌ. وَٱلدَّهْرَ عَثُورٌ. وَٱلْمُكْنَةَ زَوْرَةُ طَيْفٍ. وَٱلْفُرْصَةَ مُزْنَةُ صَيْفٍ. وَإِنِّي وَٱللهِ لَطَالَمَا تَلَقَّيْتُ ٱلشِّتَاءَ بِكَافَاتِهِ. وَأَعْدَدْتُ ٱلْأُهَبَ لَهُ قَبْلَ مُوَافَاتِهِ. وَهَا أَنَا ٱلْيَوْمَ يَا سَادَتِي. سَاعِدِي وِسَادَتِي. وَجِلْدَتِي. بُرْدَتِي. وَحَفْنَتِي. جَفْنَتِي. فَلْيَعْتَبِرِ ٱلْعَاقِلُ بِحَالِي. وَلْيُبَادِرْ صَرْفَ ٱللَّيَالِي. فَإِنَّ ٱلسَّعِيدَ مَنِ ٱتَّعَظَ بِسِوَاهُ. وَٱسْتَعَدَّ لِمَسْرَاهُ. فَقِيلَ لَهُ قَدْ جَلَوْتَ عَلَيْنَا أَدَبَكَ. فَأَجْلِ لَنَا نَسَبَكَ. فَقَالَ: تَبًّا لِمُفْتَخِرٍ. بِعَظْمٍ نَخِرٍ. إِنَّمَا ٱلْفَخْرُ بِٱلتُّقَى. وَٱلْأَدَبِ ٱلْمُنْتَقَى. ثُمَّ أَنْشَدَ:

لَعَمْرُكَ مَا ٱلْإِنْسَانُ إِلَّا ٱبْنُ يَوْمِهِ ... عَلَى مَا تَجَلَّى يَوْمُهُ لَا ٱبْنُ أَمْسِهِ
وَمَا ٱلْفَخْرُ بِٱلْعَظْمِ ٱلرَّمِيمِ وَإِنَّمَا ... فَخَارُ ٱلَّذِي يَبْغِي ٱلْفَخَارَ بِنَفْسِهِ

ثُمَّ إِنَّهُ جَلَسَ مُحْقَوْقِفًا. وَٱجْرَنْثَمَ مُقَفْقِفًا. وَقَالَ: ٱللَّهُمَّ يَا مَنْ غَمَرَ بِنَوَالِهِ. وَأَمَرَ بِسُؤَالِهِ. أَعِنِّي عَلَى ٱلْبَرْدِ وَأَهْوَالِهِ. وَأَتِحْ لِي حُرًّا يُؤْثِرُ مِنْ خَصَاصَةٍ. وَيُوَاسِي وَلَوْ بِقُصَاصَةٍ. قَالَ ٱلرَّاوِي: فَلَمَّا جَلَّى عَنِ ٱلنَّفْسِ ٱلْعِصَامِيَّةِ. وَٱلْمُلَحِ ٱلْأَصْمَعِيَّةِ. جَعَلَتْ مَلَامِحُ عَيْنِي تَجُمُّهُ. وَمَرَامِي لَحْظِي تَرْجُمُهُ. حَتَّى ٱسْتَبَنْتُ أَنَّهُ أَبُو زَيْدٍ. وَأَنَّ تَعَرِّيَهُ أُحْبُولَةُ صَيْدٍ. وَلَمَحَ هُوَ أَنَّ عِرْفَانِي قَدْ أَدْرَكَهُ. وَلَمْ يَأْمَنْ أَنْ يَهْتِكَهُ. فَقَالَ: أُقْسِمُ بِٱلسَّمَرِ وَٱلْقَمَرِ. وَٱلزُّهْرِ وَٱلزَّهَرِ. إِنَّهُ لَنْ يَسْتُرَنِي إِلَّا مَنْ طَابَ خِيمُهُ. وَأُشْرِبَ مَاءَ ٱلْمُرُوءَةِ أَدِيمُهُ. فَعَقَلْتُ مَا عَنَاهُ. وَإِنْ لَمْ يَدْرِ ٱلْقَوْمُ مَعْنَاهُ. وَسَاءَنِي مَا يُعَانِيهِ مِنَ ٱلرِّعْدَةِ. وَٱقْشِعْرَارِ ٱلْجِلْدَةِ. فَعَمَدْتُ

لِفَرْوَةٍ هِيَ بِالنَّهَارِ رِيَاشِي . وَفِي اللَّيْلِ فِرَاشِي . فَنَضَوْتُهَا عَنِّي . وَقُلْتُ لَهُ : اقْبَلْهَا مِنِّي . فَمَا كَذَّبَ أَنِ افْتَرَاهَا . وَعَيْنِي تَرَاهَا . ثُمَّ أَنْشَدَ :

لِلّٰهِ مَنْ أَلْبَسَنِي فَرْوَةً أَضْحَتْ مِنَ الرِّعْدَةِ لِي جُنَّهْ

أَلْبَسَنِيهَا وَاقِيًا مُهْجَتِي وُقِيَ شَرَّ الْإِنْسِ وَالْجِنَّهْ

سَيَكْتَسِي الْيَوْمَ ثَنَائِي وَفِي غَدٍ سَيُكْسَى سُنْدُسَ الْجَنَّهْ

قَالَ : فَلَمَّا فَتَنَ قُلُوبَ الْجَمَاعَةِ . بِأَفْتَانِهِ فِي الْبَرَاعَةِ . أَلْقَوْا عَلَيْهِ مِنَ الْفِرَاءِ الْمُغَشَّاةِ . وَالْجِبَابِ الْمُوَشَّاةِ . مَا آدَهُ ثِقْلُهُ . وَلَمْ يَكَدْ يُقِلُّهُ . فَانْطَلَقَ مُسْتَبْشِرًا بِالْفَرَجِ . مُسْتَنْشِقًا لِلْكَرَجِ . وَتَبِعْتُهُ إِلَى حَيْثُ ارْتَفَعَتِ التَّقِيَّةُ . وَبَدَتِ السِّمَاتُ نَقِيَّةً . فَقُلْتُ لَهُ : لَشَدَّ مَا قَرَسَكَ الْبَرْدُ . فَلَا تَعَرَّ مِنْ بَعْدُ . فَقَالَ : وَيْكَ لَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ . سُرْعَةُ الْعَذْلِ . فَلَا تَعْجَلْ بِلَوْمٍ هُوَ ظُلْمٌ . وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ . فَوَالَّذِي نَوَّرَ الشَّيْبَةَ . وَطَيَّبَ تُرْبَةَ طَيْبَةَ . لَوْ لَمْ أَتَعَرَّ لَرُحْتُ بِالْخَيْبَةِ . وَصِفْرِ الْعَيْبَةِ . ثُمَّ نَزَعَ إِلَى الْفِرَارِ . وَتَبَرْقَعَ بِالِاكْفِهْرَارِ . وَقَالَ : أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ شِنْشِنَتِي الِانْتِقَالُ مِنْ صَيْدٍ إِلَى صَيْدٍ . وَالِانْعِطَافُ مِنْ عَمْرٍو إِلَى زَيْدٍ . وَأَرَاكَ قَدْ عُقْتَنِي وَعَقَقْتَنِي . وَأَفَتَّنِي أَضْعَافَ مَا أَفَدْتَنِي . فَأَعْفِنِي عَافَاكَ اللّٰهُ مِنْ لَغْوِكَ . وَاسْدُدْ دُونِي بَابَ جِدِّكَ وَلَهْوِكَ . فَجَبَذْتُهُ جَبْذَ الثَّلْعَابَةِ . وَجَعْجَعْتُ بِهِ لِلدُّعَابَةِ . وَقُلْتُ لَهُ : وَاللّٰهِ لَوْ لَمْ أُوَارِكَ . وَأُغْطِ عَلَى عَوَارِكَ . لَمَا وَصَلْتَ إِلَى صِلَةٍ . وَلَا انْقَلَبْتَ أَكْسَى مِنْ بَصَلَةٍ . فَجَازِنِي عَنْ إِحْسَانِي إِلَيْكَ . وَسَتْرِي لَكَ وَعَلَيْكَ . بِأَنْ

تَسْمَحَ لِي بِرَدِّ الفَرْوَةِ . أَوْ تُعَرِّفَنِي كافاتِ الشَّتْوَةِ . فَنَظَرَ إِلَيَّ نَظَرَ المُتَعَجِّبِ . وَازْدَهَرَ ازْدِهارَ المُتَغَضِّبِ . ثُمَّ قَالَ : أَمَّا رَدُّ الفَرْوَةِ فَأَبْعَدُ مِنْ رَدِّ أَمْسِ الدَّابِرِ . وَالمَيْتِ الغَابِرِ . وَأَمَّا كافاتُ الشَّتْوَةِ فَسُبْحانَ مَنْ طَبَعَ عَلَى ذِهْنِكَ . وَأَوْهَى وِعاءَ خَزْنِكَ . حَتَّى أُنْسِيتَ مَا أَنْشَدْتُكَ بِالدَّسْكَرَةِ . لِابْنِ سُكَّرَةِ :

جاءَ الشِّتاءُ وَعِنْدِي مِنْ حَوائِجِهِ سَبْعٌ إِذا القَطْرُ عَنْ حاجاتِنا حَبَسا
كِنٌّ وَكِيسٌ وَكانُونٌ وَكَاسُ طِلًا بَعْدَ الكَبابِ وَكَفٌّ نَاعِمٌ وَكِسا

ثُمَّ قَالَ : لَجَوابٌ يَشْفِي . خَيْرٌ مِنْ جِلْبابٍ يُدْفِي . فَاكْتَفِ بِمَا وَعَيْتَ وَاكْفِنِي . فَفَارَقْتُهُ وَقَدْ ذَهَبَتْ فَرْوَتِي لِشِقْوَتِي . وَحَصَلْتُ عَلَى الرِّعْدَةِ طُولَ شَتْوَتِي

المقامة التفليسية

٥٥ حَكَى الحارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ : عَاهَدْتُ اللهَ تَعَالَى مُذْ يَفَعْتُ . أَنْ لَا أُؤَخِّرَ الصَّلاةَ مَا اسْتَطَعْتُ . فَكُنْتُ مَعَ جَوْبِ الفَلَواتِ . وَلَهْوِ الخَلَواتِ . أُراعِي أَوْقاتَ الصَّلاةِ . وَأُحاذِرُ مِنْ مَأْثَمِ الفَواتِ . وَإِذا رافَقْتُ فِي رِحْلَةٍ . أَوْ حَلَلْتُ بِحِلَّةٍ . مَرَحْتُ بِصَوْتِ الدَّاعِي إِلَيْها . وَاقْتَدَيْتُ بِمَنْ يُحافِظُ عَلَيْها . فَاتَّفَقَ حِينَ دَخَلْتُ تَفْلِيسَ . أَنْ صَلَّيْتُ مَعَ زُمْرَةٍ مَفالِيسَ . فَلَمَّا قَضَيْنا الصَّلاةَ . فَأَزْمَعْنا الانْفِلاتَ . بَرَزَ شَيْخٌ بادِي القَفْوَةِ . بالِي الكُسْوَةِ وَالقُوَّةِ . فَقالَ : عَزَمْتُ عَلَى مَنْ خُلِقَ مِنْ طِينَةِ الحُرِّيَّةِ . وَتَفَوَّقَ دَرَّ العَصَبِيَّةِ . إِلَّا ما تَكَلَّفَ لِي لُبْثَةً . وَاسْتَمَعَ

مِنّي نَفثةً . ثمّ لهُ الخِيارُ من بعدُ . وبيدِهِ البذلُ والرّدُّ . فعقدَ لهُ القومُ الحُبى . ورسَوا أمثالَ الرُّبى . فلمّا آنسَ حُسْنَ إنصاتِهِمْ . ورزانةَ حَصاتِهِمْ . قالَ : يا أُولي الأبصارِ الرّامقةِ . والبصائرِ الرّائقةِ . أما يُغني عنِ الخبرِ العِيانُ . ويُنْبِئُ عنِ النّارِ الدُّخانُ . شيبٌ لائحٌ . ووهنٌ فادحٌ . وداءٌ واضحٌ . والباطنُ ففاضحٌ . ولقدْ كنتُ واللهِ ممّنْ ملَكَ ومالَ . وولِيَ وآلَ . ورفَضَ وأنالَ . ووصَلَ وصالَ . فلم تزلِ الجوائحُ تسحتُ . والنّوائبُ تنحتُ . حتّى الوكْرُ قفرٌ . والكفُّ صِفرٌ . والشِّعارُ ضُرٌّ . والعيشُ مُرٌّ . والصِّبيةُ يتضاغَوْنَ منَ الطَّوى . ويتمنَّوْنَ مُصاصةَ النّوى . ولمْ أقمْ هذا المقامَ الشّائنَ . وأكشفْ لكمُ الدّفائنَ . إلّا بعدَ ما شقيتُ ولقيتُ . وشِبْتُ ممّا لقيتُ . فليتَني لمْ أكنْ بقيتُ . ثمّ تأوّهَ تأوُّهَ الأسيفِ . وأنشدَ بصوتٍ ضعيفٍ :

أشكو إلى الرّحمانِ سُبحانَهُ ... تقلُّبَ الدّهرِ وعُدوانَهُ
وحادثاتٍ قرعَتْ مروَتي ... وقوّضَتْ مجدي وبُنيانَهُ
واهتصرتْ عودي ويا ويلَ منْ ... تهتصرُ الأحداثُ أغصانَهُ
وأمحلَتْ ربْعي حتّى جلَتْ ... مِنْ ربْعِيَ المُمْحِلِ جُرذانَهُ
وغادرَتْني حائرًا بائرًا ... أكابدُ الفقرَ وأشجانَهُ
منْ بعدِ ما كنتُ أخا ثروةٍ ... يسحَبُ في النّعمةِ أردانَهُ
يختبطُ العافونَ أوراقَهُ ... ويحمَدُ السّارونَ نيرانَهُ
فأصبحَ اليومَ كأنْ لمْ يكنْ ... أعانَهُ الدّهرُ الّذي عانَهُ

وَٱزْوَرَّ مَنْ كَانَ لَهُ زَائِرًا   وَعَافَ عَافِي ٱلْعُرْفِ عِرْفَانَهُ
فَهَلْ فَتًى يَحْزُنُهُ مَا يَرَى   مِنْ ضُرِّ شَيْخٍ دَهْرُهُ خَانَهُ
فَيُفَرِّجَ ٱلْهَمَّ ٱلَّذِي هَمَّهُ   وَيُصْلِحَ ٱلشَّانَ ٱلَّذِي شَانَهُ

قَالَ ٱلرَّاوِي: فَصَبَتِ ٱلْجَمَاعَةُ إِلَى أَنْ تَسْتَشِبَّهُ. لِتَسْتَنْجِشَ خَبْأَتَهُ. وَتَسْتَنْفِضَ حَقِيبَتَهُ. فَقَالَتْ لَهُ: قَدْ عَرَفْنَا قَدْرَ رُتْبَتِكَ. وَرَأَيْنَا دَرَّ مُزْنَتِكَ. فَعَرِّفْنَا دَوْحَةَ شُعْبَتِكَ. وَٱحْسِرِ ٱللِّثَامَ عَنْ نِسْبَتِكَ. فَأَعْرَضَ إِعْرَاضَ مَنْ مُنِيَ بِٱلْإِعْنَاتِ. وَجَعَلَ يَلْعَنُ ٱلضَّرُورَاتِ. وَيَتَأَفَّفُ مِنْ تَغَيُّضِ ٱلْمُرُوءَاتِ. ثُمَّ أَنْشَدَ بِلَفْظٍ صَادِعٍ. وَجَرْسٍ خَادِعٍ:

لَعَمْرُكَ مَا كُلُّ فَرْعٍ يَدُلُّ   جَنَاهُ ٱللَّذِيذُ عَلَى أَصْلِهِ
فَكُلْ مَا حَلَا حِينَ تُؤْتَى بِهِ   وَلَا تَسْأَلِ ٱلشَّهْدَ عَنْ نَحْلِهِ
وَمَيِّزْ إِذَا مَا ٱعْتَصَرْتَ ٱلْكُرُومَ   سُلَافَةَ عَصْرِكَ مِنْ خَلِّهِ
لِتُغْلِي وَتُرْخِصَ عَنْ خِبْرَةٍ   وَتَشْرِي كُلًّا شِرَى مِثْلِهِ
فَعَارٌ عَلَى ٱلْفَطِنِ ٱللَّوْذَعِيِّ   دُخُولُ ٱلْغَمِيزَةِ فِي عَقْلِهِ

قَالَ: فَٱزْدَهَى ٱلْقَوْمَ بِذَكَائِهِ وَدَهَائِهِ. وَٱخْتَلَبَهُمْ بِحُسْنِ أَدَائِهِ مَعَ دَائِهِ. حَتَّى جَمَعُوا لَهُ خَبَايَا ٱلْخُبَنِ. وَخَفَايَا ٱلثُّبَنِ. وَقَالُوا لَهُ: يَا هَذَا إِنَّكَ حُمْتَ عَلَى رَكِيَّةٍ بَكِيَّةٍ. وَتَعَرَّضْتَ لِحِلْيَةٍ خَلِيَّةٍ. فَخُذْ هَذِهِ ٱلصُّبَابَةَ. وَهَبْهَا لَا خَطَأً وَلَا إِصَابَةً. فَنَزَّلَ قُلَّهُمْ مَنْزِلَةَ ٱلْكُثْرِ. وَوَصَلَ قَبُولَهُ بِٱلشُّكْرِ. ثُمَّ تَوَلَّى يَجُرُّ شِقَّهُ. وَيَنْهَبُ بِٱلْخَبْطِ طُرُقَهُ. قَالَ ٱلْمُخْبِرُ بِهَذِهِ ٱلْحِكَايَةِ: فَصُوِّرَ لِي أَنَّهُ مُحِيلٌ لِحِلْيَتِهِ. مُتَصَنِّعٌ فِي مِشْيَتِهِ. فَنَهَضْتُ

أَنْهجُ مِنهاجَهُ . وأَقفو أدراجَهُ . وهُوَ يلحظني شزرًا . ويوسِعني هَجرًا . حتّى إذا خلا الطريقُ . وأمكنَ التحقيقُ . نظرَ إليَّ نظرَ من هشَّ وبشَّ . وماحضَ بعدَ ماغشَّ . وقالَ : إنّي لإخالُكَ أخا غربةٍ . ورائدَ صُحبةٍ . فهل لكَ في رفيقٍ يرفُقُ بكَ ويرفِقُ . وينفقُ عليكَ وينفِقُ . فقلتُ لهُ : لو أتاني هذا الرفيقُ . لوافاني التوفيقُ . فقالَ لي : قد وجدتَ فاغتبِطْ . واستكرمتَ فارتبِطْ . ثمَّ ضحكَ مليًّا . وتمثّلَ لي بشرًا سويًّا . فإذا هو شيخُنا السروجيُّ لا قلبةَ بجسمِهِ . ولا شبهةَ في وسمِهِ . ففرحتُ بلقيتِهِ . وكذبِ لقوتِهِ . وهممتُ بملامتِهِ . على سوءِ مقامتِهِ . فشحا فاهُ . وأنشدَ قبلَ أن ألحاهُ :

ظهرتُ بِرَثٍّ لكيما يقالَ ... فقيرٌ يُزجّي الزمانَ المزجّى
وأظهرتُ للناسِ أن قد فلجتُ ... فكم نالَ قلبي بهِ ما ترجّى
ولولا الرثاثةُ لم يُرثَ لي ... ولولا التفالجُ لم ألقَ فلجا

ثمَّ قالَ : إنّهُ لم يبقَ لي بهذهِ الأرضِ مرتعٌ . ولا في أهلها مطمعٌ . فإن كنتَ الرفيقَ . فالطريقَ الطريقَ . فسرنا منها متجرّدينِ . ورافقتُهُ عامينِ أجردينِ . وكنتُ على أن أصحبَهُ ماعشتُ . فأبى الدهرُ المشتتُ

المقامة المروية

٥٦ حكى الحارثُ بنُ همّامٍ قالَ : حُبّبَ إليَّ مُذ سعت قدمي . ونفثَ قلمي . أن أتّخذَ الأدبَ شرعةً . والاقتباسَ منهُ نجعةً .

فَكُنْتُ أُنَقِّبُ عَنْ أَخْبَارِهِ . وَخَزَانَةِ أَسْرَارِهِ . فَإِذَا أَلْفَيْتُ مِنْهُمْ بُغْيَةَ الْمُلْتَمِسِ . وَجُذْوَةَ الْمُقْتَبِسِ . شَدَدْتُ يَدَيَّ بِغَرْزِهِ . وَاسْتَنْزَلْتُ مِنْهُ زَكَاةَ كَنْزِهِ . عَلَى أَنِّي لَمْ أَلْقَ كَالسَّرُوجِيِّ فِي غَزَارَةِ السُّحْبِ . وَوَضْعِ الْهِنَاءِ مَوَاضِعَ النُّقْبِ . إِلَّا أَنَّهُ كَانَ أَسْيَرَ مِنَ الْمَثَلِ . وَأَسْرَعَ مِنَ الْقَمَرِ فِي النُّقَلِ . وَكُنْتُ لِهَوَى مُلَاقَاتِهِ . وَاسْتِحْسَانِ مَقَامَاتِهِ . أَرْغَبُ فِي الْاغْتِرَابِ . وَأَسْتَعْذِبُ السَّفَرَ الَّذِي هُوَ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ . فَلَمَّا تَطَوَّحْتُ إِلَى مَرْوَ . وَلَا غَرْوَ . بَشَّرَنِي بِمَلْقَاهُ زَجْرُ الطَّيْرِ . وَالْفَأْلُ الَّذِي هُوَ بَرِيدُ الْخَيْرِ . فَلَمْ أَزَلْ أَنْشُدُهُ فِي الْمَحَافِلِ . وَعِنْدَ تَلَقِّي الْقَوَافِلِ . فَلَا أَجِدُ عَنْهُ مُخْبِرًا . وَلَا أَرَى لَهُ أَثَرًا وَلَا عِثْيَرًا . حَتَّى غَلَبَ الْيَأْسُ الطَّمَعَ . وَانْزَوَى التَّأْمِيلُ وَانْقَمَعَ . فَإِنِّي لَذَاتَ يَوْمٍ بِحَضْرَةِ وَالِي مَرْوَ . وَكَانَ مِمَّنْ جَمَعَ الْفَضْلَ وَالسَّرْوَ . إِذْ طَلَعَ أَبُو زَيْدٍ فِي خَلَقٍ مِمْلَاقٍ . وَخُلُقٍ مَلَّاقٍ . فَحَيَّا الْوَالِيَ تَحِيَّةَ الْمُحْتَاجِ . إِذَا لَقِيَ رَبَّ التَّاجِ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : اعْلَمْ وُقِيتَ الذَّمَّ . وَكُفِيتَ الْهَمَّ . أَنَّ مَنْ عُذِقَتْ بِهِ الْأَعْمَالُ . أُعْلِقَتْ بِهِ الْآمَالُ . وَمَنْ رُفِعَتْ لَهُ الدَّرَجَاتُ . رُفِعَتْ إِلَيْهِ الْحَاجَاتُ . وَأَنَّ السَّعِيدَ مَنْ إِذَا قَدَرَ . وَوَاتَاهُ الْقَدَرُ . أَدَّى زَكَاةَ النِّعَمِ . كَمَا يُؤَدِّي زَكَاةَ النَّعَمِ . وَالْتَزَمَ لِأَهْلِ الْحُرَمِ . مَا يُلْتَزَمُ لِلْأَهْلِ وَالْحَرَمِ . وَقَدْ أَصْبَحْتَ بِحَمْدِ اللهِ عَمِيدَ مِصْرِكَ . وَعِمَادَ عَصْرِكَ . تُزْجَى الرَّكَائِبُ إِلَى حَرَمِكَ . وَتُرْجَى الرَّغَائِبُ مِنْ كَرَمِكَ . وَتَنْزِلُ الْمَطَالِبُ بِسَاحَتِكَ . وَتُسْتَنْزَلُ الرَّاحَةُ مِنْ رَاحَتِكَ . وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا

وَإِحسانُهُ لَدَيكَ عَمِيًا . ثُمَّ إِنِّي شَيخٌ تَرِبَ بَعدَ الإِترابِ . وَعَدِمَ الأَعشابَ حِينَ شابَ . قَصَدتُكَ مِن مَحَلَّةٍ نازِحَةٍ . وَحالَةٍ رازِحَةٍ . آمُلُ مِن بَحرِكَ دُفعَةً . وَمِن جاهِكَ رِفعَةً . وَالتَّأمِيلُ أَفضَلُ وَسائِلِ السَّائِلِ . وَنائِلِ النَّائِلِ . فَأَوجِبْ لِي ما يَجِبُ عَلَيكَ . وَأَحسِنْ كَما أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَلوِيَ عِذارَكَ . عَمَّنِ ازدارَكَ . وَأَمَّ دارَكَ . أَو تَقبِضَ راحَكَ . عَمَّنِ امتاحَكَ . وَامتارَ سَماحَكَ . فَوَاللهِ ما مَجَدَ مَن جَمَدَ . وَلا رَشَدَ مَن حَشَدَ . بَلِ اللَّبِيبُ مَن إِذا وَجَدَ جادَ . وَإِنْ بَدا بِعائِدَةٍ عادَ . وَالكَرِيمُ مَن إِذا استُوهِبَ الذَّهَبَ . لَم يَهَبْ أَن يَهَبْ . ثُمَّ أَمسَكَ يَرقُبُ أُكلَ غَرسِهِ . وَيَرصُدُ مَطِيَّةَ نَفسِهِ . وَأَحَبَّ الوالِي أَن يَعلَمَ هَل نُطفَتُهُ ثَمَدٌ . أَم لِقَرِيحَتِهِ مَدَدٌ . فَأَطرَقَ يُرَوِّي فِي استِيراءِ زَندِهِ . وَاستِشفافِ فِرِندِهِ . وَالتَبَسَ عَلَى أَبِي زَيدٍ سِرُّ صَمتِهِ . وَإِرجاءِ صِلَتِهِ . فَتَوَغَّرَ غَضَبًا . وَأَنشَدَ مُقتَضِبًا :

لا تَحقِرَنَّ أُبَيتَ اللَّعنَ ذا أَدَبٍ	لِأَنْ بَدا خَلَقَ السِّربالِ سُبرُوتا
وَلا تُضِعْ لِأَخِي التَّأمِيلِ حُرمَتَهُ	أَكانَ ذا لَسَنٍ أَم كانَ سِكِّيتا
وَانفَحْ بِعُرفِكَ مَن وافاكَ مُختَبِطًا	وَانعَشْ بِغَوثِكَ مَن أُلفِيتَ مَنكُوتا
فَخَيرُ مالِ الفَتَى مالٌ أَشادَ لَهُ	ذِكرًا تَناقَلُهُ الرُّكبانُ أَو صِيتا
وَما عَلَى المُشتَرِي حَمدًا بِمَوهِبَةٍ	غَبنٌ وَلَو كانَ ما أَعطاهُ ياقُوتا
لَولا المُرُوءَةُ ضاقَ العُذرُ عَن فَطِنٍ	إِذا اشرَأَبَّ إِلَى ما جاوَزَ القُوتا
لٰكِنَّهُ لِابتِناءِ المَجدِ جَدَّ وَمَن	حَبَّ السَّماحَ ثَنَى نَحوَ العُلَى لِيتا

وما تَنَشَّقَ نشرَ الشكرِ ذو كرمٍ ... إلّا وأَزرى بنشرِ المسكِ مفتوتا
والحمدُ والبخلُ لم يُقضَ اجتماعُهما ... حتى لقد خِيلَ ذا ضبًّا وذا حوتا
والسمحُ في الناسِ محبوبٌ خلائقُهُ ... والجامدُ الكفِّ ما ينفكُّ ممقوتا
وللشحيحِ على أموالهِ عِلَلٌ ... يُوسِعُهُ أبدًا ذمًّا وتبكيتا
فجُدْ بما جمعتْ كفّاكَ من نَشَبٍ ... حتى يُرى مجتدي جدواكَ مبهوتا

فقال له الوالي: تاللهِ لقد أحسنتَ. فأيُّ ولدِ الرجلِ أنتَ. فنظرَ إليهِ عن عُرُضٍ. وأنشدَ وهو مُغْضٍ:

لا تسألِ المرءَ مَن أبوهُ ورُزْ ... خلالَهُ ثمَّ صِلْهُ أو فاصْرِمِ
فما يَشينُ السُّلافَ حينَ حلا ... مذاقُها كونُها ابنةَ الحِصْرِمِ

قال: فقرَّبهُ الوالي لبيانهِ الفاتنِ. حتى أحلَّهُ مقعدَ الخاتنِ. ثمَّ فرضَ لهُ من سُيوبِ نيلهِ. ما آذنَ بطولِ ذيلهِ وقصرِ ليلهِ. فنهضَ عنهُ بِرُدْنٍ ملآنَ. وقلبٍ جذلانَ. وتبعتُهُ حاذيًا حذوَهُ. وقافيًا خطوَهُ. حتى إذا خرجَ من بابهِ. وفصلَ عن غابهِ. قلتُ لهُ: هُنِّئتَ بما أُوتيتَ. ومُلِّيتَ بما أُوليتَ. فأسفرَ وجههُ وتلألأ. ووالى شكرًا للهِ تعالى. ثمَّ خطرَ اختيالًا. وأنشدَ ارتجالًا:

مَن يكنْ نالَ بالحماقةِ حظًّا ... أو سما قدرُهُ لطيبِ الأصولِ
فبفضلي انتفعتُ لا بفضولي ... وبقولي ارتفعتُ لا بقبولي

ثمَّ قالَ: تعسًا لمن جدبَ الأدبَ. وطوبى لمن جدَّ فيهِ ودأبَ. ثمَّ ودَّعني وذهبَ. وأودعني اللهبَ

الباب الخامس
في اللطائف

عبد الله بن الحجاج عند عبد الملك بن مروان

٥٧ لَمَّا قُتِلَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ ٱلزُّبَيْرِ وَكَانَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ ٱلْحَجَّاجِ مِنْ أَصْحَابِهِ وَشِيعَتِهِ ٱحْتَالَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَبْدِ ٱلْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَهُوَ يُطْعِمُ ٱلنَّاسَ. فَدَخَلَ حُجْرَةً فَقَالَ لَهُ: مَا لَكَ يَا هٰذَا لَا تَأْكُلُ. قَالَ: لَا أَسْتَحِلُّ أَنْ آكُلَ حَتَّى تَأْذَنَ لِي. قَالَ: إِنِّي قَدْ أَذِنْتُ لِلنَّاسِ جَمِيعًا. قَالَ: لَمْ أَعْلَمْ. فَآكُلُ بِأَمْرِكَ. قَالَ: كُلْ فَأَكَلَ وَعَبْدُ ٱلْمَلِكِ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَعْجَبُ مِنْ فِعَالِهِ. فَلَمَّا أَكَلَ ٱلنَّاسُ جَلَسَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ فِي مَجْلِسِهِ وَجَلَسَ خَوَاصُّهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفَرَّقَ ٱلنَّاسُ فَجَاءَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ ٱلْحَجَّاجِ وَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ. ثُمَّ ٱسْتَأْذَنَهُ فِي ٱلْإِنْشَادِ فَأَذِنَ لَهُ فَأَنْشَدَهُ:

أَبْلِغْ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّنِي مِمَّا لَقِيتُ مِنَ ٱلْحَوَادِثِ مُوجَعُ
مُنِعَ ٱلْقَرَارُ فَجِئْتُ نَحْوَكَ هَارِبًا جَيْشٌ يُجَرُّ وَمِقْنَبٌ يَتَلَمَّعُ

فَقَالَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ: وَمَا خَوْفُكَ لَا أُمَّ لَكَ لَوْلَا أَنَّكَ مُرِيبٌ. فَقَالَ عَبْدُ ٱللهِ:

كُنَّا تَنَحَّلْنَا ٱلْبَصَائِرَ مَرَّةً وَإِلَيْكَ إِذْ عَمِيَ ٱلْبَصَائِرُ نَرْجِعُ
إِنَّ ٱلَّذِي يَعْصِيكَ مِنَّا بَعْدَهَا مِنْ دِينِهِ وَحَيَاتِهِ مُتَوَدِّعُ
آتِي رِضَاكَ وَلَا أَعُودُ لِمِثْلِهَا وَأُطِيعُ أَمْرَكَ مَا أَمَرْتَ وَأَسْمَعُ

أَعْطِي نَصِيحَتِي الْخَلِيفَةَ نَاجِعاً وَخِزَامَةَ الْأَنْفِ الْمَقُودِ فَأَتْبَعُ

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ: هٰذَا لَا نَقْبَلُهُ مِنْكَ إِلَّا بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ بِكَ وَبِذَنْبِكَ. فَإِذَا عَرَفْتَ الْحَوْبَةَ قَبِلْنَا التَّوْبَةَ. فَقَالَ عَبْدُ اللهِ:

وَلَقَدْ وَطِئْتُ بَنِي سَعِيدٍ وَطْأَةً وَابْنَ الزُّبَيْرِ فَعَرْشُهُ مُتَضَعْضِعُ

فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: لِلّٰهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ عَلَى ذٰلِكَ فَقَالَ عَبْدُ اللهِ:

مَا زِلْتَ تَضْرِبُ مَنْكِباً عَنْ مَنْكِبٍ تَعْلُو وَيَسْفُلُ غَيْرُكُمْ مَا يَرْفَعُ
وَوَطِئْتَهُمْ فِي الْحَرْبِ حَتَّى أَصْبَحُوا حَدَثاً يُؤَسُّ وَغَابِراً يَتَجَعْجَعُ
فَحَوَى خِلَافَتَهُمْ وَلَمْ يَظْلِمْ بِهَا أَلْقَرْمُ قَرْمُ بَنِي قُصَيِّ الْأَنْزَعُ
لَا يَسْتَوِي خَاوِي نُجُومٍ آفِلٌ وَالْبَدْرُ مُنْبَلِجاً إِذَا مَا يَطْلُعُ
وُضِعَتْ أُمَيَّةُ وَاسِطِينَ لِقَوْمِهِمْ وَوُضِعْتَ وَسْطَهُمْ فَنِعْمَ الْمَوْضِعُ
بَيْتُ أَبُو الْعَاصِي بَنَاهُ بِرَبْوَةٍ عَالِي الْمَشَارِفِ عِزُّهُ مَا يُدْفَعُ

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ: إِنَّ تَوْرِيَتَكَ عَنْ نَفْسِكَ لَتُرِيبُنِي فَأَيُّ الْفَسَقَةِ أَنْتَ وَمَاذَا تُرِيدُ. فَقَالَ:

حَرِبَتْ أُصَيْبِيَتِي يَدٌ أَرْسَلْتَهَا وَإِلَيْكَ بَعْدَ مَعَادِهَا مَا تَرْجِعُ
وَأَرَى الَّذِي يَرْجُو تُرَاثَ مُحَمَّدٍ أَفَلَتْ نُجُومُهُمْ وَنَجْمُكَ يَسْطَعُ

فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: ذٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللهِ. فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْحَجَّاجِ:

فَأَنْعِشْ أُصَيْبِيَتِي الْأُلَاءَ كَأَنَّهُمْ حَجَلٌ تَدَرَّجَ بِالشَّرْبَةِ جُوَّعُ

فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: لَا أَنْعَشَهُمُ اللهُ وَأَجَاعَ أَكْبَادَهُمْ وَلَا أَبْقَى وَلِيداً مِنْ نَسْلِهِمْ فَإِنَّهُمْ نَسْلُ كَافِرٍ فَاجِرٍ لَا يُبَالِي مَا صَنَعَ. فَقَالَ عَبْدُ اللهِ:

مَالٌ لَهُمْ مِمَّا يُضَنُّ جَمَعْتَهُ يَوْمَ ٱلْقَلِيبِ فَحِيزَ عَنْهُمْ أَجْمَعُ

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ: لَعَلَّكَ أَخَذْتَهُ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ وَأَنْفَقْتَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ. وَأَرْصَدْتَ بِهِ لِمُشَاقَّةِ أَوْلِيَاءِ ٱللهِ وَأَعْدَدْتَهُ لِمُعَاوَنَةِ أَعْدَائِهِ. فَنَزَعَهُ مِنْكَ إِذِ ٱسْتَظْهَرْتَ بِهِ عَلَى مَعْصِيَةِ ٱللهِ. فَقَالَ عَبْدُ ٱللهِ:

أَدْنُو لِتَرْحَمَنِي وَتَجْبُرَ فَاقَتِي فَأَرَاكَ تَدْفَعُنِي فَأَيْنَ ٱلْمَدْفَعُ

فَتَبَسَّمَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ. فَقَالَ عَبْدُ ٱللهِ: أَمِنْتُ وَرَبِّ ٱلْكَعْبَةِ. فَقَالَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ: كُنْ مَنْ شِئْتَ إِلَّا عَبْدَ ٱللهِ بْنَ ٱلْحَجَّاجِ. قَالَ: أَنَا وَٱللهِ هُوَ وَقَدْ وَطِئْتُ دَارَكَ وَأَكَلْتُ طَعَامَكَ وَأَنْشَدْتُكَ. فَإِنْ قَتَلْتَنِي بَعْدَ ذٰلِكَ فَأَنْتَ وَمَا تَرَاهُ. وَأَنْتَ بِمَا عَلَيْكَ فِي هٰذَا عَارِفٌ. ثُمَّ عَادَ إِلَى إِنْشَادِهِ فَقَالَ:

ضَاقَتْ ثِيَابُ ٱلْمُلْبِسِينَ وَفَضْلُهُمْ عَنِّي فَأَلْبِسْنِي فَثَوْبُكَ أَوْسَعُ

فَنَبَذَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ إِلَيْهِ مُطْرَفًا كَانَ عَلَى كَتِفِهِ وَقَالَ. ٱلْبَسْهُ لَا لَبِسْتَ. فَٱلْتَحَفَ بِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ: أَوْلَى لَكَ. وَٱللهِ لَقَدْ طَاوَلَتْكَ طَمَعًا فِي أَنْ يَقُومَ بَعْضُ هٰؤُلَاءِ فَيَقْتُلَكَ. فَأَبَى ٱللهُ ذٰلِكَ فَلَا تُجَاوِرْنِي فِي بَلَدٍ. وَٱنْصَرِفْ آمِنًا فَقُمْ حَيْثُ شِئْتَ. ثُمَّ أَمْضَى لَهُ ٱلْأَمَانَ (للاصبهاني)

اجازة عُبيد الابرص وامرئ القيس

٥٨ لَقِيَ عَبِيدُ بْنُ ٱلْأَبْرَصِ ٱمْرَأَ ٱلْقَيْسِ فَقَالَ لَهُ عَبِيدٌ: كَيْفَ مَعْرِفَتُكَ بِٱلْأَوَابِدِ. فَقَالَ: أَلْقِ مَا أَحْبَبْتَ. فَقَالَ عَبِيدٌ:

مَا حَبَّةٌ مَيْتَةٌ قَامَتْ بِمَيْتَتِهَا دَرْدَاءُ مَا أَنْبَتَتْ سِنًّا وَأَضْرَاسَا

فَقَالَ ٱمْرُؤُ ٱلْقَيْسِ:

تِلْكَ ٱلشَّعِيرَةُ تُسْقَى فِي سَنَابِلِهَا فَأَخْرَجَتْ بَعْدَ طُولِ ٱلْمُكْثِ أَكْدَاسَا

فَقَالَ عُبَيْدٌ:

مَا ٱلسُّودُ وَٱلْبِيضُ وَٱلْأَسْمَاءُ وَاحِدَةٌ لَا يَسْتَطِيعُ لَهُنَّ ٱلنَّاسُ تَمْسَاسَا

فَقَالَ ٱمْرُؤُ ٱلْقَيْسِ:

تِلْكَ ٱلسَّحَابُ إِذَا ٱلرَّحْمَانُ أَرْسَلَهَا رَوَّى بِهَا مِنْ مُحُولِ ٱلْأَرْضِ أَيْبَاسَا

فَقَالَ عُبَيْدٌ:

مَا مُرْتَجَاتٌ عَلَى هَوْلٍ مَرَاكِبُهَا يَقْطَعْنَ طُولَ ٱلْمَدَى سَيْرًا وَإِمْرَاسَا

فَقَالَ ٱمْرُؤُ ٱلْقَيْسِ:

تِلْكَ ٱلنُّجُومُ إِذَا حَانَتْ مَطَالِعُهَا شَبَّهْتُهَا فِي سَوَادِ ٱللَّيْلِ أَقْبَاسَا

فَقَالَ عُبَيْدٌ:

مَا ٱلْقَاطِعَاتُ لِأَرْضٍ لَا أَنِيسَ بِهَا تَأْتِي سِرَاعًا وَمَا يَرْجِعْنَ أَنْكَاسَا

فَقَالَ ٱمْرُؤُ ٱلْقَيْسِ:

تِلْكَ ٱلرِّيَاحُ إِذَا هَبَّتْ عَوَاصِفُهَا كَفَى بِأَذْيَالِهَا لِلتُّرْبِ كَنَّاسَا

فَقَالَ عُبَيْدٌ:

مَا ٱلْفَاجِعَاتُ جِهَارًا فِي عَلَانِيَةٍ أَشَدُّ مِنْ فَيْلَقٍ مَمْلُوءَةٍ بَاسَا

فَقَالَ ٱمْرُؤُ ٱلْقَيْسِ:

تِلْكَ ٱلْمَنَايَا فَمَا يُبْقِينَ مِنْ أَحَدٍ يَكْفِتْنَ حَمْقَى وَمَا يُبْقِينَ أَكْيَاسَا

فَقَالَ عُبَيْدٌ:

مَا ٱلسَّابِقَاتُ سِرَاعَ ٱلطَّيْرِ فِي مَهَلٍ لَا يَشْتَكِينَ وَلَوْ أُلْجِمْتَهَا فَاسَا

فَقَالَ ٱمْرُؤُ ٱلْقَيْس :

تِلْكَ ٱلْجِيَادُ عَلَيْهَا ٱلْقَوْمُ قَدْ سَبَحُوا   كَانُوا لَهُنَّ غَدَاةَ ٱلرَّوْعِ أَحْلَاسَا

فَقَالَ عَبِيدٌ :

مَا ٱلْقَاطِعَاتُ لِأَرْضِ ٱلْجَوِّ فِي طَلَقٍ   قَبْلَ ٱلصَّبَاحِ وَمَا يَسْرِينَ قِرْطَاسَا

فَقَالَ ٱمْرُؤُ ٱلْقَيْس :

تِلْكَ ٱلْأَمَانِي يَتْرُكْنَ ٱلْفَتَى مَلِكًا   دُونَ ٱلسَّمَاءِ وَلَمْ تَرْفَعْ بِهِ رَاسَا

فَقَالَ عَبِيدٌ :

مَا ٱلْحَاكِمُونَ بِلَا سَمْعٍ وَلَا بَصَرٍ   وَلَا لِسَانٍ فَصِيحٍ يُعْجِبُ ٱلنَّاسَا

فَقَالَ ٱمْرُؤُ ٱلْقَيْس

تِلْكَ ٱلْمَوَازِينُ وَٱلرَّحْمَانُ أَنْزَلَهَا   رَبُّ ٱلْبَرِيَّةِ بَيْنَ ٱلنَّاسِ مِقْيَاسَا

٥٩ قَالَ عَلِيُّ بْنُ ظَافِرٍ : دَخَلْتُ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِنَا عَلَى صَدِيقٍ لَنَا نَعُودُهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ بِرْكَةٌ قَدْ رَاقَ مَاؤُهَا، وَصَحَتْ سَمَاؤُهَا، وَقَدْ رُصَّ تَحْتَ دَسَاتِيرِهَا نَارَنْجٌ فَتَنَ قُلُوبَ ٱلْحُضَّارِ. وَمَلَأَ بِٱلْمَحَاسِنِ عُيُونَ ٱلنُّظَّارِ. فَكَأَنَّمَا رُفِعَتْ صَوَالِجُ فِضَّةٍ عَلَى كُرَاتٍ مِنَ ٱلنُّضَارِ، فَأَشَارَ ٱلْحَاضِرُونَ إِلَى وَصْفِهَا فَقُلْتُ بَدِيهًا :

أَبْدَعْتَ يَا ٱبْنَ هِلَالَ فِي فِسْقِيَّةٍ   جَاءَتْ مَحَاسِنُهَا بِمَا لَمْ يُعْهَدِ
عَجَبًا لِأَمْوَاهِ ٱلدَّسَاتِيرِ ٱلَّتِي   فَاضَتْ عَلَى نَارَنْجِهَا ٱلْمُتَوَقِّدِ
فَكَأَنَّهُنَّ صَوَالِجٌ مِنْ فِضَّةٍ   رُفِعَتْ لِضَرْبِ كُرَاتِ خَالِصِ عَسْجَدِ

علي بن ظافر عند الملك العادل

٦٠ قَالَ عَلِيُّ بْنُ ظَافِرٍ: وَمِنْ أَعْجَبِ مَا دُهِيتُ بِهِ وَرُمِيتُ إِلاَّ أَنَّ ٱللهَ بِفَضْلِهِ نَصَرَ وَأَعْطَى ٱلظَّفَرَ وَأَعَانَ خَاطِرِي ٱلْكَلِيلَ. حَتَّى مَضَى مَضَاءَ ٱلسَّيْفِ ٱلصَّقِيلِ. أَنِّي كُنْتُ فِي خِدْمَةِ مَوْلَانَا ٱلْعَادِلِ (خَلَّدَ ٱللهُ مُلْكَهُ) بِٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّمَائَةٍ مَعَ مَنْ ضَمَّتْهُ حَاشِيَةُ ٱلْعَسْكَرِ ٱلْمَنْصُورِ مِنَ ٱلْكُتَّابِ وَدَخَلَتْ سَنَةُ ٱثْنَتَيْنِ وَسِتِّمَائَةٍ وَنَحْنُ بِٱلثَّغْرِ مُقِيمُونَ بِٱلْخِدْمَةِ. مُرْتَضِعُونَ لِأَفَاوِيقِ ٱلنِّعْمَةِ. فَحَضَرْتُ مَعَ مَنْ حَضَرَ لِلْهَنَاءِ. مِنَ ٱلْفُقَهَاءِ وَٱلْعُلَمَاءِ. وَٱلْمَشَايِخِ وَٱلْكُبَرَاءِ. وَجَمَاعَةِ ٱلدِّيوَانِ وَٱلْأُمَرَاءِ. فِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ ٱلْجُلُوسِ لِإِمْضَاءِ ٱلْأَحْكَامِ. وَٱلْعَرْضِ لِطَوَائِفِ ٱلْأَجْنَادِ بِٱلتَّمَامِ. فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْبَلَدِ وَلَا مِنَ ٱلْعَسْكَرِ إِلَّا حَضَرَ مُهَنِّئًا. وَمَثَلَ شَاكِرًا وَدَاعِيًا. فَلَمَّا غَصَّ ٱلْمَجْلِسُ بِأَهْلِهِ. وَشَرِقَ بِجَمْعِ ٱلنَّاسِ وَحَفْلِهِ. وَخَرَجَ مَوْلَانَا ٱلسُّلْطَانُ (خَلَّدَ ٱللهُ مُلْكَهُ) إِلَى مَجْلِسِهِ. وَٱسْتَقَرَّ فِي دَسْتِهِ. أَخْرَجَ كِتَابًا نَاوَلَهُ إِلَى ٱلصَّاحِبِ ٱلْأَجَلِّ صَفِيِّ ٱلدِّينِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ عَلِيٍّ وَزِيرِ دَوْلَتِهِ. وَكَبِيرِ جُمْلَتِهِ. وَهُوَ مَفْضُوضُ ٱلْخِتَامِ. مَفْكُوكُ ٱلْفِدَامِ فَفَتَحَهُ فَإِذَا فِيهِ قِطْعَةٌ وَرَدَتْ مِنَ ٱلْمَوْلَى ٱلْمَلِكِ ٱلْمُعَظَّمِ أَبْقَاهُ ٱللهُ. كَتَبَهَا إِلَيْهِ يَتَشَوَّقُهُ وَيَسْتَعْطِفُهُ لِزِيَارَتِهِ وَيُرَقِّقُهُ وَيَسْتَحِثُّ عَوْدَ رِكَابِهِ إِلَى ٱلشَّامِ لِلْمُثَاغَرَةِ بِهَا وَقَمْعِ عَدُوِّهَا. وَيُعَرِّضُ بِذِكْرِ مِصْرَ وَشِدَّةِ حَرِّهَا وَوَقْدِ جَمْرِهَا. وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ وَصَلَ إِلَى خِدْمَتِهِ بِٱلثُّغُورِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهَا. وَٱلْأَبْيَاتُ:

أَرْوِي رِمَاحَكَ مِنْ نُحُورِ عِدَاكَا وَٱنْهَبْ بِخَيْلِكَ مَنْ أَطَاعَ سِوَاكَا

وَٱرْكَبْ خُيُولًا كَٱلسَّعَالِي شُزَّبًا ... وَٱضْرِبْ بِسَيْفِكَ مَنْ يَشُقُّ عَصَاكَا
وَٱجْلِبْ مِنَ ٱلْأَبْطَالِ كُلَّ سَمَيْذَعٍ ... يَفْرِي بِعَزْمِكَ كُلَّ مَنْ يَشْنَاكَا
وَٱسْتَرْعِفِ ٱلسُّمْرَ ٱللِّدَانَ وَرَوِّهَا ... وَٱسْقِ ٱلْمَنِيَّةَ سَيْفَكَ ٱلسَّفَّاكَا
وَسِرِ ٱلْغَدَاةَ إِلَى ٱلْعُدَاةِ مُبَادِرًا ... بِٱلضَّرْبِ فِي هَامِ ٱلْعَدُوِّ دِرَاكَا
وَٱقْرِنْ رِمَاحَكَ بِٱلثُّغُورِ فَإِنَّهَا ... مُشْتَاقَةٌ أَنْ تَنْثَنِي بِعُلَاكَا
فَٱلْعِزُّ فِي نَصْبِ ٱلْخِيَامِ عَلَى ٱلْعِدَى ... تُرْدِي ٱلطُّغَاةَ وَتَدْفَعُ ٱلْمُلَّاكَا
وَٱلنَّصْرُ مَقْرُونٌ بِهِمَّتِكَ ٱلَّتِي ... قَدْ أَصْبَحَتْ فَوْقَ ٱلسِّمَاكِ سِمَاكَا
فَإِذَا عَزَمْتَ وَجَدْتَ مَنْ هُوَ طَائِعٌ ... وَإِذَا نَهَضْتَ وَجَدْتَ مَنْ يَخْشَاكَا
وَٱلنَّصْرُ فِي ٱلْأَعْدَاءِ يَوْمَ كَرِيهَةٍ ... أَحْلَى مِنَ ٱلْكَاسِ ٱلَّذِي رَوَّاكَا
وَٱلْعَجْزُ أَنْ تُمْسِي بِمِصْرَ مُخَيِّمًا ... وَتَحُلَّ فِي تِلْكَ ٱلْعِرَاصِ عُرَاكَا
فَأَرِحْ حُشَاشَتَكَ ٱلْكَرِيمَةَ مِنْ لَظَى ... مِصْرٍ لِكَيْ تَحْظَى ٱلْغَدَاةَ بِذَاكَا
فَلَقَدْ غَدَا قَلْبِي عَلَيْكَ بِحُرْقَةٍ ... شَغَفًا وَلَاحَ ٱلْبِلَادِ هُنَاكَا
وَٱنْهَضْ إِلَى رَاجِي لِقَاكَ مُسَارِعًا ... فَمُنَايَ مِنْ كُلِّ ٱلْأُمُورِ لِقَاكَا
وَٱبْرُدْ فُؤَادَ ٱلْمُسْتَهَامِ بِنَظْرَةٍ ... وَأَعِدْ عَلَيْهِ ٱلْعَيْشَ مِنْ رُؤْيَاكَا
وَٱشْفِ ٱلْغَدَاةَ عَلِيلَ صَبٍّ هَائِمٍ ... أَضْحَى مُنَاهُ مِنَ ٱلْحَيَاةِ مُنَاكَا
فَسَعَادَتِي بِٱلْعَادِلِ ٱلْمَلِكِ ٱلَّذِي ... مَلَكَ ٱلْمُلُوكَ وَقَارَنَ ٱلْأَفْلَاكَا
فَبَقِيتَ لِي يَا مَالِكِي فِي غِبْطَةٍ ... وَجُعِلْتُ فِي كُلِّ ٱلْأُمُورِ فِدَاكَا

فَلَمَّا تَلَا ٱلصَّاحِبُ عَلَى ٱلْحَاضِرِينَ مُحْكَمَ آيَاتِهَا. وَجَلَا مِنْهَا ٱلْعَرُوسَ ٱلَّتِي حَازَتْ مِنَ ٱلْمَحَاسِنِ أَبْعَدَ غَايَاتِهَا. أَخَذُوا فِي ٱسْتِحْسَانِ نِظَامِهَا.

وتناسق غريب التئامها. والثناء على الخاطر الذي نظم محكم أبياتها وأطلع من مشرق فكره آياتها. فقال السلطان (خلد الله ملكه): نريد من يجيبه عنا بأبيات على قافيتها. فالتفت مسرعاً إليّ وأنا على يمينه وقال: يا مولانا مملوكك فلان هو فارس هذا الميدان. والمعتاد للتخلص في مضايق هذا الشان. ثم قطع وصلاً من درج كان بين يديه وألقاه إليّ. وعمد إلى دواته فأدارها بين يدي. فقال له السلطان: أهكذا على مثل هذه الحالة. قال: نعم أنا جربته فوجدته متقد الخاطر حاضر الذهن سريع إجابة الفكر. فقال السلطان: وعلى كل حال قم إلى ههنا لتكف عنك أبصار الناظرين. وتنقطع جلبة الحاضرين. وأشار إلى مكان عن يمين البيت الخشب الذي هو منفرد به فقمت وقد فقدت رجلي انخزالاً. وذهني اختلالاً. لهيبة المجلس في صدري وكثرة من حضره من المترقبين لي المنتظرين حلول فاقرة الشماتة بي. فما هو إلا أن جلست حتى ثاب إليّ خاطري. وانثال الشعر على ضمائري. فكنت أرى فكري كالبازي الصيود لا يرى كلمة إلا أنشب فيها منسره. ولا معنى إلا شك فيه ظفره. فقلت في أسرع وقت:

وصلت من الملك المعظم تحفة ... ملأت بفاخر درها الأسلاكا
أبيات شعر كالنجوم جلالة ... فلذا حكت أوراقها الأفلاكا
عجباً وقد جاءت كمثل الروض إذ ... لم تذوها بالحر نار ذكاكا

جلَتِ ٱلْهُمومَ عنِ ٱلْفُؤادِ كمِثْلِ ما تجلُو بغرّةِ وجهِكَ ٱلْأحلاكَا
كقميصِ يوسفَ إذ شفَتْ يعقوبَ رَيّاهُ شفَتْني مِثْلَهُ رَيّاكَا
قد أعجزَتْ شعراءُ أهلِ زمانِنا حُسْنًا فلمْ لا تعجِزُ ٱلْأَمْلاكَا
ما كانَ هذا ٱلْفضلُ يمكِنُ مِثْلُهُ أنْ يحتويهِ مِنَ ٱلْأَنامِ سِواكَا
لِمْ لا أغيبُ عنِ ٱلشّآمِ وهلْ لَهُ مِنْ حاجةٍ عِنْدي وأنتَ هُناكَا
أمْ كيفَ أخشَى وٱلْبِلادُ جميعُها محميّةٌ في جاهِ طعْنِ قناكَا
يكفِي ٱلْأعادِي حرُّ بأسِكَ فيهِمِ أضعافَ ما يكفِي ٱلْوليَّ نداكَا
ما زُرْتُ مِصرَ لغيرِ ضبطِ ثغورِها فلذا صبرْتُ فُدِيتَ عنْ رؤياكَا
أمْ ٱلْبلادِ علا عليها قدرُها لا سِيَّما مُذْ شُرِّفَتْ بخُطاكَا
طابَتْ وحقَّ لها ولِمْ لا وهيَ قدْ حوَتِ ٱلْمُعلَّى في ٱلْقِداحِ أخاكَا
أنا كٱلسَّحابِ أزورُ أرضًا سافِيًا حِينًا وأمنحُ غيرَها سُقياكَا
مُكثِي جِهادٌ للعدوِّ لأنّني أغزوهُ بٱلرّأيِ ٱلسّديدِ دِراكَا
لولا ٱلرِّباطُ وفضلُهُ لقصدْتُ بٱلسَّيْرِ ٱلْحثيثِ إليكَ نيلَ رِضاكَا
ولئنْ أتيتُ إلى ٱلشّآمِ فإنّما يحثّني شوقي إلى لُقياكَا
إنّي لأمنحُكَ ٱلْمحبّةَ جاهِدًا وهوايَ فيما تشتهيهِ هواكَا
فٱفخرْ فقدْ أضحَتْ بي وبِبأسِكَ ٱلْحامِي وكلُّ ممالكٍ يخشاكَا
لا زِلْتَ تقهرُ مَنْ يعادِي مُلكَنا أبدًا ومَنْ عاداكَ كانَ فِداكَا
وأعيشُ أنظرُ إبنَكَ ٱلْباقِي أبًا وتعيشُ تخدِمُ في ٱلسُّعودِ أباكَا

ثمّ عُدتُ إلى مكاني وقدْ بيّضتُها. وحلّيتُ بزهرِها ساحةَ ٱلْقِرطاسِ

الأبيض وروضتها . فلما رآني السلطان (خلد الله ملكه) قد عدت قال : أعملت شيئاً . ظناً منه أن العمل في تلك اللمحة متعذر . وبلوغ الغرض فيها غير متصور . فقلت : نعم . فقال : أنشدنا فصمت الناس وحدقت الأبصار وأصاخت الأسماع . وظن الناس بي الظنون . وترقبوا مني ما يكون . فما توالى إنشادي حتى صفقت الأيدي إعجاباً . وتغامزت الأعين استغراباً . وحين انتهيت إلى ذكر مولانا الكامل بأنه المعلى إذا ضربت قداحهم . وسردت أمداحهم . اغرورقت عيناه دمعاً لذكره . وأبان صمته مخفي المحبة فأعلن بسره . وحين انتهيت إلى آخرها فاض دمعه . ولم يمكنه منعه . ثم قام فوضع فرجية من خاص ملابسه كانت عليه على كتفي (بدائع البدائه للازدي)

٦١ للباني يرثي ضرسه بعد قلعه

أي طود من الرواسي العظام فجعتنا به يد الأيام
هدمته نوازل الدهر والدهر ولوع بهدم عز الكرام
فهوى شاظياً من الذروة القعساء قسراً وأنفه في الرغام
صاحب كان لي وفياً وبي براً حفياً يعولني بالتزام
وخليلي في كل مخمصة كان عتيد الإطعام والإنعام
أبيض الوجه في اللقا لين الملمس صعب المراس عند الصدام
كاسر طاحن إذا اصطدم الصفان ماضي الشبا ألد الخصام
ضعضعت ركنه الخطوب وثلت عرش سلطانه المنيع السامي

أَيْنَ مِنِّي وَأَيْنَ هَيْهَاتَ أَنِّي أَتَهَنَّا مِنْ بَعْدِهِ بِطَعَامِ
يَا رَفِيقِي مُذْ كُنْتُ طِفْلًا إِلَى أَنْ جَلَّلَ ٱلشَّيْبُ مَفْرِقِي بِٱلثَّغَامِ
وَصَدِيقِي ٱلَّذِي تَحَوَّلْتُ مِنْ جَدْ وَاهُ قُوتِي وَقُوَّتِي وَقِوَامِي
مَنْ يَرُوضُ ٱلصِّعَابَ بَعْدَكَ مَنْ لِلْـ ـبَطْشِ مَنْ لِلْقِرَاعِ مَنْ لِلصِّدَامِ
رُبَّ قِشْرٍ مَحَضْتَهُ عَنْ لُبَابٍ وَلُحُومٍ عَرَقْتَهَا عَنْ عِظَامِ
مَا قَدَرْنَاكَ حَقَّ قَدْرِكَ حَتَّى بِنْتَ فَٱذْهَبْ مُمَتَّعًا بِسَلَامِ
وَتَأَسَّى فَكَمْ صَرِيعٍ بِهٰذَا ٱلثَّغْرِ أَرْدَتْهُ غَارَةُ ٱلْأَيَّامِ
أَبْدَلَتْنِي عَنِ ٱلثُّرَيَّا بَنِي نَعْشٍ كُرُورُ ٱلسِّنِينَ وَٱلْأَعْوَامِ
فَجَعَتْنِي بِكُلِّ أَبْيَضَ طَلَّا عِ ٱلثَّنَايَا مُسْتَأْسِدٍ بَسَّامِ
أَيَّ وِتْرٍ تَبْغِي ٱلنَّوَازِلُ مِنِّي بَعْدَ ضُعْفِ ٱلْقُوَى وَفَتِّ ٱلْعِظَامِ
مَنْ يُرِدْ صُحْبَةَ ٱلزَّمَانِ طَوِيلًا فَلْيُوَطِّنْ نَفْسًا عَلَى ٱلْآلَامِ
كُلُّ صَعْبٍ يَهُونُ إِنْ أَنْعَمَ ٱللّٰهُ عَلَى عَبْدِهِ بِحُسْنِ ٱلْخِتَامِ.

٦٢ حدث أبو هريرة النحويُّ قال: كان أبو الشبل البرجميُّ قد اشترى كبشاً للاضحى. فجعل يعلفهُ ويُسمّنهُ فأفلت يوماً على قنديلٍ لهُ كان يُسرجهُ بين يديهِ وسراجٍ وقارورةٍ للزيت. فنطحهُ فكسرهُ وانصبَّ الزيت على ثيابهِ وكتبهِ وفراشهِ. فلمَّا عاين ذلك ذبح الكبش قبل الاضحى وقال يرثي سراجهُ:

يَا عَيْنُ ٱبْكِي لِفَقْدِ مِسْرَجَةٍ كَانَتْ عَمُودَ ٱلضِّيَاءِ وَٱلنُّورِ
كَانَتْ إِذَا مَا ٱلظَّلَامُ أَلْبَسَنِي مِنْ حِنْدِسِ ٱللَّيْلِ ثَوْبَ دَيْجُورِ
شَقَّتْ بِنِيرَانِهَا غَيَاطِلَهُ شَقًّا دَعَى ٱللَّيْلَ بِٱلدَّيَاجِيرِ
صِينِيَّةُ ٱلصِّينِ حِينَ أَبْدَعَهَا مُصَوِّرُ ٱلْحُسْنِ بِٱلتَّصَاوِيرِ

وَقَبْلَ ذَا بِدْعَةٌ أُتِيحَ لَهَا ... مِنْ قِبَلِ ٱلدَّهْرِ قَرْنُ يَعْفُورِ
وَصَكَّهَا صَكَّةً فَمَا لَبِثَتْ ... أَنْ وَرَدَتْ عَسْكَرَ ٱلْمَكَاسِيرِ
وَإِنْ تَوَلَّتْ فَقَدْ لَهَا تَرَكَتْ ... ذِكْرًا سَيَبْقَى عَلَى ٱلْأَعَاصِيرِ
مَنْ ذَا رَأَيْتَ ٱلزَّمَانَ يَاسَرَهُ ... فَلَمْ يَشُبْ يُسْرَهُ بِتَعْسِيرِ
وَمَنْ أَبَاحَ ٱلزَّمَانُ صَفْوَتَهُ ... فَلَمْ يَشُبْ صَفْوَهُ بِتَكْدِيرِ
مِسْرَجَتِي لَوْ فُدِيتِ مَا بَخِلَتْ ... عَنْكِ يَدُ ٱلْجُودِ بِٱلدَّنَانِيرِ
لَيْسَ لَنَا فِيكِ مَا نُقَدِّرُهُ ... لَكِنَّمَا ٱلْأَمْرُ بِٱلْمَقَادِيرِ
مِسْرَجَتِي كَمْ كَشَفْتِ مِنْ ظُلَمٍ ... جَلَيْتِ ظَلْمَاءَهَا بِتَنْوِيرِ
أَوْحَشَتِ ٱلدَّارُ مِنْ ضِيَائِكِ وَٱلْـ ... ـبَيْتُ إِلَى مَطْبَخٍ وَتَنُّورِ
قَلْبِي حَزِينٌ عَلَيْكِ إِذْ سَجَلَتْ ... عَلَيْكِ بِٱلدَّمْعِ عَيْنُ تَنْمِيرِ
إِنْ كَانَ أَوْدَى بِكِ ٱلزَّمَانُ فَقَدْ ... أَبْقَيْتِ مِنْكِ ٱلْحَدِيثَ فِي ٱلدُّورِ
دَعْ ذِكْرَهَا وَٱهْجُ قَرْنَ نَاطِحِهَا ... وَٱسْرُدْ أَحَادِيثَهُ بِتَفْسِيرِ
كَانَ حَدِيثِي أَنِّي ٱشْتَرَيْتُ فَمَا ٱشْـ ... ـتَرَيْتُ كَبْشًا سَلِيلَ خِنْزِيرِ
فَلَمْ أَزَلْ بِٱلنَّوَى أُسَمِّنُهُ ... وَٱلتِّبْنِ وَٱلْقَتِّ وَٱلْأَثَاجِيرِ
أُبَرِّدُ ٱلْمَاءَ فِي ٱلْقِلَالِ لَهُ ... وَأَتَّقِي فِيهِ كُلَّ مَحْذُورِ
تَخْدُمُهُ طُولَ كُلِّ لَيْلَتِهَا ... خِدْمَةَ عَبْدٍ بِٱلذُّلِّ مَأْسُورِ
فَلَمْ يَزَلْ يَغْتَذِي ٱلسُّرُورَ وَمَا ٱلْـ ... ـمَحْزُونُ فِي عَيْشِهِ كَمَسْرُورِ
حَتَّى عَدَا طَوْرَهُ وَحَقَّ لِمَنْ ... يَكْفُرُ نُعْمَى تَقْرِيبُ تَغْيِيرِ
فَمَدَّ قَرْنَيْهِ نَحْوَ مِسْرَجَةٍ ... تُعَدُّ فِي صَوْنِ كُلِّ مَذْخُورِ

شَدَّ عَلَيْهَا بِقَرْنِ ذِي حَنَقٍ مُعَـوَّدٍ لِلنِّطَـاحِ مَشْهُـورِ
وَلَيْسَ يَقْوَى بِرَوْقِـهِ جَبَـلٌ صَلْدٌ مِنَ ٱلشُّمِّ ٱلْمَذَاكِيرِ
فَكَيْفَ تَقْوَى عَلَيْهِ مِسْرَجَةٌ أَرَقُّ مِنْ جَوْهَـرِ ٱلْقَـوَارِيرِ
تَكَسَّرَتْ كَسْرَةً لَهَا أَلَمٌ وَمَا صَحِيحُ ٱلْهَوَى كَمَكْسُورِ
فَأَدْرَكَتْهُ شَعُوبُ فَٱنْشَعَبَتْ بِٱلرَّوْعِ وَٱلشِّلْوُ غَيْرُ مَقْتُـورِ
أُدِيلَ مِنْـهُ فَأَدْرَكَتْهُ يَدٌ مِنَ ٱلْمَنَايَا بِجَدِّ مَطْرُورِ
يَلْتَهِبُ ٱلْمَوْتُ فِي ظُبَاهُ كَمَا تَلْتَهِبُ ٱلنَّـارُ فِي ٱلْمَسَاعِيرِ
وَمَزَّقَتْـهُ ٱلْمُدَى فَمَا تَرَكَتْ كَفُّ ٱلْقِرَى مِنْهُ غَيْرَ تَعْسِيرِ
وَٱغْتَـالَهُ بَعْدَ كَسْرِهَا قَدَرٌ صَيَّرَهُ نُهْزَةَ ٱلسَّنَانِيرِ
فَمَـزَّقَتْ لَحْمَـهُ بَرَاثِنُهَـا وَبَذَّرَتْـهُ أَشَـدَّ تَبْذِيرِ
وَٱخْتَلَسَتْـهُ ٱلْحِدَاءُ خَلْسًا مَعَ ٱلْـغِرْبَانِ لَمْ تَزْدَجِرْ لِتَكْبِيرِ
وَصَارَ حَظُّ ٱلْكِلَابِ أَعْظُمَهُ يَهْشِمُ أَلْحَاءَهَـا بِتَكْسِيرِ
كَمْ كَاسِرٍ نَحْوَهُ وَكَاسِرَةٍ سِلَاحُهَا فِي شَبَا ٱلْمَنَاقِيرِ
وَخَامِـعٍ نَحْـوَهُ وَخَامِعَـةٍ سِلَاحُهَـا فِي شَبَا ٱلْأَظَافِيرِ
قَدْ جَعَلَتْ حَوْلَ شِلْوِهِ عُرُسًا بِـلَا ٱفْتِقَـارٍ إِلَى مَزَامِـيرِ
وَلَا مُغَـنٍّ سِوَى هَمَاهِمِهَـا إِذَا تَمَطَّـتْ لِوَارِدِ ٱلْعِيرِ
يَا كَبْشُ ذُقْ إِذْ كَسَرْتَ مِسْرَجَتِي لِمُدْيَةِ ٱلْمَوْتِ كَأْسَ تَنْحِيرِ
بَغَيْتَ ظُلْمًا وَٱلْبَغْيُ مَصْرَعُ مَنْ بَغَى عَلَى أَهْلِهِ بِتَغْيِيرِ
أُضْحِيَّةٌ مَا أَظُنُّ صَاحِبَهَا فِي قَسْمِهِ لَحْمَهَا بِمَأْجُورِ

٦٣ قال ابو العلاء المعرّي من قصيدةٍ على لسان درعٍ يخاطب سيفاً

أَلَمْ يَبْلُغْكَ فَتْكِي بِالْمَوَاضِي وَسُخْرِي بِالْأَسِنَّةِ وَالزِّجَاجِ
وَأَنِّي لَا يُغَيِّرُ لِي قَتِيرًا خِضَابٌ كَالْمُدَامِ بِلَا مِزَاجِ
مَنَعْتُ الشَّيْبَ مِنْ كَتْمِ التَّرَاقِي وَلَمْ أَمْنَعْهُ مِنْ خَطَرِ الْعَجَاجِ
فَهَلْ حُدِّثْتَ بِالْحِرْبَاءِ يَلْقَى بِرَأْسِ الْعَيْرِ مُوضِحَةَ الشِّجَاجِ
تَصِيحُ ثَعَالِبُ الْمُرَّانِ كَرْبًا صِيَاحَ الطَّيْرِ تَطْرَبُ لِابْتِهَاجِ
حَرَامٌ أَنْ يُرَاقَ نَجِيعُ قِرْنٍ يَجُوبُ النَّقْعَ وَهْوَ إِلَيَّ لَاجِي
يُقَضَّبُ عَنْهُ أَمْرَاسُ الْمَنَايَا لِبَاسٌ مِثْلُ أَغْرَاسِ النِّتَاجِ
تَعَوَّذَ بِي حَلِيفُ التَّاجِ قِدْمًا وَفَارِسُ لَمْ تَهِمْ بِعَقْدِ تَاجِ
شَهِدْتُ الْحَرْبَ قَبْلَ ابْنَيْ بَغِيضٍ وَكُنْتُ زَمَانَ صَخْرَاءِ النِّبَاجِ
فَلَا يُطْمِعْكَ فِي الْغَمَرَاتِ وِرْدِي فَإِنِّي رَبَّةُ الْمُرِّ الْأُجَاجِ
فَإِنْ تَرْكُدْ بِغِمْدِكَ لَا تَخَفْنِي وَإِنْ تَهْجُمْ عَلَيَّ فَغَيْرُ نَاجِ
مَتَى تَرُمِ السُّلُوكَ بِيَ الزَّوَايَا تَجِدْ قَضَّاءَ مُبْهَمَةِ الرِّتَاجِ
يَرُدُّ حَدِيدَكَ الْهِنْدِيَّ سَرْدِي رُفَاتًا كَالْحَطِيمِ مِنَ الزُّجَاجِ
تُنَاجِينِي إِذَا اخْتَلَفَ الْعَوَالِي أَتَدْرِي وَيْبَ غَيْرِكَ مَنْ تُنَاجِي
كَأَنَّ كُعُوبَهَا مُتَنَاثِرَاتٍ نَوَى قَسْبٍ تُرَضِّخُ لِلنَّوَاجِي
مُمَوَّهَةٌ كَأَنَّ بِهَا ارْتِعَاشًا لِفَرْطِ السِّنِّ أَوْ دَاءِ اخْتِلَاجِ
تُضَيِّفُنِي الذَّوَابِلُ مُكْرَهَاتٍ فَتَرْحَلُ مَا أُذِيقَتْ مِنْ لِمَاجِ
إِذَا مَا السَّهْمُ حَاوَلَ فِيَّ نَهْجًا فَإِنِّي عَنْهُ ضَيِّقَةُ الْفِجَاجِ

وَهَلْ تَعْشُو ٱلنِّبَالُ إِلَى ضِيَاءٍ ثَنَى ٱلسَّمْرَاءَ مُطْفَأَةَ ٱلسِّرَاجِ
يَهُونُ عَلَيَّ وَٱلْحِدْثَانُ طَاغٍ أَتُنْذِرُنِي ٱلْفَوَارِسُ أَمْ تُفَاجِي
فَلَوْ طُعِنَ ٱلْفَتَى بِأَشَدِّ غُصْنٍ جَنَاهُ أَشَدُّ حِصْنٍ فِي ٱلْهِيَاجِ
أَخَالَتْنِي ظَمَاءُ ٱلْخَطِّ لَجَأً فَأَلْفَتْ رُكْنَ شَابَةَ فِي ٱللَّجَاجِ
وَلَيْسَ لِكَرِّ يَوْمِ ٱلشَّرِّ نَافٍ سِوَى كَرٍّ مِنَ ٱلْأَذْرَاعِ سَاجِ

٦٤ وقال ايضاً من قصيدةٍ على لسان رجل يسأل أمهُ عن درع أبيه

مَا فَعَلَتْ دِرْعُ وَالِدِي أَجَرَتْ فِي نَهَرٍ أَمْ مَشَتْ عَلَى قَدَمِ
أَمِ ٱسْتُعِيرَتْ مِنَ ٱلْأَرَاقِمِ فَٱزْ تَدَّتْ عَوَارِيَهَا بَنُو ٱلرَّقِمِ
أَمْ بِعْتِهَا تَبْتَغِينَ مَصْلَحَةً فِي سَنَةٍ وَٱلسَّمَاءُ لَمْ تَغِمِ
عَابِسَةٌ لَمْ يَجُدْ بِهَا ٱلْأَسَدُ ٱلظَّبْيَةَ إِلَّا ٱلضَّعَائِفَ ٱلرُّهُمِ
أَمْ كُنْتِ صَيَّرْتِهَا لَهُ كَفَنًا فَتِلْكَ لَيْسَتْ مِنْ آلَةِ ٱلرَّجِمِ
لَعَلَّهُ أَنْ يَجِيءَ مُدَّرِعًا يَوْمَ رُجُوعِ ٱلنُّفُوسِ فِي ٱلرِّمَمِ
أَمْ كُنْتِ أَوْدَعْتِهَا أَخَا ثِقَةٍ فَخَانَ وَٱلْخَوْنُ أَقْبَحُ ٱلشِّيَمِ
ضَافِيَةٌ فِي ٱلْمَجَرِّ صَافِيَةٌ لَيْسَتْ بِمَطْوِيَّةٍ عَلَى قِيَمِ
كَأَنَّهَا وَٱلنِّصَالُ تَأْخُذُهَا أَضَاةُ حَزْنٍ تُجَادُ بِٱلدِّيَمِ
ضَنَّ بِهَا رَبُّهَا لِضِنَّتِهَا بِهِ وَكَمْ ضِنَّةٍ مِنَ ٱلْكَرَمِ
تَحْسَبُهَا مِنْ رُضَابِ غَادِيَةٍ مَجْمُوعَةً أَوْ دُمُوعِهَا ٱلسُّجُمِ
ضَاحِكَةٌ بِٱلسِّهَامِ سَاخِرَةٌ بِٱلرُّمْحِ هَزَّاءَةٌ مِنَ ٱلْخُذُمِ
عَادَتُهَا أَزْمُهَا ظُبًا وَقَنًا مِنْ عَهْدِ عَادٍ وَأُخْتِهَا إِرَمِ

تَعُرُّهَا غِرَّةَ السَّرَابِ نُهًى فِي نَاجِرِيِّ النَّهَارِ مُحْتَدِمِ
أَوْ عَمَلُ الْكُفْرِ مَنْ يَدِينُ بِهِ فِي الْبَعْثِ إِبَّانَ مَجْمَعِ الْأُمَمِ
ذَاتُ قَتِيرٍ شَابَتْ بِمَوْلِدِهَا وَلَمْ يَكُنْ شَيْبُهَا مِنَ الْقِدَمِ
فَمَا عَدَدْنَا بَيَاضَهَا هَرَمًا حِينَ يُعَدُّ الْبَيَاضُ فِي الْهَرَمِ
مَا خَضَبَتْهُ الْمُهَنَّدَاتُ لَهَا وَلَا الْعَوَالِي سِوَى رَشَاشِ دَمِ
مَلْبَسُ قَيْلٍ مَا خِيطَ مُشْبِهُهُ لِدَارِمٍ قَبْلَنَا وَلَا دَرِمِ
رَآهُ كَهْلَانُ مِنْ مَعَاقِلِهِ فِي الْحَرْبِ دُونَ الْعَبِيدِ وَالْحَشَمِ
عَذَّبَهَا الْهَالِكِيُّ صَانِعُهَا فِي جَاحِمٍ مِنْ وُقُودِهِ ضَرِمِ
يَنْفُرُ عَنْهَا ضَبُّ الْعُدَاةِ كَمَا يَهَابُ نَقْعًا مِنْ بَارِدٍ شَبِمِ
يَدُ الْمَنَايَا إِذَا تُصَافِحُهَا أَعْيَى بِهَا مِنْ يَدَيْنِ فِي رَحِمِ
مَعَابِلُ الرَّمْيِ عِنْدَهَا عَبَلٌ مُلْقًى وَسُحْمُ النِّصَالِ كَالسُّحُمِ
فَهْيَ فَمُ الْمُودِ يَزْهَنَّ بِهِ وَهْنَ شَوْكُ الْقَتَادِ وَالسَّلَمِ

٦٥ لابي الحفص الفارضي في التغزل بالكمالات الالهية

أَوَمِيضُ بَرْقٍ بِالْأُبَيْرِقِ لَاحَا أَمْ فِي رُبَى نَجْدٍ أَرَى مِصْبَاحَا
أَمْ تِلْكَ لَيْلَى الْعَامِرِيَّةُ (١) أَسْفَرَتْ لَيْلًا فَصَيَّرَتِ الْمَسَاءَ صَبَاحَا
يَا رَاكِبَ الْوَجْنَاءِ (٢) وُقِيتَ الرَّدَى إِنْ جُبْتَ حَزْنًا أَوْ طَوَيْتَ بِطَاحَا
وَسَلَكْتَ نَعْمَانَ الْأَرَاكِ (٣) فَعُجْ إِلَى وَادٍ (٤) هُنَاكَ عَهِدْتُهُ فَيَّاحَا

---

(١) قال الشيخ حسن البوريني : أراد بليلى العامريّة ذات وجود الحقّ والعزّة الالهيّة

(٢) المراد براكب الوجناء السالك في طريق الخلاص القاهر نفسهُ

(٣) اسم مكان وكنى بهِ عن الدخول في التجليّات الالهيّة (٤) أراد بهِ الرياض السماويّة

فَبِأَيْمَنِ الْعَلَمَيْنِ (١) مِنْ شَرْقِيِّهِ عَرِّجْ . وَأُمَّ أَرِينَهُ الْفَوَّاحَا
وَإِذَا وَصَلْتَ إِلَى ثَنِيَّاتِ اللِّوَى (٢) فَانْشُدْ فُؤَادًا بِالْأُبَيْطِحِ طَاحَا
وَاقْرِ السَّلَامَ أُهَيْلَهُ (٣) عَنِّي وَقُلْ غَادَرْتُهُ لِجَنَابِكُمْ مُلْتَاحَا
يَا سَاكِنِي نَجْدٍ أَمَا مِنْ رَحْمَةٍ لِأَسِيرِ إِلْفٍ لَا يُرِيدُ سَرَاحَا
هَلَّا بَعَثْتُمْ لِلْمَشُوقِ (٤) تَحِيَّةً فِي طَيِّ صَافِيَةِ الرِّيَاحِ رَوَاحَا
يَحْيَا بِهَا مَنْ كَانَ يَحْسَبُ هَجْرَكُمْ مَزْحًا وَيَعْتَقِدُ الْمِزَاحَ مُزَاحَا
يَا أَهْلَ وِدِّي هَلْ لِرَاجِي وَصْلِكُمْ طَمَعٌ فَيَنْعَمَ بَالُهُ اسْتِرْوَاحَا
مُذْ غِبْتُمُ عَنْ نَاظِرِي لِي أَنَّةٌ مَلَأَتْ نَوَاحِي أَرْضِ مِصْرَ نُوَاحَا
وَإِذَا ذَكَرْتُكُمُ أَمِيلُ كَأَنَّنِي مِنْ طِيبِ ذِكْرِكُمُ سُقِيتُ الرَّاحَا
وَإِذَا دُعِيتُ إِلَى تَنَاسِي عَهْدِكُمْ أَلْفَيْتُ أَحْشَائِي بِذَاكَ شِحَاحَا
سَقْيًا لِأَيَّامٍ مَضَتْ مَعَ جِيرَةٍ (٥) كَانَتْ لَيَالِينَا بِهِمْ أَفْرَاحَا
حَيْثُ الْحِمَى وَطَنِي وَسُكَّانُ الْغَضَا سَكَنِي وَوِرْدِي الْمَاءُ فِيهِ مُبَاحَا
وَأُهَيْلُهُ أَرَبِي وَظِلُّ نَخِيلِهِ طَرَبِي وَرَمْلَةُ وَادِيَيْهِ مَرَاحَا
وَاهًا عَلَى ذَاكَ الزَّمَانِ وَطِيبِهِ أَيَّامَ كُنْتُ مِنَ اللُّغُوبِ مُرَاحَا
قَسَمًا بِمَكَّةَ وَالْمَقَامِ وَمَنْ أَتَى الْـ بَيْتَ الْحَرَامَ مُلَبِّيًا سَيَّاحَا
مَا رَنَّحَتْ رِيحُ الصَّبَا شِيحَ الرُّبَى إِلَّا وَأَهْدَتْ مِنْكُمُ أَرْوَاحَا

(١) أراد بالعلمين النفس والقلب (٢) كنى بثنيات اللوى عن الصفات الربانية. وبوصوله عن تجلي الحضرة الالهية (٣) هم الاولياء والطوباويون. وكذلك ساكنو نجد (٤) يريد بالمشوق نفسهُ الحائمة بحبهِ تعالى (٥) يكني عن زمان زجاه بالبر والصلاح مع الاولياء

٦٦ خمرية ابي الحفص الفارضي وشرحها للشيخ حسن البوريني

شَرِبْنَا على ذِكْرِ الحَبِيبِ مُدامَةً سَكِرْنا بها مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلَقَ الكَرْمُ

(شربنا) اي معاشر السالكين في طريق الله تعالى . (على ذكر الحبيب) اي المحبوب وهو الحق تعالى . وقد يراد (بالذكر) الذكر باللسان او بالقلب والجنان . وأشار الى ان ذكر الله عنده من أقوى أسباب الطرب . (مدامة) أي خمرة . والمعنى هنا شراب المحبة الالهيّة الناشئة من شهود اثار الاسماء الجماليّة لحضرة العليّة . وقولهُ (سكرنا) أي غبنا لذّةً وطرباً بنشأة تلك الخمرة . وقولهُ (من قبل ان يخلق الكرم) يشير الى قول القائل : ألستُ انا ربكم قبل ان يخلق الكرم الى الوجود

لها البَدْرُ كأسٌ وهيَ شَمْسٌ يُدِيرُها هِلالٌ وكم يَبْدو إذا مُزِجَتْ نَجْمُ

هذا البيت عجيب في بابهِ فانهُ مشتمل على ذكر ألفاظ يناسب بعضها بعضاً وهي البدر والشمس والهلال والنجم وكذلك الكاس والادارة والمزج . وقولهُ : لها البدر كاسٌ اي قلب العالم المحقق العامل (وهي شمس) اي المدامة المراد بها المعرفة الالهيّة التي تفيض انوارها في جميع الكائنات تشبه الشمس في طلوعها واشراقها . وقولهُ يديرها اي ينشر اسماء تلك الحضرة الالهية وصفاتها . وقولهُ هلالٌ هو ذاك البدر الا انهُ محتجب

ولولا شَذاها ما اهْتَدَيْتُ لِحانِها ولولا سَناها ما تَصَوَّرَها الوَهْمُ

يقول : لولا روائح تلك الحضرات لما اهتديتُ الى الاسماء الحُسنى والصفات العليا لان عبيرها عطّر الاكوان . وقولهُ : لولا سناها الخ كنى بهِ عن النور الروحاني الذي بضوءِهِ ادرك الانسان حقيقة الوجود الالهي

ولم يُبْقِ منها الدَّهْرُ غَيْرَ حُشاشَةٍ كأَنَّ خَفاها في صُدورِ النُّهى كَتْمُ

يقول : ان زخارف الدنيا تشغل القلوب الغافلة عن النهوض الى شهود تجليات الحق . ويشبه خفاء تلك الحقيقة عند العقول البشريّة خفاء الأسرار وكتمها في صدور الذين اوتوا العلم الالهي

فإنْ ذُكِرَتْ في الحَيِّ أَصْبَحَ أَهْلُهُ نَشاوَى ولا عارٌ عليهِمْ ولا إِثْمُ

يعني ان ذكرت تلك الحضرة عند المتأهلين بالاستعداد لقبول انوار الفيض الرباني فيصبحون سكارى ويغيبون عن أوهامهم في التحقق بمعاني الجلال

ومِنْ بَيْنِ أَحْشاءِ الدِّنانِ تَصاعَدَتْ ولم يَبْقَ منها في الحَقِيقَةِ إِلَّا اسْمُ

يقول : انهُ بتقاصر الهمم الروحانيّة على نيل هذه المدامة ولانحراف قلوب البشر اختفت

العلوم الالهيّة شيئاً فشيئاً من صدور الرجال حتى توارت ولم يبقَ منها الّا الاسم

وَإِنْ خَطَرَتْ يَوْماً عَلَى خَاطِرِ امْرِئٍ أَقَامَتْ بِهِ الْأَفْرَاحُ وَارْتَحَلَ الْهَمُّ

يقول ان تجلّي العزّة الالهيّة يبدد كل غمّ ويشمل القلوب بكل فرح

وَلَوْ نَظَرَ النُّدْمَانُ خَتْمَ إِنَائِهَا لَأَسْكَرَهُمْ مِنْ دُونِهَا ذَلِكَ الْخَتْمُ

يقول ان أثر التجلّي الربّاني في قلب السالكين جدير بتبديد سقامهم

وَلَوْ نَضَحُوا مِنْهَا ثَرَى قَبْرِ مَيِّتٍ لَعَادَتْ إِلَيْهِ الرُّوحُ وَانْتَعَشَ الْجِسْمُ

وَلَوْ طَرَحُوا فِي فَيْءِ حَائِطِ كَرْمِهَا عَلِيلًا وَقَدْ أَشْفَى لَفَارَقَهُ السُّقْمُ

وَلَوْ قَرَّبُوا مِنْ حَانِهَا مُقْعَداً مَشَى وَتَنْطِقُ مِنْ ذِكْرَى مَذَاقَتِهَا الْبُكْمُ

وَلَوْ عَبِقَتْ فِي الشَّرْقِ أَنْفَاسُ طِيبِهَا وَفِي الْغَرْبِ مَزْكُومٌ لَعَادَ لَهُ الشَّمُّ

وَلَوْ خُضِبَتْ مِنْ كَأْسِهَا كَفُّ لَامِسٍ لَمَا ضَلَّ فِي لَيْلٍ وَفِي يَدِهِ النَّجْمُ

وَلَوْ جُلِيَتْ سِرًّا عَلَى أَكْمَهٍ غَدَا بَصِيراً وَمِنْ رَاوُوقِهَا تَسْمَعُ الصُّمُّ

وَلَوْ أَنَّ رَكْباً يَمَّمُوا تُرْبَ أَرْضِهَا وَفِي الرَّكْبِ مَلْسُوعٌ لَمَا ضَرَّهُ السُّمُّ

وَلَوْ رَسَمَ الرَّاقِي حُرُوفَ اسْمِهَا عَلَى جَبِينِ مُصَابٍ جُنَّ أَبْرَأَهُ الرَّسْمُ

وَفَوْقَ لِوَاءِ الْجَيْشِ لَوْ رُقِمَ اسْمُهَا لَأَسْكَرَ مَنْ تَحْتَ اللِّوَا ذَلِكَ الرَّقْمُ

تُهَذِّبُ أَخْلَاقَ النَّدَامَى فَيَهْتَدِي بِهَا لِطَرِيقِ الْعَزْمِ مَنْ لَا لَهُ عَزْمُ

وَيَكْرُمُ مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْجُودَ كَفُّهُ وَيَحْلُمُ عِنْدَ الْغَيْظِ مَنْ لَا لَهُ حِلْمُ

وَلَوْ نَالَ فَدْمُ الْقَوْمِ لَثْمَ فِدَامِهَا لَأَكْسَبَهُ مَعْنَى شَمَائِلِهَا اللَّثْمُ

اراد الشاعر بهذه الابيات صفة ما تنتجهُ الحضرة الالهيّة في البشر وذوي العاهات من برء سقامهم ان شملت قلوبهم الحقائق العرفانيّة وان أرادوا نهج المسالك الربّانيّة

يَقُولُونَ لِي صِفْهَا فَأَنْتَ بِوَصْفِهَا خَبِيرٌ أَجَلْ عِنْدِي بِأَوْصَافِهَا عِلْمُ

صَفَاءٌ وَلَا مَاءٌ وَلُطْفٌ وَلَا هَوًا وَنُورٌ وَلَا نَارٌ وَرُوحٌ وَلَا جِسْمُ

قد جمع الشاعر اوصافهُ عزَّ وجلَّ فان هذه الصفات باعتبار تجلّي حقيقتها الغيبيَّة عليهِ ظاهرة لهُ باربعة اوصاف الصفاء واللطف والضياء والروح فهي روح مجرد عن كثافات العناصر الاربعة بعيدة عن كل جسم حسّي

تَقَدَّمَ كُلَّ ٱلْكَائِنَاتِ حَدِيثُهَا　قَدِيمًا وَلَا شَكْلٌ هُنَاكَ وَلَا رَسْمُ

يُريد ان وجود الله قد سبق وجود الكائنات باجمعها قبلًا تُبدع الصُوَر الحسيَّة في عالم الكون

وَقَامَتْ بِهَا ٱلْأَشْيَاءُ ثَمَّ لِحِكْمَةٍ　بِهَا ٱحْتَجَبَتْ عَنْ كُلِّ مَنْ لَا لَهُ فَهْمُ

أي بواسطة هذه الحكمة قد خلقت الكائنات وانما قد خفيت عن الخطأة والذين لم يُدركوا الالهيات

وَهَامَتْ بِهَا رُوحِي بِحَيْثُ تَمَازَجَا ٱتِّحَادًا وَلَا جِرْمٌ تَخَلَّلَهُ جِرْمُ

يقول انهُ لفرط شغفهِ بهذه الحكمة الربانيَّة قد كاد يستحيل اليها

وَلَا قَبْلَهَا قَبْلٌ وَلَا بَعْدَ بَعْدَهَا　وَقَبْلِيَّةُ ٱلْأَبْعَادِ فَهْيَ لَهَا حَتْمُ

وَقَالُوا شَرِبْتَ ٱلْإِثْمَ كَلَّا وَإِنَّمَا　شَرِبْتُ ٱلَّتِي فِي تَرْكِهَا عِنْدِيَ ٱلْإِثْمُ

ان هذا البيت ردٌّ على من اتهمهُ بشرب الخمرة فيقول ان سكرهُ لا بالخمرة المعتصرة من العنب بل بالعزَّة الالهيَّة التي هام بحبها

هَنِيئًا لِأَهْلِ ٱلدَّيْرِ كَمْ سَكِرُوا بِهَا　وَمَا شَرِبُوا مِنْهَا وَلَكِنَّهُمْ هَمُّوا

يقول انهُ يستطوب الرهبان والعباد الذين شربوا من هذه المدامة بل رغبوا الى مشاهدة الجمال الالهي

وَعِنْدِيَ مِنْهَا نَشْوَةٌ قَبْلَ نَشْأَتِي　مَعِي أَبَدًا تَبْقَى وَإِنْ بَلِيَ ٱلْعَظْمُ

يقول ان قلبهُ تشرَّب محبة الله فلا يعدمها وان فاجأتهُ المنيَّة

فَمَا سَكَنَتْ وَٱلْهَمَّ يَوْمًا بِمَوْضِعٍ　كَذَلِكَ لَمْ يَسْكُنْ مَعَ ٱلنَّغَمِ ٱلْغَمُّ

فَلَا عَيْشَ فِي ٱلدُّنْيَا لِمَنْ عَاشَ صَاحِيًا　وَمَنْ لَمْ يَمُتْ سُكْرًا بِهَا فَاتَهُ ٱلْحَزْمُ

عَلَى نَفْسِهِ فَلْيَبْكِ مَنْ ضَاعَ عُمْرُهُ　وَلَيْسَ لَهُ فِيهَا نَصِيبٌ وَلَا سَهْمُ

هذا القول اغراءٌ بشرب هذه المدامة السماويَّة التي اضحت مبدأ كل سرور فانها حيثما حلَّت تضمحلُّ اكدار العالم وخطوب الدهر

البابُ السّادس

في الوصفِ

وصف المطر والسحابة

٦٧ أخبرَنا عبدُ الرَّحمانِ عَنِ الأَصمعيِّ قالَ: سُئِلَ أَعرابيٌّ عَن مطرٍ فَقالَ: استقلَّ سدٌّ معَ انتشارِ الطَّفَلِ فَشَصا وَاحزألَّ. ثُمَّ اكفهرَّتْ أرجاؤُهُ. وَاحمومَتْ أرحاؤُهُ. وَابذعرَّتْ فوارِقُهُ. وَتضاحكتْ بوارِقُهُ. وَاستطارَ وادِقُهُ. وَارتتقَتْ جوبُهُ. وَارثعنَّ هيدبُهُ. وَحشكتْ أخلافُهُ. وَاستقلَّتْ أردافُهُ. وَانتشرتْ أكنافُهُ. فَالرَّعدُ مُرتجِسٌ. وَالبرقُ مُختلِسٌ. وَالماءُ مُنبجِسٌ. فَأترعَ الغُدُرَ. وَأنبثَ الوُجُرَ. وَخلطَ الأَوعالَ بِالآجالِ. وَقرنَ الصِّيرانَ بِالرِّئالِ. فَلِلأَوديةِ هديرٌ. وَلِلشِّراجِ خريرٌ. وَلِلتِّلاعِ زفيرٌ. وَحطَّ النَّبعَ وَالعُتمَ مِنَ القُلَلِ الشُّمِّ. إلى القيعانِ الصُّحمِ. فَلَمْ يَبقَ في القُلَلِ إلّا مُعصِمٌ مُجرنثِمٌ. أو داحِضٌ مُجرجِمٌ. وَذلكَ مِن قضاءِ ربِّ العالمينَ على عبادِهِ المُذنِبينَ

٦٨ أخبرَ الأَصمعيُّ قالَ: سأَلتُ أعرابيًّا مِن بني عامرِ بنِ صعصعةَ عن مطرٍ صابَ بِلادَهُم فَقالَ: نشأَ عارِضًا. فَطلعَ ناهِضًا. ثُمَّ ابتسمَ وَامِضًا. فَاعتنَّ في الأَقطارِ فَأَشجاها. وَامتلَّ في الآفاقِ فَغطّاها. ثُمَّ ارتجزَ فَهمهمَ. ثُمَّ دوّى فَأَظلمَ. فَأَركَ وَدثَّ وَبغشَ. ثُمَّ قطقطَ فَأَفرطَ. ثُمَّ ديَّمَ فَأَغمطَ. ثُمَّ ركدَ فَأَثجمَ. ثُمَّ وبلَ فَسحمَ. وَجادَ فَأَنعمَ. فَقمسَ الرُّبى.

وأفرط الزُّبى . سبْعاً تِباعاً . ما يريد انقشاعاً . حتّى إذا ارتوت الحزون .
وتضحضحت المتون . ساقه ربُّك إلى حيث شاء كما جلبه من حيث شاء

٦٩ أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعي قال : سمعت أعرابياً من غني يذكر مطراً أصابهم في غِبّ جدب فقال : تدارك ربُّك خلقه وقد كلبت الأمحال . وتقاصرت الآمال . وعكف اليأس . وكظمت الأنفاس . وأصبح الماشي مُصرِماً . والمترب مُعدِماً . وجفيت الحلائل . وامتهنت العقائل . فأنشأ سحاباً ركاماً . كنهوراً سجاماً . بروقه متألقة ورعوده متقعقعة . فسح ساجياً راكداً ثلاثاً غير ذي فواق . ثم أمر ربُّك الشمال فطحرت ركامه . وفرقت جهامه . فانقشع محموداً . وقد أحيا فأغنى . وجاد فأروى . فالحمد لله الذي لا تُكت نعمه . ولا تنفد قِسمه . ولا يخيب سائله . ولا ينزر نائله

٧٠ وأخبرنا أبو حاتم عن الأصمعي قال : مررت بغلمة من الأعراب فقلت : أيكم يصف لي الغيث وأعطيه درهماً . فقالوا : كلنا يصف (وهم ثلاثة) . فقلت : صفوا فأيكم ارتضيت صفته أعطيته الدرهم . فقال أحدهم : عنّ لنا عارض قصراً تسوقه الصبا وتحدوه الجنوب . يحبو حبو المعتنك حتى إذا ازلأمت صدوره . وانتجلت خصوره . ورجع هديره . وأصعق زئيره . واستقل نشاصه . وتلاءم خصاصه . وارتجع ارتعاصه . وأوفدت سقابه . وامتدت أطنابه . تدارك ودقه . وتألق برقه . وحفزت تواليه . وانسفحت عزاليه .

فَغَادَرَ الثَّرَى عَمِداً. وَالْعِزَازَ ثَئِداً. وَالْحَثَّ عَقِداً. وَالضَّحَاضِحَ مُتَواصِيَةً. وَالشِّعَابَ مُتَدَاعِيَةً. (قَالَ الآخَرُ): تَرَاءَتِ الْمَخَايِلُ مِنَ الأَقْطَارِ. تَحِنُّ حَنِينَ الْعِشَارِ. وَتَتَرَامَى بِشُهُبِ النَّارِ. قَوَاعِدُهَا مُتَلاحِكَةٌ. وَبَوَاسِقُهَا مُتَضَاحِكَةٌ. وَأَرْجَاؤُهَا مُتَقَاذِفَةٌ. وَأَرْجَاؤُهَا مُتَرَاصِفَةٌ. فَوَصَلَتِ الْغَرْبَ بِالشَّرْقِ. وَالْوَبْلَ بِالْوَدْقِ. سَحًّا دِرَاكاً. مُتَتَابِعاً لِكاكاً. فَضَحْضَحَتِ الْجَفَاجِفَ. وَأَنْهَرَتِ الصَّفَاصِفَ. وَحَوَّضَتِ الأَصَالِفَ. ثُمَّ أَقْلَعَتْ مُحْسِبَةً مَحْمُودَةَ الآثَارِ. مَوْفُوقَةَ الْجُبَارِ. (وَقَالَ الثَّالِثُ): وَاللهِ مَا خِلْتُهُ بَلَغَ خَمْساً: هَلُمَّ الدِّرْهَمَ أَصِفْ لَكَ. فَقُلْتُ: لا أَوْ تَقُولَ كَمَا قَالا. فَقَالَ: وَاللهِ لأُبُذَّنَّهُمَا وَصْفاً. وَلأَفُوقَنَّهُمَا رَصْفاً. قُلْتُ: هَاتِ للهِ أَبُوكَ. فَقَالَ: بَيْنَا الْحَاضِرُ بَيْنَ الْيَاسِ. وَالإِبْلاسِ. قَدْ غَمَرَهُمُ الإِشْفَاقُ. رَهْبَةَ الإِمْلاقِ. قَدْ حَقَبَتِ الأَنْوَاءُ. وَرَفْرَفَ الْبَلاءُ. وَاسْتَوْلَى الْقُنُوطُ عَلَى الْقُلُوبِ. وَكَثُرَ الاسْتِغْفَارُ مِنَ الذُّنُوبِ. ارْتَاحَ رَبُّكَ لِعِبَادِهِ. فَأَنْشَأَ سَحَاباً مُسْجِهِرًّا كَنَهْوَراً. مُعْنَوْنِكاً مُحْلَوْلِكاً. ثُمَّ اسْتَقَلَّ وَاخْزَأَلَّ. فَصَارَ كَالسَّمَاءِ دُونَ السَّمَاءِ. وَكَالأَرْضِ الْمَدْحُوَّةِ فِي لَوْحِ الْهَوَاءِ. فَأَخْصَبَ السُّهُولَ. وَأَنَاقَ الْمَجْهُولَ. وَأَحْيَا الرَّجَاءَ. وَأَمَاتَ الضَّرَّاءَ. وَذَلِكَ مِنْ قَضَاءِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. (قَالَ): فَلا وَاللهِ الْيَفَعُ صَدْرِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ دِرْهَماً وَكَتَبْتُ كَلامَهُمْ (صفة السحاب والغيث لابن دريد)

لابن الاثير في وصف الخيل

٧١ (قُلْتُ فِي وَصْفِ فَرَسٍ أَدْهَمَ): وَطَالَمَا امْتَطَيْتُ صَهْوَةَ مُطَهَّمٍ

نَهْدٍ . فغَنِيتُ عن نشوةِ الكُمَيتِ مِن ذاتِ نَهْدٍ . يُسابِقُ الرِّيحَ فيُغبِّر في وجهِها دُونَ شقِّ غُبارِهِ . وإذا ظهر عليها رجعتْ حسرى في مِضمارِهِ . نُسِبَ إلى الأعوجِ وهو مُستقيمٌ في الكرِّ والفرِّ . وقد حنقتْ عليه عينُ الشمسِ إذ لا يُمكنُها أنْ ترسمَ ظِلَّهُ على الأرضِ إذا مرّ . ليلي الإهابِ لطم جبينَهُ الصباحُ ببهائِهِ . فعدا عليه وخاض يقتصُّ منهُ في أحشائِهِ . كما قال ابنُ نُباتةَ السعديُّ :

وكأنَّما لطمَ الصباحُ جبينَهُ فاقتصَّ منهُ فخاضَ في أحشائِهِ

وقدْ أغتدي عليهِ والطيرُ في وكناتِها فلا يفوتُني الأجدلُ . وإذا أطلقتُهُ لصيدِ الوحشِ رأيتني على مُنجردٍ قيدِ الأوابدِ هيكلِ

(وقُلْتُ في وصفِ فرسٍ هجينٍ) : فرسٌ لهُ مِنَ العربيةِ حسبٌ ومِنَ الكُرديةِ نسبٌ . فهو مِن بينِهما مُستنتجٌ . لا ينتسبُ إلى خُبيبٍ ولا إلى أعوجَ . ومِن صفاتِهِ أنَّهُ رحبُ اللبانِ . عريضُ البطانِ . سلسُ العنانِ . يَنْثني على قدرِ الطعانِ . وعلى قدرِ الكرةِ والصولجانِ . قدِ استوتْ حالتاهُ قادمًا ومتأخرًا . فإذا أقبلَ خِلتَهُ مُرتفعًا . وإذا أدبرَ خِلتَهُ مُنحدرًا . كأنَّهُ في حُسنِهِ دُميةُ محرابٍ . وفي خلقِهِ ذروةُ هضابٍ . وهو في ساقِهِ ولاحقِهِ مُخلَّقٌ بخُلقِ المضمارِ . وبدمِ السرابِ والصوارِ فهو منسوبٌ إلى ذواتِ القوادمِ . وإنْ كان محسوبًا في ذواتِ القوائمِ . كأنَّما ثنى لجامَهُ على سالفةِ عقابٍ . وشدَّ حِزامَهُ على بارقةِ سحابٍ

(الوشي المرقوم لابن الأثير)

سفر البحر

٧٢ لَمَّا رَكِبْنَا ٱلْبَحْرَ . وَحَلَلْنَا مِنْهُ بَيْنَ ٱلسَّحْرِ وَٱلنَّحْرِ . شَاهَدْنَا مِنْ أَهْوَالِهِ . وَتَنَافِي أَحْوَالِهِ . مَا لَا يُعَبَّرُ عَنْهُ . وَلَا يُبْلَغُ لَهُ كُنْهُ

أَلْبَحْرُ صَعْبُ ٱلْمَرَامِ جِدًّا لَا جُعِلَتْ حَاجَتِي إِلَيْهِ
أَلَيْسَ مَاءً وَنَحْنُ طِينٌ فَمَا عَسَى صَبْرُنَا عَلَيْهِ

فَكَمِ ٱسْتَقْبَلَتْنَا أَمْوَاجُهُ بِوُجُوهٍ بَوَاسِرَ . وَطَارَتْ إِلَيْنَا مِنْ شِرَاعِهِ عِقْبَانٌ كَوَاسِرُ . قَدْ أَزْعَجَتْهَا أَكُفُّ ٱلرِّيحِ مِنْ وَكْرِهَا . كَمَا نَبَّهَتِ ٱللُّجَجَ مِنْ سُكْرِهَا . فَلَمْ تُبْقِ شَيْئًا مِنْ قُوَّتِهَا وَمَكْرِهَا . فَسَمِعْنَا لِلْجِبَالِ صَفِيرًا . وَلِلرِّيَاحِ دَوِيًّا عَظِيمًا وَزَفِيرًا . وَتَيَقَّنَّا أَنَّا لَا نَجِدُ مِنْ ذٰلِكَ إِلَّا فَضْلَ ٱللّٰهِ مُجِيرًا وَخَفِيرًا . وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ . وَأَيِسْنَا مِنَ ٱلْحَيَاةِ لِصَوْتِ تِلْكَ ٱلْعَوَاصِفِ وَٱلْمِيَاهِ . فَلَا حَيَّا ٱللّٰهُ ذٰلِكَ ٱلْهَوْلَ ٱلْمُزْعِجَ وَلَا بَيَّاهُ . وَٱلْمَوْجُ يُصَفِّقُ لِسَمَاعِ أَصْوَاتِ ٱلرِّيَاحِ فَيَطْرَبُ بَلْ وَيَضْطَرِبُ . فَكَأَنَّهُ مِنْ كَاسِ ٱلْجُنُونِ يَشْرَبُ أَوْ شَرِبَ . فَيَبْتَعِدُ وَيَقْتَرِبُ وَفِرَقُهُ تَلْتَطِمُ وَتَصْطَفِقُ . وَتَخْتَلِفُ وَلَا تَكَادُ تَتَّفِقُ . فَتَخَالُ ٱلْجَوَّ يَأْخُذُ بِنَوَاصِيهَا . وَتَجْذِبُهَا أَيْدِيهِ مِنْ قَوَاصِيهَا . حَتَّى كَادَ سَطْحُ ٱلْأَرْضِ يُكْشَفُ مِنْ خِلَالِهَا . وَعَنَانُ ٱلسُّحُبِ يُخْطَفُ فِي ٱسْتِقْلَالِهَا . وَقَدْ أَشْرَفَتِ ٱلنُّفُوسُ عَلَى ٱلتَّلَفِ مِنْ خَوْفِهَا وَٱعْتِلَالِهَا . وَآذَنَتِ ٱلْأَحْوَالُ بَعْدَ ٱنْتِظَامِهَا بِٱخْتِلَالِهَا . وَسَاءَتِ ٱلظُّنُونُ . وَتَرَاءَتْ فِي صُوَرِهَا ٱلْمَنُونُ . وَٱلشِّرَاعُ فِي قِرَاعٍ مَعَ جُيُوشِ ٱلْأَمْوَاجِ . ٱلَّتِي أَمَدَّتْ

مِنها ٱلأَفواجُ بِٱلأَفواجِ . وَنَحنُ قُعودٌ . كَدودٍ عَلى عودٍ . ما بَينَ فُرادى وَأَزواجٍ . وَقَد نَبَت بِنا مِنَ ٱلقَلَقِ أَمكِنَتُنا . وَخَرِسَت مِنَ ٱلفَرَقِ أَلسِنَتُنا . وَتَوَهَّمنا أَنَّهُ لَيسَ في ٱلوُجودِ أَغوارٌ وَلا نُجودٌ . إِلّا ٱلسَّماءُ وَٱلماءُ وَذَلِكَ ٱلسَّفينُ . وَمَن في قَبرِ جَوفِهِ دَفينٌ . مَعَ تَرَقُّبِ هُجومِ ٱلعَدُوِّ في ٱلرَّواحِ وَٱلغُدُوِّ . فَزادَنا ذَلِكَ ٱلحَذَرُ ٱلَّذي لَم يُبقِ وَلَم يَذَرْ عَلى ما وَصَفناهُ مِن هَولِ ٱلبَحرِ قَلَقًا . وَأَجرَينا إِذ ذاكَ في مَيدانِ ٱلإِلقاءِ بِٱليَدِ إِلى ٱلتَّهلُكَةِ طَلَقًا . وَتَشَتَّتَت أَفكارُنا فِرَقًا . وَذُبنا أَسًى وَنَدَمًا وَفَرَقًا . إِلى أَن قَضى ٱللهُ بِٱلنَّجاةِ وَكُلُّ ما أَرادَ فَهُوَ ٱلكائِنُ . وَإِن نَهى عَنهُ وَأَخطَأَ ٱلمائِنُ . فَرَأَينا ٱلبَرَّ وَكَأَنَّنا قَبلُ لَم نَرَهُ . وَشُفِيَت بِهِ أَعيُنُنا مِنَ ٱلمَرَهِ . وَحَصَلَ بَعدَ ٱلشِّدَّةِ ٱلفَرَجُ . وَشَمِمنا مِنَ ٱلسَّلامَةِ أَطيَبَ ٱلأَرَجِ (نفح الطيب للمقري)

وصف دولة بني حمدان

٧٣ كانَ بَنو حَمدانَ مُلوكًا وَأُمَراءَ . وَأَوجُهُهُم لِلصَّباحَةِ . وَأَلسُنُهُم لِلفَصاحَةِ . وَأَيديهِم لِلسَّماحَةِ . وَعُقولُهُم لِلرَّجاحَةِ . وَسَيفُ ٱلدَّولَةِ مَشهورٌ بِسِيادَتِهِم . وَواسِطَةُ قِلادَتِهِم . كانَ رَضِيَ ٱللهُ تَعالى عَنهُ وَأَرضاهُ . وَجَعَلَ ٱلجَنَّةَ مَأواهُ . غُرَّةَ ٱلزَّمانِ . وَعِمادَ ٱلإِسلامِ وَمَن بِهِ سِدادُ ٱلثُّغورِ . وَسَدادُ ٱلأُمورِ . وَكانَت وَقائِعُهُ في عُصاةِ ٱلعَرَبِ تَكُفُّ بَأسَها وَتَفُلُّ أَنيابَها . وَتُذِلُّ صِعابَها . وَتَكفي ٱلرَّعِيَّةَ سوءَ آدابِها . وَغَزَواتُهُ تُدرِكُ مِن طاغِيَةِ ٱلرّومِ ٱلثّارَ . وَتَحسِمُ شَرَّهُمُ ٱلمُثارَ . وَتُحسِنُ في ٱلإِسلامِ

الآثار. وحضرته مقصد الوفود، ومطلع الجود. وقبلة الآمال ومحط الرحال، وموسم الأدباء، وحلبة الشعراء. ويقال إنه لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ونجوم الدهر. وإنما السلطان سوق يجلب إليها ما ينفق لديها. وكان أديبا شاعرا محبا لجيد الشعر شديد الاهتزاز لما يمدح به. فلو أدرك ابن الرومي زمانه لما احتاج إلى أن يقول:

ذهب الذين تهزهم مداحهم هز الكماة عوالي المران
كانوا إذا امتدحوا رأوا ما فيهم فالأريحية فيهم بمكان

وكان كل من أبي محمد عبد الله بن محمد بن الفياض الكاتب وأبي الحسن علي بن محمد الشمشاطي قد اختار من مدائح الشعراء لسيف الدولة عشرة آلاف بيت كقول المتنبي:

خليلي إني لا أرى غير شاعر فلم منهم الدعوى ومني القصائد
فلا تعجبا إن السيوف كثيرة ولكن سيف الدولة اليوم واحد
له من كريم الطبع في الحرب منتض ومن عادة الإحسان والصفح غامد
ولما رأيت الناس دون محله تيقنت أن الدهر للناس ناقد
أخو غزوات ما تغب سيوفه رقابهم إلا وسيحان جامد
بذا قضت الأيام ما بين أهلها مصائب قوم عند قوم فوائد
ومن شرف الإقدام أنك فيهم على القتل موموق كأنك شاكد
وأن دما أجريته بك فاخر وأن فؤادا رعته لك حامد

وَكُلٌّ يَرَى طُرُقَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى ... وَلَكِنَّ طَبْعَ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ قَائِدُ
نَهَبْتَ مِنَ الْأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ ... لَهُنِّئَتِ الدُّنْيَا بِأَنَّكَ خَالِدُ
فَأَنْتَ حُسَامُ الْمُلْكِ وَاللهُ ضَارِبٌ ... وَأَنْتَ لِوَاءُ الدِّينِ وَاللهُ عَاقِدُ
أُحِبُّكَ يَا شَمْسَ الزَّمَانِ وَبَدْرَهُ ... وَإِنْ لَامَنِي فِيكَ السُّهَى وَالْفَرَاقِدُ
وَذَاكَ لِأَنَّ الْفَضْلَ عِنْدَكَ بَاهِرٌ ... وَلَيْسَ لِأَنَّ الْعَيْشَ عِنْدَكَ بَارِدُ

وَكَقَوْلِ السَّرِيِّ بْنِ أَحْمَدَ الْمَوْصِلِيِّ:

أَعَرْتَكَ الشِّهَابُ أَمِ النَّهَارُ ... أَرَاحَتْكَ السَّحَابُ أَمِ الْبِحَارُ
خُلِقْتَ مَنِيَّةً وَمُنًى فَأَضْحَتْ ... تَمُورُ بِكَ الْبَسِيطَةُ أَوْ تُمَارُ
تُحَلِّي الدِّينَ أَوْ تَحْمِي حِمَاهُ ... فَأَنْتَ عَلَيْهِ سُورٌ أَوْ سِوَارُ
سُيُوفُكَ مِنْ شَكَاةِ الثَّغْرِ بُرْءٌ ... وَلَكِنْ لِلْعِدَى فِيهَا بَوَارُ
وَكَفَّاكَ الْغَمَامُ الْجَوْدُ يَسْرِي ... وَفِي أَحْشَائِهِ مَاءٌ وَنَارُ
يَسَارٌ مِنْ سَجِيَّتِهَا الْمَنَايَا ... وَيُمْنَى مِنْ عَطِيَّتِهَا الْيَسَارُ
حَضَرْنَا وَالْمُلُوكُ لَهُ قِيَامٌ ... تَغُضُّ نَوَاظِرًا فِيهَا انْكِسَارُ
وَزُرْنَا مِنْهُ لَيْثَ الْغَابِ طَلْقًا ... وَلَمْ نَرَ قَبْلَهُ لَيْثًا يُزَارُ
فَكَانَ لِجَوْهَرِ الْمَجْدِ انْتِظَامٌ ... وَكَانَ لِجَوْهَرِ الْحَمْدِ انْتِثَارُ
فَعِشْتَ مُخَيَّرًا لَكَ فِي الْأَمَانِي ... وَكَانَ عَلَى الْعَدُوِّ لَكَ الْخِيَارُ
فَضَيْفُكَ لِلْحَيَا الْمُنْهَلِّ ضَيْفٌ ... وَجَارُكَ لِلرَّبِيعِ الطَّلْقِ جَارُ

وَكَقَوْلِ أَبِي فِرَاسٍ الْحَارِثِ بْنِ سَعِيدٍ الْحَمْدَانِيِّ:

أَشِدَّةٌ مَا أَرَاهُ فِيكَ أَمْ كَرَمُ ... تَجُودُ بِالنَّفْسِ وَالْأَرْوَاحُ تَصْطَلِمُ

يَا بَاذِلَ ٱلنَّفْسِ وَٱلْأَمْوَالِ مُبْتَسِمًا أَمَا يَهُولُكَ لَا مَوْتٌ وَلَا عَدَمُ
لَقَدْ ظَنَنْتُكَ بَيْنَ ٱلْجَحْفَلَيْنِ تَرَى أَنَّ ٱلسَّلَامَةَ مِنْ وَقْعِ ٱلْقَنَا تَصِمُ
نَشَدْتُكَ ٱللهَ لَا تَسْمَحْ بِنَفْسِ عُلًى حَيَاةُ صَاحِبِهَا يَحْيَا بِهَا أُمَمُ
هِيَ ٱلشَّجَاعَةُ إِلَّا أَنَّهَا سَرَفٌ وَكُلُّ فَضْلِكَ لَا قَصْدٌ وَلَا أَمَمُ
إِذَا لَقِيتَ رِقَاقَ ٱلْبِيضِ مُنْفَرِدًا تَحْتَ ٱلْعَجَاجِ فَلَمْ تَسْتَكْثِرِ ٱلْخَدَمُ
مَنْ ذَا يُقَاتِلُ مَنْ تَلْقَى ٱلْقِتَالَ بِهِ وَلَيْسَ يَفْضُلُ عَنْكَ ٱلْخَيْلُ وَٱلْبُهَمُ
تَضِنُّ بِٱلطَّعْنِ عَنَّا ضَنَّ ذِي بَخَلٍ وَمِنْكَ فِي كُلِّ حَالٍ يُعْرَفُ ٱلْكَرَمُ
لَا تَبْخَلَنَّ عَلَى قَوْمٍ إِذَا قُتِلُوا أَثْنَى عَلَيْكَ بَنُو ٱلْهَيْجَاءِ دُونَهُمُ
أَلْبَسْتَ مَا لَبِسُوا رَكِبْتَ مَا رَكِبُوا عَرَفْتَ مَا عَرَفُوا عَلِمْتَ مَا عَلِمُوا
هُمُ ٱلْفَوَارِسُ فِي أَيْدِيهِمُ أَسَلٌ فَإِنْ رَأَوْكَ فَأُسْدٌ وَٱلْقَنَا أَجَمُ

وَكَقَوْلِ أَبِي ٱلْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ ٱلنَّامِي :

خُلِقْتَ كَمَا أَرَادَتْكَ ٱلْمَعَالِي فَأَنْتَ لِمَنْ رَجَاكَ كَمَا يُرِيدُ
عَجِيبٌ أَنَّ سَيْفَكَ لَيْسَ يَرْوَى وَسَيْفُكَ فِي ٱلْوَرِيدِ لَهُ وُرُودُ
وَأَعْجَبُ مِنْهُ رُمْحُكَ حِينَ يُسْقَى فَيَصْحُو وَهْوَ نَشْوَانٌ عَمِيدُ

وَكَقَوْلِ أَبِي نَصْرِ بْنِ نُبَاتَةَ وَهُوَ مِنْ شُعَرَاءِ ٱلْعِرَاقِ :

حَاشَاكَ أَنْ يَدَّعِيكَ ٱلْعُرْبُ وَاحِدَهَا يَا مَنْ ثَرَى قَدَمَيْهِ طِينَةُ ٱلْعَرَبِ
فَإِنْ يَكُنْ لَكَ وَجْهٌ مِثْلُ أَوْجُهِهِمْ عِنْدَ ٱلْعِيَانِ فَلَيْسَ ٱلصُّفْرُ كَٱلذَّهَبِ
وَإِنْ يَكُنْ لَكَ نُطْقٌ مِثْلُ نُطْقِهِمِ فَلَيْسَ مِثْلَ كَلَامِ ٱللهِ فِي ٱلْكُتُبِ

وَكَادَتْ غَمَائِمُ جُودِ سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ تَفِيضُ. وَمَآثِرُ كَرَمِهِ تَسْتَفِيضُ.

فتؤرّخ بها أيّام المجد وتخلّد في صحائف حسن الذكر (اليتيمة للثعالبي.

٧٤ قال بشر بن ابي عوانة يصف قتالهُ الاسد وقتلهُ اياهُ

أفاطم لو شهدتِ ببطن خبتٍ وقد لاقى الهزبرُ أخاكِ بشرا
إذًا لرأيتِ ليثًا أمَّ ليثًا هِزَبرًا أغلبًا لاقى هِزبرا
تبهنس إذ تقاعس عنهُ مُهري محاذرةً فقلتُ عقرتَ مُهرا
أنل قدميَّ ظهرَ الأرضِ إنّي رأيتُ الأرضَ أثبتَ منكَ ظهرا
وقلتُ لهُ وقد أبدى نِصالًا محدَّدةً ووجهًا مكفهرّا
يُكفكفُ غيلةً إحدى يديهِ ويبسطُ للوثوبِ عليَّ أخرى
يُدِلُّ بمخلبٍ وبحدِّ نابٍ وباللحظاتِ تحسبهنَّ جمرا
وفي يمناي ماضي الحدِّ أبقى بمضربهِ قراعُ الموتِ أثرا
نصحتُكَ فالتمس يا ليثُ غيري طعامًا إنَّ لحمي كانَ مُرّا
ألم يبلغكَ ما فعلتهُ كفّي بكاظمةٍ غداةَ قتلتُ عمرا
فلمّا ظنَّ أنَّ النصحَ غشٌّ وخالفَ مقالتي زورًا وهجرا
مشى ومشيتُ من أسدين رامَا مرامًا كانَ إذ طلباهُ وعرا
سللتُ لهُ الحسامَ فخلتُ أنّي شققتُ بهِ لدى الظلماءِ فجرا
وأطلقتُ المهنَّدَ من يميني فقدَّ لهُ من الأضلاعِ عشرا
فخرَّ مضرَّجًا بدمٍ كأنّي هدمتُ بهِ بناءً مشمخرّا
بضربةِ فيصلٍ تركتهُ شفعًا لديَّ وقبلها قد كانَ وترا
وقلتُ لهُ يعزُّ عليَّ أنّي قتلتُ مناسبي جلدًا وقهرا

وَلٰكِنْ رُمْتَ أَمْرًا لَمْ يَرُمْهُ ... سِوَاكَ فَلَمْ أُطِقْ يَا لَيْثُ صَبْرًا
فَلَا تَجْزَعْ فَقَدْ لَاقَيْتَ حُرًّا ... يُحَاذِرُ أَنْ يُعَابَ فَمُتَّ حُرًّا

٧ صفة النفس لابن سيناء الرئيس

هَبَطَتْ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْمَحَلِّ ٱلْأَرْفَعِ ... وَرْقَاءُ ذَاتُ تَعَزُّزٍ وَتَمَنُّعِ
مَحْجُوبَةٌ عَنْ كُلِّ مُقْلَةِ عَارِفٍ ... وَهِيَ ٱلَّتِي سَفَرَتْ وَلَمْ تَتَبَرْقَعِ
وَصَلَتْ عَلَى كُرْهٍ إِلَيْكَ وَرُبَّمَا ... كَرِهَتْ فِرَاقَكَ فَهْيَ ذَاتُ تَوَجُّعِ
أَنِفَتْ وَمَا سَكَنَتْ فَلَمَّا ٱسْتَأْنَسَتْ ... أَلِفَتْ مُجَاوَرَةَ ٱلْخَرَابِ ٱلْبَلْقَعِ
وَأَظُنُّهَا نَسِيَتْ عُهُودًا بِٱلْحِمَى ... وَمَنَازِلًا بِفِرَاقِهَا لَمْ تَقْنَعِ
حَتَّى إِذَا ٱتَّصَلَتْ بِهَاءِ هُبُوطِهَا ... مِنْ مِيمِ مَرْكَزِهَا بِذَاتِ ٱلْأَجْرَعِ
عَلِقَتْ بِهَا ثَاءُ ٱلثَّقِيلِ فَأَصْبَحَتْ ... بَيْنَ ٱلْمَعَالِمِ وَٱلطُّلُولِ ٱلْخُضَّعِ
تَبْكِي وَقَدْ ذَكَرَتْ عُهُودًا بِٱلْحِمَى ... بِمَدَامِعٍ تَهْمِي وَلَمَّا تُقْلِعِ
وَتَظَلُّ سَاجِعَةً عَلَى ٱلدِّمَنِ ٱلَّتِي ... دَرَسَتْ بِتَكْرَارِ ٱلرِّيَاحِ ٱلْأَرْبَعِ
إِذْ عَاقَهَا ٱلشَّرَكُ ٱلْكَثِيفُ وَصَدَّهَا ... قَفَصٌ عَنِ ٱلْأَوْجِ ٱلْفَسِيحِ ٱلْأَرْبَعِ
حَتَّى إِذَا قَرُبَ ٱلْمَسِيرُ إِلَى ٱلْحِمَى ... وَدَنَا ٱلرَّحِيلُ إِلَى ٱلْفَضَاءِ ٱلْأَوْسَعِ
وَغَدَتْ مُفَارِقَةً لِكُلِّ مُخَلَّفٍ ... فِيهَا حَلِيفَ ٱلتُّرْبِ غَيْرَ مُشَيَّعِ
هَجَعَتْ وَقَدْ كُشِفَ ٱلْغِطَاءُ فَأَبْصَرَتْ ... مَا لَيْسَ يُدْرَكُ بِٱلْعُيُونِ ٱلْهُجَّعِ
وَبَدَتْ تُغَرِّدُ فَوْقَ ذِرْوَةِ شَاهِقٍ ... وَٱلْعِلْمُ يَرْفَعُ كُلَّ مَنْ لَمْ يُرْفَعِ
فَلِأَيِّ شَيْءٍ أُهْبِطَتْ مِنْ شَامِخٍ ... سَامٍ إِلَى قَعْرِ ٱلْحَضِيضِ ٱلْأَوْضَعِ
إِنْ كَانَ أَهْبَطَهَا ٱلْإِلٰهُ لِحِكْمَةٍ ... طُوِيَتْ عَنِ ٱلْفَذِّ ٱللَّبِيبِ ٱلْأَرْوَعِ

فهبوطها إنْ كانَ ضربةَ لازبٍ لِتكونَ سامعةً لِما لَمْ يُسمعِ
وتكونَ عالمةً بكلِّ حقيقةٍ في العالمينَ وخرقُها لَمْ يُرقعِ
وهيَ التي قطعَ الزمانُ طريقَها حتّى لقدْ غربتْ بغيرِ المطلعِ
فكأنّها برقٌ تألّقَ بالحِمى ثُمَّ انطوى فكأنّهُ لَمْ يلمعِ

٧٦ قال عليّ بن محمد الايادي يصف أسطول القائم فأجاد ما أراد

إعجبْ لِأسطولِ الإمامِ محمّدٍ ولِحُسنِهِ وزمانِهِ المستغربِ
لبستْ بهِ الأمواجُ أحسنَ منظرٍ يبدو لعينِ الناظرِ المستعجبِ
مِن كلِّ مشرفةٍ على ما قابلتْ إشرافَ صدرِ الأجدلِ المتنصّبِ
دهماءَ قدْ لبستْ ثيابَ تصنّعٍ تسبي العقولَ على ثيابِ ترهّبِ
مِن كلِّ أبيضَ في الهواءِ منشّرٍ منها وأسحمَ في الخليجِ مغيّبِ
كمراءةٍ في البرِّ يقطعُ سيرُها في البحرِ أنفاسَ الرياحِ الشُّذّبِ
محفوفةٍ بمجادفٍ مصفوفةٍ في الجانبينِ دوينَ صُلبٍ صُلّبِ
كقوادمِ النّسرِ المرفرفِ عرّيتْ مِن كاسياتِ رياشهِ المتهدّبِ
وتحثّها أيدي الرجالِ إذا ونتْ بمصعّدٍ منهُ بعيدٍ مصوّبِ
خرقاءُ تذهبُ إنْ يدٌ لَمْ تهدِها في كلِّ أوبٍ للرياحِ ومذهبِ
جوفاءُ تحملُ كوكبًا في جوفِها يومَ الرهانِ وتستقلُّ بمركبِ
ولها جناحٌ يُستعارُ يطيرُها طوعَ الرياحِ وراحةَ المتطرّبِ
يعلو بها حدبَ العبابِ مطارةً في كلِّ لجٍّ زاخرٍ مغلولبِ
تنصاعُ مِن كثبٍ كما نفرَ القطا طورًا وتجتمعُ اجتماعَ الرّبربِ

وَلَوَاحِقٍ مِثْلِ ٱلْأَهِلَّةِ جُنَّحٍ لُحُقِ ٱلْمَطَالِبِ فَائِتَاتِ ٱلْمَهْرَبِ
يَذْهَبْنَ فِيمَا بَيْنَهُنَّ لَطَافَةً وَيَجِئْنَ فِعْلَ ٱلطَّائِرِ ٱلْمُتَقَلِّبِ
وَعَلَى كَوَاكِبِهَا أُسُودٌ خِلَافَةٍ تَخْتَالُ فِي عُدَدِ ٱلسِّلَاحِ ٱلْمُذْهَبِ
فَكَأَنَّمَا ٱلْبَحْرُ ٱسْتَعَارَ بِزِيِّهِمْ ثَوْبَ ٱلْجَمَالِ مِنَ ٱلرَّبِيعِ ٱلْمُذْهَبِ

٧٧ قال ابو فراس الحمداني يصف قتال سيف الدولة لاهل قنّسرين وقبائل العرب

وَلَمَّا سَارَ سَيْفُ ٱلدِّينِ سِرْنَا كَمَا هَيَّجْتَ آسَادًا غِضَابَا
أَسِنَّتُهُ إِذَا لَاقَى طِعَانًا صَوَارِمُهُ إِذَا لَاقَى ضِرَابَا
دَعَانَا وَٱلْأَسِنَّةُ مُشْرَعَاتٌ فَكُنَّا عِنْدَ دَعْوَتِهِ ٱلْجَوَابَا
صَنَائِعُ فَاقَ صَانِعُهَا فَفَاقَتْ وَغَرْسٌ طَابَ غَارِسُهُ فَطَابَا
وَكُنَّا كَٱلسِّهَامِ إِذَا أَصَابَتْ مَرَامِيَهَا فَرَامِيهَا أَصَابَا
فَلَمَّا ٱشْتَدَّتِ ٱلْهَيْجَاءُ كُنَّا أَشَدَّ مَخَالِبًا وَأَحَدَّ نَابَا
وَأَمْنَعَ جَانِبًا وَأَعَزَّ جَارًا وَأَوْفَى ذِمَّةً وَأَقَلَّ عَابَا
سَقَيْنَا بِٱلرِّمَاحِ بَنِي قُشَيْرٍ بِبَطْنِ ٱلْعِتْرِ ٱلسَّمَّ ٱلْمُذَابَا
وَسِرْنَا بِٱلْخُيُولِ إِلَى نُمَيْرٍ تُجَاذِبُنَا أَعِنَّتَهَا جِذَابَا
وَلَمَّا أَيْقَنُوا أَنْ لَا غِيَاثٌ دَعَوْهُ لِلْمَغُوثَةِ فَٱسْتَجَابَا
وَعَادَ إِلَى ٱلْجَمِيلِ لَهُمْ فَعَادُوا وَقَدْ مَدُّوا لِمَا يَهْوَى ٱلرِّقَابَا
أَمَرَّ عَلَيْهِمْ خَوْفًا وَأَمْنًا أَذَاقَهُمْ بِهِ أَرْيًا وَصَابَا
أَحَلَّهُمُ ٱلْجَزِيرَةَ بَعْدَ يَأْسٍ أَخُو حِلْمٍ إِذَا مَلَكَ ٱلْعِقَابَا
دِيَارُهُمُ ٱنْتَزَعْنَاهَا ٱقْتِسَارًا وَأَرْضُهُمُ ٱغْتَصَبْنَاهَا ٱغْتِصَابَا

وَلَوْ رُمْنَا حِمَنَاهَا ٱلْبَوَادِي كَمَا تَحْمِي أُسُودُ ٱلْغَابِ غَابَا
إِذَا مَا أَرْسَلَ ٱلْأُمَرَاءُ جَيْشًا إِلَى ٱلْأَعْدَاءِ أَرْسَلْنَا ٱلْكِتَابَا
أَنَا ٱبْنُ ٱلضَّارِبِينَ ٱلْهَامَ قِدْمًا إِذَا كَرِهَ ٱلْمُحَامُونَ ٱلضِّرَابَا
أَلَمْ تَعْلَمْ وَمِثْلُكَ قَالَ حَقًّا بِأَنِّي كُنْتُ أَثْقَبَهَا شِهَابَا

٧٨ لابن طباطبا الحسيني في وصف الليل

وَتَنُوفَةٍ مَدَّ ٱلضَّمِيرِ قَطَعْتُهَا وَٱللَّيْلُ فَوْقَ إِكَامِهَا يَتَرَبَّعُ
لَيْلٌ يَمُدُّ دُجَاهُ دُونَ صَبَاحِهِ آمَالَ ذِي ٱلْحِرْصِ ٱلَّذِي لَا يَقْنَعُ
بَاتَتْ كَوَاكِبُهُ تَحُوطُ بَقَاءَهُ فِي كُلِّ أُفْقٍ مِنْهُ نَجْمٌ يَلْمَعُ
زُهْرٌ يُثِيرُ عَلَى ٱلصَّبَاحِ طَلَائِعًا حَوْلَ ٱلسَّمَاءِ فَهُنَّ حَسْرَى ظُلَّعُ
مُتَيَقِّظَاتٌ فِي ٱلْمَسِيرِ كَأَنَّهَا بَاتَتْ تُنَاجِي بِٱلَّذِي يُتَوَقَّعُ
وَٱلصُّبْحُ يَرْقُبُ مِنْ دُجَاهُ غِرَّةً مُتَضَائِلٌ مِنْ سُخْفِهِ يَتَطَلَّعُ
مُتَنَفِّسًا فِيهِ جَنَانًا وَاهِنًا فِي كُلِّ لَحْظَةِ سَاعَةٍ يَتَشَجَّعُ
حَتَّى ٱنْزَوَى ٱللَّيْلُ ٱلْبَهِيمُ لِضَوْئِهِ وَقَدِ ٱسْتَجَابَ ظَلَامُهُ يَتَقَشَّعُ
وَبَدَتْ كَوَاكِبُهُ حَيَارَى فِيهِ لَا تَدْرِي بِوَشْلِ رِيَالِهَا مَا تَصْنَعُ
مُتَهَادِلَاتِ ٱلنُّورِ فِي آفَاقِهَا مُسْتَعْبِرَاتٍ فِي ٱلدُّجَى تَسْتَرْجِعُ
وَكَوَاكِبُ ٱلْجَوْزَاءِ تَبْسُطُ بَاعَهَا لِتُعَانِقَ ٱلظَّلْمَاءَ وَهْيَ تُوَدِّعُ
وَكَأَنَّهَا فِي ٱلْجَوِّ نَعْشُ أَخٍ وَلَا يُبْكَى وَيُوقَفُ تَارَةً وَيُشَيَّعُ
وَكَأَنَّمَا ٱلشِّعْرَى ٱلْعَبُورُ وَرَاءَهَا ثَكْلَى لَهَا دَمْعٌ غَزِيرٌ يَهْمَعُ
وَبَنَاتُ نَعْشٍ قَدْ بَرَزْنَ حَوَاسِرًا قُدَّامَهَا أَخَوَاتُهُنَّ ٱلْأَرْبَعُ

عَبْرَى هَتَكْنَ قِنَاعَهُنَّ عَلَى ٱلدُّجَى جَزَعًا وَآلَتْ بَعْدُ لَا تَتَقَنَّعُ
وَكَأَنَّ أُفْقًا مِنْ تَلَأْلُؤِ نَجْمِهِ عِنْدَ ٱفْتِقَادِ ٱللَّيْلِ عَيْنِي تَدْمَعُ
وَٱلْفَجْرُ فِي صَفْوِ ٱلْهَوَاءِ مُوَرَّدٌ مِثْلَ ٱلْمُدَامَةِ فِي ٱلزُّجَاجِ تُشَعْشَعُ
يَا لَيْلُ مَالَكَ لَا تَغِيبُ كَوَاكِبًا زَفَرَاتُهَا وَجْدًا عَلَيْكَ تَقَطَّعُ
لَوْ أَنَّ لِي بِضِيَاءِ صُبْحِكَ طَاقَةً يَا لَيْلُ كُنْتَ أَوَدُّهُ لَا يَسْطَعُ
حَذَرًا عَلَيْكَ وَلَوْ قَدَرْتُ بِحِيلَتِي جَرَّعْتُهُ ٱلْغُصَصَ ٱلَّتِي تَتَجَرَّعُ
يَا صُبْحُ هَاكَ شَبِيبَتِي فَٱفْتُكْ بِهَا وَدَعِ ٱلدُّجَى بِسَوَادِهِ يَتَمَتَّعُ
أَفْقَدْتَنِي أُنْسِي بِأَنْجُمِهَا ٱلَّتِي أَصْبَحْتُ مِنْ فَقْدِي لَهَا أَتَوَجَّعُ

٧٩ للربيع بن زياد العبسيّ في وصف حرب

قِيدَتْ لَهُمْ فَيْلَقٌ شَهْبَاءُ كَالِحَةٌ بِٱلْمَوْتِ تَسْرِي وَبِٱلْأَبْطَالِ تَقْتَسِرُ
صَرِيفُ أَنْيَابِهَا صَوْتُ ٱلْحَدِيدِ إِذَا فَضَّ ٱلْحَدِيدَ بِهَا أَبْنَاؤُهَا ٱلْوُقُرُ
وَدَرُّهَا ٱلْمَوْتُ يَقْوَى فِي مَخَالِبِهَا لِلْوَارِدِينَ يُوَافِي وِرْدَهَا ٱلصَّدَرُ
فِي جَوِّهَا ٱلْبِيضُ وَٱلْمَاذِيُّ مُخْتَلِطٌ وَٱلْجُرْدُ وَٱلْمُرْدُ وَٱلْخَطِّيَّةُ ٱلسُّمُرُ
حَتَّى إِذَا وَجَّهَتْهَا وَهْيَ كَالِحَةٌ شَوْهَاءُ مِنْهَا حِمَامُ ٱلْمَوْتِ يُنْتَظَرُ
جَاءَتْ بِكُلِّ كَمِيٍّ مُعْلِمٍ ذَكَرٍ فِي كَفِّهِ ذَكَرٌ يَسْعَى بِهِ ذَكَرُ
مُسْتَوْرِدِينَ ٱلْوَغَى لِلْمَوْتِ رِدُّهُمُ يَوْمَ ٱلْحِفَاظِ عَلَى رُوَّادِهِمْ عَسِرُ
لَهُمْ سَرَابِيلُ مِنْ مَاءِ ٱلْحَدِيدِ وَمِنْ نَضْحِ ٱلدِّمَاءِ سَرَابِيلٌ لَهُمْ أُخَرُ
مُظَاهَرَاتٌ عَلَيْهِمْ يَوْمَ بَأْسِهِمِ لَوْنَانِ جَوْنٌ وَأُخْرَى فَوْقَهُمْ حُمَرُ
فِي يَوْمِ حَتْفٍ يَهَالُ ٱلنَّاظِرُونَ لَهُ مَا إِنْ تَبِينُ لَهُمْ شَمْسٌ وَلَا قَمَرُ

فَالْبِيضُ يَهْتِفْنَ وَالْأَبْصَارُ خَاشِعَةٌ مِمَّا تَرَى وَخُدُودُ الْقَوْمِ تَنْعَفِرُ
نَكْسُوهُمُ مُرْهَفَاتٍ غَيْرَ مُجْدِبَةٍ يَشْفِي اخْتِرَاطُ ظُبَاهَا مَنْ بِهِ صَعَرُ
هِنْدِيَّةٌ كَاشْتِعَالِ النَّارِ تَقْصِمُهُمْ بِهَا مَغَاوِيرُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ غُيُرُ

٨٠ لصفيّ الدين الحلي في وصف صيد الكراكي عند قدومها من البطائح ورحيلها الى الجبال في فصل الربيع

أَهْلًا بِهَا قَوَادِمًا رَوَاحِلَا تَطْوِي الْفَلَا وَتَقْطَعُ الْمَرَاحِلَا
تَذَكَّرَتْ آكَامَ دَرْبَنْدَاتِهَا وَعَافَتِ الْآجَامَ وَالسَّوَاحِلَا
أَذْكَرَهَا عَرْفُ الرَّبِيعِ إِلْفَهَا فَأَقْبَلَتْ لِشَوْقِهَا حَوَامِلَا
تَفْرَقُ فِي الْجَوِّ بِصَوْتٍ مُطْرِبٍ يَشُوقُ مَنْ كَانَ إِلَيْهَا مَائِلَا
لَمَّا رَأَتْ حَرَّ الْمَصِيفِ مُقْبِلَا وَطِيبَ بَرْدِ الْقُرِّ ظِلًّا زَائِلَا
أَهْمَلَتِ التَّخْيِيطَ فِي مَطَارِهَا وَعَسْكَرَتْ لِسَيْرِهَا قَوَافِلَا
تَنْهَضُ مِنْ صَرْحِ الْجَلِيلِ تَحْتَهَا بِأَرْجُلٍ لِبَرْدِهِ قَوَابِلَا
قَدْ أَنِفَتْ أَيَّامُ كَانُونٍ لَهَا مِنْ أَنْ تُرَى مِنَ الْحُلَى عَوَاطِلَا
فَصَاغَتِ الطَّلَّ لَهَا قَلَائِدَا وَالثَّلْجَ فِي أَرْجُلِهَا خَلَاخِلَا
لَمَّا دَعَانِي صَاحِبِي لِبَرْزَةٍ وَنَبَّهَ الزُّمَيْلَ وَالْمَقَاوِلَا
أَجَبْتُهُ مُسْتَبْشِرًا بِقَصْدِهَا نَبْهَتُمْ لَيْثَ عَرِينٍ بَاسِلَا
ثُمَّ بَرَزْنَا نَقْتَفِي آثَارَهُ وَنَقْصِدُ الْأَمْلَاقَ وَالْمَنَاهِلَا
وَالصُّبْحُ قَدْ أَعَمَّنَا بِنُورِهِ لَمَّا انْثَنَى جُنْحُ الظَّلَامِ رَاحِلَا
وَقَدْ أَقَمْنَا فِي الْمَقَامَاتِ لَهَا مَعَالِمًا تَحْسَبُهَا مَجَاهِلَا

نَرْشُقُهَا مِنْ تَحْتِهَا بِبُنْدُقٍ   يَعْرُجُ كَالشُّهْبِ إِلَيْهَا وَاصِلَا
فَمَا رَقِي تَحْتَ ٱلطُّيُورِ صَاعِدٌ   إِلَّا ٱغْتَدَى بِهَا ٱلْبَلَاءُ نَازِلَا
لِلّٰهِ أَيَّامُ بِهَوَرِ بَابِلٍ   أَضْحَى بِهَا ٱلدَّهْرُ عَلَيْنَا بَاخِلَا
فَكَمْ قَضَيْنَا فِيهِ شَمْلًا جَامِعًا   وَكَمْ صَحِبْنَا فِيهِ جَمْعًا شَامِلَا

٨١ ولصفي الدين الحلي في صفة الشمع

جَلَتِ ٱلظَّلْمَاءَ بِٱللَّهَبِ   إِذْ بَدَتْ فِي ٱللَّيْلِ كَٱلشُّهُبِ
فَٱنْجَلَتْ فِي تَاجِهَا فَجَلَتْ   ظُلَمَ ٱلْأَحْزَانِ وَٱلْكُرَبِ
سَفَرَتْ كَٱلشَّمْسِ ضَاحِكَةً   مِنْ تَوَارِي ٱلشَّمْسِ فِي ٱلْحُجُبِ
مَا رَأَيْنَا قَبْلَ مَنْظَرِهَا   ضَاحِكًا فِي زِيِّ مُنْتَحِبِ
كَيْفَ لَا تَحْلُو ضَرَائِبُهَا   وَبِهَا ضَرْبٌ مِنَ ٱلضَّرَبِ
خِلْتُهَا وَٱللَّيْلُ مُعْتَكِرٌ   وَنُجُومُ ٱلْأُفْقِ لَمْ تَغِبِ
قُضُبًا مِنْ فِضَّةٍ غُرِسَتْ   فَوْقَ كُثْبَانٍ مِنَ ٱلذَّهَبِ
أَوْ يَوَاقِيتًا مُنَضَّدَةً   بَيْنَ أَيْدِينَا عَلَى قُضُبِ
أَوْ رِمَاحًا فِي ٱلْعِدَى طَعَنَتْ   فَغَدَتْ مُحْمَرَّةَ ٱلْعَذَبِ
أَوْ سِهَامًا نَصْلُهَا ذَهَبٌ   لِسِوَى ٱلظَّلْمَاءِ لَمْ تُصِبِ
أَوْ أَعَالِي حُمْرِ أَلْوِيَةٍ   نُشِرَتْ فِي جَحْفَلٍ لَجِبِ
أَوْ شُوَاظًا لِلْقِرَى رُفِعَتْ   تَتَرَاءَى فِي ذُرَى كُثُبِ
أَوْ لَظَى نَارِ ٱلْحُبَاحِبِ قَدْ   لَمَعَتْ لِلْعَيْنِ عَنْ لَبَبِ
أَوْ عُيُونَ ٱلْأُسْدِ مُوصَدَةً   فِي ذُرَى غَابٍ مِنَ ٱلْقَصَبِ

أَوْ شَقِيقَ ٱلرَّوْضِ مُنْتَظِمًا فَوْقَ مَجْدُولٍ مِنَ ٱلْقَصَبِ
أَوْ ذُرَى نَيْلُوفَرٍ رُفِعَتْ فَوْقَ قُضْبَانٍ مِنَ ٱلْغَرَبِ

٨٢ وصف الفيل لأبي الحسن الجوهري

فِيلٌ كَرَضْوَى حِينَ يَلْبَسُ مِنْ رِقَاقِ ٱلْغَيْمِ بُرْدَا
مِثْلُ ٱلْغَمَامَةِ مُلِئَتْ أَكْنَافُهَا بَرْقًا وَرَعْدَا
رَأْسٌ كَقُلَّةِ شَاهِقٍ كُسِيَتْ مِنَ ٱلْخُيَلَاءِ جِلْدَا
فَتَرَاهُ مِنْ فَرْطِ ٱلدَّلَا لِ مُصَعِّرًا لِلنَّاسِ خَدَّا
يُزْهَى بِخُرْطُومٍ كَمِثْلِ ٱلصَّوْلَجَانِ يُرَدُّ رَدَّا
يَسْطُو بِسَارِيَتَيْ لُجَيْنٍ يَحْطِمَانِ ٱلصَّخْرَ هَدَّا
أُذْنَاهُ مِرْوَحَتَانِ أُسْنِدَتَا إِلَى ٱلْفَوْدَيْنِ عَقْدَا
عَيْنَاهُ غَائِرَتَانِ ضَيِّقَتَا لِجَمْعِ ٱلضَّوْءِ عَمْدَا
فَكٌّ كَفُوَّهَةِ ٱلْخَلِيجِ يَلُوكُ طُولَ ٱلدَّهْرِ حِقْدَا
تَلْقَاهُ مِنْ بُعْدٍ فَتَحْسَبُهُ غَمَامًا قَدْ تَبَدَّى
مَتْنًا كَبُنْيَانِ ٱلْخَوَرْ نَقِ مَائِلًا فِي ٱلدَّهْرِ كَدًّا
رِدْفًا كَدَكَّةِ عَنْبَرٍ مُتَمَايِلِ ٱلْأَوْرَاكِ نَهْدَا
ذَنَبًا كَمِثْلِ ٱلسَّوْطِ يَضْرِبُ حَوْلَهُ سَاقًا وَزَنْدَا
يَخْطُو عَلَى أَمْثَالِ أَعْمِدَةِ ٱلْخِبَاءِ إِذَا تَصَدَّى
أَوْ مِثْلِ أَمْيَالٍ نُضِدْ نَ مِنَ ٱلصُّخُورِ ٱلصُّمِّ نَضْدَا
مُتَوَرِّدًا حَوْضَ ٱلْمَنِيَّةِ حَيْثُ لَا يَشْتَاقُ وِرْدَا

مُتَمَلِّكًا فَكَأَنَّهُ مُتَطَلِّبٌ مَا لَا يُؤَدَّى
مُتَلَفِّعًا بِٱلْكِبْرِيَاءِ كَأَنَّهُ مَلِكٌ مُفَدَّى
أَدْنَى إِلَى ٱلشَّيْءِ ٱلْبَعِيدِ يُرَادُ مِنْ وَهْمٍ وَأَهْدَى
أَذْكَى مِنَ ٱلْإِنْسَانِ حَتَّى لَوْ رَأَى خَلَلًا لَسَدَّا

٨٣ وصف الكرمة للطغرائي

وَكَرْمَةٍ أَعْرَاقُهَا فِي ٱلثَّرَى ... بَعِيدَةِ ٱلْمَنْزَعِ وَٱلْمَضْرِبِ
كَرِيمَةٍ تَلْتَفُّ أَغْصَانُهَا مُ ... ٱلْغَضَّةُ بِٱلْأَقْرَبِ فَٱلْأَقْرَبِ
يُتَاحُ مِنْ قَعْرِ ٱلثَّرَى رِيُّهَا ... أَشْطَانُهَا عَفْوًا وَلَمْ تُجْذَبِ
أَلْقَحَهَا ٱلرِّيحُ وَصَوْبُ ٱلْحَيَا ... وَٱلشَّمْسُ فِي ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ
فَأَعْقَبَتْ حَامِلُهَا بَعْدَ مَا ... عَاشَتْ زَمَانًا وَهْيَ لَمْ تُعْقِبِ
وَوَضَعَتْهَا بِحِمًى يَنْتَمِي ... إِلَى أَبٍ أَكْرِمْ بِهِ مِنْ أَبِ
وَأَلْحَفَتْهَا خُضْرَ أَوْرَاقِهَا ... مَغْذُوبَةً بِٱلْحَلَبِ ٱلْأَعْذَبِ
وَبَدَّلَتْ خُضْرَ عَنَاقِيدِهَا ... بِأَدْهَمِ ٱلنُّجُومِ وَٱلْأَشْهَبِ
فَٱسْتَسْلَفَتْ مَاءً وَجَاءَتْ بِهِ ... مُدَامَةً كَٱلْقَبَسِ ٱلْمُلْهَبِ
وَلَمْ تَزَلْ بِٱلرِّفْقِ حَتَّى ٱكْتَسَى ... لُجَيْنُهَا مِنْ صُنْعِهَا ٱلْمُذْهَبِ
فَٱلْأَشْقَرُ ٱلْمَنْسُوجُ مِنْ نَسْلِهَا ... سَلِيلُ ذَاكَ ٱلْأَشْهَبِ ٱلْمُنْجِبِ
تَرَى ٱلثُّرَيَّا مِنْ عَنَاقِيدِهَا ... تَلُوحُ فِي أَخْضَرَ كَٱلْغَيْهَبِ
أَلْوَانُهَا شَتَّى وَأَنْوَاعُهَا ... مُثَقَّفَاتُ ٱلنَّجْرِ وَٱلْمَنْصِبِ
كَمْ سَبَجٍ فِيهِ وَكَمْ جَزْعَةٍ ... صَحِيحَةِ ٱلتَّدْوِيرِ لَمْ تُثْقَبِ

مِنْ حَالِكِ ٱللَّوْنِ كَجُنْحِ ٱلدُّجى ... وَنَاصِعٍ يَلْمَعُ كَٱلْكَوْكَبِ
أَطْيَبُ بِهَا حِلًّا وَمَحْظُورَةً ... فِي كَرْمِهَا وَكَأْسِهَا ٱلْأَطْيَبِ

٨٤ زهريّة الفقيه ابي الحسن بن زنباع

أَبْدَتْ لَنَا ٱلْأَيَّامُ زَهْرَةَ طِيبِهَا ... وَتَسَرْبَلَتْ بِنَضِيرِهَا وَقَشِيبِهَا
وَٱهْتَزَّ عِطْفُ ٱلْأَرْضِ بَعْدَ خُشُوعِهَا ... وَبَدَتْ بِهَا ٱلنَّعْمَاءُ بَعْدَ شُحُوبِهَا
وَتَطَلَّعَتْ فِي عُنْفُوَانِ شَبَابِهَا ... مِنْ بَعْدِ مَا بَلَغَتْ عِتِيَّ مَشِيبِهَا
وَقَفَتْ عَلَيْهَا ٱلسُّحْبُ وَقْفَةَ رَاحِمٍ ... فَبَكَتْ لَهَا بِعُيُونِهَا وَقُلُوبِهَا
فَعَجِبْتُ لِلْأَزْهَارِ كَيْفَ تَضَاحَكَتْ ... بِبُكَائِهَا وَتَبَشَّرَتْ بِقُطُوبِهَا
وَتَسَرْبَلَتْ حُلَلًا تَجُرُّ ذُيُولَهَا ... مِنْ لَدْنِهَا فِيهَا وَشَقِّ جُيُوبِهَا
فَلَقَدْ أَجَادَ ٱلْمُزْنُ فِي إِنْجَادِهَا ... وَأَجَادَ حَرُّ ٱلشَّمْسِ فِي تَرْتِيبِهَا
مَا أَنْصَفَ ٱلْخِيرِيَّ يَمْنَعُ طِيبَهُ ... لِحُضُورِهَا وَيُبِيحُهُ لِمَغِيبِهَا
وَهِيَ ٱلَّتِي قَامَتْ عَلَيْهِ بِدَفْنِهَا ... وَتَعَاهَدَتْهُ بِدَرِّهَا وَحَلِيبِهَا
فَكَأَنَّهُ فَرْضٌ عَلَيْهِ مُوَقَّتٌ ... وَوُجُوبُهُ مُتَعَلِّقٌ بِوُجُوبِهَا
وَعَلَى سَمَاءِ ٱلْيَاسَمِينِ كَوَاكِبٌ ... أَبْدَتْ ذُكَاءُ ٱلْعَجْزَ عَنْ تَغْيِيبِهَا
زُهْرٌ تَوَقَّدُ لَيْلَهَا وَنَهَارَهَا ... وَتَفُوتُ شَأْوَ خُسُوفِهَا وَغُرُوبِهَا
فَتَأَرَّجَتْ أَرْجَاؤُهَا بِهُبُوبِهَا ... وَتَعَانَقَتْ أَزْهَارُهَا بِنُكُوبِهَا
وَتَصَوَّبَتْ فِيهَا فُرُوعُ جَدَاوِلٍ ... تَتَصَاعَدُ ٱلْأَبْصَارُ فِي تَصْوِيبِهَا
تَطْفُو وَتَرْسُبُ فِي أُصُولِ ثِمَارِهَا ... وَٱلْحُسْنُ بَيْنَ طُفُوِّهَا وَرُسُوبِهَا
أَوَمَا تَرَى ٱلْأَزْهَارَ مَا مِنْ زَهْرَةٍ ... إِلَّا وَقَدْ رَكِبَتْ فِقَارَ قَضِيبِهَا

وَالطَّيرُ قد خفقت على أفنانِها   تُلْقِي فُنُونَ الشَّدْوِ في أسلوبِها
تَشْدُو وتهتزُّ الغُصُونُ كأنّما   حركاتُها رقصٌ على تطريبِها

٨٥ قال ابن حمديس الصقلي يصف دارًا بناها المنصور بن اعلى ببجاية

أَعْمِرْ بقصرِ المُلْكِ ناديكَ الذي   أضحى بمجدِكَ بيتُهُ معمورا
قصرٌ لو انّكَ قد كحلتَ بنورِهِ   أعمى لعادَ إلى المقامِ بصيرا
واشتُقَّ من معنى الجِنانِ نسيمُهُ   فيكادُ يُحدِثُ بالعظامِ نشورا
نَسِيَ الصَّبيحُ مع الفصيحِ بذكرِهِ   وسما ففاقَ خورنقًا وسديرا
أبصرتُهُ فرأيتُ أبدعَ منظرٍ   ثمّ انثنيتُ بناظري محسورا
فظننتُ أنّي حالمٌ في جنّةٍ   لمّا رأيتُ المُلْكَ فيهِ كبيرا
لو أنّ بالإيوانِ قُوبِلَ حُسنُهُ   ما كانَ شيئًا عندَهُ مذكورا
أعيتْ مصانعُهُ على الفُرسِ الأُلى   رفعوا البناءَ وأحكموا التدبيرا
ومضتْ على الرّومِ الدّهورُ وما بنوا   لملوكِهِمْ شبهًا لهُ ونظيرا
أذكرتَنا الفردوسَ حينَ أريتَنا   غُرَفًا رفعتَ بناءَها وقصورا
ومحصَّبٍ بالدُّرِّ تحسبُ تُربَهُ   مِسكًا تضوّعَ نشرُهُ وعبيرا
تستخلفُ الأبصارُ منهُ إذا أتى   صُبحًا على غسقِ الظّلامِ منيرا

ثمّ ذكر بركةً فيها عليها أشجارٌ من ذهبٍ وفضةٍ ترمي فروعها المياه . ثمّ تفنّن وذكر أسودًا على حافاتها قاذفةً بالمياه ايضًا فقال :

وضراغمٍ سكنتْ عرينَ رئاسةٍ   تركتْ خريرَ الماءِ فيهِ زئيرا
فكأنّما غشّى النُّضارُ جسومَها   وأذابَ في أفواهِها البلّورا

أُسُدٌ كأنَّ سُكُونَهَا مُتَحَرِّكٌ   في النَّفسِ لو وجدتْ هناكَ مُثيرا
وتذكَّرَتْ فتكاتِهَا فكأنَّمَا   أقعَتْ على أدبارِهَا لِتَثُورَا
وتخالُهَا والشَّمسُ تَجلُو لَونَهَا   نارًا وألسُنُهَا اللَّواحِسَ نُورَا
فكأنَّمَا سُلَّتْ سُيُوفُ جداوِلٍ   ذابتْ بِلا نارٍ فعُدْنَ غديرَا
وكأنَّمَا نَسجَ النَّسيمُ لِمَائِهِ   دِرعًا فقدَّرَ سَردَهَا تقديرَا
وبديعةِ الثَّمراتِ تَعبُرُ نَحوَهَا   عيناي بَحرَ عجائِبٍ مَسجُورَا
شَجَريَّةٌ ذهبيَّةٌ نَزَعَتْ إلى   سِحرٍ يُؤثِّرُ في النُّهَى تأثيرَا
قد صُوبِحَتْ أغصانُهَا فكأنَّمَا   قَبَضَتْ بهنَّ مِنَ الفضاءِ طُيُورَا
وكأنَّمَا تأبَى لِوَقعِ طيُورِهَا   أن تستقِلَّ بِنَهضِهَا وتطيرَا
مِن كُلِّ واقِعَةٍ تَرَى مِنقارَهَا   ماءً كسلسالِ اللُّجَينِ نَمِيرَا
خُرسٌ تُعَدُّ مِنَ الفِصَاحِ فإنْ شدَتْ   جعلتْ تُغرِّدُ بالمياهِ صَفِيرَا
وكأنَّمَا في كُلِّ غُصنٍ فِضَّةٌ   لانتْ فأرسِلَ خيطُهَا مَجرُورَا
وتُرِيكَ في الصِّهريجِ موقعَ قطرِهَا   فوقَ الزَّبَرجَدِ لُؤلُؤًا منثُورَا
ضحِكَتْ محاسِنُهُ إليكَ كأنَّمَا   جعلتْ لها زُهرُ النُّجومِ ثُغُورَا
ومُصفَّحِ الأبوابِ تِبرًا نظَرُوا   بالنَّقشِ فوقَ شُكُولِهِ تنظيرَا
وإذا نظرتَ إلى غرائِبِ سقفِهِ   أبصرتَ روضًا في السَّماءِ نضيرَا
وضعتْ بِهِ صُنَّاعُهَا أقلامَهَا   فأرتكَ كُلَّ طريدةٍ تصويرَا
وكأنَّمَا للشَّمسِ فيهِ لِيقَةٌ   مشَقُوا بِهَا التَّزويقَ والتَّشجيرَا
وكأنَّمَا اللازَوَردُ فيهِ مُخرَّمٌ   بالخَطِّ في ورَقِ السَّماءِ سُطُورَا

الباب السابع
في الشعر القديم

نُخَب من المعلَّقات

٨٦ نخبة من معلقة امرئ القيس بن حُجر الكندي

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ ٱلْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ   عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ ٱلْهُمُومِ لِيَبْتَلِي
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ   وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكَلْكَلِ
أَلَا أَيُّهَا ٱللَّيْلُ ٱلطَّوِيلُ أَلَا ٱنْجَلِي   بِصُبْحٍ وَمَا ٱلْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ
فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ   بِأَمْرَاسِ كَتَّانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلِ
وَقَدْ أَغْتَدِي وَٱلطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا   بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ ٱلْأَوَابِدِ هَيْكَلِ
مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًا   كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ ٱلسَّيْلُ مِنْ عَلِ
كُمَيْتٍ يَزِلُّ ٱللِّبْدُ عَنْ حَالِ مَتْنِهِ   كَمَا زَلَّتِ ٱلصَّفْوَاءُ بِٱلْمُتَنَزَّلِ
عَلَى ٱلذَّبْلِ جَيَّاشٍ كَأَنَّ ٱهْتِزَامَهُ   إِذَا جَاشَ فِيهِ حَمْيُهُ غَلْيُ مِرْجَلِ
مِسَحٍّ إِذَا مَا ٱلسَّابِحَاتُ عَلَى ٱلْوَنَى   أَثَرْنَ غُبَارًا بِٱلْكَدِيدِ ٱلْمُرَكَّلِ
يُزِلُّ ٱلْغُلَامَ ٱلْخِفَّ عَنْ صَهَوَاتِهِ   وَيُلْوِي بِأَثْوَابِ ٱلْعَنِيفِ ٱلْمُثَقَّلِ
دَرِيرٍ كَخُذْرُوفِ ٱلْوَلِيدِ أَمَرَّهُ   تَتَابُعُ كَفَّيْهِ بِخَيْطٍ مُوَصَّلِ
لَهُ أَيْطَلَا ظَبْيٍ وَسَاقَا نَعَامَةٍ   وَإِرْخَاءُ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيبُ تَتْفُلِ
فَعَنَّ لَنَا سِرْبٌ كَأَنَّ نِعَاجَهُ   عَذَارَى دُوَارٍ فِي مُلَاءٍ مُذَيَّلِ
فَأَلْحَقَنَا بِٱلْهَادِيَاتِ وَدُونَهُ   جَوَاحِرُهَا فِي صَرَّةٍ لَمْ تَزَيَّلِ

فَعَادَى عِدَاءً بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ … دِرَاكًا وَلَمْ يُنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلِ
فَظَلَّ طُهَاةُ اللَّحْمِ مِنْ بَيْنِ مُنْضِجٍ … صَفِيفَ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُعَجَّلِ
وَرُحْنَا يَكَادُ الطَّرْفُ يَقْصُرُ دُونَهُ … مَتَى مَا تَرَقَّ الْعَيْنُ فِيهِ تَسَهَّلِ
فَبَاتَ عَلَيْهِ سَرْجُهُ وَلِجَامُهُ … وَبَاتَ بِعَيْنِي قَائِمًا غَيْرَ مُرْسَلِ
أَصَاحِ تَرَى بَرْقًا أُرِيكَ وَمِيضَهُ … كَلَمْعِ الْيَدَيْنِ فِي حَبِيٍّ مُكَلَّلِ
يُضِيءُ سَنَاهُ أَوْ مَصَابِيحُ رَاهِبٍ … أَمَالَ السَّلِيطَ بِالذُّبَالِ الْمُفَتَّلِ
قَعَدْتُ لَهُ وَصُحْبَتِي بَيْنَ ضَارِجٍ … وَبَيْنَ الْعُذَيْبِ بُعْدَ مَا مُتَأَمَّلِي
عَلَى قَطَنٍ بِالشَّيْمِ أَيْمَنُ صَوْبِهِ … وَأَيْسَرُهُ عَلَى السِّتَارِ فَيَذْبُلِ
فَأَضْحَى يَسُحُّ الْمَاءَ فَوْقَ كُتَيْفَةٍ … يَكُبُّ عَلَى الْأَذْقَانِ دَوْحَ الْكَنَهْبَلِ
وَمَرَّ عَلَى الْقَنَانِ مِنْ نَفَيَانِهِ … فَأَنْزَلَ مِنْهُ الْعُصْمَ مِنْ كُلِّ مَنْزِلِ
وَتَيْمَاءَ لَمْ يَتْرُكْ بِهَا جِذْعَ نَخْلَةٍ … وَلَا أُطُمًا إِلَّا مَشِيدًا بِجَنْدَلِ

٨٧ نخبة من معلقة طرفة بن العبد البكري

أَنَا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الَّذِي تَعْرِفُونَهُ … خَشَاشٌ كَرَأْسِ الْحَيَّةِ الْمُتَوَقِّدِ
وَآلَيْتُ لَا يَنْفَكُّ كَشْحِي بِطَانَةً … لِعَضْبٍ رَقِيقِ الشَّفْرَتَيْنِ مُهَنَّدِ
حُسَامٍ إِذَا مَا قُمْتُ مُنْتَصِرًا بِهِ … كَفَى الْعَوْدَ مِنْهُ الْبَدْءُ لَيْسَ بِمِعْضَدِ
أَخِي ثِقَةٍ لَا يَنْثَنِي عَنْ ضَرِيبَةٍ … إِذَا قِيلَ مَهْلًا قَالَ حَاجِزُهُ قَدِي
إِذَا ابْتَدَرَ الْقَوْمُ السِّلَاحَ وَجَدْتَنِي … مَنِيعًا إِذَا بَلَّتْ بِقَائِمِهِ يَدِي
وَبَرْكٍ هُجُودٍ قَدْ أَثَارَتْ مَخَافَتِي … بَوَادِيَهَا أَمْشِي بِعَضْبٍ مُجَرَّدِ
فَمَرَّتْ كَهَاةٌ ذَاتُ خَيْفٍ جُلَالَةٌ … عَقِيلَةُ شَيْخٍ كَالْوَبِيلِ يَلَنْدَدِ

يَقُولُ وَقَدْ تَرَّ ٱلْوَظِيفُ وَسَاقُهَا   أَلَسْتَ تَرَى أَنْ قَدْ أَتَيْتَ بِمُؤْيِدِ
وَقَالَ أَلَا مَا ذَا تَرَوْنَ بِشَارِبٍ   شَدِيدٍ عَلَيْنَا بَغْيُهُ مُتَعَمِّدِ
فَقَالَ ذَرُوهُ إِنَّمَا نَفْعُهَا لَهُ   وَإِلَّا تَكُفُّوا قَاصِيَ ٱلْبَرْكِ يَزْدَدِ
فَظَلَّ ٱلْإِمَاءُ يَمْتَلِلْنَ حُوَارَهَا   وَتَسْعَى عَلَيْنَا بِٱلسَّدِيفِ ٱلْمُسَرْهَدِ
فَإِنْ مُتُّ فَٱنْعِينِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ   وَشُقِّي عَلَيَّ ٱلْجَيْبَ يَا ٱبْنَةَ مَعْبَدِ
وَلَا تَجْعَلِينِي كَٱمْرِئٍ لَيْسَ هَمُّهُ   كَهَمِّي وَلَا يُغْنِي غَنَائِي وَمَشْهَدِي
بَطِيءٍ عَنِ ٱلْجُلَّى سَرِيعٍ إِلَى ٱلْخَنَا   ذَلُولٍ بِأَجْمَاعِ ٱلرِّجَالِ مُلَهَّدِ
فَلَوْ كُنْتُ وَغْلًا فِي ٱلرِّجَالِ لَضَرَّنِي   عَدَاوَةُ ذِي ٱلْأَصْحَابِ وَٱلْمُتَوَحِّدِ
وَلَكِنْ نَفَى عَنِّي ٱلرِّجَالَ جَرَاءَتِي   عَلَيْهِمْ وَإِقْدَامِي وَصِدْقِي وَمَحْتِدِي
لَعَمْرُكَ مَا أَمْرِي عَلَيَّ بِغُمَّةٍ   نَهَارِي وَلَا لَيْلِي عَلَيَّ بِسَرْمَدِ
وَيَوْمٍ حَبَسْتُ ٱلنَّفْسَ عِنْدَ عِرَاكِهَا   حِفَاظًا عَلَى عَوْرَاتِهِ وَٱلتَّهَدُّدِ
عَلَى مَوْطِنٍ يَخْشَى ٱلْفَتَى عِنْدَهُ ٱلرَّدَى   مَتَى تَعْتَرِكْ فِيهِ ٱلْفَرَائِصُ تُرْعَدِ
وَأَصْفَرَ مَضْبُوحٍ نَظَرْتُ حِوَارَهُ   عَلَى ٱلنَّارِ وَٱسْتَوْدَعْتُهُ كَفَّ مُجْمِدِ
سَتُبْدِي لَكَ ٱلْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا   وَيَأْتِيكَ بِٱلْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ
وَيَأْتِيكَ بِٱلْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَبِعْ لَهُ   بَتَاتًا وَلَمْ تَضْرِبْ لَهُ وَقْتَ مَوْعِدِ

٨٨ نخبة من معلقة زهير بن ابي سلمى المزني

فَأَقْسَمْتُ بِٱلْبَيْتِ ٱلَّذِي طَافَ حَوْلَهُ   رِجَالٌ بَنَوْهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمِ
يَمِينًا لَنِعْمَ ٱلسَّيِّدَانِ وُجِدْتُمَا   عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُبْرَمِ
سَعَى سَاعِيَا غَيْظِ بْنِ مُرَّةَ بَعْدَمَا   تَبَزَّلَ مَا بَيْنَ ٱلْعَشِيرَةِ بِٱلدَّمِ

تداركتما عبساً وذبيان بعد ما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم
وقد قلتما إن ندرك السلم واسعاً بمال ومعروف من القول نسلم
فأصبحتما منها على خير موطن بعيدين فيها من عقوق ومأثم
عظيمين في عليا معد هديتما ومن يستبح كنزاً من المجد يعظم
تعفى الكلوم بالمئين فأصبحت ينجمها من ليس فيها بمجرم
ينجمها قوم لقوم غرامة ولم يهريقوا بينهم ملء محجم
فأصبح يجري فيهم من تلادكم مغانم شتى من إفال مزنم
ألا أبلغ الأحلاف عني رسالة وذبيان هل أقسمتم كل مقسم
فلا تكتمن الله ما في صدوركم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم
وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة وتضر إذا ضريتموها فتضرم
فتعرككم عرك الرحى بثفالها وتلقح كشافاً ثم تنتج فتتئم
فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم
فتغلل لكم ما لا تغل لأهلها قرى بالعراق من قفيز ودرهم
رعوا ظمأهم حتى إذا تم أوردوا غماراً تفرى بالسلاح وبالدم
فقضوا منايا بينهم ثم أصدروا إلى كلإ مستوبل متوخم
لعمرك ما جرت عليهم رماحهم دم ابن نهيك أو قتيل المثلم
ولا شاركت في الموت في دم نوفل ولا وهب منها ولا ابن المخزم

فَكُلًّا أَرَاهُمْ أَصْبَحُوا يَعْقِلُونَهُ … صَحِيحَاتِ مَالٍ طَالِعَاتٍ بِمَخْرِمِ

لِحَيٍّ حِلَالٍ يَعْصِمُ النَّاسَ أَمْرُهُمْ … إِذَا طَرَقَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَمِ

كِرَامٍ فَلَا ذُو الضِّغْنِ يُدْرِكُ تَبْلَهُ … لَدَيْهِمْ وَلَا الْجَانِي عَلَيْهِمْ بِمُسْلَمِ

سَئِمْتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ … ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَا لَكَ يَسْأَمِ

وَأَعْلَمُ مَا فِي الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ … وَلَكِنَّنِي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِ

رَأَيْتُ الْمَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ … تُمِتْهُ وَمَنْ تُخْطِئْ يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ

وَمَنْ لَا يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ … يُضَرَّسْ بِأَنْيَابٍ وَيُوطَأْ بِمَنْسِمِ

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ … يَفِرْهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ

وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بِفَضْلِهِ … عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَغْنَ عَنْهُ وَيُذْمَمِ

وَمَنْ يُوفِ لَا يُذْمَمْ وَمَنْ يُهْدَ قَلْبُهُ … إِلَى مُطْمَئِنِّ الْبِرِّ لَا يَتَجَمْجَمِ

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنَايَا يَنَلْنَهُ … وَإِنْ يَرْقَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ … يَكُنْ حَمْدُهُ ذَمًّا عَلَيْهِ وَيَنْدَمِ

وَمَنْ يَعْصِ أَطْرَافَ الزِّجَاجِ فَإِنَّهُ … يُطِيعُ الْعَوَالِي رُكِّبَتْ كُلَّ لَهْذَمِ

وَمَنْ لَا يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ … يُهَدَّمْ وَمَنْ لَا يَظْلِمِ النَّاسَ يُظْلَمِ

وَمَنْ يَغْتَرِبْ يَحْسَبْ عَدُوًّا صَدِيقَهُ … وَمَنْ لَا يُكَرِّمْ نَفْسَهُ لَا يُكَرَّمِ

وَمَنْ لَمْ يَزَلْ يَسْتَرْحِلُ النَّاسَ نَفْسَهُ … وَلَا يُعْفِهَا يَوْمًا مِنَ الذُّلِّ يَنْدَمِ

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ … وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمِ

وَكَائِنْ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِبٍ … زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ

لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ … فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالدَّمِ

وَإِنَّ سَفَاهَ ٱلشَّيْخِ لَا حِلْمَ بَعْدَهُ ... وَإِنَّ ٱلْفَتَى بَعْدَ ٱلسَّفَاهَةِ يَحْلُمِ
سَأَلْنَا فَأَعْطَيْتُمْ وَعُدْنَا وَعُدْتُمْ ... وَمَنْ أَكْثَرَ ٱلتَّسْآلَ يَوْمًا سَيُحْرَمِ

٨٩ نخبة من معلقة لبيد بن ربيعة العامري

إقْطَعْ لُبَانَةَ مَنْ تَعَرَّضَ وَصْلُهُ ... وَلَخَيْرُ وَاصِلِ خُلَّةٍ صَرَّامُهَا
بِطَلِيحِ أَسْفَارٍ تَرَكْنَ بَقِيَّةً ... مِنْهَا فَأَحْنَقَ صُلْبُهَا وَسَنَامُهَا
وَإِذَا تَغَالَى لَحْمُهَا وَتَحَسَّرَتْ ... وَتَقَطَّعَتْ بَعْدَ ٱلْكَلَالِ خِدَامُهَا
فَلَهَا هِبَابٌ فِي ٱلزِّمَامِ كَأَنَّهَا ... صَهْبَاءُ خَفَّ مَعَ ٱلْجَنُوبِ جَهَامُهَا
أَفَتِلْكَ أَمْ وَحْشِيَّةٌ مَسْبُوعَةٌ ... خَذَلَتْ وَهَادِيَةُ ٱلصِّوَارِ قِوَامُهَا
خَنْسَاءُ ضَيَّعَتِ ٱلْفَرِيرَ فَلَمْ تَرِمْ ... عُرْضَ ٱلشَّقَائِقِ طَوْفُهَا وَبُغَامُهَا
لِمُعَفَّرٍ قَهْدٍ تَنَازَعَ شِلْوَهُ ... غُبْسٌ كَوَاسِبُ لَا يُمَنُّ طَعَامُهَا
صَادَفْنَ مِنْهَا غِرَّةً فَأَصَبْنَهَا ... إِنَّ ٱلْمَنَايَا لَا تَطِيشُ سِهَامُهَا
بَاتَتْ وَأَسْبَلَ وَاكِفٌ مِنْ دِيمَةٍ ... تُرْوِي ٱلْخَمَائِلَ دَائِمًا تَسْجَامُهَا
تَجْتَافُ أَصْلًا قَالِصًا مُتَنَبِّذًا ... بِعُجُوبِ أَنْقَاءٍ يَمِيلُ هُيَامُهَا
يَعْلُو طَرِيقَةَ مَتْنِهَا مُتَوَاتِرٌ ... فِي لَيْلَةٍ كَفَرَ ٱلنُّجُومَ غَمَامُهَا
وَتُضِيءُ فِي وَجْهِ ٱلظَّلَامِ مُنِيرَةً ... كَجُمَانَةِ ٱلْبَحْرِيِّ سُلَّ نِظَامُهَا
حَتَّى إِذَا ٱنْحَسَرَ ٱلظَّلَامُ وَأَسْفَرَتْ ... بَكَرَتْ تَزِلُّ عَنِ ٱلثَّرَى أَزْلَامُهَا
عَلِهَتْ تَرَدَّدُ فِي نِهَاءِ صُعَائِدٍ ... سَبْعًا تُؤَامًا كَامِلًا أَيَّامُهَا
حَتَّى إِذَا يَئِسَتْ وَأَسْحَقَ حَالِقٌ ... لَمْ يُبْلِهِ إِرْضَاعُهَا وَفِطَامُهَا
وَتَسَمَّعَتْ رِزَّ ٱلْأَنِيسِ فَرَاعَهَا ... عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ وَٱلْأَنِيسُ سَقَامُهَا

فَغَدَتْ كِلَا الْفَرْجَيْنِ تَحْسِبُ أَنَّهُ   مَوْلَى الْمَخَافَةِ خَلْفُهَا وَأَمَامُهَا
حَتَّى إِذَا يَئِسَ الرُّمَاةُ وَأَرْسَلُوا   غُضْفًا دَوَاجِنَ قَافِلًا أَعْصَامُهَا
فَلَحِقْنَ وَاعْتَكَرَتْ لَهَا مَدَرِيَّةٌ   كَالسَّمْهَرِيَّةِ حَدُّهَا وَتَمَامُهَا
لِتَذُودَهُنَّ وَأَيْقَنَتْ إِنْ لَمْ تَذُدْ   أَنْ قَدْ أَحَمَّ مِنَ الْحُتُوفِ حِمَامُهَا
فَتَقَصَّدَتْ مِنْهَا كَسَابِ فَضُرِّجَتْ   بِدَمٍ وَغُودِرَ فِي الْمَكَرِّ سُخَامُهَا
فَبِتِلْكَ إِذْ رَقَصَ اللَّوَامِعُ بِالضُّحَى   وَاجْتَابَ أَرْدِيَةَ السَّرَابِ إِكَامُهَا
أَقْضِي اللُّبَانَةَ لَا أُفَرِّطُ رِيبَةً   أَوْ أَنْ يَلُومَ بِحَاجَةٍ لُوَّامُهَا
وَغَدَاةِ رِيحٍ قَدْ وَزَعْتُ وَقِرَّةٍ   قَدْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامُهَا
وَلَقَدْ حَمَيْتُ الْحَيَّ تَحْمِلُ شِكَّتِي   فُرُطٌ وِشَاحِي إِذْ غَدَوْتُ لِجَامُهَا
فَعَلَوْتُ مُرْتَقَبًا عَلَى ذِي هَبْوَةٍ   حَرِجٍ إِلَى أَعْلَامِهِنَّ قَتَامُهَا
حَتَّى إِذَا أَلْقَتْ يَدًا فِي كَافِرٍ   وَأَجَنَّ عَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظَلَامُهَا
أَسْهَلْتُ وَانْتَصَبَتْ كَجِذْعِ مُنِيفَةٍ   جَرْدَاءَ يَحْصَرُ دُونَهَا جُرَّامُهَا
رَفَّعْتُهَا طَرْدَ النَّعَامِ وَفَوْقَهُ   حَتَّى إِذَا سَخِنَتْ وَخَفَّ عِظَامُهَا
قَلِقَتْ رِحَالَتُهَا وَأَسْبَلَ نَحْرُهَا   وَابْتَلَّ مِنْ زَبَدِ الْحَمِيمِ حِزَامُهَا
تَرْقَى وَتَطْعَنُ فِي الْعِنَانِ وَتَنْتَحِي   وِرْدَ الْحَمَامَةِ إِذْ أَجَدَّ حَمَامُهَا
وَكَثِيرَةٍ غُرَبَاؤُهَا مَجْهُولَةٍ   تُرْجَى نَوَافِلُهَا وَيُخْشَى ذَامُهَا
غُلْبٍ تَشَذَّرُ بِالذُّحُولِ كَأَنَّهَا   جِنُّ الْبَدِيِّ رَوَاسِيًا أَقْدَامُهَا
أَنْكَرْتُ بَاطِلَهَا وَبُؤْتُ بِحَقِّهَا   عِنْدِي وَلَمْ يَفْخَرْ عَلَيَّ كِرَامُهَا
وَجَزُورِ أَيْسَارٍ دَعَوْتُ لِحَتْفِهَا   بِمَغَالِقٍ مُتَشَابِهٍ أَجْسَامُهَا

أَدْعُو بِهِنَّ لِعَاقِرٍ أَوْ مُطْفِلٍ ... بُذِلَتْ لِجِيرَانِ الْجَمِيعِ لِحَامُهَا
فَالضَّيْفُ وَالْجَارُ الْجَنِيبُ كَأَنَّمَا ... هَبَطَا تَبَالَةَ مُخْصِبًا أَهْضَامُهَا
تَأْوِي إِلَى الْأَطْنَابِ كُلُّ رَذِيَّةٍ ... مِثْلِ الْبَلِيَّةِ قَالِصٍ أَهْدَامُهَا
وَيُكَلِّلُونَ إِذَا الرِّيَاحُ تَنَاوَحَتْ ... خُلُجًا تُمَدُّ شَوَارِعًا أَيْتَامُهَا
إِنَّا إِذَا الْتَقَتِ الْمَجَامِعُ لَمْ يَزَلْ ... مِنَّا لِزَازُ عَظِيمَةٍ جَشَّامُهَا
وَمُقَسِّمٌ يُعْطِي الْعَشِيرَةَ حَقَّهَا ... وَمُغَذْمِرٌ لِحُقُوقِهَا هَضَّامُهَا
فَضْلًا وَذُو كَرَمٍ يُعِينُ عَلَى النَّدَى ... سَمْحٌ كَسُوبُ رَغَائِبٍ غَنَّامُهَا
مِنْ مَعْشَرٍ سَنَّتْ لَهُمْ آبَاؤُهُمْ ... وَلِكُلِّ قَوْمٍ سُنَّةٌ وَإِمَامُهَا
إِنْ يَفْزَعُوا تُلْقَ الْمَغَافِرُ عِنْدَهُمْ ... وَالسِّنُّ تَلْمَعُ كَالْكَوَاكِبِ لَامُهَا
لَا يَطْبَعُونَ وَلَا تَبُورُ فِعَالُهُمْ ... إِذْ لَا تَمِيلُ مَعَ الْهَوَى أَحْلَامُهَا
فَاقْنَعْ بِمَا قَسَمَ الْمَلِيكُ فَإِنَّمَا ... قَسَمَ الْخَلَائِقَ بَيْنَنَا عَلَّامُهَا
وَإِذَا الْأَمَانَةُ قُسِّمَتْ فِي مَعْشَرٍ ... أَوْفَى بِأَوْفَرِ حَظِّنَا قَسَّامُهَا
فَبَنَى لَنَا بَيْتًا رَفِيعًا سَمْكُهُ ... فَسَمَا إِلَيْهِ كَهْلُهَا وَغُلَامُهَا
فَهُمُ السُّعَاةُ إِذَا الْعَشِيرَةُ أُفْظِعَتْ ... وَهُمُ فَوَارِسُهَا وَهُمْ حُكَّامُهَا
وَهُمُ رَبِيعٌ لِلْمُجَاوِرِ فِيهِمُ ... وَالْمُرْمِلَاتِ إِذَا تَطَاوَلَ عَامُهَا
وَهُمُ الْعَشِيرَةُ أَنْ يُبَطِّئَ حَاسِدٌ ... أَوْ أَنْ يَمِيلَ مَعَ الْعَدُوِّ لِئَامُهَا

٩٠ نخبة من معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي

أَبَا هِنْدٍ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْنَا ... وَأَنْظِرْنَا نُخَبِّرْكَ الْيَقِينَا
بِأَنَّا نُورِدُ الرَّايَاتِ بِيضًا ... وَنُصْدِرُهُنَّ حُمْرًا قَدْ رَوِينَا

وَأَيَّامٍ لَنَا غُرٍّ طِوَالٍ   عَصَيْنَا ٱلْمَلْكَ فِيهَا أَنْ نَدِينَا
وَسَيِّدِ مَعْشَرٍ قَدْ تَوَّجُوهُ   بِتَاجِ ٱلْمُلْكِ يَحْمِي ٱلْمُحْجَرِينَا
تَرَكْنَا ٱلْخَيْلَ عَاكِفَةً عَلَيْهِ   مُقَلَّدَةً أَعِنَّتَهَا صُفُونَا
وَأَنْزَلْنَا ٱلْبُيُوتَ بِذِي طُلُوحٍ   إِلَى ٱلشَّامَاتِ نَنْفِي ٱلْمُوعِدِينَا
وَقَدْ هَرَّتْ كِلَابُ ٱلْحَيِّ مِنَّا   وَشَذَّبْنَا قَتَادَةَ مَنْ يَلِينَا
مَتَى نَنْقُلْ إِلَى قَوْمٍ رَحَانَا   يَكُونُوا فِي ٱللِّقَاءِ لَهَا طَحِينَا
يَكُونُ ثِفَالُهَا شَرْقِيَّ نَجْدٍ   وَلُهْوَتُهَا قُضَاعَةَ أَجْمَعِينَا
نَزَلْتُمْ مَنْزِلَ ٱلْأَضْيَافِ مِنَّا   فَعَجَّلْنَا ٱلْقِرَى أَنْ تَشْتِمُونَا
قَرَيْنَاكُمْ فَعَجَّلْنَا قِرَاكُمْ   قُبَيْلَ ٱلصُّبْحِ مِرْدَاةً طَحُونَا
نَعُمُّ أُنَاسَنَا وَنَعِفُّ عَنْهُمْ   وَنَحْمِلُ عَنْهُمُ مَا حَمَّلُونَا
نُطَاعِنُ مَا تَرَاخَى ٱلنَّاسُ عَنَّا   وَنَضْرِبُ بِٱلسُّيُوفِ إِذَا غُشِينَا
بِسُمْرٍ مِنْ قَنَا ٱلْخَطِّيِّ لُدْنٍ   ذَوَابِلَ أَوْ بِبِيضٍ يَعْتَلِينَا
كَأَنَّ جَمَاجِمَ ٱلْأَبْطَالِ فِيهَا   وُسُوقٌ بِٱلْأَمَاعِزِ يَرْتَمِينَا
نَشُقُّ بِهَا رُؤُسَ ٱلْقَوْمِ شَقًّا   وَنَخْتَلِبُ ٱلرِّقَابَ فَيَخْتَلِينَا
وَإِنَّ ٱلضِّغْنَ بَعْدَ ٱلضِّغْنِ يَفْشُو   عَلَيْكَ وَيُخْرِجُ ٱلدَّاءَ ٱلدَّفِينَا
وَرِثْنَا ٱلْمَجْدَ قَدْ عَلِمَتْ مَعَدٌّ   نُطَاعِنُ دُونَهُ حَتَّى يَبِينَا
وَنَحْنُ إِذَا عِمَادُ ٱلْحَيِّ خَرَّتْ   عَلَى ٱلْأَحْفَاضِ نَمْنَعُ مَنْ يَلِينَا
نَجُذُّ رُؤُسَهُمْ فِي غَيْرِ بِرٍّ   فَمَا يَدْرُونَ مَاذَا يَتَّقُونَا
كَأَنَّ سُيُوفَنَا مِنَّا وَمِنْهُمْ   مَخَارِيقٌ بِأَيْدِي لَاعِبِينَا

كَأَنَّ ثِيَابَنَا مِنَّا وَمِنْهُمْ ... خُضِبْنَ بِأُرْجُوانٍ أَوْ طُلِينَا

إِذَا مَا عَيَّ بِالْإِسْنَافِ حَيٌّ ... مِنَ الْهَوْلِ الْمُشَبَّهِ أَنْ يَكُونَا

نَصَبْنَا مِثْلَ رَهْوَةَ ذَاتَ حَدٍّ ... مُحَافَظَةً وَكُنَّا السَّابِقِينَا

بِشُبَّانٍ يَرَوْنَ الْقَتْلَ مَجْدًا ... وَشِيبٍ فِي الْحُرُوبِ مُجَرَّبِينَا

حُدَيَّا النَّاسِ كُلِّهِمِ جَمِيعًا ... مُقَارَعَةً بَنِيهِمْ عَنْ بَنِينَا

فَأَمَّا يَوْمَ خَشْيَتِنَا عَلَيْهِمْ ... فَتُصْبِحُ خَيْلُنَا عُصَبًا ثُبِينَا

وَأَمَّا يَوْمَ لَا نَخْشَى عَلَيْهِمْ ... فَنُمْعِنُ غَارَةً مُتَلَبِّبِينَا

بِرَأْسٍ مِنْ بَنِي جُشَمَ بْنِ بَكْرٍ ... نَدُقُّ بِهِ السُّهُولَةَ وَالْحُزُونَا

أَلَا لَا يَعْلَمُ الْأَقْوَامُ أَنَّا ... تَضَعْضَعْنَا وَأَنَّا قَدْ وَنِينَا

أَلَا لَا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا ... فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا

بِأَيِّ مَشِيئَةٍ عَمْرَو بْنَ هِنْدٍ ... نَكُونُ لِقَيْلِكُمْ فِينَا قَطِينَا

بِأَيِّ مَشِيئَةٍ عَمْرَو بْنَ هِنْدٍ ... تُطِيعُ بِنَا الْوُشَاةَ وَتَزْدَرِينَا

تُهَدِّدُنَا وَتُوعِدُنَا رُوَيْدًا ... مَتَى كُنَّا لِأُمِّكَ مَقْتَوِينَا

فَإِنَّ قَنَاتَنَا يَا عَمْرُو أَعْيَتْ ... عَلَى الْأَعْدَاءِ قَبْلَكَ أَنْ تَلِينَا

إِذَا عَضَّ الثِّقَافُ بِهَا اشْمَأَزَّتْ ... وَوَلَّتْهُ عَشَوْزَنَةً زَبُونَا

عَشَوْزَنَةً إِذَا انْقَلَبَتْ أَرَنَّتْ ... تَشُجُّ قَفَا الْمُثَقِّفِ وَالْجَبِينَا

فَهَلْ حُدِّثْتَ فِي جُشَمَ بْنِ بَكْرٍ ... بِنَقْصٍ فِي خُطُوبِ الْأَوَّلِينَا

وَرِثْنَا مَجْدَ عَلْقَمَةَ بْنِ سَيْفٍ ... أَبَاحَ لَنَا حُصُونَ الْمَجْدِ دِينَا

وَرِثْتُ مُهَلْهِلًا وَالْخَيْرَ مِنْهُ ... زُهَيْرًا نِعْمَ ذُخْرُ الذَّاخِرِينَا

وَعَتَّابًا وَكُلْثُومًا جَمِيعًا   بِهِمْ نِلْنَا تُرَاثَ الْأَكْرَمِينَا
وَذَا الْبُرَةِ الَّذِي حُدِّثْتَ عَنْهُ   بِهِ نُحْمَى وَنَحْمِي الْمُلْتَجِينَا
وَمِنَّا قَبْلَهُ السَّاعِي كُلَيْبٌ   فَأَيُّ الْمَجْدِ إِلَّا قَدْ وَلِينَا
مَتَى نَعْقِدْ قَرِينَتَنَا بِحَبْلٍ   تَجُذَّ الْحَبْلَ أَوْ تَقِصِ الْقَرِينَا
وَنُوجَدُ نَحْنُ أَمْنَعَهُمْ ذِمَارًا   وَأَوْفَاهُمْ إِذَا عَقَدُوا يَمِينَا
وَنَحْنُ غَدَاةَ أُوقِدَ فِي خَزَازَى   رَفَدْنَا فَوْقَ رِفْدِ الرَّافِدِينَا
وَكُنَّا الْأَيْمَنِينَ إِذَا الْتَقَيْنَا   وَكَانَ الْأَيْسَرِينَ بَنُو أَبِينَا
فَصَالُوا صَوْلَةً فِيمَنْ يَلِيهِمْ   وَصُلْنَا صَوْلَةً فِيمَنْ يَلِينَا
فَآبُوا بِالنِّهَابِ وَبِالسَّبَايَا   وَأُبْنَا بِالْمُلُوكِ مُصَفَّدِينَا
إِلَيْكُمْ يَا بَنِي بَكْرٍ إِلَيْكُمْ   أَلَمَّا تَعْرِفُوا مِنَّا الْيَقِينَا
أَلَمَّا تَعْلَمُوا مِنَّا وَمِنْكُمْ   كَتَائِبَ يَطَّعِنَّ وَيَرْتَمِينَا
عَلَيْنَا الْبَيْضُ وَالْيَلَبُ الْيَمَانِي   وَأَسْيَافٌ يَقُمْنَ وَيَنْحَنِينَا
عَلَيْنَا كُلُّ سَابِغَةٍ دِلَاصٍ   تَرَى فَوْقَ النِّطَاقِ لَهَا غُضُونَا
إِذَا وُضِعَتْ عَنِ الْأَبْطَالِ يَوْمًا   رَأَيْتَ لَهَا جُلُودَ الْقَوْمِ جُونَا
كَأَنَّ غُضُونَهُنَّ مُتُونُ غُدْرٍ   تُصَفِّقُهَا الرِّيَاحُ إِذَا جَرَيْنَا
وَتَحْمِلُنَا غَدَاةَ الرَّوْعِ جُرْدٌ   عُرِفْنَ لَنَا نَقَائِذُ وَافْتُلِينَا
وَرَدْنَ دَوَارِعًا وَخَرَجْنَ شُعْثًا   كَأَمْثَالِ الرَّصَائِعِ قَدْ بَلِينَا
وَرِثْنَاهُنَّ عَنْ آبَاءِ صِدْقٍ   وَنُورِثُهَا إِذَا مُتْنَا بَنِينَا
عَلَى آثَارِنَا بِيضٌ حِسَانٌ   نُحَاذِرُ أَنْ تُقَسَّمَ أَوْ تَهُونَا

ظَعَائِنُ مِنْ بَنِي جُشَمَ بْنِ بَكْرٍ   خَلَطْنَ بِمِيسَمٍ حَسَبًا وَدِينَا
يَقُتْنَ جِيَادَنَا وَيَقُلْنَ لَسْتُمْ   بُعُولَتَنَا إِذَا لَمْ تَمْنَعُونَا
أَخَذْنَ عَلَى بُعُولَتِهِنَّ عَهْدًا   إِذَا لَاقَوْا كَتَائِبَ مُعْلَمِينَا
لَيَسْتَلِبُنَّ أَفْرَاسًا وَبِيضًا   وَأَسْرَى فِي ٱلْحَدِيدِ مُقَرَّنِينَا
تَرَانَا بَارِزِينَ وَكُلُّ حَيٍّ   قَدِ ٱتَّخَذُوا مَخَافَتَنَا قَرِينَا
وَإِنَّا ٱلْعَاصِمُونَ بِكُلِّ كَحْلٍ   وَإِنَّا ٱلْبَاذِلُونَ لِمُجْتَدِينَا
وَإِنَّا ٱلْمَانِعُونَ لِمَنْ يَلِينَا   إِذَا مَا ٱلْبِيضُ فَارَقَتِ ٱلْجُفُونَا
كَأَنَّا وَٱلسُّيُوفُ مُسَلَّلَاتٌ   وَلَدْنَا ٱلنَّاسَ طُرًّا أَجْمَعِينَا
يُدَهْدِهْنَ ٱلرُّؤُوسَ كَمَا يُدَهْدِي   حَزَاوِرَةٌ بِأَبْطَحِهَا ٱلْكُرِينَا
وَقَدْ عَلِمَ ٱلْقَبَائِلُ مِنْ مَعَدٍّ   إِذَا قُبَبٌ بِأَبْطَحِهَا بُنِينَا
بِأَنَّا ٱلْمُطْعِمُونَ إِذَا قَدَرْنَا   وَأَنَّا ٱلْمُهْلِكُونَ إِذَا ٱبْتُلِينَا
وَأَنَّا ٱلْمَانِعُونَ لِمَا أَرَدْنَا   وَأَنَّا ٱلنَّازِلُونَ بِحَيْثُ شِينَا
وَأَنَّا ٱلتَّارِكُونَ إِذَا سَخِطْنَا   وَأَنَّا ٱلْآخِذُونَ إِذَا رَضِينَا
وَأَنَّا ٱلْعَاصِمُونَ إِذَا أُطِعْنَا   وَأَنَّا ٱلْعَازِمُونَ إِذَا عُصِينَا
وَنَشْرَبُ إِنْ وَرَدْنَا ٱلْمَاءَ صَفْوًا   وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدِرًا وَطِينَا
أَلَا أَبْلِغْ بَنِي ٱلطَّمَّاحِ عَنَّا   وَدُعْمِيًّا فَكَيْفَ وَجَدْتُمُونَا
إِذَا مَا ٱلْمَلْكُ سَامَ ٱلنَّاسَ خَسْفًا   أَبَيْنَا أَنْ نُقِرَّ ٱلْخَسْفَ فِينَا
مَلَأْنَا ٱلْبَرَّ حَتَّى ضَاقَ عَنَّا   وَظَهْرَ ٱلْبَحْرِ نَمْلَؤُهُ سَفِينَا
لَنَا ٱلدُّنْيَا وَمَنْ أَضْحَى عَلَيْهَا   وَنَبْطِشُ حِينَ نَبْطِشُ قَادِرِينَا

إذا بلغ الفطام لنا صبيٌّ   تخرّ له الجبابر ساجدينا

٩١ نخبة من معلقة الحارث بن حلزة اليشكري

وأتانا من الحوادث والأنـ   ـباء خطبٌ نُعنى به ونُساء

أنّ إخواننا الأراقم يغلو   ن علينا في قيلهم إحفاء

يخلطون البريء منا بذي الذ   نب ولا ينفع الخليَّ الخلاء

زعموا أنّ كل من ضرب العيـ   ـر موالٍ لنا وأنّا الولاء

أجمعوا أمرهم عشاءً فلما   أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء

من منادٍ ومن مجيبٍ ومن تصـ   ـهال خيلٍ خلال ذاك رغاء

أيها الناطق المرقّش عنّا   عند عمرٍو وهل لذاك بقاء

لا تخلنا على غراتك إنّا   قبلما قد وشى بنا الأعداء

فبقينا على الشناءة تنميـ   ـنا حصونٌ وعزةٌ قعساء

قبل ما اليوم بيّضت بعيون النـ   ـاس فيها تغيّظٌ وإباء

فكأنّ المنون تردي بنا أر   عن جونًا ينجاب عنه العماء

مكفهرًّا على الحوادث لا تر   توه للدهر مؤيدٌ صمّاء

إرميٌّ بمثله جالت الخيـ   ـل وتأبى لخصمها الإجلاء

ملكٌ مقسطٌ وأفضل من يمـ   ـشي ومن دون ما لديه الثناء

أيما خطةٍ أردتم فأدّو   ها إلينا تمشي بها الأملاء

إن نبشتم ما بين ملحة فالصا   قب فيها الأموات والأحياء

أو نقشتم فالنقش يجشمه النا   س وفيه الإسقام والإبراء

أَوْ سَكَتُّمْ عَنَّا فَكُنَّا كَمَنْ أَغْـ مَضَ عَيْناً فِي جَفْنِهَا الأَقْذَاءُ
أَوْ مَنَعْتُمْ مَا تُسْأَلُونَ فَمَنْ حُدِّ ثْتُمُوهُ لَهُ عَلَيْنَا العَلاَءُ
هَلْ عَلِمْتُمْ أَيَّامَ يُنْتَهَبُ النَّا سُ غِوَاراً لِكُلِّ حَيٍّ عُوَاءُ
إِذْ رَفَعْنَا الجِمَالَ مِنْ سَعَفِ البَحْـ رَيْنِ سَيْراً حَتَّى نَهَاهَا الحِسَاءُ
ثُمَّ مِلْنَا عَلَى تَمِيمٍ فَأَحْرَمْـ نَا وَفِينَا بَنَاتُ قَوْمٍ إِمَاءُ
لاَ يُقِيمُ العَزِيزُ بِالبَلَدِ السَّهْـ لِ وَلاَ يَنْفَعُ الذَّلِيلَ النَّجَاءُ
لَيْسَ يُنْجِي الَّذِي يُوَائِلُ مِنَّا رَأْسُ طَوْدٍ وَحَرَّةٌ رَجْلاَءُ
مَلِكٌ أَضْرَعَ البَرِيَّةَ لاَ يُو جَدُ فِيهَا لِمَا لَدَيْهِ كِفَاءُ
كَتَكَالِيفِ قَوْمِنَا إِذْ غَزَا المُنْـ ذِرُ هَلْ نَحْنُ لاِبْنِ هِنْدٍ رِعَاءُ
مَا أَصَابُوا مِنْ تَغْلِبِيٍّ فَمَطْلُو لٌ عَلَيْهِ إِذَا أُصِيبَ العَفَاءُ
أَيُّهَا النَّاطِقُ المُبَلِّغُ عَنَّا عِنْدَ عَمْرٍو وَهَلْ لِذَاكَ انْتِهَاءُ
مَنْ لَنَا عِنْدَهُ مِنَ الخَيْرِ آيَا تٌ ثَلاَثٌ فِي كُلِّهِنَّ القَضَاءُ
آيَةٌ شَارِقُ الشَّقِيقَةِ إِذْ جَا ءَتْ مَعَدٌّ لِكُلِّ حَيٍّ لِوَاءُ
حَوْلَ قَيْسٍ مُسْتَلْئِمِينَ بِكَبْشٍ قَرَظِيٍّ كَأَنَّهُ عَبْلاَءُ
وَصَتِيتٍ مِنَ العَوَاتِكِ لاَ تَنْـ هَاهُ إِلاَّ مُبْيَضَّةٌ رَعْلاَءُ
فَرَدَدْنَاهُمُ بِطَعْنٍ كَمَا يَخْـ رُجُ مِنْ خُرْبَةِ المَزَادِ المَاءُ
وَحَمَلْنَاهُمُ عَلَى حَزْمِ ثَهْلاَ نَ شِلاَلاً وَدُمِّيَ الأَنْسَاءُ
وَجَبَهْنَاهُمُ بِطَعْنٍ كَمَا تُنْـ هَزُ فِي جَمَّةِ الطَّوِيِّ الدِّلاَءُ
وَفَعَلْنَا بِهِمْ كَمَا عَلِمَ اللَّـ هُ وَمَا إِنْ لِلْحَائِنِينَ دِمَاءُ

ثُمَّ حُجْرًا أَعْنِي ٱبْنَ أُمِّ قَطَامٍ وَلَهُ فَارِسِيَّةٌ خَضْرَاءُ
أَسَدٌ فِي ٱللِّقَاءِ وَرْدٌ هَمُوسٌ وَرَبِيعٌ إِنْ شَمَّرَتْ غَبْرَاءُ
وَفَكَكْنَا غُلَّ ٱمْرِئِ ٱلْقَيْسِ عَنْهُ بَعْدَ مَا طَالَ حَبْسُهُ وَٱلْعَنَاءُ
وَمَعَ ٱلْجَوْنِ جَوْنِ آلِ بَنِي ٱلْأَوْ سِ عَنُودٌ كَأَنَّهَا دَفْوَاءُ
مَا جَزِعْنَا تَحْتَ ٱلْعَجَاجَةِ إِذْ وَلَّـوْا شِلَالًا وَإِذْ تَلَظَّى ٱلصِّلَاءُ
وَأَقَدْنَاهُ رَبَّ غَسَّانَ بِٱلْمُنْـ ذِرِ كَرْهًا إِذْ لَا تُكَالُ ٱلدِّمَاءُ
وَأَتَيْنَاهُمْ بِتِسْعَةِ أَمْلَا كٍ كِرَامٍ أَسْلَابُهُمْ أَغْلَاءُ
وَوَلَدْنَا عَمْرَو بْنَ أُمِّ إِيَاسٍ مِنْ قَرِيبٍ لَمَّا أَتَانَا ٱلْحِبَاءُ
مِثْلُهَا تُخْرِجُ ٱلنَّصِيحَةَ لِلْقَوْ مِ فَلَاةٌ مِنْ دُونِهَا أَفْلَاءُ
فَٱتْرُكُوا ٱلطَّيْخَ وَٱلتَّعَدِّي وَإِمَّا تَتَعَاشَوْا فَفِي ٱلتَّعَاشِي ٱلدَّاءُ
وَٱذْكُرُوا حِلْفَ ذِي ٱلْمَجَازِ وَمَا قُدِّمَ فِيهِ ٱلْعُهُودُ وَٱلْكُفَلَاءُ
حَذَرَ ٱلْجَوْرِ وَٱلتَّعَدِّي وَهَلْ يَنْـ قُضُ مَا فِي ٱلْمَهَارِقِ ٱلْأَهْوَاءُ
وَٱعْلَمُوا أَنَّنَا وَإِيَّاكُمُ فِيـ مَا ٱشْتَرَطْنَا يَوْمَ ٱخْتَلَفْنَا سَوَاءُ
عَنَنًا بَاطِلًا وَظُلْمًا كَمَا تُعْـ تَرُ عَنْ حُجْرَةِ ٱلرَّبِيضِ ٱلظِّبَاءُ
أَعَلَيْنَا جُنَاحُ كِنْدَةَ أَنْ يَغْـ نَمَ غَازِيهِمُ وَمِنَّا ٱلْجَزَاءُ
أَمْ عَلَيْنَا جَرَّى إِيَادٍ كَمَا نِيـ طَ بِجَوْنِ ٱلْمُحَمَّلِ ٱلْأَعْبَاءُ
لَيْسَ مِنَّا ٱلْمُضَرَّبُونَ وَلَا قَيْـ سٌ وَلَا جَنْدَلٌ وَلَا ٱلْحَذَّاءُ
أَمْ جَنَايَا بَنِي عَتِيقٍ فَإِنَّا مِنْهُمُ إِنْ غَدَرْتُمُ لَبُرَاءُ
وَثَمَانُونَ مِنْ تَمِيمٍ بِأَيْدِيـ هِمْ رِمَاحٌ صُدُورُهُنَّ ٱلْقَضَاءُ

تَرَكُوهُمْ مُلَحَّبِينَ وَآبُوا   بِنِهَابٍ يُصَمُّ مِنْهَا الْحُدَاءُ
أَمْ عَلَيْنَا جَرَّى حَنِيفَةَ أَمْ مَا   جَمَّعَتْ مِنْ مُحَارِبٍ غَبْرَاءُ
أَمْ عَلَيْنَا جَرَّى قُضَاعَةَ أَمْ لَيْـ   ـسَ عَلَيْنَا فِيمَا جَنَوْا أَنْدَاءُ
ثُمَّ جَاءُوا يَسْتَرْجِعُونَ فَلَمْ تَرْ   جِعْ لَهُمْ شَامَةٌ وَلَا زَهْرَاءُ
لَمْ يُحِلُّوا بَنِي رِزَاحٍ بِبَرْقَا   ءِ نِطَاعٍ لَهُمْ عَلَيْهِمْ دُعَاءُ
ثُمَّ فَاءُوا مِنْهُمْ بِقَاصِمَةِ الظَّهْـ   ـرِ وَلَا يَبْرُدُ الْغَلِيلَ الْمَاءُ
ثُمَّ خَيْلٌ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ مَعَ الْغَلَّا   قِ لَا رَأْفَةٌ وَلَا إِبْقَاءُ
وَهُوَ الرَّبُّ وَالشَّهِيدُ عَلَى يَوْ   مِ الْحِيَارَيْنِ وَالْبَلَاءُ بَلَاءُ

٩٢ نخبة من معلّقة عنترة بن شدّاد العبسي

هَلَّا سَأَلْتِ الْخَيْلَ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ   إِنْ كُنْتِ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي
إِذْ لَا أَزَالُ عَلَى رِحَالَةِ سَابِحٍ   نَهْدٍ تَعَاوَرُهُ الْكُمَاةُ مُكَلَّمِ
طَوْرًا يُجَرَّدُ لِلطِّعَانِ وَتَارَةً   يَأْوِي إِلَى حَصِدِ الْقِسِيِّ عَرَمْرَمِ
يُخْبِرْكِ مَنْ شَهِدَ الْوَقِيعَةَ أَنَّنِي   أَغْشَى الْوَغَى وَأَعِفُّ عِنْدَ الْمَغْنَمِ
وَمُدَجَّجٍ كَرِهَ الْكُمَاةُ نِزَالَهُ   لَا مُمْعِنٍ هَرَبًا وَلَا مُسْتَسْلِمِ
جَادَتْ يَدَايَ لَهُ بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ   بِمُثَقَّفٍ صَدْقِ الْكُعُوبِ مُقَوَّمِ
فَشَكَكْتُ بِالرُّمْحِ الْأَصَمِّ ثِيَابَهُ   لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا بِمُحَرَّمِ
فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السِّبَاعِ يَنُشْنَهُ   يَقْضِمْنَ حُسْنَ بَنَانِهِ وَالْمِعْصَمِ
وَمِشَكِّ سَابِغَةٍ هَتَكْتُ فُرُوجَهَا   بِالسَّيْفِ عَنْ حَامِي الْحَقِيقَةِ مُعْلِمِ
رَبِذٍ يَدَاهُ بِالْقِدَاحِ إِذَا شَتَا   هَتَّاكِ غَايَاتِ التِّجَارِ مُلَوَّمِ

لَمَّا رَآنِي قَدْ نَزَلْتُ أُرِيدُهُ ... أَبْدَى نَوَاجِذَهُ بِغَيْرِ تَبَسُّمِ
عَهْدِي بِهِ مَدَّ ٱلنَّهَارِ كَأَنَّمَا ... خُضِبَ ٱلْبَنَانُ وَرَأْسُهُ بِٱلْعِظْلِمِ
فَطَعَنْتُهُ بِٱلرُّمْحِ ثُمَّ عَلَوْتُهُ ... بِمُهَنَّدٍ صَافِي ٱلْحَدِيدَةِ مِخْذَمِ
بَطَلٍ كَأَنَّ ثِيَابَهُ فِي سَرْحَةٍ ... يُحْذَى نِعَالَ ٱلسِّبْتِ لَيْسَ بِتَوْأَمِ
نُبِّئْتُ عَمْرًا غَيْرَ شَاكِرِ نِعْمَتِي ... وَٱلْكُفْرُ مَخْبَثَةٌ لِنَفْسِ ٱلْمُنْعِمِ
وَلَقَدْ حَفِظْتُ وَصَاةَ عَمِّي بِٱلضُّحَى ... إِذْ تَقْلِصُ ٱلشَّفَتَانِ عَنْ وَضَحِ ٱلْفَمِ
فِي حَوْمَةِ ٱلْحَرْبِ ٱلَّتِي لَا تَشْتَكِي ... غَمَرَاتِهَا ٱلْأَبْطَالُ غَيْرَ تَغَمْغُمِ
إِذْ يَتَّقُونَ بِيَ ٱلْأَسِنَّةَ لَمْ أَخِمْ ... عَنْهَا وَلٰكِنِّي تَضَايَقَ مُقْدَمِي
لَمَّا رَأَيْتُ ٱلْقَوْمَ أَقْبَلَ جَمْعُهُمْ ... يَتَذَامَرُونَ كَرَرْتُ غَيْرَ مُذَمَّمِ
يَدْعُونَ عَنْتَرَ وَٱلرِّمَاحُ كَأَنَّهَا ... أَشْطَانُ بِئْرٍ فِي لَبَانِ ٱلْأَدْهَمِ
مَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ بِثُغْرَةِ نَحْرِهِ ... وَلَبَانِهِ حَتَّى تَسَرْبَلَ بِٱلدَّمِ
فَٱزْوَرَّ مِنْ وَقْعِ ٱلْقَنَا بِلَبَانِهِ ... وَشَكَا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحَمْحُمِ
لَوْ كَانَ يَدْرِي مَا ٱلْمُحَاوَرَةُ ٱشْتَكَى ... وَلَكَانَ لَوْ عَلِمَ ٱلْكَلَامَ مُكَلِّمِي
وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي وَأَبْرَأَ سُقْمَهَا ... قِيلُ ٱلْفَوَارِسِ وَيْكَ عَنْتَرَ أَقْدِمِ
وَٱلْخَيْلُ تَقْتَحِمُ ٱلْخَبَارَ عَوَابِسًا ... مِنْ بَيْنِ شَيْظَمَةٍ وَأَجْرَدَ شَيْظَمِ
ذُلُلٌ رِكَابِي حَيْثُ شِئْتُ مُشَايِعِي ... لُبِّي وَأَحْفِزُهُ بِأَمْرٍ مُبْرَمِ
وَلَقَدْ خَشِيتُ بِأَنْ أَمُوتَ وَلَمْ تَكُنْ ... لِلْحَرْبِ دَائِرَةٌ عَلَى ٱبْنَيْ ضَمْضَمِ
أَلشَّاتِمَيْ عِرْضِي وَلَمْ أَشْتِمْهُمَا ... وَٱلنَّاذِرَيْنِ إِذَا لَمْ أَلْقَهُمَا دَمِي
إِنْ يَفْعَلَا فَلَقَدْ تَرَكْتُ أَبَاهُمَا ... جَزَرَ ٱلسِّبَاعِ وَكُلِّ نَسْرٍ قَشْعَمِ

٩٣ لامية العرب

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيِّكُمْ   فَإِنِّي إِلَى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لَأَمْيَلُ
فَقَدْ حُمَّتِ الْحَاجَاتُ وَاللَّيْلُ مُقْمِرٌ   وَشُدَّتْ لِطِيَّاتٍ مَطَايَا وَأَرْحُلُ
وَفِي الْأَرْضِ مَنْأًى لِلْكَرِيمِ عَنِ الْأَذَى   وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ الْقِلَى مُتَعَزَّلُ
لَعَمْرُكَ مَا بِالْأَرْضِ ضِيقٌ عَلَى امْرِئٍ   سَرَى رَاغِبًا أَوْ رَاهِبًا وَهْوَ يَعْقِلُ
وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُونَ سِيدٌ عَمَلَّسٌ   وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جَيْأَلُ
هُمُ الْأَهْلُ لَا مُسْتَوْدَعُ السِّرِّ ذَائِعٌ   لَدَيْهِمْ وَلَا الْجَانِي بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ
وَكُلٌّ أَبِيٌّ بَاسِلٌ غَيْرَ أَنَّنِي   إِذَا عَرَضَتْ أُولَى الطَّرَائِدِ أَبْسَلُ
وَإِنْ مُدَّتِ الْأَيْدِي إِلَى الزَّادِ لَمْ أَكُنْ   بِأَعْجَلِهِمْ إِذْ أَجْشَعُ الْقَوْمِ أَعْجَلُ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا بَسْطَةٌ عَنْ تَفَضُّلٍ   عَلَيْهِمْ وَكَانَ الْأَفْضَلَ الْمُتَفَضِّلُ
وَإِنِّي كَفَانِي فَقْدَ مَنْ لَيْسَ جَازِيًا   بِحُسْنَى وَلَا فِي قُرْبِهِ مُتَعَلَّلُ
ثَلَاثَةُ أَصْحَابٍ فُؤَادٌ مُشَيَّعٌ   وَأَبْيَضُ إِصْلِيتٌ وَصَفْرَاءُ عَيْطَلُ
هَتُوفٌ مِنَ الْمُلْسِ الْمُتُونِ يَزِينُهَا   رَصَائِعُ قَدْ نِيطَتْ إِلَيْهَا وَمِحْمَلُ
إِذَا زَلَّ عَنْهَا السَّهْمُ حَنَّتْ كَأَنَّهَا   مُرَزَّأَةٌ عَجْلَى تُرِنُّ وَتُعْوِلُ
وَلَسْتُ بِمِهْيَافٍ يُعَشِّي سَوَامَهُ   مُجَدَّعَةً سُقْبَانُهَا وَهْيَ بُهَّلُ
وَلَا جُبَّإٍ أَكْهَى مُرِبٍّ بِعِرْسِهِ   يُطَالِعُهَا فِي شَأْنِهِ كَيْفَ يَفْعَلُ
وَلَا خَرِقٍ هَيْقٍ كَأَنَّ فُؤَادَهُ   يَظَلُّ بِهِ الْمُكَّاءُ يَعْلُو وَيَسْفُلُ
وَلَا خَالِفٍ دَارِيَّةٍ مُتَغَزِّلٍ   يَرُوحُ وَيَغْدُو دَاهِنًا يَتَكَحَّلُ
وَلَسْتُ بِعَلٍّ شَرُّهُ دُونَ خَيْرِهِ   أَلَفَّ إِذَا مَا رُعْتَهُ اهْتَاجَ أَعْزَلُ

ولستُ بمحيارِ الظلامِ إذا انتحت   هُدى الهوجلِ العسيفِ يهماءُ هوجلُ
إذا الأمعزُ الصوّانُ لاقى مناسمي   تطايرَ منه قادحٌ ومفلَّلُ
أُديمُ مطالَ الجوعِ حتى أُميتَه   وأضربُ عنه الذكرَ صفحاً فأذهلُ
وأستفُّ تُربَ الأرضِ كيلا يرى له   عليَّ من الطَّولِ امرؤٌ متطوِّلُ
ولولا اجتنابُ الذأمِ لم يُلفَ مشربٌ   يُعاشُ به إلّا لديَّ ومأكلُ
ولكنَّ نفساً مُرّةً لا تقيمُ بي   على الضيمِ إلّا ريثما أتحوّلُ
وأطوي على الخمصِ الحوايا كما انطوت   خيوطةُ ماريٍّ تُغارُ وتُفتلُ
وأغدو على القوتِ الزهيدِ كما غدا   أزلُّ تهاداه التنائفُ أطحلُ
غدا طاوياً يعارضُ الريحَ هافياً   يخوتُ بأذنابِ الشعابِ ويعسلُ
فلمّا لواه القوتُ من حيثُ أمَّه   دعا فأجابته نظائرُ نُحَّلُ
مهلهلةٌ شيبُ الوجوهِ كأنّها   قداحٌ بكفَّي ياسرٍ تتقلقلُ
أو الخشرمُ المبعوثُ حثحثَ دبرَه   محابيضُ أرداهنَّ سامٍ معسِّلُ
مهرّتةٌ فوهٌ كأنَّ شدوقَها   شقوقُ العصيِّ كالحاتٌ وبُسَّلُ
فضجَّ وضجَّت بالبَراحِ كأنّها   وإيّاه نوحٌ فوقَ علياءَ ثُكَّلُ
وأغضى وأغضت واتّسى واتّست به   مراميلُ عزّاها وعزّته مُرملُ
شكا وشكت ثمَّ ارعوى بعدُ وارعوت   وللصبرُ إن لم ينفعِ الشكوُ أجملُ
وفاءَ وفاءت بادراتٍ وكلُّها   على نكظٍ ممّا يكاتمُ مُجملُ
وتشربُ أسآري القطا الكُدرُ بعدما   سرت قرباً أحناؤها تتصلصلُ
هممتُ وهمَّت وابتدرنا وأسدلت   وشمّرَ منّي فارطٌ متمهّلُ

فولّيت عنها وهي تكبو لعقره
يباشره منها ذقون وحوصل

كأنّ وغاها حجرتيه وحوله
أضاميم من سفر القبائل نزّل

توافين من شتّى إليه فضمّها
كما ضمّ أذواد الأصاريم منهل

فعبّت غشاشاً ثمّ مرّت كأنّها
مع الصبح ركبٌ من أحاظة مجفل

وآلف وجه الأرض عند افتراشها
بأهدأ تنبيه سناسن قحّل

وأعدل منحوضاً كأنّ فصوصه
كعابٌ دحاها لاعبٌ فهي مثّل

فإن تبتئس بالشنفرى أمّ قسطل
لما اغتبطت بالشنفرى قبل أطول

طريد جنايات تياسرن لحمه
عقيرته لأيّها حمّ أوّل

تنام إذا ما نام يقظى عيونها
حثاثاً إلى مكروهه تتغلغل

وإلف هموم ما تزال تعوده
عياداً كحمّى الربع أو هي أثقل

إذا وردت أصدرتها ثمّ إنّها
تثوب فتأتي من تحيت ومن عل

فإمّا تريني كابنة الرمل ضاحياً
على رقّة أحفى ولا أتنعّل

فإنّي لمولى الصبر أجتاب بزّه
على مثل قلب السمع والحزم أنعل

وأعدم أحياناً وأغنى وإنّما
ينال الغنى ذو البعدة المتبذّل

فلا جزع من خلّة متكشّف
ولا مرح تحت الغنى أتخيّل

ولا تزدهي الأجهال حلمي ولا أرى
سؤولاً بأعقاب الأقاويل أنمل

وليلة نحس يصطلي القوس ربّها
وأقطعه اللاتي بها يتنبّل

دعست على غطش وبغش وصحبتي
سعار وإرزيز ووجر وأفكل

فأيّمت نسواناً وأيتمت إلدة
وعدت كما أبدأت والليل أليل

وَأَصْبَحَ عَنِّي بِالْغُمَيْصَاءِ جَالِسًا   فَرِيقَانِ مَسْؤُولٌ وَآخَرُ يَسْأَلُ
فَقَالُوا لَقَدْ هَرَّتْ بِلَيْلٍ كِلَابُنَا   فَقُلْنَا أَذِئْبٌ عَسَّ أَمْ عَسَّ فُرْعُلُ
فَلَمْ تَكُ إِلَّا نَبْأَةٌ ثُمَّ هَوَّمَتْ   فَقُلْنَا قَطَاةٌ رِيعَ أَمْ رِيعَ أَجْدَلُ
فَإِنْ يَكُ مِنْ جِنٍّ لَأَبْرَحَ طَارِقًا   وَإِنْ يَكُ إِنْسًا مَا كَهَا الْإِنْسُ تَفْعَلُ
وَيَوْمٍ مِنَ الشِّعْرَى يَذُوبُ لُعَابُهُ   أَفَاعِيهِ فِي رَمْضَائِهِ تَتَمَلْمَلُ
نَصَبْتُ لَهُ وَجْهِي وَلَا كِنَّ دُونَهُ   وَلَا سِتْرَ إِلَّا الْأَتْحَمِيُّ الْمُرَعْبَلُ
وَضَافٍ إِذَا هَبَّتْ لَهُ الرِّيحُ طَيَّرَتْ   لَبَائِدَ عَنْ أَعْطَافِهِ مَا تُرَجَّلُ
وَخَرْقٍ كَظَهْرِ التُّرْسِ قَفْرٍ قَطَعْتُهُ   بِعَامِلَتَيْنِ ظَهْرُهُ لَيْسَ يُعْمَلُ
وَأَلْحَقْتُ أُولَاهُ بِأُخْرَاهُ مُوفِيًا   عَلَى قُنَّةٍ أُقْعِي مِرَارًا وَأَمْثُلُ
تَرُودُ الْأَرَاوِي الضُّخْمُ حَوْلِي كَأَنَّهَا   عَذَارَى عَلَيْهِنَّ الْمُلَاءُ الْمُذَيَّلُ
وَيَرْكُدْنَ بِالْآصَالِ حَوْلِي كَأَنَّنِي   مِنَ الْعُصْمِ أَذْفَى يَنْتَحِي الْكِيحَ أَعْقَلُ

٩٤ نخبة من لامية العجم للطغرائي (*)

أَصَالَةُ الرَّأْيِ صَانَتْنِي عَنِ الْخَطَلِ   وَحِلْيَةُ الْفَضْلِ زَانَتْنِي لَدَى الْعَطَلِ
مَجْدِي أَخِيرًا وَمَجْدِي أَوَّلًا شَرَعٌ   وَالشَّمْسُ رَأْدَ الضُّحَى كَالشَّمْسِ فِي الطَّفَلِ
فِيمَ الْإِقَامَةُ بِالزَّوْرَاءِ لَا سَكَنِي   بِهَا وَلَا نَاقَتِي فِيهَا وَلَا جَمَلِي
نَاءٍ عَنِ الْأَهْلِ صِفْرُ الْكَفِّ مُنْفَرِدٌ   كَالسَّيْفِ عُرِّيَ مَتْنَاهُ مِنَ الْخِلَلِ
فَلَا صَدِيقٌ إِلَيْهِ مُشْتَكَى حَزَنِي   وَلَا أَنِيسٌ إِلَيْهِ مُنْتَهَى جَذَلِي
طَالَ اغْتِرَابِي حَتَّى حَنَّ رَاحِلَتِي   وَرَحْلُهَا وَقَرَى الْعَسَّالَةِ الذُّبُلِ

(*) انما اثبتناها في باب الشعر القديم وهي ليست منه ايثارًا لذكرها مع لامية العرب

وضجّ من لغب نضوي وعجّ لما ... يلقى ركابي ولجّ الركب في عذلي
أريد بسطة كفٍّ أستعين بها ... على قضاء حقوقٍ للعلى قبلي
والدهر يعكس آمالي ويقنعني ... من الغنيمة بعد الكدّ بالقفل
حبّ السلامة يثني همّ صاحبه ... عن المعالي ويغري المرء بالكسل
فإن جنحت إليه فاتخذ نفقاً ... في الأرض أو سلّماً في الجوّ فاعتزل
ودع غمار العلى للمقدمين على ... ركوبها واقتنع منهنّ بالبلل
يرضى الذليل بخفض العيش يخفضه ... والعزّ بين رسيم الأينق الذلل
فادرأ بها في نحور البيد حافلة ... معارضاتٍ مثاني اللجم بالجدل
إنّ العلى حدّثتني وهي صادقة ... فيما تحدّث أنّ العزّ في النقل
لو أنّ في شرف المأوى بلوغ منى ... لم تبرح الشمس يوماً دارة الحمل
أهبت بالحظّ لو ناديت مستمعاً ... والحظّ عنّي بالجهّال في شغل
لعلّه إن بدا فضلي ونقصهم ... لعينه نام عنهم أو تنبّه لي
أعلّل النفس بالآمال أرقبها ... ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل
لم أرتض العيش والأيّام مقبلة ... فكيف أرضى وقد ولّت على عجل
غالى بنفسي عرفاني بقيمتها ... فصنتها عن رخيص القدر مبتذل
وعادة النصل أن يزهو بجوهره ... وليس يعمل إلّا في يدي بطل
ما كنت أوثر أن يمتدّ بي زمني ... حتّى أرى دولة الأوغاد والسفل
تقدّمتني أناس كان شوطهم ... وراء خطوي إذا أمشي على مهل
هذا جزاء امرئ أقرانه درجوا ... من قبله فتمنّى فسحة الأجل

وَإِنْ عَلَانِي مَنْ دُونِي فَلَا عَجَبٌ — لِي أُسْوَةٌ بِانْحِطَاطِ ٱلشَّمْسِ عَنْ زُحَلِ
فَاصْبِرْ لَهَا غَيْرَ مُحْتَالٍ وَلَا ضَجِرٍ — فِي حَادِثِ ٱلدَّهْرِ مَا يُغْنِي عَنِ ٱلْحِيَلِ
أَعْدَى عَدُوِّكَ أَدْنَى مَنْ وَثِقْتَ بِهِ — فَحَاذِرِ ٱلنَّاسَ وَٱصْحَبْهُمْ عَلَى دَخَلِ
وَإِنَّمَا رَجُلُ ٱلدُّنْيَا وَوَاحِدُهَا — مَنْ لَا يُعَوِّلُ فِي ٱلدُّنْيَا عَلَى رَجُلِ
غَاضَ ٱلْوَفَاءُ وَفَاضَ ٱلْغَدْرُ وَٱنْفَرَجَتْ — مَسَافَةُ ٱلْخُلْفِ بَيْنَ ٱلْقَوْلِ وَٱلْعَمَلِ
وَحُسْنُ ظَنِّكَ بِٱلْأَيَّامِ مَعْجَزَةٌ — فَظُنَّ شَرًّا وَكُنْ مِنْهَا عَلَى وَجَلِ
وَشَانَ صِدْقَكَ عِنْدَ ٱلنَّاسِ كِذْبُهُمُ — وَهَلْ يُطَابَقُ مُعْوَجٌّ بِمُعْتَدِلِ
إِنْ كَانَ يَنْجَعُ شَيْءٌ فِي ثَبَاتِهِمِ — عَلَى ٱلْعُهُودِ فَسَبْقُ ٱلسَّيْفِ لِلْعَذَلِ
يَا وَارِدًا سُؤْرَ عَيْشٍ كُلُّهُ كَدَرٌ — أَنْفَقْتَ عُمْرَكَ فِي أَيَّامِكَ ٱلْأُوَلِ
فِيمَ ٱعْتِرَاضُكَ لُجَّ ٱلْبَحْرِ تَرْكَبُهُ — وَأَنْتَ يَكْفِيكَ مِنْهُ مَصَّةُ ٱلْوَشَلِ
مُلْكُ ٱلْقَنَاعَةِ لَا يُخْشَى عَلَيْهِ وَلَا — تَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى ٱلْأَنْصَارِ وَٱلْخَوَلِ
تَرْجُو ٱلْبَقَاءَ بِدَارٍ لَا ثَبَاتَ لَهَا — فَهَلْ سَمِعْتَ بِظِلٍّ غَيْرِ مُنْتَقِلِ
وَيَا خَبِيرًا عَلَى ٱلْأَسْرَارِ مُطَّلِعًا — أَنْصِتْ فَفِي ٱلصَّمْتِ مَنْجَاةٌ مِنَ ٱلزَّلَلِ
قَدْ رَشَّحُوكَ لِأَمْرٍ إِنْ فَطِنْتَ لَهُ — فَارْبَأْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَرْعَى مَعَ ٱلْهَمَلِ

٩٥ قصيدة النابغة يعتذر بها الى النعمان وكان قد جفاه

يَا دَارَ مَيَّةَ فِي ٱلْعَلْيَاءِ فَٱلسَّنَدِ — أَقْوَتْ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ ٱلْأَبَدِ
وَقَفْتُ فِيهَا أُصَيْلَانًا أُسَائِلُهَا — عَيَّتْ جَوَابًا وَمَا بِٱلرَّبْعِ مِنْ أَحَدِ
إِلَّا أَوَارِيَّ لَأْيًا مَا أُبَيِّنُهَا — وَٱلنُّؤْيَ كَٱلْحَوْضِ بِٱلْمَظْلُومَةِ ٱلْجَلَدِ
رَدَّتْ عَلَيْهِ أَقَاصِيهِ وَلَبَّدَهُ — ضَرْبُ ٱلْوَلِيدَةِ بِٱلْمِسْحَاةِ فِي ٱلثَّأَدِ

خَلَّتْ سَبِيلَ أَتِيٍّ كَانَ يَحْبِسُهُ وَرَفَّعَتْهُ إِلَى السَّجْفَيْنِ فَالنَّضَدِ
أَضْحَتْ خَلَاءً وَأَضْحَى أَهْلُهَا احْتَمَلُوا أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبَدِ
فَعَدِّ عَمَّا مَضَى إِذْ لَا ارْتِجَاعَ لَهُ وَانْمِ الْقُتُودَ عَلَى عَيْرَانَةٍ أُجُدِ
مَقْذُوفَةٍ بِدَخِيسِ النَّحْضِ بَازِلُهَا لَهُ صَرِيفٌ صَرِيفَ الْقَعْوِ بِالْمَسَدِ
كَأَنَّ رَحْلِي وَقَدْ زَالَ النَّهَارُ بِنَا بِذِي الْجَلِيلِ عَلَى مُسْتَأْنِسٍ وَحَدِ
مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مَوْشِيٍّ أَكَارِعُهُ طَاوِي الْمَصِيرِ كَسَيْفِ الصَّيْقَلِ الْفَرَدِ
سَرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْجَوْزَاءِ سَارِيَةٌ تُزْجِي الشَّمَالُ عَلَيْهِ جَامِدَ الْبَرَدِ
فَارْتَاعَ مِنْ صَوْتِ كَلَّابٍ فَبَاتَ لَهُ طَوْعَ الشَّوَامِتِ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ صَرَدِ
فَبَثَّهُنَّ عَلَيْهِ وَاسْتَمَرَّ بِهِ صُمْعُ الْكُعُوبِ بَرِيئَاتٌ مِنَ الْحَرَدِ
فَهَابَ ضُمْرَانُ مِنْهُ حَيْثُ يُوزِعُهُ طَعْنَ الْمُعَارِكِ عِنْدَ الْمُحْجَرِ النَّجُدِ
شَكَّ الْفَرِيصَةَ بِالْمِدْرَى فَأَنْفَذَهَا شَكَّ الْمُبَيْطِرِ إِذْ يَشْفِي مِنَ الْعَضَدِ
كَأَنَّهُ خَارِجًا مِنْ جَنْبِ صَفْحَتِهِ سَفُّودُ شَرْبٍ نَسُوهُ عِنْدَ مُفْتَأَدِ
فَظَلَّ يَعْجُمُ أَعْلَى الرَّوْقِ مُنْقَبِضًا فِي حَالِكِ اللَّوْنِ صَدْقٍ غَيْرِ ذِي أَوَدِ
لَمَّا رَأَى وَاشِقٌ إِقْعَاصَ صَاحِبِهِ وَلَا سَبِيلَ إِلَى عَقْلٍ وَلَا قَوَدِ
قَالَتْ لَهُ النَّفْسُ إِنِّي لَا أَرَى طَمَعًا وَإِنَّ مَوْلَاكَ لَمْ يَسْلَمْ وَلَمْ يَصِدِ
فَتِلْكَ تُبْلِغُنِي النُّعْمَانَ إِنَّ لَهُ فَضْلًا عَلَى النَّاسِ فِي الْأَدْنَى وَفِي الْبَعَدِ
وَلَا أَرَى فَاعِلًا فِي النَّاسِ يُشْبِهُهُ وَمَا أُحَاشِي مِنَ الْأَقْوَامِ مِنْ أَحَدِ
إِلَّا سُلَيْمَانَ إِذْ قَالَ الْإِلَهُ لَهُ قُمْ فِي الْبَرِيَّةِ فَاحْدُدْهَا عَنِ الْفَنَدِ
وَخَيِّسِ الْجِنَّ إِنِّي قَدْ أَذِنْتُ لَهُمْ يَبْنُونَ تَدْمُرَ بِالصُّفَّاحِ وَالْعَمَدِ

فَمَنْ أَطاعَ فَأَعقِبْهُ بِطاعَتِهِ كَما أَطاعَكَ وَادْلُلْهُ عَلى الرَّشَدِ
وَمَن عَصاكَ فَعاقِبْهُ مُعاقَبَةً تَنهى الظَّلُومَ وَلا تَقعُدْ عَلى ضَمَدِ
إِلَّا لِمِثلِكَ أَوْ مَنْ أَنتَ سابِقُهُ سَبْقَ الجَوادِ إِذا اسْتَوْلى عَلى الأَمَدِ
فَلا لَعَمْرُ الَّذي قَدْ زُرْتُهُ حِجَجاً وَما هُرِيقَ عَلى الأَنصابِ مِنْ جَسَدِ
ما إِنْ أَتَيتُ بِشَيْءٍ أَنتَ تَكرَهُهُ إِذاً فَلا رَفَعَتْ سَوْطي إِلَيَّ يَدي
إِذاً فَعاقَبَني رَبِّي مُعاقَبَةً قَرَّتْ بِها عَيْنُ مَنْ يَأْتِيكَ بِالحَسَدِ
هٰذا لِأَبْرَأَ مِنْ قَوْلٍ قُذِفْتُ بِهِ طارَتْ نَوافِذُهُ حَرّاً عَلى كَبِدي
مَهلاً فِداءٌ لَكَ الأَقوامُ كُلُّهُمُ وَما أُثَمِّرُ مِنْ مالٍ وَمِنْ وَلَدِ
لا تَقذِفَنِّي بِرُكْنٍ لا كِفاءَ لَهُ وَلَوْ تَأَثَّفَكَ الأَعداءُ بِالرِّفَدِ
فَما الفُراتُ إِذا جاشَتْ غَوارِبُهُ تَرْمي أَواذِيُّهُ العِبْرَيْنِ بِالزَّبَدِ
يَمُدُّهُ كُلُّ وادٍ مُزْبِدٍ لَجِبٍ فِيهِ حُطامٌ مِنَ اليَنْبُوتِ وَالخَضَدِ
يَظَلُّ مِنْ خَوْفِهِ المَلَّاحُ مُعتَصِماً بِالخَيْزُرانَةِ بَعدَ الأَيْنِ وَالنَّجَدِ
يَوْماً بِأَجْوَدَ مِنهُ سَيْبَ نافِلَةٍ وَلا يَحُولُ عَطاءُ اليَوْمِ دُونَ غَدِ
أُنبِئْتُ أَنَّ أَبا قابُوسَ أَوْعَدَني وَلا قَرارَ عَلى زَأْرٍ مِنَ الأَسَدِ
هٰذا الثَّناءُ فَإِنْ تَسْمَعْ لِقائِلِهِ فَما عَرَضْتُ أَبَيْتَ اللَّعْنَ بِالصَّفَدِ
ها إِنَّ تا عِذْرَةٌ إِنْ لَمْ تَكُنْ نَفَعَتْ فَإِنَّ صاحِبَها قَدْ تاهَ فِي البَلَدِ

٩٦ نخبة من قصيدة الاعشى ميمون بن قيس بن جندل

أَبلِغْ يَزِيدَ بَني شَيْبانَ مَأْلُكَةً أَبا ثُبَيْتٍ أَما تَنفَكُّ تَأْتَكِلُ
أَلَسْتَ مُنتَهِياً عَنْ نَحْتِ أَثْلَتِنا وَلَسْتَ ضائِرَها ما أَطَّتِ الإِبِلُ

تُغْرِي بِنَا رَهْطَ مَسْعُودٍ وَإِخْوَتَهُ يَوْمَ ٱللِّقَاءِ فَيُرْدِي ثُمَّ تَعْتَزِلُ
كَنَاطِحٍ صَخْرَةً يَوْمًا لِيَفْلِقَهَا فَلَمْ يَضِرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ ٱلْوَعِلُ
لَا أَعْرِفَنَّكَ إِنْ جَدَّتْ عَدَاوَتُنَا وَٱلْتُمِسَ ٱلنَّصْرُ مِنْكُمْ عَوْضُ تَحْتَمِلُ
تُلْحِمُ أَبْنَاءَ ذِي ٱلْجَدَّيْنِ إِنْ غَضِبُوا أَرْمَاحَنَا ثُمَّ تَلْقَاهُمْ وَتَعْتَزِلُ
لَا تَقْعُدَنَّ وَقَدْ أَكَّلْتَهَا حَطَبًا تَعُوذُ مِنْ شَرِّهَا يَوْمًا وَتَبْتَهِلُ
سَائِلْ بَنِي أَسَدٍ عَنَّا فَقَدْ عَلِمُوا أَنْ سَوْفَ يَأْتِيكَ مِنْ أَنْبَائِنَا شَكَلُ
وَٱسْأَلْ قُشَيْرًا وَعَبْدَ ٱللهِ كُلَّهُمُ وَٱسْأَلْ رَبِيعَةَ عَنَّا كَيْفَ نَفْتَعِلُ
إِنَّا نُقَاتِلُهُمْ حَتَّى نُقَتِّلَهُمْ عِنْدَ ٱللِّقَاءِ وَإِنْ جَارُوا وَإِنْ جَهِلُوا
قَدْ كَانَ فِي آلِ كَهْفٍ إِنْ هُمُ ٱحْتَرَبُوا وَٱلْجَاشِرِيَّةِ مَنْ يَسْعَى وَيَنْتَضِلُ
إِنِّي لَعَمْرُ ٱلَّذِي حَطَّتْ مَنَاسِمُهَا تَخْدِي وَسِيقَ إِلَيْهِ ٱلْبَاقِرُ ٱلْغُيُلُ
لَئِنْ قَتَلْتُمْ عَمِيدًا لَمْ يَكُنْ صَدَدًا لَنَقْتُلَنْ مِثْلَهُ مِنْكُمْ فَنَمْتَثِلُ
وَإِنْ مُنِيتَ بِنَا فِي ظِلِّ مَعْرَكَةٍ لَا تُلْفِنَا مِنْ دِمَاءِ ٱلْقَوْمِ نَنْتَفِلُ
لَا يَنْتَهُونَ وَلَنْ يَنْهَى ذَوِي شَطَطٍ كَٱلطَّعْنِ يَهْلِكُ فِيهِ ٱلزَّيْتُ وَٱلْفُتُلُ
حَتَّى يَظَلَّ عَمِيدُ ٱلْقَوْمِ مُرْتَفِقًا يَدْفَعُ بِٱلرَّاحِ عَنْهُ نِسْوَةٌ عُجُلُ
أَصَابَهُ هِنْدُوَانِيٌّ فَأَقْصَدَهُ أَوْ ذَابِلٌ مِنْ رِمَاحِ ٱلْخَطِّ مُعْتَدِلُ
كَلَّا زَعَمْتُمْ بِأَنَّا لَا نُقَاتِلُكُمْ إِنَّا لِأَمْثَالِكُمْ يَا قَوْمَنَا قُتُلُ
نَحْنُ ٱلْفَوَارِسُ يَوْمَ ٱلْحِنْوِ ضَاحِيَةً جَنْبَيْ فُطَيْمَةَ لَا مِيلٌ وَلَا عُزُلُ
قَالُوا ٱلطِّرَادَ فَقُلْنَا تِلْكَ عَادَتُنَا أَوْ تَنْزِلُونَ فَإِنَّا مَعْشَرٌ نُزُلُ
قَدْ نَخْضِبُ ٱلْعَيْرَ مِنْ مَكْنُونِ فَائِلِهِ وَقَدْ يَشِيطُ عَلَى أَرْمَاحِنَا ٱلْبَطَلُ

الباب الثامن
في المراثي

٩٧ رثاء أعرابية لابنها

أيا ولدي قد زاد قلبي تلهبا ... وقد حرقت مني الشؤون المدامع
وقد أضرمت نار المصيبة شعلة ... وقد حميت مني الحشا والأضالع
وأسأل عنك الركب هل يخبرونني ... بحالك كيما تستكن المضاجع
فلم يك فيهم مخبر عنك صادق ... ولا فيهم من قال إنك راجع
فيا ولدي مذ غبت كدرت عيشتي ... فقلبي مصدوع وطرفي دامع
وفكري مسقوم وعقلي ذاهب ... ودمعي مسفوح وداري بلاقع

٩٨ لكعب بن سعد الغنوي في أخيه أبي المغوار

تتابع أحداث تخرمن إخوتي ... فشيبن رأسي والخطوب تشيب
لعمري لئن كانت أصابت منية ... أخي والمنايا للرجال شعوب
لقد كان أما حلمه فمروح ... علي وأما جهله فعزيب
أخي ما أخي لا فاحش عند بيته ... ولا ورع عند اللقاء هيوب
أخ كان يكفيني وكان يعينني ... على النائبات السود حين تنوب
حليم إذا ما سورة الجهل أطلقت ... حبى الشيب للنفس اللجوج غلوب
هو العسل الماذي حلما وشيمة ... وليث إذا لاقى العداة قطوب
هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا ... وماذا يؤدي الليل حين يؤوب

هَوَتْ أُمُّهُ مَاذَا تَضَمَّنَ قَبْرُهُ ... مِنَ الْمَجْدِ وَالْمَعْرُوفِ حِينَ يَشِيبُ
أَخُو سَنَوَاتٍ يَعْلَمُ الضَّيْفُ أَنَّهُ ... سَيُكْثِرُ مَا فِي قِدْرِهِ وَيَطِيبُ
حَبِيبٌ إِلَى الزُّوَّارِ غِشْيَانُ بَيْتِهِ ... جَمِيلُ الْمُحَيَّا شَبَّ وَهْوَ أَدِيبُ
إِذَا قَصُرَتْ أَيْدِي الرِّجَالِ عَنِ الْعُلَى ... تَنَاوَلَ أَقْصَى الْمَكْرُمَاتِ كَسُوبُ
جَمُوعٌ خِلَالَ الْخَيْرِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ... إِذَا حَلَّ مَكْرُوهٌ بِهِنَّ ذَهُوبُ
مُفِيدٌ لِمُلْقَى الْفَائِدَاتِ مُعَاوِدٌ ... لِفِعْلِ النَّدَى وَالْمَكْرُمَاتِ نَدُوبُ
وَدَاعٍ دَعَا يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى ... فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ
فَقُلْتُ ادْعُ أُخْرَى وَارْفَعِ الصَّوْتَ جَهْرَةً ... لَعَلَّ أَبَا الْمِغْوَارِ مِنْكَ قَرِيبُ
يُجِبْكَ كَمَا قَدْ كَانَ يَفْعَلُ إِنَّهُ ... بِأَمْثَالِهِ رَحْبُ الذِّرَاعِ أَرِيبُ
أَتَاكَ سَرِيعًا وَاسْتَجَابَ إِلَى النَّدَى ... كَذَلِكَ قَبْلَ الْيَوْمِ كَانَ يُجِيبُ
فَتًى مَا يُبَالِي أَنْ تَكُونَ بِجِسْمِهِ ... إِذَا حَالَ حَالَاتُ الرِّجَالِ شُحُوبُ
إِذَا مَا تَرَاءَى لِلرِّجَالِ رَأَيْتَهُ ... فَلَمْ يَنْطِقُوا اللَّغْوَاءَ وَهْوَ قَرِيبُ
عَلَى خَيْرِ مَا كَانَ الرِّجَالُ رَأَيْتَهُ ... وَمَا الْخَيْرُ إِلَّا طُعْمَةٌ وَنَصِيبُ
حَلِيفُ النَّدَى يَدْعُو النَّدَى فَيُجِيبُهُ ... سَرِيعًا وَيَدْعُوهُ النَّدَى فَيُجِيبُ
غِيَاثٌ لِعَانٍ لَمْ يَجِدْ مَنْ يُغِيثُهُ ... وَمُخْتَبِطٍ يَغْشَى الدُّخَانَ غَرِيبُ
عَظِيمُ رَمَادِ النَّارِ رَحْبٌ فِنَاؤُهُ ... إِلَى سَنَدٍ لَمْ تَحْتَجِبْهُ غُيُوبُ
حَلِيمٌ إِذَا مَا الْحِلْمُ زَيَّنَ أَهْلَهُ ... مَعَ الْحِلْمِ فِي عَيْنِ الْعَدُوِّ مَهِيبُ
غَنِينَا بِخَيْرٍ حِقْبَةً ثُمَّ جُحْتَ ... عَلَيْنَا الَّتِي كُلَّ الْأَنَامِ تُصِيبُ
فَأَبْقَتْ قَلِيلًا ذَاهِبًا وَتَجَهَّزَتْ ... لِآخَرَ وَالرَّاجِي الْحَيَاةَ كَذُوبُ

وَأَعْلَمُ أَنَّ ٱلْبَاقِيَ ٱلْحَيَّ مِنْهُمُ إِلَى أَجَلٍ أَقْصَى مَدَاهُ قَرِيبُ
لَقَدْ أَفْسَدَ ٱلْمَوْتُ ٱلْحَيَاةَ وَقَدْ أَتَى عَلَى يَوْمِهِ عِلْقٌ عَلَيَّ حَبِيبُ
فَإِنْ تَكُنِ ٱلْأَيَّامُ أَحْسَنَّ مَرَّةً إِلَيَّ فَقَدْ عَادَتْ لَهُنَّ ذُنُوبُ
وَإِنِّي لَبَاكِيهِ وَإِنِّي لَصَادِقٌ عَلَيْهِ وَبَعْضُ ٱلْقَائِلِينَ كَذُوبُ
فَلَوْ كَانَتِ ٱلدُّنْيَا تُبَاعُ ٱشْتَرَيْتُهُ بِهَا إِذْ بِهِ كَانَ ٱلنُّفُوسُ تَطِيبُ
فَوَاللهِ لَا أَنْسَاهُ مَا ذَرَّ شَارِقٌ وَمَا ٱهْتَزَّ فِي فَرْعِ ٱلْأَرَاكِ قَضِيبُ

٩٩ قال دُرَيد بن الصِّمَّة في مقتل أخيه عبد الله

تَنَادَوْا فَقَالُوا أَرْدَتِ ٱلْخَيْلُ فَارِسًا فَقُلْتُ أَعَبْدُ ٱللهِ ذٰلِكُمُ ٱلرَّدِي
فَإِنْ يَكُ عَبْدُ ٱللهِ خَلَّى مَكَانَهُ فَمَا كَانَ وَقَّافًا وَلَا طَائِشَ ٱلْيَدِ
دَعَانِي أَخِي وَٱلْخَيْلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَلَمَّا دَعَانِي لَمْ يَجِدْنِي بِقُعْدُدِ
فَجِئْتُ إِلَيْهِ وَٱلرِّمَاحُ تَنُوشُهُ كَوَقْعِ ٱلصَّيَاصِي فِي ٱلنَّسِيجِ ٱلْمُمَدَّدِ
فَطَاعَنْتُ عَنْهُ ٱلْخَيْلَ حَتَّى تَنَفَّسَتْ وَحَتَّى عَلَانِي حَالِكُ ٱللَّوْنِ أَسْوَدِ
فَمَا رِمْتُ حَتَّى خَرَّقَتْنِي رِمَاحُهُمْ وَغُودِرْتُ أَكْبُو فِي ٱلْقَنَا ٱلْمُتَقَصِّدِ
قِتَالَ ٱمْرِئٍ آسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ وَيَعْلَمُ أَنَّ ٱلْمَرْءَ غَيْرُ مُخَلَّدِ
كَمِيشُ ٱلْإِزَارِ خَارِجٌ نِصْفُ سَاقِهِ بَعِيدٌ عَنِ ٱلْآفَاتِ طَلَّاعُ أَنْجُدِ
قَلِيلُ ٱلتَّشَكِّي لِلْمُصِيبَاتِ حَافِظٌ مِنَ ٱلْيَوْمِ أَعْقَابَ ٱلْأَحَادِيثِ فِي غَدِ
سَلِيمُ ٱلشَّظَى عَبْلُ ٱلسَّوَابِحِ وَٱلشَّوَى طَوِيلُ ٱلْقَنَا نَهْدٌ نَبِيلُ ٱلْمُقَلَّدِ
يَفُوتُ طَوِيلَ ٱلْقَوْمِ عَقْدُ عِذَارِهِ مُنِيفٌ كَجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ ٱلْمُتَجَرِّدِ
لَهُ كُلُّ مَنْ يَلْقَى مِنَ ٱلنَّاسِ وَاحِدٌ وَإِنْ يَلْقَ مَثْنَى ٱلْقَوْمِ يَفْرَحْ وَيَزْدَدِ

تَرَاهُ خَمِيصَ ٱلْبَطْنِ وَٱلزَّادُ حَاضِرٌ ‏ عَتِيدٌ وَيَغْدُو فِي ٱلْقَمِيصِ ٱلْمُقَدَّدِ
وَإِنْ مَسَّهُ ٱلْإِقْوَاءُ[1] وَٱلْجَهْدُ زَادَهُ ‏ سَمَاحًا وَإِتْلَافًا لِمَا كَانَ فِي ٱلْيَدِ
صَبَا مَا صَبَا حَتَّى عَلَا ٱلشَّيْبُ رَأْسَهُ ‏ فَلَمَّا عَلَاهُ قَالَ لِلْبَاطِلِ ٱبْعَدِ
وَطَيَّبَ نَفْسِي أَنَّنِي لَمْ أَقُلْ لَهُ ‏ كَذَبْتَ وَلَمْ أَبْخَلْ بِمَا مَلَكَتْ يَدِي

١٠٠ لما دفن المهلهل اخاهُ كليباً قام على قبرهِ يرثيه

أَهَاجَ قَذَاءَ عَيْنِي ٱلْإِذِّكَارُ ‏ هُدُوءًا[2] فَٱلدُّمُوعُ لَهَا ٱنْحِدَارُ
وَصَارَ ٱللَّيْلُ مُشْتَمِلًا عَلَيْنَا ‏ كَأَنَّ ٱللَّيْلَ لَيْسَ لَهُ نَهَارُ
وَبِتُّ أُرَاقِبُ ٱلْجَوْزَاءَ حَتَّى ‏ تَقَارَبَ مِنْ أَوَائِلِهَا ٱنْحِدَارُ
أُصَرِّفُ مُقْلَتِي فِي إِثْرِ قَوْمٍ ‏ تَبَايَنَتِ ٱلْبِلَادُ بِهِمْ فَغَارُوا
وَأَبْكِي وَٱلنُّجُومُ مُطَلَّعَاتٌ ‏ كَأَنْ لَمْ تَحْوِهَا عَنِّي ٱلْبِحَارُ
عَلَى مَنْ لَوْ نُعِيتُ وَكَانَ حَيًّا ‏ لَقَادَ ٱلْخَيْلَ يَحْجُبُهَا ٱلْغُبَارُ
دَعَوْتُكَ يَا كُلَيْبُ فَلَمْ تُجِبْنِي ‏ وَكَيْفَ يُجِيبُنِي ٱلْبَلَدُ ٱلْقِفَارُ
أَجِبْنِي يَا كُلَيْبُ خَلَاكَ ذَمٌّ ‏ ضَنِينَاتُ ٱلنُّفُوسِ لَهَا مَزَارُ
أَجِبْنِي يَا كُلَيْبُ خَلَاكَ ذَمٌّ ‏ لَقَدْ فُجِعَتْ بِفَارِسِهَا نِزَارُ
سَقَاكَ ٱلْغَيْثُ إِنَّكَ كُنْتَ غَيْثًا ‏ وَيُسْرًا حِينَ يُلْتَمَسُ ٱلْيَسَارُ
أَبَتْ عَيْنَايَ بَعْدَكَ أَنْ تَكُفَّا ‏ كَأَنَّ قَذَى ٱلْقَتَادِ لَهَا شِفَارُ
وَإِنَّكَ كُنْتَ تَحْلُمُ عَنْ رِجَالٍ ‏ وَتَعْفُو عَنْهُمُ وَلَكَ ٱقْتِدَارُ
وَتَمْنَعُ أَنْ يَمَسَّهُمُ لِسَانٌ ‏ مَخَافَةَ مَنْ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ
كَأَنِّي إِذْ نَعَى ٱلنَّاعِي كُلَيْبًا ‏ تَطَايَرَ بَيْنَ جَنْبَيَّ ٱلشَّرَارُ

فَدُرْتُ وَقَدْ عَشِيَ بَصَرِي عَلَيْهِ ... كَمَا دَارَتْ بِشَارِبِهَا ٱلْعُقَارُ
سَأَلْتُ ٱلْحَيَّ أَيْنَ دَفَنْتُمُوهُ ... فَقَالُوا لِي بِسَفْحِ ٱلْحَيِّ دَارُ
فَسِرْتُ إِلَيْهِ مِنْ بَلَدِي حَثِيثًا ... وَطَارَ ٱلنَّوْمُ وَٱمْتَنَعَ ٱلْقَرَارُ
وَحَادَتْ نَاقَتِي عَنْ ظِلِّ قَبْرٍ ... ثَوَى فِيهِ ٱلْمَكَارِمُ وَٱلْفَخَارُ
لَدَى أَوْطَانِ أَرْوَعَ لَمْ يَشِنْهُ ... وَلَمْ يَحْدُثْ لَهُ فِي ٱلنَّاسِ عَارُ
أَتَغْدُو يَا كُلَيْبُ مَعِي إِذَا مَا ... جَبَانُ ٱلْقَوْمِ أَنْجَاهُ ٱلْفِرَارُ
أَتَغْدُو يَا كُلَيْبُ مَعِي إِذَا مَا ... حُلُوقُ ٱلْقَوْمِ يَشْحَذُهَا ٱلشِّفَارُ
خُذِ ٱلْعَهْدَ ٱلْأَكِيدَ عَلَيَّ عُمْرِي ... بِتَرْكِي كُلَّ مَا حَوَتِ ٱلدِّيَارُ
وَلَسْتُ بِخَالِعٍ دِرْعِي وَسَيْفِي ... إِلَى أَنْ يَخْلَعَ ٱللَّيْلَ ٱلنَّهَارُ
وَإِلَّا أَنْ تَبِيدَ سَرَاةُ بَكْرٍ ... فَلَا يَبْقَى لَهَا أَبَدًا إِثَارُ

١٠١ وقال مالك بن الرَّيْب التميميّ يرثي نفسهُ ويصف قبرهُ . وكان قد خرج مع سعيد بن عفَّان أخي عُثمان لمَّا ولي خُراسان . فلمَّا كان ببعض الطريق أراد ان يلبَس خفَّهُ فاذا بأفعى فيهِ فلسعتهُ فلمَّا أحسَّ بالموت أنشأ يقول:

دَعَانِي ٱلْهَوَى مِنْ أَهْلِ أَوْدٍ وَصُحْبَتِي ... بِذِي ٱلطَّبَسَيْنِ فَٱلْتَفَتُّ وَرَائِيَا
أَجَبْتُ ٱلْهَوَى لَمَّا دَعَانِي بِزَفْرَةٍ ... تَقَنَّعْتُ مِنْهَا أَنْ أُلَامَ رِدَائِيَا
أَلَمْ تَرَنِي بِعْتُ ٱلضَّلَالَةَ بِٱلْهُدَى ... وَأَصْبَحْتُ فِي جَيْشِ ٱبْنِ عَفَّانَ غَازِيَا
لَعَمْرِي لَئِنْ غَالَتْ خُرَاسَانُ هَامَتِي ... لَقَدْ كُنْتُ عَنْ بَابَيْ خُرَاسَانَ نَائِيَا
فَلِلّٰهِ دَرِّي يَوْمَ أَتْرُكُ طَائِعًا ... بَنِيَّ بِأَعْلَى ٱلرَّقْمَتَيْنِ وَمَالِيَا
وَدَرُّ ٱلظِّبَاءِ ٱلسَّانِحَاتِ عَشِيَّةً ... يُخَبِّرْنَ أَنِّي هَالِكٌ مِنْ أَمَامِيَا
تَفَقَّدْتُ مَنْ يَبْكِي عَلَيَّ فَلَمْ أَجِدْ ... سِوَى ٱلسَّيْفِ وَٱلرُّمْحِ ٱلرُّدَيْنِيِّ بَاكِيَا

وَأَشْقَرَ خِنْذِيذٍ يَجُرُّ عِنَانَهُ إِلَى ٱلْمَاءِ لَمْ يَتْرُكْ لَهُ ٱلْمَوْتُ سَاقِيَا
وَلَمَّا تَرَاءَتْ عِنْدَ مَرْوٍ مَنِيَّتِي وَحَلَّ بِهَا جِسْمِي وَحَانَتْ وَفَاتِيَا
أَقُولُ لِأَصْحَابِي ٱرْفَعُونِي فَإِنَّنِي يَقَرُّ بِعَيْنِي أَنْ سُهَيْلٌ بَدَا لِيَا
فَيَا صَاحِبَيْ رَحْلِي دَنَا ٱلْمَوْتُ فَٱنْزِلَا بِرَابِيَةٍ إِنِّي مُقِيمٌ لَيَالِيَا
أَقِيمَا عَلَيَّ ٱلْيَوْمَ أَوْ بَعْضَ لَيْلَةٍ وَلَا تُعْجِلَانِي قَدْ تَبَيَّنَ مَا بِيَا
وَقُومَا إِذَا مَا ٱسْتُلَّ رُوحِي فَهَيِّئَا لِيَ ٱلسِّدْرَ وَٱلْأَكْفَانَ ثُمَّ ٱبْكِيَا لِيَا
وَلَا تَحْسُدَانِي بَارَكَ ٱللهُ فِيكُمَا مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلْعَرْضِ أَنْ تُوسِعَا لِيَا
وَخُطَّا بِأَطْرَافِ ٱلْأَسِنَّةِ مَضْجَعِي وَرُدَّا عَلَى عَيْنَيَّ فَضْلَ رِدَائِيَا
خُذَانِي فَجُرَّانِي بِبُرْدِي إِلَيْكُمَا فَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ ٱلْيَوْمِ صَعْبًا قِيَادِيَا
وَقَدْ كُنْتُ عَطَّافًا إِذَا ٱلْخَيْلُ أَدْبَرَتْ سَرِيعًا لَدَى ٱلْهَيْجَا إِلَى مَنْ دَعَانِيَا
وَقَدْ كُنْتُ مَحْمُودًا لَدَى ٱلزَّادِ وَٱلْقِرَى وَعَنْ شَتْمِ إِبْنِ ٱلْعَمِّ وَٱلْجَارِ وَانِيَا
وَقَدْ كُنْتُ صَبَّارًا عَلَى ٱلْقِرْنِ فِي ٱلْوَغَى ثَقِيلًا عَلَى ٱلْأَعْدَاءِ عَضْبًا لِسَانِيَا
وَطَوْرًا تَرَانِي فِي ظِلَالٍ وَمَجْمَعٍ وَطَوْرًا تَرَانِي وَٱلْعِتَاقُ رِكَابِيَا
وَطَوْرًا تَرَانِي فِي رَحًى مُسْتَدِيرَةٍ تُخَرِّقُ أَطْرَافُ ٱلرِّمَاحِ ثِيَابِيَا
وَقُومَا عَلَى بِئْرِ ٱلشُّبَيْكِ فَأَسْمِعَا بِهَا ٱلْوَحْشَ وَٱلْبِيضَ ٱلْحِسَانَ ٱلرَّوَانِيَا
بِأَنَّكُمَا خَلَّفْتُمَانِي بِقَفْرَةٍ تَهِيلُ عَلَيَّ ٱلرِّيحُ فِيهَا ٱلسَّوَافِيَا
وَلَا تَنْسَيَا عَهْدِي خَلِيلَيَّ بَعْدَمَا تَقَطَّعُ أَوْصَالِي وَتَبْلَى عِظَامِيَا
فَلَنْ يَعْدَمَ ٱلْوِلْدَانُ مِنِّي تَحِيَّتِي وَلَنْ يَعْدَمَ ٱلْمِيرَاثَ مِنِّي مَوَالِيَا
يَقُولُونَ لَا تَبْعَدْ وَهُمْ يَدْفِنُونَنِي وَأَيْنَ مَكَانُ ٱلْبُعْدِ إِلَّا مَكَانِيَا

غَداةَ غدٍ يا لهفَ نفسي على غدٍ … إذا أدلجوا عني وخُلِّفتُ ثاويا
وأصبحَ مالي من طريفٍ وتالدٍ … لغيري وكانَ المالُ بالأمسِ ماليا
وبالرملِ مني نسوةٌ لو شهدنني … بكَينَ وفدَّينَ الطبيبَ المداويا
فمنهنَّ أمي وابنتاها وخالتي … وباكيةٌ أخرى تهيجُ البواكيا
وما كانَ عهدُ الرملِ مني وأهلِهِ … ذميمًا ولا ودعتُ بالرملِ قاليا
فيا ليتَ شعري هل بكت أمُّ مالكٍ … كما كنتُ لو عالوا نعيَّكِ باكيا
إذا متُّ فاعتادي القبورَ وسلّمي … على الرَّيمِ أُسقيتِ الغمامَ الغواديا
ترى جدثًا قد جرَّتِ الريحُ فوقه … غبارًا كلونِ القسطلانيِّ هابيا
فيا راكبًا إمَّا عرضتَ فبلّغنْ … بني مالكٍ والرَّيبِ أن لا تلاقيا
وبلّغْ أخي عمرانَ بردي ومئزري … وبلّغْ عجوزي اليومَ أن لا تدانيا
وسلّمْ على شيخيَّ مني كليهما … كثيرًا وعمي وابنَ عمي وخاليا
وعطّلْ قلوصي في الركابِ فإنها … ستبردُ أكبادًا وتبكي بواكيا
أقلّبُ طرفي فوقَ رحلي فلا أرى … به من عيونِ المؤنساتِ مراعيا

١٠٢ وقال متمم بن نويرة اليربوعي يرثي أخاه مالكا

لعمري وما دهري بتأبينِ مالكٍ … ولا جزعٌ مما أصابَ فأوجعا
لقد كفّنَ المنهالُ تحتَ ردائهِ … فتى غيرَ مبطانِ العشياتِ أروعا
لبيبٌ أعانَ اللبَّ منه سماحةٌ … خصيبٌ إذا ما راكبُ الجدبِ أوضعا
أغرُّ كنصلِ السيفِ يهتزُّ للندى … إذا لم تجدْ عندَ امرئِ السوءِ مطمعا
وما كانَ وقّافًا إذا الخيلُ أحجمتْ … ولا طالبًا من خشيةِ الموتِ مفزعا

وَلَا بِكَهَامٍ نَاكِلٍ عَنْ عَدُوِّهِ … إِذَا هُوَ لَاقَى حَاسِرًا أَوْ مُقَنَّعَا
إِذَا ضَرَّسَ ٱلْغَزْوُ ٱلرِّجَالَ وَجَدْتَهُ … أَخَا ٱلْحَرْبِ صِدْقًا فِي ٱللِّقَاءِ سَمَيْدَعَا
أَقُولُ وَقَدْ طَارَ ٱلسَّنَا فِي رَبَابِهِ … بِجَوْنٍ تَسُحُّ ٱلْمَاءَ حَتَّى تَرَيَّعَا
تَحِيَّتُهُ مِنِّي وَإِنْ كَانَ نَائِيًا … وَأَمْسَى تُرَابًا فَوْقَهُ ٱلْأَرْضُ بَلْقَعَا
فَكُنَّا كَنَدْمَانَيْ جَذِيمَةَ حِقْبَةً … مِنَ ٱلدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَصَدَّعَا
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكًا … لِطُولِ ٱجْتِمَاعٍ لَمْ نَبِتْ لَيْلَةً مَعَا
وَفَقْدُ بَنِي أُمِّي تَوَلَّوْا وَلَمْ أَكُنْ … خِلَافَهُمُ أَنْ أَسْتَكِينَ فَأَخْضَعَا
وَلَكِنَّنِي أَمْضِي عَلَى ذَاكَ مُقْدِمًا … إِذَا بَعْضُ مَنْ يَلْقَى ٱلْخُطُوبَ تَضَعْضَعَا
قَعِيدَكِ أَنْ لَا تُسْمِعِينِي مَلَامَةً … وَلَا تَنْكَئِي جُرْحَ ٱلْفُؤَادِ فَيِيجَعَا
وَحَسْبُكَ أَنِّي قَدْ جَهَدْتُ فَلَمْ أَجِدْ … بِكَفِّيَ عَنْهُ لِلْمَنِيَّةِ مَدْفَعَا
سَقَى ٱللهُ أَرْضًا حَلَّهَا قَبْرُ مَالِكٍ … رِهَامَ ٱلْغَوَادِي ٱلْمُزْجِيَاتِ فَأَمْرَعَا

١٠٣ لشبل بن معبد البجلي يرثي بنيه وكانوا أصيبوا بالطاعون

أَتَى دُونَ حُلْوِ ٱلْعَيْشِ حَتَّى أَمَرَّهُ … نُكُوبٌ عَلَى آثَارِهِنَّ نُكُوبُ
تَتَابَعْنَ فِي ٱلْأَحْبَابِ حَتَّى أَبَدْنَهُمْ … فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ فِي ٱلدِّيَارِ غَرِيبُ
بَرَتْنِي صُرُوفُ ٱلدَّهْرِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ … كَمَا تُبْتَرَى دُونَ ٱللِّحَاءِ عَسِيبُ
فَأَصْبَحْتُ إِلَّا رَحْمَةَ ٱللهِ مُفْرَدًا … لَدَى ٱلنَّاسِ صَبْرًا وَٱلْفُؤَادُ كَئِيبُ
إِذَا ذَرَّ قَرْنُ ٱلشَّمْسِ عُلِّلْتُ بِٱلْأَسَى … وَيَأْوِي إِلَيَّ ٱلْحُزْنُ حِينَ يَؤُوبُ
وَنَامَ خَلِيُّ ٱلْبَالِ عَنِّي وَلَمْ أَنَمْ … كَمَا لَمْ يَنَمْ نَائِي ٱلْفِنَاءِ غَرِيبُ
فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي وَقَدْ قَذَفَتْ بِنَا … نَوًى غُرْبَةٍ عَمَّنْ نُحِبُّ شَطُوبُ

مَتَى ٱلْعَهْدُ بِٱلْأَهْلِ ٱلَّذِينَ تَرَكْتُهُمْ ... لَهُمْ فِي فُؤَادِي بِٱلْعِرَاقِ نَصِيبُ
فَمَا تَرَكَ ٱلطَّاعُونُ فِي ذِي قَرَابَةٍ ... إِلَيْهِ إِذَا حَانَ ٱلْإِيَابُ تَؤُوبُ
فَقَدْ أَصْبَحُوا ٱلْادَارُهُمْ مِنْكَ غُرْبَةً ... بَعِيدٌ وَلَاهُمْ فِي ٱلْحَيَاةِ قَرِيبُ
وَكُنْتَ تُرَجِّي أَنْ تَؤُوبَ إِلَيْهِمِ ... فَغَالَتْهُمُ مِنْ دُونِ ذَاكَ شَعُوبُ
وَإِنَّا وَإِيَّاهُمْ كَوَارِدِ مَنْهَلٍ ... عَلَى حَوْضِهِ بِٱلْبَاكِيَاتِ نَهِيبُ
إِلَيْهِ تَنَاهَيْنَا وَلَوْ حَالَ دُونَهُ ... مِيَاهٌ رِوَاءٌ كُلُّهُنَّ شَرُوبُ
فَهَوَّنَ عَنِّي بَعْضَ وَجْدِي أَنَّنِي ... رَأَيْتُ ٱلْمَنَايَا تَغْتَدِي وَتَؤُوبُ
وَلَسْنَا بِأَحْيَا مِنْهُمُ غَيْرَ أَنَّنَا ... إِلَى أَجَلٍ نُدْعَى لَهُ فَنُجِيبُ
وَإِنِّي إِذَا مَا شِئْتُ لَاقَيْتُ أُسْوَةً ... تَكَادُ لَهَا نَفْسُ ٱلْحَزِينِ تَطِيبُ
فَتًى كَانَ ذَا أَهْلٍ وَمَالٍ فَلَمْ يَزَلْ ... بِهِ ٱلدَّهْرُ حَتَّى صَارَ وَهْوَ حَرِيبُ
وَكَيْفَ عَزَاءُ ٱلْمَرْءِ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ... وَلَيْسَ لَهُ فِي ٱلْغَابِرِينَ حَبِيبُ
مَتَى يُذْكَرُوا يَفْرَحْ فُؤَادِي لِذِكْرِهِمْ ... وَيَنْسَجِمْ دَمْعٌ بَيْنَهُنَّ نَحِيبُ
دُمُوعٌ سَرَاهَا ٱلشَّجْوُ حَتَّى كَأَنَّهَا ... جَدَاوِلُ تَجْرِي بَيْنَهُنَّ غُرُوبُ
إِذَا مَا أَرَدْتُ ٱلصَّبْرَ هَاجَ لِيَ ٱلْبُكَا ... فُؤَادٌ إِلَى أَهْلِ ٱلْقُبُورِ طَرُوبُ
فَوَجْدِي بِأَهْلِي وَجْدُهَا غَيْرَ أَنَّهُمْ ... شَبَابٌ يَزِينُونَ ٱلنَّدَى وَمَشِيبُ

١٠٤ قصيدة أَبي ذُؤَيب الهذليّ وهو خويلد بن خالدٍ وكان لهُ اولاد سبعة فماتوا كلهم الّا طفلاً فقال يرثيهم

أَمِنَ ٱلْمَنُونِ وَرَيْبِهَا تَتَوَجَّعُ ... وَٱلدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ
قَالَتْ أُمَامَةُ مَا لِجِسْمِكَ شَاحِبًا ... مُنْذُ ٱبْتُذِلْتَ وَمِثْلُ مَالِكَ يَنْفَعُ

وَلَقَدْ حَرِصْتُ بِأَنْ أُدَافِعَ عَنْهُمُ ... وَإِذَا ٱلْمَنِيَّةُ أَقْبَلَتْ لَا تُدْفَعُ
وَإِذَا ٱلْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا ... أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ
فَٱلْعَيْنُ بَعْدَهُمُ كَأَنَّ جُفُونَهَا ... كُحِلَتْ بِشَوْكٍ فَهْيَ عُورٌ تَدْمَعُ
وَتَجَلُّدِي لِلشَّامِتِينَ أُرِيهِمِ ... أَنِّي لِرَيْبِ ٱلدَّهْرِ لَا أَتَضَعْضَعُ
حَتَّى كَأَنِّي لِلْحَوَادِثِ مَرْوَةٌ ... بِصَفَا ٱلْمُشَقَّرِ كُلَّ يَوْمٍ تُقْرَعُ
لَا بُدَّ مِنْ تَلَفٍ مُقِيمٍ فَٱنْتَظِرْ ... أَبِأَرْضِ قَوْمِكَ أَمْ بِأُخْرَى ٱلْمَضْجَعُ
وَلَقَدْ أَرَى أَنَّ ٱلْبُكَاءَ سَفَاهَةٌ ... وَلَسَوْفَ يُولَعُ بِٱلْبُكَا مَنْ يُفْجَعُ
وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْكَ يَوْمًا مَرَّةً ... يُبْكَى عَلَيْكَ مُقَنَّعًا لَا تَسْمَعُ
فَلَئِنْ بِهِمْ فَجَعَ ٱلزَّمَانُ وَرَيْبُهُ ... إِنِّي بِأَهْلِ مَوَدَّتِي لَمُفَجَّعُ

وقال في الطفل الذي بقي له

وَٱلنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَّبْتَهَا ... وَإِذَا تُرَدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

قال الاصمعي : هذا افضل بيتٍ قالتهُ العرب

١٠٥ عينية عليّ بن جبلة في حميد الطوسي

أَلِلدَّهْرِ تَبْكِي أَمْ عَلَى ٱلدَّهْرِ تَجْزَعُ ... وَمَا صَاحِبُ ٱلْأَيَّامِ إِلَّا مُفَجَّعُ
وَلَوْ سَهَّلَتْ عَنْكَ ٱلْأَسَى كَانَ فِي ٱلْأَسَى ... عَزَاءٌ مُعَزٍّ لِلَّبِيبِ وَمُقْنِعُ
تَعَزَّ بِمَا عَزَّيْتَ غَيْرَكَ إِنَّهَا ... سِهَامُ ٱلْمَنَايَا حَائِمَاتٌ وَوُقَّعُ
أُصِبْنَا بِيَوْمٍ فِي حُمَيْدٍ لَوَ انَّهُ ... أَصَابَ عُرُوشَ ٱلدَّهْرِ ظَلَّتْ تَضَعْضَعُ
وَأَدَّبَنَا مَا أَدَّبَ ٱلنَّاسَ قَبْلَنَا ... وَلَكِنَّهُ لَمْ يَبْقَ لِلصَّبْرِ مَوْضِعُ
أَلَمْ تَرَ لِلْأَيَّامِ كَيْفَ تَصَرَّمَتْ ... بِهِ وَبِهِ كَانَتْ تُذَادُ وَتُدْفَعُ

وكيف التقى مثوى من الأرض ضيّق … على جبل كانت به الأرض تمنع
ولما انقضت أيامه انقضت العلى … وأضحى به أنف الندى وهو أجدع
وراح عدوّ الدين جذلان ينتحي … أماني كانت من حشاه تقطّع
وكان حميد معقلا ركعت به … قواعد ما كانت على الضيم تركع
وكنت أراه كالرزايا رزئتها … ولم أدر أن الخلق تبكيه أجمع
لقد أدركت فينا المنايا بثأرها … وحلّت بخطب وهيه ليس يرقع
نعاء حميدا للسرايا إذا غدت … تذاد بأطراف الرماح وتوزع
وللمرهق المكروب ضاقت بأمره … فلم يدر في حومتها كيف يصنع
وللبيض خلّتها البعول ولم يدع … لها غيره داعي الصباح المفزّع
كأن حميدا لم يقد جيش عسكر … إلى عسكر أشياعه لا تروّع
ولم يبعث الخيل المغيرة بالضحى … مراحا ولم يرجع بها وهي ظلّع
رواجع يحملن النهاب ولم تكن … كتائبه إلا على النهب ترجع
هوى جبل الدنيا المنيع وغيثها ال … مريع وحاميها الكمي المشيّع
وسيف أمير المؤمنين ورمحه … ومفتاح باب الخطب والخطب أفظع
فأقنعه من ملكه ورباعه … ونائله قفر من الأرض بلقع
على أي شجو تشتكي النفس بعده … إلى شجوه أو يذخر الدمع مدمع
ألم تر أن الشمس حال ضياؤها … عليه وأضحى لونها وهو أسفع
وأوحشت الدنيا وأودى بهاؤها … وأجدب مرعاها الذي كان يمرع
وقد كانت الدنيا به مطمئنة … فقد جعلت أوتادها تتقلّع

بكى فقدهُ روحُ الحياةِ كما بكى   نداهُ الندى وابنُ السبيلِ المدفعُ
وأيقظ أجفانًا وكان لها الكرى   ونامت عيونٌ لم تكن قبلُ تهجعُ

١٠٦ انشد ابو محمد الليثي في يزيد بن مزيد

أحقٌّ أنهُ أودى يزيدُ   فبيّن أيها الناعي المشيدُ
أحامي الملكِ والإسلام أودى   فما للأرضِ ويحكَ لا تميدُ
تأمّل هل ترى الإسلامَ مالتْ   دعائمهُ وهل شابَ الوليدُ
أما هُدّتْ لمصرعهِ نزارٌ   بلى وتقوّض المجدُ المشيدُ
وحلّ ضريحهُ إذ حلّ فيهِ   طريفُ المجدِ والمجدُ تليدُ
فمن يحمي حمى الإسلامِ أم من   يذبّ عن المكارهِ أو يذودُ
وأين يؤمّ منتجعٌ ولاجٍ   وأين تحطّ أرحلها الوفودُ
فلو قُبِلَ الفداءُ فداهُ منّا   بمهجتهِ المسوّدُ والمسودُ
أبعد يزيدَ تختزنُ البواكي   دموعًا أو تصانُ لهُ الخدودُ
وإن تجمدْ دموعُ لئيمِ قومٍ   فليس لدمعِ ذي حسبٍ جمودُ
وإن يكُ غالهُ دهرٌ لما قدْ   يفادى من مخافتهِ الأسودُ
فإن يكُ عن خلودٍ قد دعتهُ   مآثرهُ فكان لها الخلودُ
فما أودى امرؤٌ أودى وأبقى   لوارثهِ مكارمَ لا تبيدُ
ليبككَ حاملٌ ناداكَ لمّا   تواكلهُ الأقاربُ والبعيدُ
ويبككَ شاعرٌ لم يبقِ دهرٌ   لهُ نشبًا وقد كسد القصيدُ
أُصيبَ المجدُ والاسلامُ لمّا   أصابكَ بالردى سهمٌ شديدُ

لَقَدْ عَزَّى رَبِيعَةَ أَنَّ يَوْمًا عَلَيْهَا مِثْلَ يَوْمِكَ لَا يَعُودُ
وَمِثْلُكَ مَنْ قَصَدْنَ لَهُ الْمَنَايَا بِأَسْهُمِهَا وَهُنَّ لَهُ جُنُودُ
سَقَى جَدَثًا أَقَامَ بِهِ يَزِيدُ مِنَ الْوَسْمِيِّ بَسَّامٌ رَعُودُ
لِيَذْهَبْ مَنْ أَرَادَ فَلَسْتُ آسَى عَلَى مَنْ مَاتَ بَعْدَكَ يَا يَزِيدُ

١٠٧ وقال صفي الدين الحلي يرثي الملك ناصر الدين عمر

بَكَى عَلَيْكَ الْحُسَامُ وَالْقَلَمُ وَأُفْجِعَ الْعِلْمُ فِيكَ وَالْعَلَمُ
وَضَجَّتِ الْأَرْضُ فَالْعِبَادُ بِهَا لَاطِمَةٌ وَالْبِلَادُ تَلْتَطِمُ
تُظْهِرُ أَحْزَانَهَا عَلَى مَلِكٍ جَلَّ مُلُوكُ الْوَرَى لَهُ خَدَمُ
أَبْلَجَ غَضِّ الشَّبَابِ مُقْتَبَلِ الْـ عُمْرِ وَلَكِنْ مَجْدُهُ هَرِمُ
مُحَكَّمٌ فِي الْوَرَى وَآمِلُهُ يَحْكُمُ فِي مَالِهِ وَيَحْتَكِمُ
يَجْتَمِعُ الْمَجْدُ وَالثَّنَاءُ لَهُ وَمَالُهُ فِي الْوُفُودِ يُقْتَسَمُ
قَدْ سَئِمَتْ جُودَهُ الْأَنَامُ وَلَا يَلْقَاهُ مِنْ بَذْلِهِ النَّدَى سَأَمُ
مَا عُرِفَتْ مِنْهُ لَا وَلَا نَعَمْ بَلْ دُونَهُنَّ الْآلَاءُ وَالنِّعَمُ
أَلْوَاهِبُ الْأَلْفَ وَهْوَ مُبْتَسِمٌ وَالْقَاتِلُ الْأَلْفَ وَهْوَ مُقْتَحِمُ
مُبْتَسِمٌ وَالْكُمَاةُ عَابِسَةٌ وَعَابِسٌ وَالسُّيُوفُ تَبْتَسِمُ
يَسْتَصْغِرُ الْعَضْبَ أَنْ يَصُولَ بِهِ إِنْ لَمْ تُجَرِّدْ مِنْ قَبْلِهِ الْهِمَمُ
وَيَسْتَخِفُّ الْقَنَاةَ يَحْمِلُهَا كَأَنَّهَا فِي يَمِينِهِ قَلَمُ
لَمْ يَعْلَمِ الْعَالِمُونَ مَا فَقَدُوا مِنْهُ وَلَا الْأَقْرَبُونَ مَا عَدِمُوا
مَا فَقْدُ فَرْدٍ مِنَ الْأَنَامِ كَمَنْ إِنْ مَاتَ مَاتَتْ لِفَقْدِهِ أُمَمُ

وَٱلنَّاسُ كَٱلْعَيْنِ إِنْ نَقَدْتَهُمُ   تَفَاوَتَتْ عِنْدَ نَقْدِكَ ٱلْقِيَمُ
يَا طَالِبَ ٱلْجُودِ قَدْ قَضَى عُمَرُ   فَكُلُّ جُودٍ وُجُودُهُ عَدَمُ
وَيَا مُنَادِي ٱلنَّدَى لِيُدْرِكَهُ   أَقْصِرْ فَفِي مَسْمَعِ ٱلنَّدَى صَمَمُ
مَضَى ٱلَّذِي كَانَ لِلْأَنَامِ أَبًا   فَٱلْيَوْمَ كُلُّ ٱلْأَنَامِ قَدْ يَتِمُوا
وَسَارَ فَوْقَ ٱلرِّقَابِ مُطَّرِحًا   وَحَوْلَهُ ٱلصَّافِنَاتُ تَزْدَحِمُ
مُقَلَّبَاتِ ٱلسُّرُوجِ شَاخِصَةً   لَهَا زَفِيرٌ ذَابَتْ بِهِ ٱللُّجُمُ
وَحَلَّ دَارًا ضَاقَتْ بِسَاكِنِهَا   وَدُونَ أَدْنَى دِيَارِهِ إِرَمُ
كَأَنَّهُ لَمْ يَطُلْ إِلَى رُتَبٍ   تَقْصُرُ مِنْ دُونِ نَيْلِهَا ٱلْهِمَمُ
وَلَمْ يُمَهِّدْ لِلْمُلْكِ قَاعِدَةً   بِهَا عُيُونُ ٱلْعُقُولِ تَحْتَلِمُ
وَلَمْ تُقَبِّلْ لَهُ ٱلْمُلُوكُ يَدًا   تَرْغَبُ فِي سِلْمِهَا فَتَسْتَلِمُ
وَلَمْ يَقُدْ لِلْحُرُوبِ أُسْدَ وَغًى   تَسْرِي بِهَا مِنْ رِمَاحِهَا أُجُمُ
أَيْنَ ٱلَّذِي كَانَ لِلْوَرَى سَنَدًا   وَرَحْبُ أَكْنَافِهِ لَهَا حَرَمُ
أَيْنَ ٱلَّذِي إِنْ سَرَى إِلَى بَلَدٍ   لَا ظُلْمَ يَبْقَى بِهِ وَلَا ظُلَمُ
أَيْنَ ٱلَّذِي يَحْفَظُ ٱلذِّمَامَ لَنَا   إِنْ خُفِرَتْ عِنْدَ غَيْرِهِ ٱلذِّمَمُ
يَا نَاصِرَ ٱلدِّينِ وَٱبْنَ نَاصِرِهِ   وَمَنْ بِهِ فِي ٱلْخُطُوبِ يُعْتَصَمُ
وَصَاحِبَ ٱلرُّتْبَةِ ٱلَّتِي وَطِئَتْ   لَهَا عَلَى هَامَةِ ٱلسُّهَى قَدَمُ
يُثْنِي عَلَيْكَ ٱلْوَرَى وَمَا شَهِدُوا   مِنَ ٱلسَّجَايَا إِلَّا بِمَا عَلِمُوا
يَبْكِيكَ مَأْلُوفُكَ ٱلتُّقَى أَسَفًا   وَصَاحِبَاكَ ٱلْعَفَافُ وَٱلْكَرَمُ

١٠٨ لابي تمام في محمد بن الفضل الحميري

رَيْبُ دَهْرٍ أَصَمَّ دُونَ ٱلْعِتَابِ مُرْصَدٌ بِٱلْأَوْجَالِ وَٱلْأَوْصَابِ
جَفَّ دَرُّ ٱلدُّنْيَا فَقَدْ أَصْبَحَتْ تَكْـ تَالُ أَرْوَاحَنَا بِغَيْرِ حِسَابِ
إِنَّ رَيْبَ ٱلزَّمَانِ يُحْسِنُ أَنْ يُهْـ دِي ٱلرَّزَايَا إِلَى ذَوِي ٱلْأَحْسَابِ
فَلِهٰذَا يَجِفُّ بَعْدَ ٱخْضِرَارٍ قَبْلَ رَوْضِ ٱلْوِهَادِ رَوْضُ ٱلرَّوَابِي
لَمْ تَدُرْ عَيْنُهُ عَنِ ٱلْخُمْسِ حَتَّى ضَعْضَعَتْ رُكْنَ حِمْيَرَ ٱلْأَرْبَابِ
بَطَشَتْ مِنْهُمُ بِلُؤْلُؤَةِ ٱلْغَـوَّاصِ حُسْنًا وَدُمْيَةِ ٱلْمِحْرَابِ
بِٱلصَّرِيحِ ٱلصَّرِيحِ وَٱلْأَرْوَعِ ٱلْأَرْ وَعِ مِنْهُمْ وَبِٱللُّبَابِ ٱللُّبَابِ
ذَهَبَتْ يَا مُحَمَّدُ ٱلْغُرُّ مِنْ أَيَّـامِكَ ٱلْوَاضِحَاتِ أَيَّ ذَهَابِ
عَبَسَ ٱلْمَجْدُ وَٱلثَّرَى مِنْكَ وَجْهًا غَيْرَ مَا عَابِسٍ وَلَا قَطَّابِ
أَطْفَأَ ٱلْمَجْدُ وَٱلثَّرَى لُبَّكَ ٱلْمُسْـ رَجَ فِي وَقْتِ ظُلْمَةِ ٱلْأَلْبَابِ
وَتَبَدَّلْتَ مَـنْزِلًا ظَاهِرَ ٱلْجَدْ بِ يُسَمَّى مُقَطَّعَ ٱلْأَسْبَابِ
مَنْزِلًا مُوحِشًا وَإِنْ كَانَ مَعْمُو رًا بِجُلِّ ٱلصَّدِيقِ وَٱلْأَحْبَابِ
يَا شِهَابًا خَبَا لِآلِ عُبَيْدِ ٱللّٰـهِ أَعْزِزْ بِفَقْـدِ هٰذَا ٱلشِّهَابِ
زَهْرَةٌ غَضَّةٌ تَفَتَّحُ عَنْهَا ٱلْـ مَجْدُ فِي مَنْبِتٍ أَنِيقِ ٱلْجَنَابِ
خُلُقٌ كَٱلْمُدَامِ أَوْ كَرُضَابِ ٱلْـمِسْكِ أَوْ كَٱلْعَبِيرِ أَوْ كَٱلْمَلَابِ
وَحَيَاءٌ نَاهِيكَ فِي غَيْرِ عِيٍّ وَصِبًا مُشْرِقٌ بِغَيْرِ تَصَابِي
أَنْزَلَتْهُ ٱلْأَيَّامُ عَنْ ظَهْرِهَا مِنْ بَعْدِ إِثْبَاتِ رِجْلِهِ فِي ٱلرِّكَابِ
حِينَ سَامَى ٱلشَّبَابَ وَٱغْتَدَتِ ٱلدُّنْ يَا عَلَيْهِ مُفَتَّحَةَ ٱلْأَبْوَابِ

وَحَكَى ٱلصَّارِمَ ٱلْمُحَلَّى سِوَى أَنْ … نَ حِلَاهُ جَوَاهِرُ ٱلْآدَابِ
وَهُوَ غَضُّ ٱلْآرَاءِ وَٱلْحَزْمِ خِرْقٌ … ثُمَّ غَضُّ ٱلنَّوَالِ غَضُّ ٱلشَّبَابِ
قَصَدَتْ نَحْوَهُ ٱلْمَنِيَّةُ حَتَّى … وَهَبَتْ حُسْنَ وَجْهِهِ لِلتُّرَابِ

١٠٩ ولحبيب يرثي القاسم بن طوق

جَوًى سَاوَرَ ٱلْأَحْشَاءَ وَٱلْقَلْبَ وَاغِلُهْ … وَدَمْعٌ يُضِيمُ ٱلْعَيْنَ وَٱلْجَفْنَ هَامِلُهْ
وَفَاجِعُ مَوْتٍ لَا عَدُوٌّ يَخَافُهُ … فَيَبْقَى وَلَا يَلْقَى صَدِيقًا يُجَامِلُهْ
وَأَيُّ أَخِي عَزَّاءَ أَوْ جَبْرِيَّةٍ … يُنَابِذُهُ أَوْ أَيُّ رَامٍ يُنَاضِلُهْ
إِذَا مَا جَرَى مَجْرَى دَمِ ٱلْمَرْءِ حُكْمُهُ … وَبُثَّتْ عَلَى طُرُقِ ٱلنُّفُوسِ حَبَائِلُهْ
سَنَشْكُوهُ إِعْلَانًا وَسِرًّا وَنِيَّةً … شَكِيَّةَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ يُقَاتِلُهْ
فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي رَبِيعَةَ أَنَّهُ … تَقَشَّعَ طَلُّ ٱلْجُودِ مِنْهَا وَوَابِلُهْ
وَأَنَّ ٱلْحِجَى مِنْهَا ٱسْتَطَارَتْ صُدُوعُهُ … وَأَنَّ ٱلنَّدَى مِنْهَا أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهْ
مَضَى لِلزِّيَالِ ٱلْقَاسِمُ ٱلْوَاهِبُ ٱللُّهَى … وَلَوْ لَمْ يُزَايِلْنَا لَكُنَّا نُزَايِلُهْ
وَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ ٱلزَّمَانَ يُرِيدُهُ … بِفَجْعٍ وَلَوْ أَنَّ ٱلْمَنَايَا تُرَاسِلُهْ
فَتًى سِيطَ حُبُّ ٱلْمَكْرُمَاتِ بِلَحْمِهِ … وَخَامَرَهُ حَقُّ ٱلسَّمَاحِ وَبَاطِلُهْ
فَتًى لَمْ يَذُقْ سُكْرَ ٱلشَّبَابِ وَلَمْ تَكُنْ … تَهُبُّ شَمَالًا لِلصَّدِيقِ شَمَائِلُهْ
فَتًى جَاهُهُ مِقْدَارُهُ وَٱثْنَتَا ٱلْعُلَى … يَدَاهُ وَعَشْرُ ٱلْمَكْرُمَاتِ أَنَامِلُهْ
فَتًى يَنْفَحُ ٱلْأَيَّامَ مِنْ طِيبِ ذِكْرِهِ … ثَنَاءً كَأَنَّ ٱلْعَنْبَرَ ٱلْوَرْدَ شَامِلُهْ
لَقَدْ فُجِعَتْ عَتَّابُهُ وَزُهَيْرُهُ … وَتَغْلِبُهُ أُخْرَى ٱللَّيَالِي وَوَائِلُهْ
وَكَانَ لَهُمْ غَيْثًا وَعِلْمًا لِمُعْدِمٍ … فَيَسْأَلُهُ أَوْ بَاحِثٍ فَيُسَائِلُهْ

وَمُبْتَدِرَ ٱلْمَعْرُوفِ تَسْرِي هِبَاتُهُ ... إِلَيْهِمْ وَلَا تَسْرِي إِلَيْهِمْ غَوَائِلُهْ
فَتًى لَمْ تَكُنْ تَغْلِي ٱلْحُقُودُ بِصَدْرِهِ ... وَتَغْلِي لِأَضْيَافِ ٱلشِّتَاءِ مَرَاجِلُهْ
وَكُنْ سَجَايَاهُ يُضِيفُ ضُيُوفَهُ ... وَيُرْجِي مُرْجِيهِ وَيُسْأَلُ سَائِلُهْ
طَوَاهُ ٱلرَّدَى طَيَّ ٱلرِّدَاءِ وَغُيِّبَتْ ... فَضَائِلُهُ عَنْ قَوْمِهِ وَفَوَاضِلُهْ
طَوَى شِيَمًا كَانَتْ تَرُوحُ وَتَغْتَدِي ... وَسَائِلَ مَنْ أَعْيَتْ عَلَيْهِ وَسَائِلُهْ
فَيَا عَارِضًا لِلْعُرْفِ أَقْلَعَ مُزْنُهُ ... وَيَا وَادِيًا لِلْجُودِ جَفَّتْ مَسَائِلُهْ
أَلَمْ تَرَنِي أَنْزَفْتُ عَيْنِي عَلَى أَبِي ... مُحَمَّدٍ ٱلنَّجْمِ ٱلْمُغَيَّبِ آفِلُهْ
وَأَخْضَلْتُهَا فِيهِ كَمَا لَوْ أَتَيْتُهُ ... طَرِيدَ ٱللَّيَالِي أَخْضَلَتْنِي نَوَافِلُهْ
وَلَكِنَّنِي أَطْرِي ٱلْحُسَامَ إِذَا مَضَى ... وَإِنْ كَانَ يَوْمَ ٱلرَّوْعِ غَيْرِي حَامِلُهْ
وَآسَى عَلَى جَيْحَانَ لَوْ غَاضَ مَاؤُهُ ... وَإِنْ كَانَ ذَوْدًا غَيْرَ ذَوْدِي نَاهِلُهْ
عَلَيْكَ أَبَا كُلْثُومٍ ٱلصَّبْرَ إِنَّنِي ... أَرَى ٱلصَّبْرَ أُخْرَاهُ تُقًى وَأَوَائِلُهْ
يُعَادِلُ وَزْنًا كُلَّ شَيْءٍ وَلَا أَرَى ... سِوَى صِحَّةِ ٱلتَّوْحِيدِ شَيْئًا يُعَادِلُهْ
فَأَنْتَ سَنَامٌ لِلْفَخَارِ وَغَارِبٌ ... وَصِنْوَاكَ مِنْهُ مَنْكِبَاهُ وَكَاهِلُهْ
وَلَيْسَتْ أَثَافِي ٱلْقِدْرِ إِلَّا ثَلَاثُهَا ... وَلَا ٱلرُّمْحُ إِلَّا لَهْذَمَاهُ وَعَامِلُهْ

١١٠ لابي العلاء المعري في جعفر بن المهذب

أَحْسَنُ بِٱلْوَاجِدِ مِنْ وَجْدِهِ ... صَبْرٌ يُعِيدُ ٱلنَّارَ فِي زَنْدِهِ
وَمَنْ أَبَى فِي ٱلرُّزْءِ غَيْرَ ٱلْأَسَى ... كَانَ بُكَاهُ مُنْتَهَى جُهْدِهِ
فَلْيَذْرِفِ ٱلْجَفْنُ عَلَى جَعْفَرٍ ... إِذْ كَانَ لَمْ يُفْتَحْ عَلَى نِدِّهِ
وَٱلشَّيْءُ لَا يَكْثُرُ مُدَّاحُهُ ... إِلَّا إِذَا قِيسَ إِلَى ضِدِّهِ

لَيسَ ٱلَّذي يُبكَى عَلى وَصْلِهِ مِثلَ ٱلَّذي يُبكَى عَلى صَدِّهِ
وَٱلطَّرفُ يَرتاحُ إِلى غُمضِهِ وَلَيسَ يَرتاحُ إِلى سُهدِهِ
كانَ ٱلأَسى فَرضاً لَوَانَّ ٱلرَّدى قالَ لَنا أَفدوهُ فَلَمْ نَفدِهِ
هَلْ هُوَ إِلَّا طالِعٌ لِلهُدى سارَ مِنَ ٱلتُّربِ إِلى سَعدِهِ
فَباتَ أَدنى مِن يَدٍ بَينَنا كَأَنَّهُ ٱلكَوكَبُ في بُعدِهِ
يا دَهرُ يا مُنجِزَ إِيعادِهِ وَمُخلِفَ ٱلمَأمولِ مِن وَعدِهِ
أَيُّ جَديدٍ لَكَ لَمْ تُبلِهِ وَأَيُّ أَقرانِكَ لَمْ تُردِهِ
تَستَأسِرُ ٱلعِقبانَ في جَوِّها وَتُنزِلُ ٱلأَعصَمَ مِن فِندِهِ
أَرى ذَوي ٱلفَضلِ وَأَضدادَهُم يَجمَعُهُم سَيلُكَ في مَدِّهِ
إِن لَمْ يَكُن رُشدُ ٱلفَتى نافِعاً فَغَيُّهُ أَنفَعُ مِن رُشدِهِ
تَجرِبَةُ ٱلدُّنيا وَأَفعالِها حَثَّتْ أَخا ٱلزُّهدِ عَلى زُهدِهِ
إِنَّ زَماني بِرَزاياهُ لي صَيَّرَني أَمرَحُ في قِدِّهِ
كَأَنَّنا في كَفِّهِ مالُهُ يُنفِقُ ما يَختارُ مِن نَقدِهِ
لَوْ عَرَفَ ٱلإِنسانُ مِقدارَهُ لَمْ يَفخَرِ ٱلمَولى عَلى عَبدِهِ
أَضحى ٱلَّذي أُجِّلَ في سِنِّهِ مِثلَ ٱلَّذي عوجِلَ في مَهدِهِ
وَلا يُبالي ٱلمَيتُ في قَبرِهِ بِذَمِّهِ شُيِّعَ أَمْ حَمدِهِ
وَٱلواحِدُ ٱلمُفرَدُ في حَتفِهِ كَٱلحاشِدِ ٱلمُكثِرِ مِن حَشدِهِ
وَحالَةُ ٱلباكي لِآبائِهِ كَحالَةِ ٱلباكي عَلى وُلدِهِ
ما رَغبَةُ ٱلحَيِّ بِأَبنائِهِ عَمّا جَنى ٱلمَوتُ عَلى جَدِّهِ

وَمَجْدُهُ أَفْعَالُهُ لَا الَّذِي ... مِنْ قَبْلِهِ كَانَ وَلَا بَعْدِهِ
لَوْلَا سَجَايَاهُ وَأَخْلَاقُهُ ... لَكَانَ كَالْمَعْدُومِ فِي وُجْدِهِ
تَشْتَاقُ أَيَّارَ نُفُوسُ الْوَرَى ... وَإِنَّمَا الشَّوْقُ إِلَى وَرْدِهِ
تَدْعُو بِطُولِ الْعُمْرِ أَفْوَاهُنَا ... لِمَنْ تَنَاهَى الْقَلْبُ فِي وُدِّهِ
يُسَرُّ إِنْ مُدَّ بَقَاءٌ لَهُ ... وَكُلُّ مَا يَكْرَهُ فِي مَدِّهِ
أَفْضَلُ مَا فِي النَّفْسِ يَغْتَالُهَا ... فَنَسْتَعِيذُ اللَّهَ مِنْ جُنْدِهِ
كَمْ صَائِنٍ عَنْ قُبْلَةٍ خَدَّهُ ... سُلِّطَتِ الْأَرْضُ عَلَى خَدِّهِ
وَحَامِلٍ ثِقْلَ الثَّرَى جِيدُهُ ... وَكَانَ يَشْكُو الضُّعْفَ مِنْ عِقْدِهِ
وَرُبَّ ظَمْآنَ إِلَى مَوْرِدٍ ... وَالْمَوْتُ لَوْ يَعْلَمُ فِي وِرْدِهِ
وَمُرْسِلِ الْغَارَةِ مَبْثُوثَةً ... مِنْ أَدْهَمِ اللَّوْنِ وَمِنْ وَرْدِهِ
يَخُوضُ بَحْرًا نَقْعُهُ مَاؤُهُ ... يَحْمِلُهُ السَّابِحُ فِي لِبْدِهِ
أَشْجَعُ مِنْ قَلْبِ خَطِّيَّةٍ ... عَلَى طَوِيلِ الْبَاعِ مُمْتَدِّهِ
يَرَى وُقُوعَ الزُّرْقِ فِي دِرْعِهِ ... مِثْلَ وُقُوعِ الزُّرْقِ فِي جِلْدِهِ
لَا يَصِلُ الرُّمْحُ إِلَى طَرْفِهِ ... وَلَا إِلَى الْمُحْكَمِ مِنْ سَرْدِهِ
يُلْقِي عَلَيْهِ الطَّعْنُ إِلْقَاءَكَ الْ ... حَبَّ عَلَى الْمِسْرَعِ فِي عِقْدِهِ
بِلَحْظَةٍ مِنْهُ فَمَا دُونَهَا ... يَرُدُّ غَرْبَ الْجَيْشِ عَنْ قَصْدِهِ
أَمْهَلَهُ الدَّهْرُ فَأَوْدَى بِهِ ... مُبْيَضُّهُ يُحْدَى بِمُسْوَدِّهِ
فَيَا أَخَا الْمَفْقُودِ فِي خَمْسَةٍ ... كَالشُّهْبِ مَا سَلَّاكَ عَنْ فَقْدِهِ
جَاءَكَ هَذَا الْحُزْنُ مُسْتَجْدِيًا ... أَجْرَكَ فِي الصَّبْرِ فَلَا تُجْدِهِ

سَلِّمْ إلى اللهِ فكُلُّ الذي ... ساءَكَ أو سرَّكَ مِنْ عِنْدِهِ
لا يَعدَمُ الأسمرُ في غابِهِ ... حَتْفاً ولا الأبيضُ في غِمْدِهِ
ـبَ الذي الوحشةُ في دارِهِ ... تُؤنِسُهُ الرحمةُ في لَحدِهِ
لا أوحشتْ دارُكَ مِنْ شمسِها ... ولا خلا غابُكَ مِنْ أُسْدِهِ

١١ ولأبي العلاء المعرّي في فقيه حنفي

غيرُ مُجْدٍ في مِلّتي واعتقادي ... نَوْحُ باكٍ ولا ترنُّمُ شادِ
وشَبيهٌ صوتُ النَّعيِّ إذا قيـ ... ـسَ بصوتِ البشيرِ في كلِّ نادِ
أبَكَتْ تِلْكُمُ الحمامةُ أمْ غنَّـ ... ـتْ على فرعِ غُصنِها المَيّادِ
صاحِ هذي قُبورُنا تملأُ الرُّحـ ... ـبَ فأينَ القبورُ مِنْ عَهْدِ عادِ
خَفِّفِ الوطْءَ ما أظُنُّ أديمَ الـ ... أرضِ إلّا مِنْ هذهِ الأجسادِ
وقبيحٌ بنا وإنْ قَدُمَ العهـ ... ـدُ هَوانُ الآباءِ والأجدادِ
سِرْ إنِ اسطعتَ في الهواءِ رُوَيداً ... لا اختيالاً على رُفاتِ العبادِ
رُبَّ لَحْدٍ قد صارَ لَحْداً مِراراً ... ضاحِكٍ مِنْ تزاحُمِ الأضدادِ
ودَفينٍ على بقايا دفينٍ ... في طويلِ الأزمانِ والآبادِ
تَعَبٌ كُلُّها الحياةُ فما أعـ ... ـجَبُ إلّا مِنْ راغبٍ في ازديادِ
إنَّ حُزناً في ساعةِ الموتِ أضعا ... فُ سُرورٍ في ساعةِ الميلادِ
خُلِقَ النّاسُ للبقاءِ فضلَّتْ ... أُمَّةٌ يَحسبونهم للنَّفادِ
إنّما يُنقلونَ مِنْ دارِ أعما ... لٍ إلى دارِ شِقوةٍ أو رَشادِ
ضَجعةُ الموتِ رَقدةٌ يستريحُ الـ ... ـجِسمُ فيها والعيشُ مِثلُ السُّهادِ

أبنات الهديل أسعدن أو عد ‏ ‏ ن قليل العزاء بالإسعاد
فتسلبن واستعرن جميعا ‏ ‏ من قميص الدجى ثياب حداد
ثم غردن في المآتم واندبـ ‏ ‏ ـن بشجو مع الغواني الخراد
قصد الدهر من أبي حمزة الأوّ ‏ ‏ اب مولى حجى وخدن اقتصاد
وفقيها أفكاره شدن للنعـ ‏ ‏ ـمان ما لم يشده شعر زياد
فالعراقي بعده للحجازيّ ‏ ‏ م قليل الخلاف سهل القياد
وخطيبا لو قام بين وحوش ‏ ‏ علّم الضاريات برّ النقاد
راويا للحديث لم يحوج المعـ ‏ ‏ ـروف من صدقه إلى الإسناد
أنفق العمر ناسكا يطلب العلـ ‏ ‏ ـم بكشف عن أصله وانتقاد
مستقي الكف من قليب زجاج ‏ ‏ بغروب اليراع ماء مداد
ذا بنان لا تلمس الذهب الأحـ ‏ ‏ ـمر زهدا في العسجد المستفاد
ودعا أيها الحفيان ذاك الـ ‏ ‏ ـشخص إن الوداع أيسر زاد
واغسلاه بالدمع إن كان طهرا ‏ ‏ وادفناه بين الحشى والفؤاد
واحبواه الأكفان من ورق المصـ ‏ ‏ ـحف كبرا عن أنفس الأبراد
واتلوا النعش بالقراءة والتسـ ‏ ‏ ـبيح لا بالنحيب والتعداد
أسف غير نافع واجتهاد ‏ ‏ لا يؤدي إلى غناء اجتهاد
طالما أخرج الحزين جوى الحز ‏ ‏ ن إلى غير لائق بالسداد
كيف أصبحت في محلك بعدي ‏ ‏ يا جديرا مني بحسن افتقاد
قد أقر الطبيب عنك بعجز ‏ ‏ وتقضى تردد العواد

وَٱنْتَهَى ٱلْيَأْسُ مِنْكَ وَٱسْتَشْعَرَ ٱلْوَجْـدُ   بِأَنْ لَا مَعَادَ حَتَّى ٱلْمَعَادِ
هَجَدَ ٱلسَّاهِرُونَ حَوْلَكَ لِلتَّمْـ   ـرِيضِ وَيْحٌ لِأَعْيُنِ ٱلْهُجَّادِ
لَا يُغَيِّرْكُمُ ٱلصَّعِيدُ وَكُونُوا   فِيهِ مِثْلَ ٱلسُّيُوفِ فِي ٱلْأَغْمَادِ
فَعَزِيزٌ عَلَيَّ خَلْطُ ٱللَّيَالِي   رِمَّ أَقْدَامِكُمْ بِرِمِّ ٱلْهَوَادِي
كُنْتَ خِلَّ ٱلصِّبَا فَلَمَّا أَرَادَ ٱلْـ   ـبَيْنَ وَافَقْتَ رَأْيَهُ فِي ٱلْمُرَادِ
وَرَأَيْتَ ٱلْوَفَاءَ لِلصَّاحِبِ ٱلْأَوَّ   لِ مِنْ شِيمَةِ ٱلْكَرِيمِ ٱلْجَوَادِ
وَخَلَعْتَ ٱلشَّبَابَ غَضًّا فَيَالَيْـ   ـتَكَ أَبْلَيْتَهُ مَعَ ٱلْأَنْدَادِ
فَٱذْهَبَا خَيْرَ ذَاهِبَيْنِ حَقِيقَيْـ   ـنِ بِسُقْيَا رَوَائِحٍ وَغَوَادِ
وَمَرَاثٍ لَوْ أَنَّهُنَّ دُمُوعٌ   لَمَحَوْنَ ٱلسُّطُورَ فِي ٱلْإِنْشَادِ
فَلْيَكُنْ لِلْمُحَسَّنِ ٱلْأَجَلُ ٱلْمَمْـ   ـدُودُ رَغْمًا لِآنُفِ ٱلْحُسَّادِ
وَلْيَطِبْ عَنْ أَخِيهِ نَفْسًا وَأَبْنَا   ءِ أَخِيهِ جَرَائِحِ ٱلْأَكْبَادِ
وَإِذَا ٱلْبَحْرُ غَاضَ عَنِّي وَلَمْ أَرْ   وَ فَلَا رِيَّ بِٱدِّخَارِ ٱلثِّمَادِ
كُلُّ بَيْتٍ لِلْهَدْمِ مَا تَبْتَنِي ٱلْوَرْ   قَاءُ وَٱلسَّيِّدُ ٱلرَّفِيعُ ٱلْعِمَادِ
وَٱللَّبِيبُ ٱللَّبِيبُ مَنْ لَيْسَ يَغْتَـ   ـرُّ بِكَوْنٍ مَصِيرُهُ لِلْفَسَادِ

١١٢ قال ابو الطيب المتنبي يرثي ابا شجاع فاتك

أَلْحُزْنُ يُقْلِقُ وَٱلتَّجَمُّلُ يَرْدَعُ   وَٱلدَّمْعُ بَيْنَهُمَا عَصِيٌّ طَيِّعُ
يَتَنَازَعَانِ دُمُوعَ عَيْنِ مُسَهَّدٍ   هٰذَا يَجِيءُ بِهَا وَهٰذَا يَرْجِعُ
أَلنَّوْمُ بَعْدَ أَبِي شُجَاعٍ نَافِرٌ   وَٱللَّيْلُ مُعْيٍ وَٱلْكَوَاكِبُ ظُلَّعُ
إِنِّي لَأَجْبُنُ مِنْ فِرَاقِ أَحِبَّتِي   وَتُحِسُّ نَفْسِي بِٱلْحِمَامِ فَأَشْجُعُ

وَيَزِيدُنِي غَضَبُ ٱلْأَعَادِي قَسْوَةً   وَيُلِمُّ بِي عَتْبُ ٱلصَّدِيقِ فَأَجْزَعُ
تَصْفُو ٱلْحَيَاةُ لِجَاهِلٍ أَوْ غَافِلٍ   عَمَّا مَضَى مِنْهَا وَمَا يُتَوَقَّعُ
وَلِمَنْ يُغَالِطُ فِي ٱلْحَقَائِقِ نَفْسَهُ   وَيَسُومُهَا طَلَبَ ٱلْمُحَالِ فَتَطْمَعُ
أَيْنَ ٱلَّذِي ٱلْهَرَمَانِ مِنْ بُنْيَانِهِ   مَا قَوْمُهُ مَا يَوْمُهُ مَا ٱلْمَصْرَعُ
تَتَخَلَّفُ ٱلْآثَارُ عَنْ أَصْحَابِهَا   حِينًا وَيُدْرِكُهَا ٱلْفَنَاءُ فَتَتْبَعُ
لَمْ يُرْضِ قَلْبَ أَبِي شُجَاعٍ مَبْلَغٌ   قَبْلَ ٱلْمَمَاتِ وَلَمْ يَسَعْهُ مَوْضِعُ
كُنَّا نَظُنُّ دِيَارَهُ مَمْلُوءَةً   ذَهَبًا فَمَاتَ وَكُلُّ دَارٍ بَلْقَعُ
وَإِذَا ٱلْمَكَارِمُ وَٱلصَّوَارِمُ وَٱلْقَنَا   وَبَنَاتُ أَعْوَجَ كُلُّ شَيْءٍ يَجْمَعُ
أَلْمَجْدُ أَخْسَرُ وَٱلْمَكَارِمُ صَفْقَةً   مِنْ أَنْ يَعِيشَ بِهَا ٱلْكَرِيمُ ٱلْأَرْوَعُ
وَٱلنَّاسُ أَنْزَلُ فِي زَمَانِكَ مَنْزِلًا   مِنْ أَنْ تُعَايِشَهُمْ وَقَدْرُكَ أَرْفَعُ
بَرِّدْ حَشَايَ إِنِ ٱسْتَطَعْتَ بِلَفْظَةٍ   فَلَقَدْ تَضُرُّ إِذَا تَشَاءُ وَتَنْفَعُ
مَا كَانَ مِنْكَ إِلَى خَلِيلٍ قَبْلَهَا   مَا يُسْتَرَابُ بِهِ وَلَا مَا يُوجِعُ
وَلَقَدْ أَرَاكَ وَمَا تُلِمُّ مُلِمَّةٌ   إِلَّا نَفَاهَا عَنْكَ قَلْبٌ أَصْمَعُ
وَيَدٌ كَأَنَّ قِتَالَهَا وَنَوَالَهَا   فَرْضٌ يَحِقُّ عَلَيْكَ وَهْوَ تَبَرُّعُ
يَا مَنْ يُبَدِّلُ كُلَّ يَوْمٍ حُلَّةً   أَنَّى رَضِيتَ بِحُلَّةٍ لَا تُنْزَعُ
مَا زِلْتَ تَخْلَعُهَا عَلَى مَنْ شَاءَهَا   حَتَّى لَبِسْتَ ٱلْيَوْمَ مَا لَا تَخْلَعُ
مَا زِلْتَ تَدْفَعُ كُلَّ أَمْرٍ فَادِحٍ   حَتَّى أَتَى ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي لَا يُدْفَعُ
فَظَلِلْتَ تَنْظُرُ لَا رِمَاحُكَ شُرَّعٌ   فِيمَا عَرَاكَ وَلَا سُيُوفُكَ قُطَّعُ
بِأَبِي ٱلْوَحِيدُ وَجَيْشُهُ مُتَكَاثِرٌ   يَبْكِي وَمِنْ شَرِّ ٱلسِّلَاحِ ٱلْأَدْمُعُ

وَإِذَا حَصَلْتَ مِنَ ٱلسِّلَاحِ عَلَى ٱلْبُكَا فَحَشَاكَ رُعْتَ بِهِ وَخَدَّكَ تَقْرَعُ
وَصَلَتْ إِلَيْكَ يَدٌ سَوَاءٌ عِنْدَهَا ٱلْـ ـبَازُ ٱلْأُشَيْهِبُ وَٱلْغُرَابُ ٱلْأَبْقَعُ
مَنْ لِلْمَحَافِلِ وَٱلْجَحَافِلِ وَٱلسُّرَى فَقَدَتْ بِفَقْدِكَ نَيِّرًا لَا يَطْلُعُ
وَمَنِ ٱتَّخَذْتَ عَلَى ٱلضُّيُوفِ خَلِيفَةً ضَاعُوا وَمِثْلُكَ لَا يَكَادُ يُضَيِّعُ
قُبْحًا لِوَجْهِكَ يَا زَمَانُ فَإِنَّهُ وَجْهٌ لَهُ مِنْ كُلِّ لُؤْمٍ بُرْقُعُ
أَيَمُوتُ مِثْلُ أَبِي شُجَاعٍ فَاتِكٍ وَيَعِيشُ حَاسِدُهُ ٱلْخَصِيُّ ٱلْأَوْكَعُ
أَيْدٍ مُقَطَّعَةٌ حَوَالَيْ رَأْسِهِ وَقَفًا يَصِيحُ بِهَا أَلَا مَنْ يَصْفَعُ
أَبْقَيْتَ أَكْذَبَ كَاذِبٍ أَبْقَيْتَهُ وَأَخَذْتَ أَصْدَقَ مَنْ يَقُولُ وَيَسْمَعُ
وَتَرَكْتَ أَنْتَنَ رِيحَةٍ مَذْمُومَةٍ وَسَلَبْتَ أَطْيَبَ رِيحَةٍ تَتَضَوَّعُ
فَٱلْيَوْمَ قَرَّ لِكُلِّ وَحْشٍ نَافِرٍ دَمُهُ وَكَانَ كَأَنَّهُ يَتَطَلَّعُ
وَتَصَالَحَتْ ثَمَرُ ٱلسِّيَاطِ وَخَيْلُهُ وَأَوَتْ إِلَيْهَا سُوقُهَا وَٱلْأَذْرُعُ
وَعَفَا ٱلطِّرَادُ فَلَا سِنَانٌ رَاعِفٌ فَوْقَ ٱلْقَنَاةِ وَلَا حُسَامٌ يَلْمَعُ
وَلَّى وَكُلُّ مُخَالِمٍ وَمُنَادِمٍ بَعْدَ ٱللُّزُومِ مُشَيِّعٌ وَمُوَدِّعُ
مَنْ كَانَ فِيهِ لِكُلِّ قَوْمٍ مَلْجَأٌ وَلِسَيْفِهِ فِي كُلِّ قَوْمٍ مَرْتَعُ
إِنْ حَلَّ فِي فُرْسٍ فَفِيهَا رَبُّهَا كِسْرَى تَذِلُّ لَهُ ٱلرِّقَابُ وَتَخْضَعُ
أَوْ حَلَّ فِي رُومٍ فَفِيهَا قَيْصَرٌ أَوْ حَلَّ فِي عُرْبٍ فَفِيهَا تُبَّعُ
قَدْ كَانَ أَسْرَعَ فَارِسٍ فِي طَعْنَةٍ فَرَسًا وَلٰكِنَّ ٱلْمَنِيَّةَ أَسْرَعُ
لَا قَلَّبَتْ أَيْدِي ٱلْفَوَارِسِ بَعْدَهُ رُمْحًا وَلَا حَمَلَتْ جَوَادًا أَرْبَعُ

١١٣ ولهُ ايضاً يرثي والدة سيف الدولة وقد توفيت بميافارقين .
وجاءهُ الخبر بموتها الى حلب

نُعِدُّ ٱلْمَشْرَفِيَّةَ وَٱلْعَوَالِي   وَتَقْتُلُنَا ٱلْمَنُونُ بِلَا قِتَالِ
وَنَرْتَبِطُ ٱلسَّوَابِقَ مُقْرَبَاتٍ   وَمَا يُنْجِينَ مِنْ خَبَبِ ٱللَّيَالِي
وَمَنْ لَمْ يَعْشَقِ ٱلدُّنْيَا قَدِيمًا   وَلٰكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى ٱلْوِصَالِ
نَصِيبُكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبٍ   نَصِيبُكَ فِي مَنَامِكَ مِنْ خَيَالِ
رَمَانِي ٱلدَّهْرُ بِٱلْأَرْزَاءِ حَتَّى   فُؤَادِي فِي غِشَاءٍ مِنْ نِبَالِ
فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي سِهَامٌ   تَكَسَّرَتِ ٱلنِّصَالُ عَلَى ٱلنِّصَالِ
وَهَانَ فَمَا أُبَالِي بِٱلرَّزَايَا   لِأَنِّي مَا ٱنْتَفَعْتُ بِأَنْ أُبَالِي
وَهٰذَا أَوَّلُ ٱلنَّاعِينَ طُرًّا   لِأَوَّلِ مَيْتَةٍ فِي ذَا ٱلْجَلَالِ
كَأَنَّ ٱلْمَوْتَ لَمْ يَفْجَعْ بِنَفْسٍ   وَلَمْ يَخْطُرْ لِمَخْلُوقٍ بِبَالِ
صَلَاةُ ٱللهِ خَالِقِنَا حَنُوطٌ   عَلَى ٱلْوَجْهِ ٱلْمُكَفَّنِ بِٱلْجَمَالِ
عَلَى ٱلْمَدْفُونِ قَبْلَ ٱلتُّرْبِ صَوْنًا   وَقَبْلَ ٱللَّحْدِ فِي كَرَمِ ٱلْخِلَالِ
فَإِنَّ لَهُ بِبَطْنِ ٱلْأَرْضِ شَخْصًا   جَدِيدًا ذِكْرُنَاهُ وَهْوَ بَالِي
وَمَا أَحَدٌ يُخَلَّدُ فِي ٱلْبَرَايَا   بَلِ ٱلدُّنْيَا تَؤُولُ إِلَى زَوَالِ
أَطَابَ ٱلنَّفْسَ أَنَّكِ مُتِّ مَوْتًا   تَمَنَّتْهُ ٱلْبَوَاقِي وَٱلْخَوَالِي
وَزُلْتِ وَلَمْ تَرَيْ يَوْمًا كَرِيهًا   يُسَرُّ ٱلرُّوحُ فِيهِ بِٱلزَّوَالِ
رِوَاقُ ٱلْعِزِّ حَوْلَكِ مُسْبَطِرٌّ   وَمُلْكُ عَلِيٍّ ٱبْنِكِ فِي كَمَالِ
سَقَى مَثْوَاكِ غَادٍ فِي ٱلْغَوَادِي   نَظِيرُ نَوَالِ كَفِّكِ فِي ٱلنَّوَالِ

أُسائلُ عنكِ بعدكِ كلَّ مجدٍ　　وما عهدي بمجدٍ عنكِ خالي
يمرُّ بقبرِكِ العافي فيبكي　　ويشغلُهُ البكاءُ عن السؤالِ
وما أهداكِ للجدوى عليهِ　　لو أنّكِ تقدرينَ على فَعالِ
بعيشكِ هل سلوتِ فإنَّ قلبي　　وإنْ جانبتُ أرضكِ غيرُ سالِ
نزلتِ على الكراهةِ في مكانٍ　　بعُدتِ عن النُّعامى والشَّمالِ
تُحجَبُ عنكِ رائحةُ الخزامى　　وتُمنعُ منكِ أنداءُ الطَّلالِ
بدارٍ كلُّ ساكنِها غريبٌ　　طويلُ الهجرِ منبتُّ الحبالِ
حَصانٌ مثلُ ماءِ المزنِ فيهِ　　كتومُ السرِّ صادقةُ المقالِ
يعلّلُها نطاسيُّ الشكايا　　وواحدُها نطاسيُّ المعالي
إذا وصفوا لهُ داءً بثغرٍ　　سقاهُ أسنّةَ الأسلِ الطوالِ
وليستْ كالإناثِ ولا اللواتي　　تُعدُّ لها القبورُ من الحجالِ
ولا مَن في جنازتِها تجارٌ　　يكونُ وداعُها نفضَ النعالِ
مشى الأُمراءُ حوليْها حفاةً　　كأنَّ المروَ من زفِّ الرئالِ
وأبرزتِ الخدورُ مخبّآتٍ　　يضعنَ النِّقسَ أمكنةَ الغوالي
أتتهنَّ المصيبةُ غافلاتٍ　　فدمعُ الحزنِ في دمعِ الدلالِ
ولو كانَ النساءُ كمن فقدنا　　لفُضّلتِ النساءُ على الرجالِ
وما التأنيثُ لاسمِ الشمسِ عيبٌ　　ولا التذكيرُ فخرٌ للهلالِ
وأفجعُ من فقدنا من وجدنا　　قُبيلَ الفقدِ مفقودَ المثالِ
يُدفّنُ بعضُنا بعضاً وتمشي　　أواخرُنا على هامِ الأوالي

أَسَيفَ ٱلدَّولَةِ ٱستَنجِدْ بِصَبرٍ   وَكَيفَ بِمِثلِ صَبرِكَ لِلجِبالِ
فَأَنتَ تُعَلِّمُ ٱلنّاسَ ٱلتَّعَزّي   وَخَوضَ ٱلمَوتِ فِي ٱلحَربِ ٱلسِّجالِ

١١٤ وقال يرثي جدّتهُ وكانت يئست منهُ لطول غيبتهِ فكتب اليها كتابًا فلما وصلها قبّلتهُ وحُمّت من وقتها لما غلب عليها من السرور فماتت

أَلَا لَا أُرِي ٱلأَحداثَ حَمدًا وَلَا ذَمّا   فَمَا بَطشُهَا جَهلًا وَلَا كَفُّهَا حِلمَا
إِلَى مِثلِ مَا كَانَ ٱلفَتَى مَرجِعُ ٱلفَتَى   يَعُودُ كَمَا أُبدِي وَيُكرِي كَمَا أَرمَى
لَكِ ٱللهُ مِن مَفجُوعَةٍ بِحَبِيبِهَا   قَتِيلَةِ شَوقٍ غَيرِ مُلحِقِهَا وَصمَا
أَحِنُّ إِلَى ٱلكَأسِ ٱلَّتِي شَرِبَت بِهَا   وَأَهوَى لِمَثوَاهَا ٱلتُّرَابَ وَمَا ضَمَّا
بَكَيتُ عَلَيهَا خِيفَةً فِي حَيَاتِهَا   وَذَاقَ كِلَانَا ثُكلَ صَاحِبِهِ قِدمَا
وَلَو قَتَلَ ٱلهَجرُ ٱلمُحِبِّينَ كُلَّهُم   مَضَى بَلَدٌ بَاقٍ أَجَدَّت لَهُ صَرمَا
عَرَفتُ ٱللَّيَالِي قَبلَ مَا صَنَعَت بِنَا   فَلَمَّا دَهَتنِي لَم تَزِدنِي بِهَا عِلمَا
أَتَاهَا كِتَابِي بَعدَ يَأسٍ وَتَرحَةٍ   فَمَاتَت سُرُورًا بِي فَمُتُّ بِهَا هَمَّا
حَرَامٌ عَلَى قَلبِي ٱلسُّرُورُ فَإِنَّنِي   أَعُدُّ ٱلَّذِي مَاتَت بِهِ بَعدَهَا سُمَّا
تَعَجَّبُ مِن خَطِّي وَلَفظِي كَأَنَّهَا   تَرَى بِحُرُوفِ ٱلسَّطرِ أَغرِبَةً عُصمَا
وَتَلثِمُهُ حَتَّى أَصَارَ مِدَادُهُ   مَحَاجِرَ عَينَيهَا وَأَنيَابَهَا سُحمَا
رَقَا دَمعُهَا ٱلجَارِي وَجَفَّت جُفُونُهَا   وَفَارَقَ حُبِّي قَلبَهَا بَعدَ مَا أَدمَى
وَلَم يُسلِهَا إِلَّا ٱلمَنَايَا وَإِنَّمَا   أَشَدُّ مِنَ ٱلسُّقمِ ٱلَّذِي أَذهَبَ ٱلسُّقمَا
طَلَبتُ لَهَا حَظًّا فَفَاتَت وَفَاتَنِي   وَقَد رَضِيَت بِي لَو رَضِيتُ لَهَا قِسمَا
فَأَصبَحتُ أَستَسقِي ٱلغَمَامَ لِقَبرِهَا   وَقَد كُنتُ أَستَسقِي ٱلوَغَى وَٱلقَنَا ٱلصُّمَّا

وكنت قبيل الموت أستعظم النوى ... فقد صارت الصغرى التي كانت العظمى
هبيني أخذت الثأر فيك من العدى ... فكيف بأخذ الثأر فيك من الحمى
وما انسدت الدنيا علي لضيقها ... ولكن طرفا لا أراك به أعمى
فوا أسفا أن لا أكب مقبلا ... لرأسك والصدر اللذي ملئا حزما
وأن لا ألاقي روحك الطيب الذي ... كأن ذكي المسك كان له جسما
ولو لم تكوني بنت أكرم والد ... لكان أباك الضخم كونك لي أما
لئن لذ يوم الشامتين بيومها ... فقد ولدت مني لأنافهم رغما
تغرب لا مستعظما غير نفسه ... ولا قابلا إلا لخالقه حكما
ولا سالكا إلا فؤاد عجاجة ... ولا واجدا إلا لمكرمة طعما
يقولون لي ما أنت في كل بلدة ... وما تبتغي ما أبتغي جل أن يسمى
كأن بنيهم عالمون بأنني ... جلوب إليهم من معادنه اليتما
وما الجمع بين الماء والنار في يدي ... بأصعب من أن أجمع الجد والفهما
ولكنني مستنصر بذبابه ... ومرتكب في كل حال به الغشما
وجاعله يوم اللقاء تحيتي ... وإلا فلست السيد البطل القرما
إذا قل عزمي عن مدى خوف بعده ... فأبعد شيء ممكن لم يجد عزما
وإني لمن قوم كأن نفوسنا ... بها أنف أن تسكن اللحم والعظما
كذا أنا يا دنيا إذا شئت فاذهبي ... ويا نفس زيدي في كرائهها قدما
فلا عبرت بي ساعة لا تعزني ... ولا صحبتني مهجة تقبل الظلما

البابُ التاسع
في الفخر

١١٥ قال طرفة يفتخر في قومهِ

سائِلوا عنّا ٱلَّذي يَعرِفُنا ... بِقُوانا يومَ تَحلاقِ ٱللِّمَمْ
يومَ تُبدي ٱلبِيضُ عن أسْوُقِها ... وَتَلُفُّ ٱلخيلُ أعراجَ ٱلنَّعَمْ
أَجْدَرُ ٱلنّاسِ بِرأسٍ صِلْدِمٍ ... حازِمِ ٱلأمرِ شُجاعٍ في ٱلوَغَمْ
كامِلٍ يَحمِلُ آلاءَ ٱلفَتَى ... نَبِهٍ سَيِّدِ ساداتٍ خِضَمْ
خَيْرُ حَيٍّ مِن مَعَدٍّ عُلِموا ... لِكَفِيٍّ وَلِجارٍ وَٱبنِ عَمْ
يَجْبُرُ ٱلمَحْرُوبُ فِينا مالَهُ ... بِبِناءٍ وَسَوامٍ وَخَدَمْ
نُقُلٌ لِلشَّحْمِ في مَشْتاتِنا ... نُحُرٌ لِلنِّيبِ طُرّادُ ٱلقَرَمْ
نَزَعُ ٱلجاهِلَ في مَجلِسِنا ... فَتَرَى ٱلمَجلِسَ فِينا كَٱلحَرَمْ
وَتَفَرَّعْنا مِنِ ٱبْنَيْ وائلٍ ... هامَةَ ٱلمَجدِ وَخُرطومَ ٱلكَرَمْ
مِن بَنِي بَكرٍ إذا ما نُسِبوا ... وَبَنِي تَغلِبَ ضَرّابِي ٱلبُهَمْ
حِينَ يَحْمِي ٱلنّاسَ نَحْمِي سِرْبَنا ... وَاضِحِي ٱلأَوْجُهِ مَعروفِي ٱلكَرَمْ
بِحُساماتٍ تَراها رُسَّبًا ... في ٱلضَّرِيباتِ مُتِرّاتِ ٱلعُصُمْ
وَفُحولٍ هَيْكَلاتٍ وُقُحٍ ... أَعوَجِيّاتٍ عَلَى ٱلشَّأْوِ أُزُمْ
وَقَنًا جُرْدٍ وَخَيْلٍ ضُمَّرٍ ... شُزَّبٍ مِن طُولِ تَعلاكِ ٱللُّجُمْ
وَشَبابٍ وَكُهولٍ نُهَّدٍ ... كَلُيوثٍ بَينَ عِرِّيسِ ٱلأَجَمْ

تُمسِكُ ٱلْخَيلَ على مَكْرُوهِهَا ... حِينَ لا يُمسِكُ إلا ذو كَرَمْ
نَذَرُ ٱلأَبطَالَ صَرعَى بَينَهَا ... تَعكُفُ ٱلعِقْبَانُ فِيهَا وَالرَّخَمْ

١١٦ لعبيد بن الابرص الاسدي

وَلا أَبْتَغِي وِدَّ ٱمرِءٍ قَلَّ خَيرُهُ ... وَمَا أَنَا عَن وَصْلِ ٱلصَّدِيقِ بِأَصْيَدِ
وَإِنِّي لَأُطْفِي ٱلْحَرْبَ بَعْدَ شُبُوبِهَا ... وَقَدْ أُوقِدَتْ لِلْغَيِّ فِي كُلِّ مَوْقِدِ
وَإِنِّي لَذُو رَأْيٍ يُعَاشُ بِفَضْلِهِ ... وَمَا أَنَا مِنْ عِلْمِ ٱلأُمُورِ بِمُبْتَدِي
إِذَا أَنْتَ حَمَّلْتَ ٱلْخَؤُونَ أَمَانَةً ... فَإِنَّكَ قَدْ أَسْنَدْتَهَا شَرَّ مُسْنَدِ
وَجَدْتُ خَؤُونَ ٱلْقَوْمِ كَٱلْعُرِّ يُتَّقَى ... وَمَا خِلْتُ غَمَّ ٱلْجَارِ إِلَّا بِمَعْهَدِ
وَلَا تُظْهِرَنْ وِدَّ ٱمْرِئٍ قَبْلَ خُبْرِهِ ... وَبَعْدَ بَلَاءِ ٱلْمَرْءِ فَٱذْمُمْ أَوِ ٱحْمَدِ
وَلَا تَتْبَعَنَّ ٱلرَّأْيَ مِنْهُ تَقُصُّهُ ... وَلَكِنْ بِرَأْيِ ٱلْمَرْءِ ذِي ٱللُّبِّ فَٱقْتَدِ
وَلَا تَزْهَدَنْ فِي وَصْلِ أَهْلِ قَرَابَةٍ ... لِذُخْرٍ وَفِي وَصْلِ ٱلْأَبَاعِدِ فَٱزْهَدِ
وَإِنْ أَنْتَ فِي مَجْدٍ أَصَبْتَ غَنِيمَةً ... فَعُدْ لِلَّذِي صَادَفْتَ مِنْ ذَاكَ وَٱزْدَدِ
تَزَوَّدْ مِنَ ٱلدُّنْيَا مَتَاعًا فَإِنَّهُ ... عَلَى كُلِّ حَالٍ خَيْرُ زَادِ ٱلْمُزَوَّدِ
تَمَنَّى مُرَيْءُ ٱلْقَيْسِ مَوْتِي وَإِنْ أَمُتْ ... فَتِلْكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدِ
لَعَلَّ ٱلَّذِي يَرْجُو رَدَايَ وَمِيتَتِي ... سَفَاهًا وَجُبْنًا أَنْ يَكُونَ هُوَ ٱلرَّدِي
فَمَا عَيْشُ مَنْ يَرْجُو خِلَافِي بِضَائِرِي ... وَلَا مَوْتُ مَنْ قَدْ مَاتَ قَبْلِي بِمُخْلِدِي
وَلِلْمَرْءِ أَيَّامٌ تُعَدُّ وَقَدْ دَعَتْ ... حِبَالُ ٱلْمَنَايَا لِلْفَتَى كُلَّ مَرْصَدِ
فَمَنْ لَمْ يَمُتْ فِي ٱلْيَوْمِ لَا بُدَّ أَنَّهُ ... سَيَعْلَقُهُ حَبْلُ ٱلْمَنِيَّةِ فِي غَدِ
فَقُلْ لِلَّذِي يَبْغِي خِلَافَ ٱلَّذِي مَضَى ... تَهَيَّأْ لِأُخْرَى مِثْلِهَا فَكَأَنْ قَدِ

فإنا ومن قد باد منا لكالذي يروح وكالقاضي البتات ليغتدي

١١٧ وقال عروة بن الورد العبسي الملقب بعروة الصعاليك

فإن فاز سهم للمنية لم أكن جزوعا وهل عن ذاك من متأخر
لحى الله صعلوكا إذا جن ليله مضى في المشاش آلفا كل مجزر
يعد الغنى من نفسه كل ليلة أصاب قراها من صديق ميسر
ينام عشاء ثم يصبح طاويا يحت الحصى عن جنبه المتعفر
قليل التماس المال إلا لنفسه إذا هو أضحى كالعريش المجور
يعين نساء الحي لا يستعنه فيمسي طليحا كالبعير المحسر
ولكن صعلوكا صفيحة وجهه كضوء شهاب القابس المتنور
مطلا على أعدائه يزجرونه بساحتهم زجر المنيح المشهر
وإن بعدوا لا يأمنون اقترابه تشوق أهل الغائب المتنظر
فذلك إن يلق المنية يلقها حميدا وإن يستغن يوما فأجدر
أيهلك معتم وزيد ولم أقم على ندب يوما ولي نفس مخطر
ستفزع بعد اليأس من لا يخافنا كواسع في أخرى السوام المنفر
يطاعن عنها أول الخيل بالقنا وبيض خفاف ذات لون مشهر
فيوما على نجد وغارات أهلها ويوما بأرض ذات شت وعرعر
يناقلن بالشمط الكرام إلى النهى نقاب الحجاز في السريح المسير
يريح على الليل أضياف ماجد كريم ومالي سارحا مال مقتر
سلي الساغب المعتر يا أم مالك إذا ما اعتراني بين قدري ومجزري

أأبسطُ وجهي إنّهُ أوّلُ القِرى وأبذُلُ معروفي لهُ دونَ منكري

١١٨ قال حسان بن ثابت الانصاري

لعمرُ أبيكَ الخيرِ يا شعثُ ما نبا عليَّ لساني في الخطوبِ ولا يدي
لساني وسيفي صارمانِ كلاهما ويبلغُ ما لا يبلغُ السيفُ مِذودي
وإنْ أكُ ذا مالٍ كثيرٍ أجُدْ بهِ وإن يهتصر عودي على الجهدِ يُحمدِ
فلا المالُ يُنسيني حيائي وعفّتي ولا واقعاتُ الدهرِ يَفلُلْنَ مِبردي
وأكثرُ أهلي من عيالٍ سواهمُ وأطوي على الماءِ القراحِ المُبرّدِ
وإنّي لمُعطٍ ما وجدتُ وقائلٌ لموقدِ ناري ليلةَ الريحِ أوقِدِ
وإنّي لقوّالٌ لدى البثِّ مرحباً وأهلاً إذا ما جاءَ من غيرِ مُرصدِ
وإنّي ليدعوني الندى فأجيبهُ وأضربُ بيضَ العارضِ المتوقّدِ
وإنّي لحلوٌ تعتريني مرارةٌ وإنّي لتَرّاكٌ لما لم أُعوَّدِ
وإنّي لمزجٍ للمطيِّ على الوجى وإنّي لتَرّاكُ الفراشِ الممهّدِ
فلا تعجلَنْ يا قيسُ واربعْ فإنّما قصاراكَ أنْ تُلقى بكلِّ مهنّدِ
حسامٌ وأرماحٌ بأيدي أعزّةٍ متى ترهُمْ يا ابنَ الخطيمِ تبلَّدِ
ليوثٌ لها الأشبالُ تحمي عرينَها مداعيسُ بالخطّيِّ في كلِّ مشهدِ
فقد لاقتِ الأوسُ القتالَ وأُطرِدَتْ وأنتَ لدى الكُنّاتِ في كلِّ مطرَدِ
نفتكُمْ عنِ العلياءِ أمٌّ لئيمةٌ وزندٌ متى تُقدحْ بهِ النارُ يَصلِدِ

١١٩ وقال بشر بن ابي حازم الاسدي

سائلْ تميماً في الحروبِ وعامراً وهلِ المجرّبُ مثلُ منْ لمْ يعلمِ

إِنَّا إِذَا نَعَرُوا لِحَرْبٍ نَعْرَةً نَشْفِي صُدَاعَهُمُ بِأَسْمَرَ صِلْدِمِ
تَعْلُو الْقَوَانِسَ بِالسُّيُوفِ وَنَعْتَزِي وَالْخَيْلُ مُشْعَلَةُ النُّحُورِ مِنَ الدَّمِ
يَخْرُجْنَ مِنْ خَلَلِ الْغُبَارِ عَوَابِسًا خَبَبَ السِّبَاعِ بِكُلِّ أَكْلَفَ ضَيْغَمِ
مِنْ كُلِّ مُسْتَرْخِي النِّجَادِ مُنَازِلٍ يَسْمُو إِلَى الْأَقْرَانِ غَيْرَ مُقَلَّمِ
فَفَضَضْنَ جَمْعَهُمُ وَأَدْبَرَ حَاجِبٌ تَحْتَ الْعَجَاجَةِ فِي الْغُبَارِ الْأَقْتَمِ
وَعَلَى عُقَابِهِمِ الْمَذَلَّةُ أَصْبَحَتْ نُبِذَتْ بِأَفْضَحِ ذِي مَخَالِبَ جَهْضَمِ
أَقْصَدْنَ حُجْرًا قَبْلَ ذَلِكَ وَالْقَنَا شُرَّعٌ إِلَيْهِ وَقَدْ أَكَبَّ عَلَى الْفَمِ
يَنْوِي مُحَاوَلَةَ الْقِيَامِ وَقَدْ مَضَتْ فِيهِ مَخَارِصُ كُلِّ لَدْنٍ لَهْذَمِ
وَلَقَدْ خَبَطْنَ بَنِي كِلَابٍ خَبْطَةً أَلْحَقْنَهُمْ بِدَعَائِمِ الْمُتَخَيِّمِ
وَسَلَقْنَ كَعْبًا قَبْلَ ذَلِكَ سَلْقَةً بِقَنًا تَعَاوَرُهُ الْأَكُفُّ مُقَوَّمِ
حَتَّى سَقَيْنَا النَّاسَ كَأْسًا مُرَّةً مَكْرُوهَةً حَسَوَاتُهَا كَالْعَلْقَمِ
قُلْ لِلْمُثَلَّمِ وَابْنِ هِنْدٍ بَعْدَهُ إِنْ كُنْتَ رَائِمَ عِزِّنَا فَاسْتَقْدِمِ
تَلْقَ الَّذِي لَاقَى الْعَدُوُّ وَتَصْطَبِحْ كَأْسًا صُبَابَتُهَا كَطَعْمِ الْعَلْقَمِ
نَحْبُو الْكَتِيبَةَ حِينَ نَفْتَرِشُ الْقَنَا طَعْنًا كَأَلْهَابِ الْحَرِيقِ الْمُضْرَمِ
وَلَقَدْ حَبَوْنَا عَامِرًا مِنْ خَلْفِهِ يَوْمَ النِّسَارِ بِطَعْنَةٍ لَمْ تَكْلَمِ

١٢٠ قال الفرزدق واسمه همام بن غالب التميمي

لَنَا الْعِزَّةُ الْقَعْسَاءُ وَالْعَدَدُ الَّذِي عَلَيْهِ إِذَا عُدَّ الْحَصَى يَتَخَلَّفُ
لَنَا حَيْثُ آفَاقُ الْبَرِيَّةِ تَلْتَقِي عَدِيدُ الْحَصَى وَالْقَسْوَرُ الْمُتَخَنْدِفُ
وَمِنَّا الَّذِي لَا تَنْطِقُ النَّاسُ عِنْدَهُ وَلَكِنْ هُوَ الْمُسْتَأْذَنُ الْمُتَصَرِّفُ

تراهم قعودا حوله وعيونهم — مكسرة أبصارها ما تطرف

وبنيان بيت الله نحن ولاته — وبيت بأعلى الرامتين مشرف

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا — وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

ولا عز إلا عزنا قاهر له — ويسألنا النصف الذليل فننصف

وإن فتنوا يوما ضربنا رؤوسهم — على الدين حتى يقتل المتألف

فإنك إن تسعى لتدرك دارما — لأنت المعنّى يا جرير المكلف

أتطلب من عند النجوم مكانة — بريق وعير ظهره يتقرف

وشيخين قد عاشا ثمانين حجة — ذليلين ذا هم وذلك أعجف

عطفت عليك الحرب إني إذا ونى — أخو الحرب كرار على القرن معطف

أتى لجرير رهط سوء أذلة — وعرض لئيم للمخازي موقف

وجدت الثرى فينا إذا وجد الثرى — ومن هو يرجو فضله المتضيف

ويمنع مولانا وإن كان نائيا — بنا داره مما يخاف ويأنف

ترى جارنا فينا بخير وإن جنى — ولا هو مما ينطف الجار ينطف

وكنا إذا نامت كلاب عن القرى — إلى الضيف نمشي مسرعين ونخلف

وقد علم الجيران أن قدورنا — جوامع للأرزاق والريح زفزف .

ترى حولهن المعتفين كأنهم — على صنم في الجاهلية عكف

وما قام منا قائم في ندينا — فينطق إلا بالتي هي أعرف

وإني لمن قوم بهم يتقى الردى — ورأب الثأى والجانب المتخوف

وأضياف ليل قد نقلنا قراهم — إلينا فأتلفنا المنايا وأتلفوا

وَكُنَّا إِذَا مَا ٱسْتَكْرَهَ ٱلضَّيفُ بِٱلْقِرَى أَتَتْهُ ٱلْعَوَالِي وَهْيَ بِٱلسُّمِّ رُعَّفُ
وَكُلُّ قِرَى ٱلْأَضْيَافِ نَقْرِي مِنَ ٱلْقَنَا وَمُعْتَبِطًا مِنْهُ ٱلسَّنَامُ ٱلْمُسَدَّفُ
وَجَدْنَا أَعَزَّ ٱلنَّاسِ أَكْثَرَهُمْ حَصًى وَأَكْرَمَهُمْ مَنْ بِٱلْمَكَارِمِ يُعْرَفُ
وَكِلْتَاهُمَا فِينَا لَنَا حِينَ نَلْتَقِي عَصَائِبَ لَاقَى بَيْنَهُنَّ ٱلْمُعَرَّفُ
مَنَازِيلُ عَنْ ظَهْرِ ٱلْقَلِيلِ كَثِيرُنَا إِذَا مَا دَعَا ذُو ٱلثَّوْرَةِ ٱلْمُتَرَدِّفُ
فَلَقْنَا ٱلْحَصَى عَنْهُ ٱلَّذِي فَوْقَ ظَهْرِهِ بِأَحْلَامِ جُهَّالٍ إِذَا مَا تَغَطَّفُوا
وَجَهْلٍ بِحِلْمٍ قَدْ دَفَعْنَا جُنُونَهُ وَمَا كَادَ لَوْلَا عِزُّنَا يَتَزَحْلَفُ
زَجَجْنَا بِهِمْ حَتَّى ٱسْتَبَانُوا حُلُومَهُمْ بِنَا بَعْدَ مَا كَادَ ٱلْقَنَا يَتَقَصَّفُ

١٢١ قال الاديب ابو عبد الله بن الفخار المالقي

بِأَيِّ حُسَامٍ أَمْ بِأَيِّ سِنَانِ أُنَازِلُ ذَاكَ ٱلْقِرْنَ حِينَ دَعَانِي
لَئِنْ عَرِيَ ٱلْيَوْمَ ٱلْجَوَادُ لِعِلَّةٍ فَبِٱلْأَمْسِ شَدُّوا سَرْجَهُ لِطِعَانِ
وَإِنْ عُطِّلَ ٱلسَّهْمُ ٱلَّذِي كُنْتُ رَائِشًا فَفِيهِ دَمُ ٱلْأَعْدَاءِ أَحْمَرُ قَانِ
أَلَا إِنَّ دِرْعِي نَثْرَةٌ تُبَّعِيَّةٌ وَسَيْفِي صِدْقٌ إِنْ هَزَزْتُ يَمَانِي
وَمَا قَصَبَاتُ ٱلسَّبْقِ إِلَّا لِأَدْهَمِي إِذَا ٱلْخَيْلُ جَالَتْ فِي مَجَالِ رِهَانِ
تَمَنَّى لِقَائِي مَنْ حَلَلْتُ وِثَاقَهُ وَأَعْطَى غَدَاةَ ٱلْمَنِّ ذِلَّةَ عَانِ
وَقَدْ عَلِمَ ٱلْأَقْوَامُ مَنْ صَحَّ وِدُّهُ وَمَنْ كَانَ مِنَّا دَائِمَ ٱلشَّنَآنِ
وَمَا يَزْدَهِينِي قَوْلُ كُلِّ مُمَوِّهٍ وَلَيْسَ لَهُ بِٱلْمُعْضِلَاتِ يَدَانِ
وَيَزْعُمُ أَنِّي فِي ٱلْبَيَانِ مُقَصِّرٌ وَيَأْبَى بَنَانِي وَٱقْتِدَارُ لِسَانِي
وَإِنِّي ءَانَاضٍ بِكُلِّ عَظِيمَةٍ يَضِيقُ عَلَيْهَا ذَرْعُ كُلِّ جَنَانِ

نَهَضْتُ بِهَا وَحْدِي وَغَيْرِي مُدَّعٍ ... يُشَارِكُ أَهْلَ ٱلْقَوْلِ شِرْكَ عِنَانِ
أَيَنْسَى مَقَامِي إِذْ أُكَافِحُ دُونَهُ ... وَقَدْ طَارَ قَلْبُ ٱلذُّعْرِ بِٱلْخَفَقَانِ
وَيَذْكُرُ يَوْمًا قُمْتُ فِيهِ بِخُطْبَةٍ ... كَمَا ثَارَ عِدُّ ٱلْمَاءِ بِٱلسَّيَلَانِ
وَمَا هُوَ إِلَّا ٱلْمَرْءُ يُقْطَعُ رَأْسُهُ ... وَإِنْ دَهَنُوهُ حِيلَةً بِدِهَانِ
تَهَاوَنَ بِٱلْإِنْصَافِ حَتَّى أَحَلَّهُ ... وَقَدْ كَانَ ذَا عِزٍّ بِدَارِ هَوَانِ
وَلَوْ كَانَ يُعْطِي ٱلزَّائِرِينَ حُقُوقَهُمْ ... لَمَا تَرَكُوهُ فِي يَدِ ٱلْحَدَثَانِ

١٢٢ قال الطغرائي يفتخر

أَبَى ٱللهُ أَنْ أَسْمُو بِغَيْرِ فَضَائِلِي ... إِذَا مَا سَمَا بِٱلْمَالِ كُلُّ مُسَوَّدِ
وَإِنْ كَرُمَتْ قَبْلِي أَوَائِلُ أُسْرَتِي ... فَإِنِّي بِحَمْدِ ٱللهِ مُبْدَأُ سُؤْدُدِي
يُذَمُّ لِأَجْلِي ٱلْمُهْرُ إِنْ يَكْبُ مَرَّةً ... بِجَدِّي وَإِنْ يَنْهَضْ بِجِدِّي يُحْمَدِ
وَمَا مَنْصِبٌ إِلَّا وَقَدْرِي فَوْقَهُ ... وَلَوْ حُطَّ رَحْلِي بَيْنَ نَسْرٍ وَفَرْقَدِ
إِذَا شَرُفَتْ نَفْسُ ٱلْفَتَى زَادَ قَدْرُهُ ... عَلَى كُلِّ أَسْنَى مِنْهُ ذِكْرًا وَأَمْجَدِ
كَذَاكَ حَدِيدُ ٱلسَّيْفِ إِنْ يَصْفُ جَوْهَرًا ... فَقِيمَتُهُ أَضْعَافُهُ وَزْنَ عَسْجَدِ
تَكَادُ تَرَى مَنْ لَا يُقَاسُ نِجَادُهُ ... بِشِسْعِي إِذَا مَا ضَمَّنَا صَدْرُ مَشْهَدِ
وَمَا ٱلْمَالُ إِلَّا عَارَةٌ مُسْتَرَدَّةٌ ... فَهَلَّا بِفَضْلِي كَاثَرُونِي وَمَحْتِدِي
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِي فِي ٱلْوِلَايَةِ بَسْطَةٌ ... يَطُولُ بِهَا بَاعِي وَتَسْطُو بِهَا يَدِي
وَلَا كَانَ لِي حُكْمٌ مُطَاعٌ أُجِيزُهُ ... فَأُرْغِمَ أَعْدَائِي وَأَكْبِتَ حُسَّدِي
فَأُعْذَرُ إِنْ قَصَّرْتُ فِي حَقِّ مُجْتَدٍ ... وَآمَنُ أَنْ يَعْتَادَنِي كَيْدُ مُعْتَدِ
أُكْفَى وَلَا أَكْفِي وَتِلْكَ غَضَاضَةٌ ... أَرَى دُونَهَا وَقْعَ ٱلْحُسَامِ ٱلْمُهَنَّدِ

وَلَوْلَا تَكَالِيفُ ٱلْعُلَى وَمَغَارِمٌ ثِقَالٌ وَأَعْقَابُ ٱلْأَحَادِيثِ فِي غَدِ
لَأَعْطَيْتُ نَفْسِي فِي ٱلتَّخَلِّي مُرَادَهَا فَذَاكَ مُرَادِي مُذْ نَشَأْتُ وَمَقْصِدِي
مِنَ ٱلْحَزْمِ أَنْ لَا يَضْجَرَ ٱلْمَرْءُ بِالَّذِي يُعَانِيهِ مِنْ مَكْرُوهَةٍ فَكَأَنْ قَدِ
إِذَا جَلَدِي فِي ٱلْأَمْرِ خَانَ وَلَمْ يُعِنْ مَرِيرَةَ عَزْمِي نَابَ عَنْهُ تَجَلُّدِي
وَمَنْ يَسْتَعِنْ بِالصَّبْرِ نَالَ مُرَادَهُ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ إِنَّهُ غَيْرُ مُسْعَدِ

١٢٣ قال ابو تمام يفتخر بقومه

أَنَا ٱبْنُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَرْضَعَ ٱلْجُودُ فِيهِمِ وَقَدْ سَادَ فِيهِمْ وَهْوَ كَهْلٌ وَيَافِعُ
نُجُومٌ طَوَالِعُ جِبَالٌ فَوَارِعُ غُيُوثٌ هَوَامِعُ سُيُولٌ دَوَافِعُ
مَضَوْا وَكَأَنَّ ٱلْمَكْرُمَاتِ لَدَيْهِمِ لِكَثْرَةِ مَا أَوْصَوْا بِهِنَّ شَرَائِعُ
فَأَيُّ يَدٍ فِي ٱلْمَحْلِ مُدَّتْ فَلَمْ يَكُنْ لَهَا رَاحَةٌ مِنْ جُودِهِمْ وَأَصَابِعُ
هُمُ ٱسْتَوْدَعُوا ٱلْمَعْرُوفَ مَحْفُوظَ مَالِنَا فَضَاعَ وَمَا ضَاعَتْ لَدَيْنَا ٱلْوَدَائِعُ
بَهَالِيلُ لَوْ عَايَنْتَ فَيْضَ أَكُفِّهِمْ لَأَيْقَنْتَ أَنَّ ٱلرِّزْقَ فِي ٱلْأَرْضِ وَاسِعُ
إِذَا خَفَقَتْ بِالْبَذْلِ أَرْوَاحُ جُودِهِمْ حَدَاهَا ٱلنَّدَى وَٱسْتَنْشَقَتْهَا ٱلْمَطَامِعُ
رِيَاحٌ كَرِيحِ ٱلْعَنْبَرِ ٱلْغَضِّ فِي ٱلنَّدَى وَلٰكِنَّهَا يَوْمَ ٱللِّقَاءِ زَعَازِعُ
هِيَ ٱلسُّمُّ مَا تَنْفَكُّ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ تَسِيلُ بِهِ أَرْمَاحُهُمْ وَهْوَ نَاقِعُ
أَصَارَتْ لَهُمْ أَرْضَ ٱلْعَدُوِّ قَطَائِعًا نُفُوسٌ لِحَدِّ ٱلْمُرْهَفَاتِ قَطَائِعُ
بِكُلِّ فَتًى مَا شَابَ مِنْ رَوْعِ وَقْعَةٍ وَلٰكِنَّهُ قَدْ شَيَّبَتْهُ ٱلْوَقَائِعُ
إِذَا مَا أَغَارُوا فَٱحْتَوَوْا مَالَ مَعْشَرٍ أَغَارَتْ عَلَيْهِمْ فَٱحْتَوَتْهُ ٱلصَّنَائِعُ
فَتُعْطِي ٱلَّذِي تُعْطِيهِمِ ٱلْخَيْلُ وَٱلْقَنَا أَكُفٌّ لِإِرْثِ ٱلْمَكْرُمَاتِ مَوَانِعُ

هُمُ قَوَّمُوا دَرْءَ ٱلشَّآمِ وَأَيقظوا ... بِنَجدٍ عُيونَ ٱلْحَرْبِ وَهِيَ هَوَاجِعُ
يَمُدُّونَ بِٱلْبِيضِ ٱلْقَوَاطِعِ أَيْدِيًا ... وَهُنَّ سَوَاءٌ وَٱلسُّيُوفُ ٱلْقَوَاطِعُ
إِذَا أَسَرُوا لَمْ يَأْسِرِ ٱلْبَغْيُ عَفْوَهُمْ ... وَلَمْ يُمْسِ عَانٍ فِيهِمِ وَهُوَ كَانِعُ
إِذَا أَطْلَقُوا عَنْهُ جَوَامِعَ غُلِّهِ ... تَيَقَّنَ أَنَّ ٱلْمَنَّ أَيْضًا جَوَامِعُ
وَإِنْ صَارَعُوا عَنْ مَفْخَرٍ قَامَ دُونَهُمْ ... وَخَلْفَهُمْ بِٱلْجِدِّ جِدٌّ مُصَارِعُ
فَكَمْ شَاعِرٍ قَدْ رَامَنِي فَقَذَعْتُهُ ... بِشِعْرِي وَهُوَ ٱلْيَوْمَ خَزْيَانُ ضَارِعُ
كَشَفْتُ قِنَاعَ ٱلشِّعْرِ عَنْ حُرِّ وَجْهِهِ ... فَطَيَّرْتُهُ عَنْ فِكْرِهِ وَهُوَ وَاقِعُ
بِعِزٍّ يَرَاهَا مَنْ يَرَاهَا بِسَمْعِهِ ... وَيَدْنُو إِلَيْهَا ذُو ٱلْحِجَى وَهُوَ شَاسِعُ
يَوَدُّ وِدَادًا أَنَّ أَعْضَاءَ جِسْمِهِ ... إِذَا أُنْشِدَتْ شَوْقًا إِلَيْهَا ٱلْمَسَامِعُ

١٢٤ قال ابو فراس الحمداني يفتخر

وَوَٱللهِ مَا قَصَّرْتُ فِي طَلَبِ ٱلْعُلَى ... وَلٰكِنْ كَأَنَّ ٱلدَّهْرَ عَنِّي غَافِلُ
مَوَاعِيدُ آمَالٍ مَتَى مَا ٱنْتَجَعْتُهَا ... حَلَبْتُ بَكِيَّاتٍ وَهُنَّ حَوَافِلُ
تُدَافِعُنِي ٱلْأَيَّامُ عَمَّا أُرِيدُهُ ... كَمَا دَفَعَ ٱلدَّيْنَ ٱلْغَرِيمُ ٱلْمُمَاطِلُ
فَمِثْلِي مَنْ نَالَ ٱلْأَعَادِي بِسَيْفِهِ ... وَيَا رُبَّمَا غَالَتْهُ عَنْهَا ٱلْغَوَائِلُ
وَمَا لِيَ لَا تُمْسِي وَتُصْبِحُ فِي يَدِي ... كَرَائِمُ أَمْوَالِ ٱلرِّجَالِ ٱلْعَقَائِلُ
أُحَكَّمُ فِي ٱلْأَعْدَاءِ عَنْهَا صَوَارِمًا ... أُحَكِّمُهَا فِيهَا إِذَا ضَاقَ نَازِلُ
وَمَا زَالَ مَحْمِيَّ ٱلْحَمَائِلِ عَنْوَةً ... سِوَى مَا أَقَلَّتْ فِي ٱلْجُفُونِ ٱلْحَمَائِلُ
يَنَالُ ٱخْتِيَارَ ٱلصَّفْحِ عَنْ كُلِّ مُذْنِبٍ ... لَهُ عِنْدَنَا مَا لَا تَنَالُ ٱلْوَسَائِلُ
لَنَا عَقِبُ ٱلْأَمْرِ ٱلَّذِي فِي صُدُورِهِ ... تَطَاوَلُ أَعْنَاقُ ٱلْعِدَى وَٱلْكَوَاهِلُ

أَصاغِرُنا في ٱلْمَكْرُماتِ أَكابِرٌ وَآخِرُنا في ٱلْمَأْثُراتِ أَوائِلُ
إذا صُلْتُ صَولًا لَمْ أَجِدْ لِي مُصاوِلًا وَإنْ قُلْتُ قَوْلًا لَمْ أَجِدْ مَنْ يُقاوِلُ

١٢٥ وعُرِضَتْ على سيف الدولة خيولهُ وبنو أخيهِ حضورٌ فكلٌّ اختار منها وطلب حاجتهُ من دون ابي فراس فعتب عليهِ سيف الدولة فانشدهُ:

غَيْرِي يُغَيِّرُهُ ٱلْفَعالُ ٱلْجافِي وَيَحُولُ عَنْ شِيَمِ ٱلْكَرِيمِ ٱلْوافِي
لا أَرْتَضِي وِدًّا إذا هُوَ لَمْ يَدُمْ عِنْدَ ٱلْجَفاءِ وَقِلَّةِ ٱلْإِنْصافِ
تَعِسَ ٱلْحَرِيصُ وَقَلَّ ما يَأْتِي بِهِ عِوَضًا مِنَ ٱلْإِلْحاحِ وَٱلْإِلْحافِ
إنَّ ٱلْغَنِيَّ هُوَ ٱلْغَنِيُّ بِنَفْسِهِ وَلَوَ ٱنَّهُ عارِي ٱلْمَناكِبِ حافِ
ما كُلُّ ما فَوْقَ ٱلْبَسِيطَةِ كافِيًا فَإِذا ٱقْتَنَعْتَ فَكُلُّ شَيْءٍ كافِ
وَيَعافُ لِي طَبْعُ ٱلْحَرِيصِ أُبُوَّتِي وَمُرُوَّتِي وَقَناعَتِي وَعَفافِي
ما كَثْرَةُ ٱلْخَيْلِ ٱلْجِيادِ بِزائِدٍ شَرَفًا وَلا عَدَدُ ٱلسَّوامِ ٱلضّافِي
وَمَكارِمِي عَدَدُ ٱلنُّجُومِ وَمَنْزِلِي بَيْتُ ٱلْكِرامِ وَمَنْزِلُ ٱلْأَضْيافِ
لا أَقْتَنِي لِصُرُوفِ دَهْرِي عُدَّةً حَتَّى كَأَنَّ صُرُوفَهُ أَحْلافِي
خَيْلِي وَإنْ قَلَّتْ كَثِيرٌ نَفْعُها بَيْنَ ٱلصَّوارِمِ وَٱلْقَنا ٱلرَّعّافِ
شِيَمٌ عُرِفْتُ بِهِنَّ مُذْ أَنا يافِعٌ وَلَقَدْ عَرَفْتُ بِمِثْلِها أَسْلافِي

١٢٦ لابي العلاء المعرّي في الفخر

أَلا في سَبِيلِ ٱلْمَجْدِ ما أَنا فاعِلُ عَفافٌ وَإقْدامٌ وَحَزْمٌ وَنائِلُ
أَعِنْدِي وَقَدْ مارَسْتُ كُلَّ خَفِيَّةٍ يُصَدَّقُ واشٍ أَوْ يُخَيَّبُ سائِلُ
تُعَدُّ ذُنُوبِي عِنْدَ قَوْمٍ كَثِيرَةً وَلا ذَنْبَ لِي إلَّا ٱلْعُلَى وَٱلْفَضائِلُ

كأني إذا طلت الزمان وأهله ... رجعت وعندي للأنام طوائل
وقد سار ذكري في البلاد فمن لهم ... بإخفاء شمس ضوءها متكامل
يهم الليالي بعض ما أنا مضمر ... ويثقل رضوى دون ما أنا حامل
وإني وإن كنت الأخير زمانه ... لآت بما لم تستطعه الأوائل
وأغدو ولو أن الصباح صوارم ... وأسري ولو أن الظلام جحافل
وإني جواد لم يحل لجامه ... ونصل يمان أغفلته الصياقل
فإن كان في لبس الفتى شرف له ... فما السيف إلا غمده والحمائل
ولي منطق لم يرض لي كنه منزلي ... على أنني بين السماكين نازل
لدى موطن يشتاقه كل سيد ... ويقصر عن إدراكه المتناول
ولما رأيت الجهل في الناس فاشياً ... تجاهلت حتى ظن أني جاهل
فواعجبا كم يدعي الفضل ناقص ... ووا أسفا كم يظهر النقص فاضل
وكيف تنام الطير في وكناتها ... وقد نصبت للفرقدين الحبائل
ينافس يومي في أمسي تشرفاً ... وتحسد أسحاري علي الأصائل
وطال اعترافي بالزمان وصرفه ... فلست أبالي من تغول الغوائل
فلو بان عنقي ما تأسف منكبي ... ولو مات زندي ما بكته الأنامل
إذا وصف الطائي بالبخل مادر ... وعير قساً بالفهاهة باقل
وقال السهى للشمس أنت ضئيلة ... وقال الدجى للصبح لونك حائل
وطاولت الأرض السماء سفاهة ... وفاخرت الشهب الحصى والجنادل
فيا موت زر إن الحياة ذميمة ... ويا نفس جدي إن دهرك هازل

البابُ العاشرُ
في المديح

١٢٧ زهير في مديح هرم بن سنان من قصيدة

إلى هَرِمٍ سارَتْ ثلاثاً مِنَ ٱللِّوى ... فَنِعْمَ مَسِيرُ ٱلْواثِقِ ٱلْمُتَعَمِّدِ
سَواءٌ عَلَيْهِ أيَّ حِينٍ أتَيْتَهُ ... أساعَةَ نَحْسٍ تُتَّقَى أمْ بِأسْعُدِ
ألَيْسَ بِضَرّابِ ٱلْكُماةِ بِسَيْفِهِ ... وفَكّاكِ أغْلالِ ٱلْأسِيرِ ٱلْمُقَيَّدِ
كَلَيْثٍ أبِي شِبْلَيْنِ يَحْمِي عَرِينَهُ ... إذا هُوَ لاقَى نَجْدَةً لَمْ يُعَرِّدِ
ومِدْرَهُ حَرْبٍ حَمْيُها يُتَّقَى بِهِ ... شَدِيدُ ٱلرِّجامِ بِٱللِّسانِ وبِٱلْيَدِ
وثِقْلٌ عَلَى ٱلْأعْداءِ لا يَضْعُونَهُ ... وحَمّالُ أثْقالٍ ومَأْوَى ٱلْمُطَرَّدِ
ألَيْسَ بِفَيّاضٍ يَداهُ غَمامَةٌ ... ثِمالِ ٱلْيَتامَى فِي ٱلسِّنِينَ مُحَمَّدِ
إذا ٱبْتَدَرَتْ قَيْسُ بْنُ عَيْلانَ غايَةً ... مِنَ ٱلْمَجْدِ مَنْ يَسْبِقْ إلَيْها يُسَوَّدِ
سَبَقْتَ إلَيْها كُلَّ طَلْقٍ مُبَرِّزٍ ... سَبُوقٍ إلَى ٱلْغاياتِ غَيْرِ مُجَلَّدِ
كَفَضْلِ جَوادِ ٱلْخَيْلِ يَسْبِقُ عَفْوُهُ م ... ٱلسِّراعَ وإنْ يَجْهَدْنَ يَجْهَدْ ويَبْعُدِ
تَقِيٌّ نَقِيٌّ لَمْ يُكَثِّرْ غَنِيمَةً ... بِنَهْكَةِ ذِي قُرْبَى ولا بِحَقَلَّدِ
سِوَى رَبْعٍ لَمْ يَأْتِ فِيهِ مَخانَةً ... ولا رَهَقاً مِنْ عائِذٍ مُتَهَوِّدِ
يَطِيبُ لَهُ أوْ ٱفْتِراصٌ بِسَيْفِهِ ... عَلَى دَهَشٍ فِي عارِضٍ مُتَوَقِّدِ
فَلَوْ كانَ حَمْدٌ يُخْلِدُ ٱلنّاسَ لَمْ تَمُتْ ... ولٰكِنَّ حَمْدَ ٱلنّاسِ لَيْسَ بِمُخْلِدِ
ولٰكِنَّ مِنْهُ باقِياتٍ وِراثَةً ... فَأوْرِثْ بَنِيكَ بَعْضَها وتَزَوَّدِ

تَزَوَّدْ إلى يوم المماتِ فإنّه ... ولو كرهته النفسُ آخرُ موعدِ

١٢٨ للنابغة الذبياني في عمرو بن الحارث الأصغر الغساني من قصيدة

وثقتُ له بالنصرِ إذ قيل قد غزت ... كتائبُ من غسّانَ غيرُ أشائبِ
بنو عمّه دُنيا وعمرُو بنُ عامرٍ ... أولئك قومٌ بأسُهم غيرُ كاذبِ
إذا ما غزوا بالجيشِ حلّق فوقهم ... عصائبُ طيرٍ تهتدي بعصائبِ
يُصاحبنهم حتّى يُغِرنَ مغارَهم ... من الضارياتِ بالدماء الدواربِ
جوانحَ قد أيقنّ أنّ قبيلَه ... إذا ما التقى الجمعانِ أوّلُ غالبِ
لهنّ عليهم عادةٌ قد عرفنها ... إذا عرضَ الخطّيُّ فوقَ الكواثبِ
على عارفاتٍ للطِّعانِ عوابسٍ ... بهنّ كُلومٌ بين دامٍ وجالبِ
إذا استُنزلوا عنهنّ للطعنِ أرقلوا ... إلى الموتِ إرقالَ الجمالِ المصاعبِ
فهم يتساقونَ المنيّةَ بينهم ... بأيديهم بيضٌ رقاقُ المضاربِ
يطيرُ فُضاضًا بينها كلُّ قونسٍ ... ويتبعُها منهم فَراشُ الحواجبِ
ولا عيبَ فيهم غيرَ أنّ سيوفَهم ... بهنّ فلولٌ من قراعِ الكتائبِ
بضربٍ يُزيلُ الهامَ عن سكناتِه ... وطعنٍ كإيزاعِ المخاضِ الضواربِ
لهم شيمةٌ لم يُعطِها اللهُ غيرَهم ... من الجودِ والأحلامُ غيرُ عوازبِ
مجلّتُهم ذاتُ الإلهِ ودينُهم ... قويمٌ فما يرجونَ غيرَ العواقبِ
رقاقُ النعالِ طيّبٌ حُجُزاتُهم ... يُحيَّونَ بالريحانِ يومَ السباسبِ
تُحيّيهم بيضُ الولائدِ بينهم ... وأكسيةُ الإضريجِ فوقَ المشاجبِ
يصونونَ أجسادًا قديمًا نعيمُها ... بخالصةِ الأردانِ خُضرِ المناكبِ

وَلَا يَحْسَبُونَ الْخَيْرَ لَا شَرَّ بَعْدَهُ ... وَلَا يَحْسَبُونَ الشَّرَّ ضَرْبَةَ لَازِبِ
حَبَوْتُ بِهَا غَسَّانَ إِذْ كُنْتُ لَاحِقًا ... بِقَوْمِي وَإِذْ أَعْيَتْ عَلَيَّ مَذَاهِبِي

١٢٩ لعلقمة الفحل في مدح الحارث الوهاب سيد بني غسان وملك الشام

إِلَى الْحَارِثِ الْوَهَّابِ أَعْمَلْتُ نَاقَتِي ... لِكَلْكَلِهَا وَالْقُصْرَيَيْنِ وَجِيبُ
لِتُبْلِغَنِي دَارَ امْرِئٍ كَانَ نَائِيًا ... فَقَدْ قَرَّبَتْنِي مِنْ نَدَاكَ قَرُوبُ
وَأَنْتَ امْرُؤٌ أَفْضَتْ إِلَيْكَ أَمَانَتِي ... وَقَبْلَكَ رَبَّتْنِي فَضِعْتُ رُبُوبُ
فَأَدَّتْ بَنُو كَعْبِ بْنِ عَوْفٍ رَبِيبَهَا ... وَغُودِرَ فِي بَعْضِ الْجُنُودِ رَبِيبُ
فَوَاللهِ لَوْلَا فَارِسُ الْجَوْنِ مِنْهُمُ ... لَآبُوا خَزَايَا وَالْإِيَابُ حَبِيبُ
تُقَدِّمُهُ حَتَّى تَغِيبَ حُجُولُهُ ... وَأَنْتَ لِبَيْضِ الدَّارِعِينَ ضَرُوبُ
مُظَاهِرُ سِرْبَالَيْ حَدِيدٍ عَلَيْهِمَا ... عَقِيلَا سُيُوفٍ مِخْذَمٌ وَرَسُوبُ
فَجَالَدْتَهُمْ حَتَّى اتَّقَوْكَ بِكَبْشِهِمْ ... وَقَدْ حَانَ مِنْ شَمْسِ النَّهَارِ غُرُوبُ
وَقَاتَلَ مِنْ غَسَّانَ أَهْلُ حِفَاظِهَا ... وَهِنْبٌ وَقَاسٌ جَالَدَتْ وَشَبِيبُ
تَخَشْخَشُ أَبْدَانُ الْحَدِيدِ عَلَيْهِمُ ... كَمَا خَشْخَشَتْ يُبْسَ الْحَصَادِ جَنُوبُ
تَجُودُ بِنَفْسٍ لَا يُجَادُ بِمِثْلِهَا ... وَأَنْتَ بِهَا يَوْمَ اللِّقَاءِ تَطِيبُ
كَأَنَّ رِجَالَ الْأَوْسِ تَحْتَ لَبَانِهِ ... وَمَا جَمَعَتْ جَلٌّ مَعًا وَعَتِيبُ
رَغَا فَوْقَهُمْ سَقْبُ السَّمَاءِ فَدَاحِصٌ ... بِشِكَّتِهِ لَمْ يُسْتَلَبْ وَسَلِيبُ
كَأَنَّهُمُ صَابَتْ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ ... صَوَاعِقُهَا لِطَيْرِهِنَّ دَبِيبُ
فَلَمْ تَنْجُ إِلَّا شَطْبَةٌ بِلِجَامِهَا ... وَإِلَّا طِمِرٌّ كَالْقَنَاةِ نَجِيبُ
وَإِلَّا كَمِيٌّ ذُو حِفَاظٍ كَأَنَّهُ ... بِمَا ابْتَلَّ مِنْ حَدِّ الظُّبَاتِ خَضِيبُ

وَأَنْتَ ٱلَّذِي آثَارُهُ فِي عَدُوِّهِ ... مِنَ ٱلْبُؤْسِ وَٱلنُّعْمَى لَهُنَّ نُدُوبُ
وَفِي كُلِّ حَيٍّ قَدْ خَبَطْتَ بِنِعْمَةٍ ... فَحَقٌّ لِشَاسٍ مِنْ نَدَاكَ ذَنُوبُ
وَمَا مِثْلُهُ فِي ٱلنَّاسِ إِلَّا قَبِيلُهُ ... مُسَاوٍ وَلَا دَانٍ لِذَاكَ قَرِيبُ
فَلَا تَحْرِمَنِّي نَائِلًا عَنْ جَنَابَةٍ ... فَإِنِّي ٱمْرُؤٌ وَسْطَ ٱلْقِبَابِ غَرِيبُ

١٣٠ للفرزدق في عمر بن الوليد بن عبد الملك

إِلَيْكَ سَمَتْ يَا ٱبْنَ ٱلْوَلِيدِ رِكَابُنَا ... وَرُكْبَانُهَا أَسْمَى إِلَيْكَ وَأَعْمَدُ
إِلَى عُمَرٍ أَقْبَلْنَ مُعْتَمِدَاتِهِ ... سِرَاعًا وَنِعْمَ ٱلرَّكْبُ وَٱلْمُتَعَمَّدُ
وَلَمْ تَجْرِ إِلَّا جِئْتَ لِلْخَيْلِ سَابِقًا ... وَلَا عُدْتَ إِلَّا أَنْتَ فِي ٱلْعَوْدِ أَحْمَدُ
إِلَى ٱبْنِ ٱلْإِمَامَيْنِ ٱللَّذَيْنِ أَبُوهُمَا ... إِمَامٌ لَهُ لَوْلَا ٱلنُّبُوَّةُ يُسْجَدُ
إِذَا هُوَ أَعْطَى ٱلْيَوْمَ زَادَ عَطَاؤُهُ ... عَلَى مَا مَضَى مِنْهُ إِذَا أَصْبَحَ ٱلْغَدُ
بِحَقِّ ٱمْرِئٍ بَيْنَ ٱلْوَلِيدِ قَنَاتُهُ ... وَكِنْدَةَ فَوْقَ ٱلْمُرْتَقَى يَتَصَعَّدُ
أَقُولُ لِحَرْفٍ لَمْ يَدَعْ رَحْلُهَا لَهَا ... سَنَامًا وَتَثْوِيرُ ٱلْقَطَا وَهْيَ هُجَّدُ
عَلَيْكِ فَتَى ٱلنَّاسِ ٱلَّذِي إِنْ بَلَغْتِهِ ... فَمَا بَعْدَهُ فِي نَائِلٍ مُتَلَدَّدُ
وَإِنَّ لَهُ نَارَيْنِ كِلْتَاهُمَا لَهَا ... قِرًى دَائِمٌ قُدَّامَ بَيْتَيْهِ تُوقَدُ
فَهٰذِي لِعَبْطِ ٱلْمُشْبِعَاتِ إِذَا شَتَا ... وَهٰذِي يُذَفِّيهَا ٱلْحُسَامُ ٱلْمُهَنَّدُ
وَلَوْ خَلَّدَ ٱلْفَخْرُ ٱمْرَأً فِي حَيَاتِهِ ... خَلَدْتَ وَمَا بَعْدَ ٱلنَّبِيِّ مُخَلَّدُ
وَأَنْتَ ٱمْرُؤٌ عُوِّدْتَ لِلْمَجْدِ عَادَةً ... وَهَلْ فَاعِلٌ إِلَّا بِمَا يَتَعَوَّدُ
تُسَائِلُنِي مَا بَالُ جَنْبِكَ جَافِيًا ... أَهَمًّا جَفَا أَمْ جَفْنُ عَيْنِكَ أَرْمَدُ
فَقُلْتُ لَهَا لَا بَلْ عِيَالٌ أَرَاهُمُ ... وَمَا لَهُمُ مَا فِيهِ لِلْغَيْثِ مَقْعَدُ

فَقَالَتْ أَلَيْسَ ٱبْنُ ٱلْوَلِيدِ ٱلَّذِي لَهُ يَمِينٌ بِهَا ٱلْإِمْحَالُ وَٱلْفَقْرُ يُطْرَدُ
يَجُودُ وَإِنْ لَمْ تَرْتَحِلْ يَا ٱبْنَ غَالِبٍ إِلَيْهِ وَإِنْ لَاقَيْتَهُ فَهُوَ أَجْوَدُ
مِنَ ٱلنِّيلِ إِذْ عَمَّ ٱلْمَنَارَ غُثَاؤُهُ وَمَنْ يَأْتِهِ مِنْ رَاغِبٍ فَهُوَ أَسْعَدُ
فَإِنَّ ٱرْتِدَادَ ٱلْهَمِّ عَجْزٌ عَلَى ٱلْفَتَى عَلَيْهِ كَمَا رُدَّ ٱلْبَعِيرُ ٱلْمُقَيَّدُ
وَلَا نُجْحَ فِي هَمٍّ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ زِمَاعٌ وَحَبْلٌ لِلصَّرِيمَةِ مُحْصَدُ
جَرَى ٱبْنُ أَبِي ٱلْعَاصِي فَأَحْرَزَ غَايَةً إِذَا أُحْرِزَتْ مَنْ نَالَهَا فَهُوَ أَمْجَدُ
وَكَانَ إِذَا ٱحْمَرَّ ٱلشِّتَاءُ جِفَانُهُ جِفَانٌ إِلَيْهَا بَادِئُونَ وَعُوَّدُ
لَهُمْ طُرُقٌ أَفْوَاهُهُمْ قَدْ عَرَفْنَهَا إِلَيْهِمْ وَأَيْدِيهِمْ إِلَى ٱلشَّحْمِ جُمَّدُ
وَمَا مِنْ حَنِيفٍ آلَ مَرْوَانَ مُسْلِمٍ وَلَا غَيْرِهِ إِلَّا عَلَيْهِ لَكُمْ يَدُ
إِذَا عَدَّ قَوْمٌ مَجْدَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ فَضَلْتُمْ إِذَا مَا أَكْرَمُ ٱلنَّاسِ عُدِّدُوا

١٣١ وللفرزدق في وصف الامام زين العابدين

هٰذَا ٱلَّذِي تَعْرِفُ ٱلْبَطْحَاءُ وَطْأَتَهُ وَٱلْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَٱلْحِلُّ وَٱلْحَرَمُ
هٰذَا ٱبْنُ خَيْرِ عِبَادِ ٱللهِ كُلِّهِمِ هٰذَا ٱلتَّقِيُّ ٱلنَّقِيُّ ٱلطَّاهِرُ ٱلْعَلَمُ
إِذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا إِلَى مَكَارِمِ هٰذَا يَنْتَهِي ٱلْكَرَمُ
يُنْمَى إِلَى ذُرْوَةِ ٱلْعِزِّ ٱلَّتِي قَصُرَتْ عَنْ نَيْلِهَا عَرَبُ ٱلْإِسْلَامِ وَٱلْعَجَمُ
يَكَادُ يُمْسِكُهُ عِرْفَانَ رَاحَتِهِ رُكْنُ ٱلْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ
فِي كَفِّهِ خَيْزُرَانٌ رِيحُهُ عَبِقٌ مِنْ كَفِّ أَرْوَعَ فِي عِرْنِينِهِ شَمَمُ
يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلَّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ
يَنْشَقُّ نُورُ ٱلْهُدَى مِنْ نُورِ غُرَّتِهِ كَٱلشَّمْسِ يَنْجَابُ عَنْ إِشْرَاقِهَا ٱلْقَتَمُ

مُشْتَقَّةٌ مِنْ كِرَامِ الْقَوْمِ نَبْعَتُهُ ... طَابَتْ عَنَاصِرُهُ وَالْخِيمُ وَالشِّيَمُ

هٰذَا ابْنُ فَاطِمَةٍ إِنْ كُنْتَ جَاهِلَهُ ... بِجَدِّهِ أَوْلِيَاءُ اللهِ قَدْ خُتِمُوا

اللهُ شَرَّفَهُ قَدْرًا وَعَظَّمَهُ ... جَرَى بِذَاكَ لَهُ فِي لَوْحِهِ الْقَلَمُ

وَلَيْسَ قَوْلُكَ مَنْ هٰذَا بِضَائِرِهِ ... الْعُرْبُ تَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرْتَ وَالْعَجَمُ

كِلْتَا يَدَيْهِ غِيَاثٌ عَمَّ نَفْعُهُمَا ... يُسْتَوْكَفَانِ وَلَا يَعْرُوهُمَا عَدَمُ

سَهْلُ الْخَلِيقَةِ لَا تُخْشَى بَوَادِرُهُ ... يَزِينُهُ اثْنَانِ حُسْنُ الْخُلْقِ وَالشِّيَمُ

حَمَّالُ أَثْقَالِ أَقْوَامٍ إِذَا افْتُرِضُوا ... حُلْوُ الشَّمَائِلِ تَحْلُو عِنْدَهُ نَعَمُ

مَا قَالَ لَا قَطُّ إِلَّا فِي تَشَهُّدِهِ ... لَوْلَا التَّشَهُّدُ كَانَتْ لَاءَهُ نَعَمُ

عَمَّ الْبَرِيَّةَ بِالْإِحْسَانِ فَانْقَشَعَتْ ... عَنْهَا الْغَيَاهِبُ وَالْإِمْلَاقُ وَالْعَدَمُ

مِنْ مَعْشَرٍ حُبُّهُمْ دِينٌ وَبُغْضُهُمُ ... كُفْرٌ وَقُرْبُهُمُ مَنْجًى وَمُعْتَصَمُ

إِنْ عُدَّ أَهْلُ التُّقَى كَانُوا أَئِمَّتَهُمْ ... أَوْ قِيلَ مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ قِيلَ هُمُ

لَا يَسْتَطِيعُ جَوَادٌ بُعْدَ غَايَتِهِمْ ... وَلَا يُدَانِيهِمِ قَوْمٌ وَإِنْ كَرُمُوا

هُمُ الْغُيُوثُ إِذَا مَا أَزْمَةٌ أَزَمَتْ ... وَالْأُسْدُ أُسْدُ الشَّرَى وَالْبَأْسُ مُحْتَدِمُ

لَا يَنْقُصُ الْعُسْرُ بَسْطًا مِنْ أَكُفِّهِمُ ... سِيَّانِ ذٰلِكَ إِنْ أَثْرَوْا وَإِنْ عَدِمُوا

مُقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللهِ ذِكْرُهُمُ ... فِي كُلِّ بَدْءٍ وَمَخْتُومٌ بِهِ الْكَلِمُ

يَأْبَى لَهُمْ أَنْ يَحُلَّ الذَّمُّ سَاحَتَهُمْ ... خُلْقٌ كَرِيمٌ وَأَيْدٍ بِالنَّدَى هُضُمُ

أَيُّ الْخَلَائِقِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمِ ... لِأَوَّلِيَّةِ هٰذَا أَوْ لَهُ نِعَمُ

مَنْ يَعْرِفِ اللهَ يَعْرِفْ أَوَّلِيَّةَ ذَا ... فَالدِّينُ مِنْ بَيْتِ هٰذَا نَالَهُ الْأُمَمُ

١٣١ لابن خفاجة الاندلسي في مدح الامير ابي يحيى بن ابراهيم

ضافي رداءِ المجدِ طمّاحُ العُلى ... طامي عُبابِ الجودِ رحبُ الدارِ
جرّارُ أذيالِ المعالي والقنا ... حامي الحقيقةِ والحمى والجارِ
طَرْدُ القنيصِ بكلِّ قيدِ طريدةٍ ... زَجِلِ الجناحِ مورَّدِ الأظفارِ
ملتفّةٌ أعطافُه بحبيرةٍ ... مكحولةٌ أجفانُه بنضارِ
خدمَ القضاءُ مرادَه فكأنّما ... ملكتْ يداه أعنّةَ الأقدارِ
وعنى الزمانُ لأمرِه فكأنّما ... أصغى الزمانُ به إلى أمّارِ
وجلا الإمارةَ في رقيقِ نضارةٍ ... جلتِ الدجى في حلّةِ الأنوارِ
في حيث وشّحَ لبّةً بقلادةٍ ... منها وحلّى معصمًا بسوارِ
جذلانُ يملأُ منحةً وبشاشةً ... أيدي العفاةِ وأعينَ الزوّارِ
أرِجَ النديُّ بذكرِه فكأنّه ... متنفّسٌ عن روضةٍ معطارِ
بطلٌ حوى الفلكَ المحيطَ بسرجِه ... واستلَّ صارمَه يدُ المقدارِ
بيمينِه يومَ الوغى وشمالِه ... ما شاء من نارٍ ومن إعصارِ
والخيلُ تعثرُ في شباشوكِ القنا ... قِصَدًا وتسبحُ في الدمِ الموّارِ
والبيضُ تحنى في الطلى فكأنّما ... لُويتْ عُرًى منها على أزرارِ
والنقعُ يكسرُ من سنا شمسِ الضحى ... فكأنّه صدأٌ على دينارِ
صحبَ الحسامَ النصرُ صحبةَ غبطةٍ ... في كفِّ صوّالٍ به سوّارِ
لو أنّه أوحى إليه بنظرةٍ ... يومًا لثارَ ولم ينمْ عن ثارِ
وقضى وقد ملكتْه هزّةُ عزّةٍ ... تحتَ العجاجِ وضحكةُ استبشارِ

١٣٢ لابن الازرق الاندلسي في مدح الرئيس ابي يحيى بن عاصم وتهنئته بعيد

يَا مُطْلِعَ ٱلْأَنْوَارِ زَهْرًا يُجْتَنَى ... وَمُشَعْشِعَ ٱلصَّهْبَاءِ نَارًا تُلْمَسُ
بِكَ مَجْلِسُ ٱلْأُنْسِ ٱطْمَأَنَّ وَبِٱبْنِ عَا ... صِمٍ ٱطْمَأَنَّ مِنَ ٱلرِّئَاسَةِ مَجْلِسُ
بَدْرٌ بِأَنْوَارِ ٱلْهُدَى مُتَطَلِّعٌ ... غَيْثٌ بِأَشْتَاتِ ٱلنَّدَى مُتَبَجِّسُ
حَامَى فَلَمْ تَرْتَعْ لِخَطْبٍ يَعْتَرِي ... وَوَفَى فَلَمْ تَحْفِلْ بِدَهْرٍ يَبْخَسُ
شِيَمٌ مُهَذَّبَةٌ وَعِلْمٌ رَاسِخٌ ... وَمَكَارِمٌ هُتُنٌ وَمَجْدٌ أَقْعَسُ
لَوْ كَانَ شَخْصًا ذِكْرُهُ لَبَدَا عَلَى ... أَعْطَافِهِ مِنْ كُلِّ حَمْدٍ مَلْبَسُ
ذَاكُمْ أَبُو يَحْيَى بِهِ تُحْمَى ٱلْعُلَى ... وَبِهِ خِلَالُ ٱلْفَخْرِ طُرًّا تُحْرَسُ
بَيْتٌ عَلَى عَمَدِ ٱلْفَخَارِ مُطَنَّبٌ ... مَجْدٌ عَلَى مَتْنِ ٱلسِّمَاكِ مُؤَسَّسُ
إِنَّا لَنَغْدُو هِيمًا فَيُنِيلُنَا ... رِيًّا وَيُوحِشُنَا ٱلنَّوَى فَيُؤْنِسُ
حَتَّى أَقَمْنَا وَٱلْأَمَانِي مُنْهِضَا ... تٌ وَٱبْتَسَمْنَا وَٱلزَّمَانُ مُعَبِّسُ
لَمْ نَدْرِ قَبْلَ يَرَاعِهِ وَبَنَانِهِ ... أَنَّ ٱلذَّوَابِلَ بِٱلْغَمَامِ تَبَجَّسُ
هُنَّ ٱلْيَرَاعُ بِهَا يُؤَمَّنُ خَائِفٌ ... وَيُحَاطُ مَذْعُورٌ وَيُغْنَى مُفْلِسُ
مَهْمَا ٱنْبَرَتْ فَهْيَ ٱلسِّهَامُ يُرَى لَهَا ... وَقْعٌ لِأَغْرَاضِ ٱلْبَيَانِ مُقَرْطِسُ
يَشْقَى بِأَمْلِهِ ٱلشَّكِيُّ ٱلْمُعْتَرَى ... يَحْيَا بِأَمْنِهِ ٱلْحِمَامُ ٱلْمُؤْيِسُ
قَدْ جَمَعَ ٱلْأَضْدَادَ فِي حَرَكَاتِهِ ... فَلِذَا ٱطِّرَادُ فَخَارِهِ لَا يُعْكَسُ
عَطْشَانُ ذُو رِيٍّ يَبِيسٌ مُثْمِرٌ ... غَضْبَانُ ذُو صَفْحٍ فَصِيحٌ أَخْرَسُ
لِلّٰهِ مِنْ تِلْكَ ٱلْيَرَاعِ جَوَاذِبٌ ... لِلسِّحْرِ مِنْكَ كَأَنَّهَا ٱلْمِغْنِيطِسُ
رُضْنَا شِمَاسَ ٱلْقَوْلِ فِي أَوْصَافِهَا ... فَهْيَ ٱلَّتِي رَاضَتْ لَنَا مَا يَشْمُسُ

وَإِلَيْكَهَا حُلَلًا تَشَابَهُ نَسْجُهَا ... مِثْلِي يُفَصِّلُهَا وَمِثْلُكَ يَلْبَسُ
وَاهْنَأْ بِعِيدٍ بَاسِمٍ مُتَهَلِّلٍ ... وَافَاكَ يَجْهَرُ بِالسُّرُورِ وَيَهْمِسُ
وَاحْبِسْ لِوَاءَ ٱلْفَخْرِ مَوْقُوفًا فَإِنْ ... نَ ٱلْحَمْدَ مَوْقُوفٌ عَلَيْكَ مُحَبَّسُ

١٣٤ لأبي تمام في هارون الواثق بالله من قصيدة

سِيرُوا بَنِي ٱلْحَاجَاتِ يُنْجِحْ سَعْيَكُمْ ... غَيْثٌ سَحَابُ ٱلْجُودِ مِنْهُ هَتُونُ
فَٱلْحَادِثَاتُ بِوَبْلِهِ مَصْفُودَةٌ ... وَٱلْمَحْلُ فِي شُؤْبُوبِهِ مَسْجُونُ
حَمَلُوا ثَقِيلَ ٱلْهَمِّ وَٱسْتَتْأَى بِهِمْ ... سَفَرٌ يَهُدُّ ٱلْمَتْنَ وَهْوَ مَتِينُ
حَتَّى إِذَا أَلْقَوْهُ عَنْ أَكْتَافِهِمْ ... بِٱلْعَزْمِ وَهْوَ عَلَى ٱلنَّجَاحِ ضَمِينُ
وَجَدُوا جَنَابَ ٱلْمُلْكِ أَخْضَرَ فَٱجْتَلَوْا ... هَارُونَ فِيهِ كَأَنَّهُ هَارُونُ
أَلْفَوْا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَجَدُّهُ ... خَضِلُ ٱلْغَمَامِ وَظِلُّهُ مَسْكُونُ
فَغَدَوْا وَقَدْ وَثِقُوا بِرَأْفَةِ وَاثِقٍ ... بِٱللهِ طَائِرُهُ لَهُمْ مَيْمُونُ
مَلَكُوا خِطَامَ ٱلْعَيْشِ بِٱلْمَلِكِ ٱلَّذِي ... أَخْلَاقُهُ لِلْمَكْرُمَاتِ حُصُونُ
مَلِكٌ إِذَا خَاضَ ٱلْمَسَامِعَ ذِكْرُهُ ... خَفَّ ٱلرَّجَاءُ إِلَيْهِ وَهْوَ رَكِينُ
لَيْثٌ إِذَا خَفَقَ ٱللِّوَاءُ رَأَيْتَهُ ... يَعْلُو قَرَا ٱلْهَيْجَاءِ وَهْيَ زَبُونُ
لِحِيَاضِهَا مُتَوَرِّدٌ وَلِخَطْبِهَا ... مُتَعَمِّدٌ وَبِثَدْيِهَا مَلْبُونُ
جَعَلَ ٱلْخِلَافَةَ فِيهِ رَبٌّ قَوْلُهُ ... سُبْحَانَهُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ
وَلَقَدْ رَأَيْنَاهَا لَهُ بِقُلُوبِنَا ... وَظُهُورُ خَطْبٍ دُونَهَا وَبُطُونُ
وَلِذَاكَ قِيلَ مِنَ ٱلظُّنُونِ جِبِلَّةٌ ... صِدْقٌ وَفِي بَعْضِ ٱلْقُلُوبِ عُيُونُ
وَلَقَدْ عَلِمْنَا مُذْ تَرَعْرَعَ أَنَّهُ ... لِأَمِينِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ أَمِينُ

يَا ٱبْنَ ٱلْخَلَائِفِ إِنَّ بُرْدَكَ مِلْؤُهُ كَرَمٌ يَذُوبُ ٱلْمُزْنُ مِنْهُ وَلِينُ
يَسْمُو بِكَ ٱلسَّفَّاحُ وَٱلْمَنْصُورُ وَٱلْـ مَهْدِيُّ وَٱلْمَعْصُومُ وَٱلْمَأْمُونُ
مَنْ يَعْشُ ضَوْءَ آلَاكَ يَعْلَمْ أَنَّهُمْ مَلَأٌ لَدَى مَلَإِ ٱلسَّمَاءِ مَكِينُ
فُرْسَانُ مَمْلَكَةٍ أُسُودُ خِلَافَةٍ ظِلُّ ٱلْهُدَى غَابٌ لَهُمْ وَعَرِينُ
فِي دَوْلَةٍ بَيْضَاءَ هَارُونِيَّةٍ مُتَكَنِّفَاهَا ٱلنَّصْرُ وَٱلتَّمْكِينُ
قَدْ أَصْبَحَ ٱلْإِسْلَامُ فِي سُلْطَانِهَا وَٱلْهِنْدُ بَعْضُ ثُغُورِهَا وَٱلصِّينُ
يَفْدِي أَمِينَ ٱللهِ كُلُّ مُنَافِقٍ شَنَآنُهُ بَيْنَ ٱلضُّلُوعِ كَمِينُ
مِمَّنْ يَدَاهُ يُسْرَيَانِ وَلَمْ تَزَلْ فِينَا وَكِلْتَا رَاحَتَيْكَ يَمِينُ
تُدْعَى بِطَاعَتِكَ ٱلْوُحُوشُ فَتَرْعَوِي وَٱلْأُسْدُ فِي عِرِّيسِهَا فَتَدِينُ
مَا فَوْقَ مَجْدِكَ مُرْتَقَى مَجْدٍ أَلَا كُلُّ ٱفْتِخَارٍ دُونَ فَخْرِكَ دُونُ

١٣٥ ولهُ في المعتصم بالله عند فتح عموريّة عاصمة الروم

ٱلسَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءً مِنَ ٱلْكُتُبِ فِي حَدِّهِ ٱلْحَدُّ بَيْنَ ٱلْجِدِّ وَٱللَّعِبِ
بِيضُ ٱلصَّفَائِحِ لَا سُودُ ٱلصَّحَائِفِ فِي مُتُونِهِنَّ جَلَاءُ ٱلشَّكِّ وَٱلرِّيَبِ
وَٱلْعِلْمُ فِي شُهُبِ ٱلْأَرْمَاحِ لَامِعَةً بَيْنَ ٱلْخَمِيسَيْنِ لَا فِي ٱلسَّبْعَةِ ٱلشُّهُبِ
أَيْنَ ٱلرِّوَايَةُ بَلْ أَيْنَ ٱلنُّجُومُ وَمَا صَاغُوهُ مِنْ زُخْرُفٍ فِيهَا وَمِنْ كَذِبِ
تَخَرُّصًا وَأَحَادِيثًا مُلَفَّقَةً لَيْسَتْ بِنَبْعٍ إِذَا عُدَّتْ وَلَا غَرَبِ
عَجَائِبًا زَعَمُوا ٱلْأَيَّامَ مُجْفِلَةً عَنْهُنَّ فِي صَفَرِ ٱلْأَصْفَارِ أَوْ رَجَبِ
وَخَوَّفُوا ٱلنَّاسَ مِنْ دَهْيَاءَ مُظْلِمَةٍ إِذَا بَدَا ٱلْكَوْكَبُ ٱلْغَرْبِيُّ ذُو ٱلذَّنَبِ
فَتْحُ ٱلْفُتُوحِ تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ بِهِ نَظْمٌ مِنَ ٱلشِّعْرِ أَوْ نَثْرٌ مِنَ ٱلْخُطَبِ

فَتْحٌ تَفَتَّحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ … وَتَبْرُزُ الأَرْضُ فِي أَثْوَابِهَا القُشُبِ
يَا يَوْمَ وَقْعَةِ عَمُّورِيَّةَ انْصَرَفَتْ … عَنْكَ المُنَى حُفَّلًا مَعْسُولَةَ الحَلَبِ
أَبْقَيْتَ جَدَّ بَنِي الإِسْلَامِ فِي صَعَدٍ … وَالمُشْرِكِينَ وَدَارَ الشِّرْكِ فِي صَبَبِ
أُمٌّ لَهُمْ لَوْ رَجَوْا أَنْ تُفْتَدَى جَعَلُوا … فِدَاءَهَا كُلَّ أُمٍّ بَرَّةٍ وَأَبِ
وَبَرْزَةُ الوَجْهِ قَدْ أَعْيَتْ رِيَاضَتُهَا … كِسْرَى وَصَدَّتْ صُدُودًا عَنْ أَبِي كَرِبِ
مِنْ عَهْدِ إِسْكَنْدَرٍ أَوْ قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ … شَابَتْ نَوَاصِي اللَّيَالِي وَهْيَ لَمْ تَشِبِ
بِكْرٌ فَمَا افْتَرَعَتْهَا كَفُّ حَادِثَةٍ … وَلَا تَرَقَّتْ إِلَيْهَا هِمَّةُ النُّوَبِ
حَتَّى إِذَا مَخَّضَ اللهُ السِّنِينَ لَهَا … مَخْضَ الحَلِيبَةِ كَانَتْ زُبْدَةَ الحِقَبِ
أَتَتْهُمُ الكُرْبَةُ السَّوْدَاءُ سَادِرَةً … مِنْهَا وَكَانَ اسْمُهَا فَرَّاجَةَ الكُرَبِ
جَرَى لَهَا الفَأْلُ نَحْسًا يَوْمَ أَنْقِرَةٍ … إِذْ غُودِرَتْ وَحْشَةَ السَّاحَاتِ وَالرَّحَبِ
لَمَّا رَأَتْ أُخْتَهَا بِالأَمْسِ قَدْ خَرِبَتْ … كَانَ الخَرَابُ لَهَا أَعْدَى مِنَ الجَرَبِ
كَمْ بَيْنَ حِيطَانِهَا مِنْ فَارِسٍ بَطَلٍ … قَانِي الذَّوَائِبِ مِنْ آنِي دَمٍ سَرِبِ
بِسُنَّةِ السَّيْفِ وَالخَطِّيِّ مِنْ دَمِهِ … لَا سُنَّةِ الدِّينِ وَالإِسْلَامِ مُخْتَضِبِ
لَقَدْ تَرَكْتَ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ بِهَا … لِلنَّارِ يَوْمًا ذَلِيلَ الصَّخْرِ وَالخَشَبِ
غَادَرْتَ فِيهَا بَهِيمَ اللَّيْلِ وَهْوَ ضُحًى … يُقِلُّهُ وَسْطَهَا صُبْحٌ مِنَ اللَّهَبِ
حَتَّى كَأَنَّ جَلَابِيبَ الدُّجَى رَغِبَتْ … عَنْ لَوْنِهَا أَوْ كَأَنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَغِبِ
ضَوْءٌ مِنَ النَّارِ وَالظَّلْمَاءُ عَاكِفَةٌ … وَظُلْمَةٌ مِنْ دُخَانٍ فِي ضُحًى شَحِبِ
فَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ مِنْ ذَا وَقَدْ أَفَلَتْ … وَالشَّمْسُ وَاجِبَةٌ مِنْ ذَا وَلَمْ تَجِبِ
تَصَرَّحَ الدَّهْرُ تَصْرِيحَ الغَمَامِ لَهَا … عَنْ يَوْمِ هَيْجَاءَ مِنْهَا طَاهِرٍ جُنُبِ

لم تطلع الشمس فيه يوم ذاك على بانٍ بأهلٍ ولم تغرب على عزبِ
ما ربع ميّة معموراً يطيف به غيلان أبهى ربىً من ربعها الخربِ
لم يعلم الكفر كم من أعصرٍ كمنت له المنية بين السمر والقضبِ
تدبير معتصمٍ بالله منتقمٍ لله مرتغبٍ في الله مرتهبِ
ومطعم النصل لم تكهم أسنته يوماً ولا حجبت عن روح محتجبِ
لم يغز قوماً ولم ينهض إلى بلدٍ إلا تقدمه جيشٌ من الرعبِ
لو لم يقد جحفلاً يوم الوغى لغدا من نفسه وحدها في جحفلٍ لجبِ
رمى بك الله برجيها فهدمها ولو رمى بك غير الله لم يصبِ
من بعد ما أشّبوها واثقين بها والله مفتاح باب المعقل الأشبِ
وقال ذو أمرهم لا مرتعٌ صددٌ للسارحين وليس الورد من كثبِ
أمانياً سلبتهم نجح هاجسها ظبى السيوف وأطراف القنا السلبِ
إن الحمامين من بيضٍ ومن سمرٍ دلوا الحياتين من ماءٍ ومن عشبِ
لبيت صوتاً زبطرياً هرقت له كأس الكرى ورضاب الخرّد العربِ
عداك حرّ الثغور المستضامة عن برد الثغور وعن سلسالها الحصبِ
أجبته معلناً بالسيف منصلتاً ولو أجبت بغير السيف لم تجبِ
حتى تركت عمود الشرك منقعراً ولم تعرّج على الأوتاد والطنبِ
لما رأى الحرب رأي العين توفلسٌ والحرب مشتقة المعنى من الحربِ
غدا يصرّف بالأموال جريتها فعزّه البحر ذو التيار والعببِ
هيهات زعزعت الأرض الوقور به عن غزو محتسبٍ لا غزو مكتسبِ

لَمْ يُنْفِقِ ٱلذَّهَبَ ٱلْمُرْبِي بِكَثْرَتِهِ ... عَلَى ٱلْحَصَى وَبِهِ فَقْرٌ إِلَى ٱلذَّهَبِ

إِنَّ ٱلْأُسُودَ أُسُودَ ٱلْغَابِ هِمَّتُهَا ... يَوْمَ ٱلْكَرِيهَةِ فِي ٱلْمَسْلُوبِ لَا ٱلسَّلَبِ

وَلَّى وَقَدْ أَلْجَمَ ٱلْخَطِّيُّ مَنْطِقَهُ ... بِسَكْتَةٍ تَحْتَهَا ٱلْأَحْشَاءُ فِي صَخَبِ

أَحسى قَرَابِينَهُ صَرْفَ ٱلرَّدَى وَمَضَى ... يَحْتَثُّ أَنْجَى مَطَايَاهُ مِنَ ٱلْهَرَبِ

مُوَكِّلًا بِيَفَاعِ ٱلْأَرْضِ يُشْرِفُهُ ... مِنْ خِفَّةِ ٱلْخَوْفِ لَا مِنْ خِفَّةِ ٱلطَّرَبِ

إِنْ يَعْدُ مِنْ حَرِّهَا عَدْوَ ٱلظَّلِيمِ فَقَدْ ... أَوْسَعْتَ جَاحِمَهَا مِنْ كَثْرَةِ ٱلْحَطَبِ

تِسْعُونَ أَلْفًا كَآسَادِ ٱلشَّرَى نَضِجَتْ ... جُلُودُهُمْ قَبْلَ نُضْجِ ٱلتِّينِ وَٱلْعِنَبِ

يَا رُبَّ حَوْبَاءَ لَمَّا ٱجْتُثَّ دَابِرُهُمْ ... طَابَتْ وَلَوْ ضُمِّخَتْ بِٱلْمِسْكِ لَمْ تَطِبِ

وَمُغْضَبٍ رَجَعَتْ بِيضُ ٱلسُّيُوفِ بِهِ ... حَيَّ ٱلرِّضَا عَنْ رَدَاهُمْ مَيِّتَ ٱلْغَضَبِ

وَٱلْحَرْبُ قَائِمَةٌ فِي مَأْزِقٍ لَجِبٍ ... تَجْثُو ٱلرِّجَالُ بِهِ صُغْرًا عَلَى ٱلرُّكَبِ

كَمْ نِيلَ تَحْتَ سَنَاهَا مِنْ سَنَا قَمَرٍ ... وَتَحْتَ عَارِضِهَا مِنْ عَارِضٍ شَنِبِ

كَمْ كَانَ فِي قَطْعِ أَسْبَابِ ٱلرِّقَابِ بِهَا ... إِلَى ٱلْمُخَدَّرَةِ ٱلْعَذْرَاءِ مِنْ سَبَبِ

كَمْ أَحْرَزَتْ قُضُبُ ٱلْهِنْدِيِّ مُصْلَتَةً ... تَهْتَزُّ مِنْ قُضُبٍ تَهْتَزُّ فِي كُثُبِ

بِيضٌ إِذَا ٱنْتُضِيَتْ مِنْ حُجْبِهَا رَجَعَتْ ... أَحَقَّ بِٱلْبِيضِ أَبْدَانًا مِنَ ٱلْحُجُبِ

خَلِيفَةَ ٱللهِ جَازَى ٱللهُ سَعْيَكَ عَنْ ... جُرْثُومَةِ ٱلدِّينِ وَٱلْإِسْلَامِ وَٱلْحَسَبِ

بَصُرْتَ بِٱلرَّاحَةِ ٱلْكُبْرَى فَلَمْ تَرَهَا ... تُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرٍ مِنَ ٱلتَّعَبِ

إِنْ كَانَ بَيْنَ صُرُوفِ ٱلدَّهْرِ مِنْ رَحِمٍ ... مَوْصُولَةٍ أَوْ ذِمَامٍ غَيْرِ مُقْتَضَبِ

فَبَيْنَ أَيَّامِكَ ٱللَّاتِي نُصِرْتَ بِهَا ... وَبَيْنَ أَيَّامِ بَدْرٍ أَقْرَبُ ٱلنَّسَبِ

أَبْقَتْ بَنِي ٱلْأَصْفَرِ ٱلْمِصْفَرِّ كَٱسْمِهِمِ ... صُفْرَ ٱلْوُجُوهِ وَجَلَّتْ أَوْجُهَ ٱلْعَرَبِ

١٣٦ للتلمساني في مدح الملك المنصور محمد بن عثمان الايوبي

أَأَخافُ صَرْفَ الدَّهْرِ أَمْ حِدْثَانَهُ ... وَالدَّهْرُ لِلْمَنْصُورِ بَعْضُ عَبِيدِهِ
مَلِكٌ نَدَاهُ فَكَّنِي وَٱنْتَاشَنِي ... مِنْ مُخْلِبَيْهِ وَمِنْ إِسَارِ قُيُودِهِ
مَلِكٌ إِذَا حَدَّثْتَ عَنْ إِحْسَانِهِ ... حَدَّثْتَ عَنْ مُبْدِي ٱلنَّدَى وَمُعِيدِهِ
سَادَ ٱلْمُلُوكَ بِفَضْلِهِ وَبِنَفْسِهِ ... وَٱلْعِزُّ مِنْ آبَائِهِ وَجُدُودِهِ
وَإِذَا تَرَنَّمَتِ ٱلرُّوَاةُ بِمَدْحِهِ ... وَثَنَائِهِ ٱهْتَزَّتْ مَعَاطِفُ جُودِهِ
لِأَبِي ٱلْمَعَالِي رَاحَةٌ وَكَّافَةٌ ... كَٱلْغَيْثِ يَوْمَ بُرُوقِهِ وَرُعُودِهِ
صَبٌّ بِتَحْصِيلِ ٱلثَّنَاءِ وَجَمْعِهِ ... كَلِفٌ بِبَذْلِ ٱلْمَالِ أَوْ تَبْدِيدِهِ
مَا زَالَ يَشْمَلُ حَاسِدِيهِ نَوَالُهُ ... حَتَّى أَقَرَّ بِهِ لِسَانُ حَسُودِهِ
سَلَّ عَفْوَهُ وَحُسَامُهُ فِي غِمْدِهِ ... وَحَذَارِ ثُمَّ حَذَارِ مِنْ تَجْرِيدِهِ
يَغْشَى ٱلْوَرَى مُتَلَفِّعًا بِرِدَائِهِ ... وَيَخُوضُهَا مُتَسَرْبِلًا بِحَدِيدِهِ
فَتَرَى ٱلشُّجَاعَ يَفِرُّ مِنْهُ مَهَابَةً ... وَٱلْمَوْتُ بَيْنَ لَهَاتِهِ وَوَرِيدِهِ
يَتَقَهْقَرُ ٱلْجَيْشُ ٱللُّهَامُ مَخَافَةً ... مِنْهُ إِذَا وَافَى أَمَامَ جُنُودِهِ
وَتَعُودُ مُخْفِقَةَ ٱلرَّجَاءِ عُدَاتُهُ ... وَقُلُوبُهَا خَفَّاقَةٌ كَبُنُودِهِ
فِي مَعْرَكٍ إِنْ كَبَّرَتْ فِيهِ ٱلْقَنَا ... وَصَلَ ٱلْحُسَامُ رُكُوعَهُ بِسُجُودِهِ
جَارَى ٱلْغَمَامَ فَفَاتَهُ بِنَوَالِهِ ... كَرَمًا وَفَاقَ كَبِيرَهُ بِزَهِيدِهِ
وَٱلدِّينُ أَصَّلَهُ وَشَدَّ مَنَارَهُ ... حِينَ ٱعْتَنَى بِحُقُوقِهِ وَحُدُودِهِ
وَٱلْمُلْكُ لَمْ يَنْفَكَّ يُعْمِلُ عَزْمَهُ ... فِي نَصْرِ ظَاهِرِهِ وَنُصْحِ سَعِيدِهِ
إِنَّ ٱلْمَنَايَا وَٱلْأَمَانِي لَمْ تَزَلْ ... طَوْعًا لِسَابِقِ وَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ

وَأَرَى ٱلْحَيَاةَ لَذِيذَةً بِحَيَاتِهِ ... وَأَرَى ٱلْوُجُودَ مُشَرَّفًا بِوُجُودِهِ
فَلَوَ ٱنَّنِي خُيِّرْتُ مِنْ دَهْرِي ٱلْمُنَى ... لَٱخْتَرْتُ طُولَ بَقَائِهِ وَخُلُودِهِ
يَا آلَ أَيُّوبٍ جُزِيتُمْ صَالِحًا ... عَنْ مُحْسِنٍ مَدْحَ ٱلْمُلُوكِ مُجِيدِهِ
وَنَعِمْتُمُ مَا ٱفْتَرَّ عَنْ ثَغْرِ ٱلضُّحَى ... صُبْحٌ وَمَا فَضَحَ ٱلدُّجَى بِعَمُودِهِ
يَا أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلَّذِي حَازَ ٱلْعُلَى ... فَثَنَى عِنَانَ ٱلْفِكْرِ عَنْ تَحْدِيدِهِ
أَمَّا ٱلزَّمَانُ فَأَنْتَ دُرَّةُ عِقْدِهِ ... وَسِنَانُ صَعْدَتِهِ وَبَيْتُ قَصِيدِهِ
وَٱلشِّعْرُ أَنْتَ أَحَقُّ مَنْ يَهْتَزُّ عِنْـ ... ـدَ سَمَاعِهِ وَيَمِيلُ عِنْدَ نَشِيدِهِ
فَٱسْلَمْ لِمُلْكٍ بَلْ لِمَجْدٍ أَنْتَ فِي ... تَأْسِيسِهِ وَٱللهُ فِي تَأْيِيدِهِ

١٣٧ لابي الطيب المتنبي في الحسين بن اسحاق التنوخي

هُوَ ٱلْبَيْنُ حَتَّى مَا تَأَنَّى ٱلْحَزَائِقُ ... وَيَا قَلْبُ حَتَّى أَنْتَ مِمَّنْ أُفَارِقُ
وَقَفْنَا وَمِمَّا زَادَ بَثًّا وُقُوفُنَا ... فَرِيقَيْ هَوًى مِنَّا مَشُوقٌ وَشَائِقُ
وَقَدْ صَارَتِ ٱلْأَجْفَانُ قَرْحَى مِنَ ٱلْبُكَا ... وَصَارَ بَهَارًا فِي ٱلْخُدُودِ ٱلشَّقَائِقُ
عَلَى ذَا مَضَى ٱلنَّاسُ ٱجْتِمَاعٌ وَفُرْقَةٌ ... وَمَيْتٌ وَمَوْلُودٌ وَقَالٍ وَوَامِقُ
تَغَيَّرَ حَالِي وَٱللَّيَالِي بِحَالِهَا ... وَشِبْتُ وَمَا شَابَ ٱلزَّمَانُ ٱلْغُرَانِقُ
وَلَيْلٍ دَجُوجِيٍّ كَأَنَّا جَلَتْ لَنَا ... مُحَيَّاكَ فِيهِ فَٱهْتَدَيْنَا ٱلسَّمَالِقُ
فَمَا زَالَ لَوْلَا نُورُ وَجْهِكَ جِنْحُهُ ... وَلَا جَابَهَا ٱلرُّكْبَانُ لَوْلَا ٱلْأَيَانِقُ
وَهَزٌّ أَطَارَ ٱلنَّوْمَ حَتَّى كَأَنَّنِي ... مِنَ ٱلسُّكْرِ فِي ٱلْغَرْزَيْنِ ثَوْبٌ شُبَارِقُ
شَدَوْا بِٱبْنِ إِسْحَاقَ ٱلْحُسَيْنِ فَصَافَحَتْ ... ذَفَارِيَهَا كِيرَانُهَا وَٱلنَّمَارِقُ
بِمَنْ تَقْشَعِرُّ ٱلْأَرْضُ خَوْفًا إِذَا مَشَى ... عَلَيْهَا وَتَرْتَجُّ ٱلْجِبَالُ ٱلشَّوَاهِقُ

فَتًى كَالسَّحَابِ ٱلْجُونِ يُخْشَى وَيُرْتَجَى   يُرَجَّى ٱلْحَيَا مِنْهَا وَتُخْشَى ٱلصَّوَاعِقُ
وَلٰكِنَّهَا تَمْضِي وَهٰذَا مُخَيِّمٌ   وَتَكْذِبُ أَحْيَانًا وَذَا ٱلدَّهْرَ صَادِقُ
تَخَلَّى مِنَ ٱلدُّنْيَا لِيُنْسَى فَمَا خَلَتْ   مَغَارِبُهَا مِنْ ذِكْرِهِ وَٱلْمَشَارِقُ
غَذَا ٱلْهِنْدُوَانِيَّاتِ بِٱلْهَامِ وَٱلطُّلَى   فَهُنَّ مَدَارِيهَا وَهُنَّ ٱلْمَخَانِقُ
تُشَقَّقُ مِنْهُنَّ ٱلْجُيُوبُ إِذَا غَزَا   وَتُخْضَبُ مِنْهُنَّ ٱللِّحَى وَٱلْمَفَارِقُ
يُجَنِّبُهَا مَنْ حَتْفُهُ عَنْهُ غَافِلٌ   وَيَصْلَى بِهَا مَنْ نَفْسُهُ مِنْهُ طَالِقُ
يُحَاجَى بِهِ مَا نَاطِقٌ وَهْوَ سَاكِتٌ   يُرَى سَاكِتًا وَٱلسَّيْفُ عَنْ فِيهِ نَاطِقُ
نَكِرْتُكَ حَتَّى طَالَ مِنْكَ تَعَجُّبِي   وَلَا عَجَبٌ مِنْ حُسْنِ مَا ٱللّٰهُ خَالِقُ
كَأَنَّكَ فِي ٱلْإِعْطَاءِ لِلْمَالِ مُبْغِضٌ   وَفِي كُلِّ حَرْبٍ لِلْمَنِيَّةِ عَاشِقُ
أَلَا قَلَّمَا تَبْقَى عَلَى مَا بَدَا لَهَا   وَحَلَّ بِهَا مِنْكَ ٱلْقَنَا وَٱلسَّوَابِقُ
سَيُحْيِي بِكَ ٱلسُّمَّارُ مَا لَاحَ كَوْكَبٌ   وَيَحْدُو بِكَ ٱلسُّفَّارُ مَا ذَرَّ شَارِقُ
فَمَا تَرْزُقُ ٱلْأَقْدَارُ مَنْ أَنْتَ حَارِمٌ   وَلَا تَحْرِمُ ٱلْأَقْدَارُ مَنْ أَنْتَ رَازِقُ
وَلَا تَفْتُقُ ٱلْأَيَّامُ مَا أَنْتَ رَاتِقٌ   وَلَا تَرْتُقُ ٱلْأَيَّامُ مَا أَنْتَ فَاتِقُ
لَكَ ٱلْخَيْرُ غَيْرِي رَامَ مِنْ غَيْرِكَ ٱلْغِنَى   وَغَيْرِي بِغَيْرِ ٱللَّاذِقِيَّةِ لَاحِقُ
هِيَ ٱلْغَرَضُ ٱلْأَقْصَى وَرُؤْيَتُكَ ٱلْمُنَى   وَمَنْزِلُكَ ٱلدُّنْيَا وَأَنْتَ ٱلْخَلَائِقُ

١٣٨ وقال ابو الطيب يمدح ابا شجاع فاتكا وكان يُلقَّب بالمجنون

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالُ   فَلْيُسْعِدِ ٱلنُّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ ٱلْحَالُ
وَٱجْزِ ٱلْأَمِيرَ ٱلَّذِي نُعْمَاهُ فَاجِئَةٌ   بِغَيْرِ قَوْلٍ وَنُعْمَى ٱلنَّاسِ أَقْوَالُ
فَرُبَّمَا جَزَتِ ٱلْإِحْسَانَ مُولِيَهُ   خَرِيدَةٌ مِنْ عَذَارَى ٱلْحَيِّ مِكْسَالُ

وإن تكن محكمات الشكل تمنعني ظهور جري فلي فيهن تصهال
وما شكرت لأن المال فرحني سيان عندي إكثار وإقلال
لكن رأيت قبيحاً أن يجاد لنا وأننا بقضاء الحق بخال
فكنت منبت روض الحزن باكره غيث بغير سباخ الأرض هطال
غيث يبين للنظار موقعه أن الغيوث بما تأتيه جهال
لا يدرك المجد إلا سيد فطن لما يشق على السادات فعال
لا وارث جهلت يمناه ما وهبت ولا كسوب بغير السيف سآل
قال الزمان له قولاً فأفهمه أن الزمان على الإمساك عذال
تدري القناة إذا اهتزت براحته أن الشقي بها خيل وأبطال
كفاتك ودخول الكاف منقصة كالشمس قلت وما للشمس أمثال
ألقائد الأسد غذتها براثنه بمثلها من عداه وهي أشبال
ألقاتل السيف في جسم القتيل به وللسيوف كما للناس آجال
تغير عنه على الغارات هيبته وما له بأقاصي البر أهمال
له من الوحش ما اختارت أسنته عير وهيق وخنساء وذيال
تمسي الضيوف مشهاة بعقوته كأن أوقاتها في الطيب آصال
لو اشتهت لحم قاريها لبادرها خراذل منه في الشيزى وأوصال
لا يعرف الرزء في مال ولا ولد إلا إذا احتفز الضيفان ترحال
يروي صدى الأرض من فضلات ما شربوا محض اللقاح وصافي اللون سلسال
تقري صوارمه الساعات عبط دم كأنما الساع نزال وقفال

تَجرِي ٱلنُّفوسُ حوالَيهِ مُخَلَّطَةً مِنها عُداةٌ وأغنامٌ وآبالُ
لا يَحرِمِ ٱلبُعدُ أهلَ ٱلبُعدِ نائِلَهُ وغَيرُ عاجِزَةٍ عَنهُ ٱلأُطَيفالُ
أمضى ٱلفَريقَينِ في أقرانِهِ ظُبَةً وَٱلبِيضُ هادِيَةٌ وَٱلسُمرُ ضُلّالُ
يُريكَ مَخبَرُهُ أضعافَ مَنظَرِهِ بَينَ ٱلرِجالِ وَفيها ٱلماءُ وَٱلآلُ
وَقَد يُلَقِّبُهُ ٱلمَجنونَ حاسِدُهُ إذا ٱختَلَطنَ وَبَعضُ ٱلعَقلِ عُقّالُ
يَرمي بِها ٱلجَيشَ لا بُدٌّ لَهُ وَلَها مِن شَقِّهِ وَلَوَ انَّ ٱلجَيشَ أجبالُ
إذا ٱلعِدى نَشِبَت فيهِم مَخالِبُهُ لَم يَجتَمِع لَهُمُ حِلمٌ وَرِئبالُ
يَروعُهُم مِنهُ دَهرٌ صَرفُهُ أبَداً مُجاهِرٌ وَصُروفُ ٱلدَهرِ تَغتالُ
أنالَهُ ٱلشَرَفَ ٱلأعلى تَقَدُّمُهُ فَما ٱلَّذي بِتَوَقّي ما أتى نالوا
إذا ٱلمُلوكُ تَحَلَّت كانَ حِليَتَهُ مُهَنَّدٌ وَأصَمُّ ٱلكَعبِ عَسّالُ
أبو شُجاعٍ أبو ٱلشُجعانِ قاطِبَةً هَولٌ نَمَتهُ مِنَ ٱلهَيجاءِ أهوالُ
تَمَلَّكَ ٱلحَمدَ حَتّى ما لِمُفتَخِرٍ في ٱلحَمدِ حاءٌ وَلا ميمٌ وَلا دالُ
عَلَيهِ مِنهُ سَرابيلٌ مُضاعَفَةٌ وَقَد كَفاهُ مِنَ ٱلماذِيِّ سِربالُ
وَكَيفَ أستُرُ ما أولَيتَ مِن حَسَنٍ وَقَد غَمَرتَ نَوالاً أيُّها ٱلنالُ
لَطَّفتَ رَأيَكَ في بِرّي وَتَكرِمَتي إنَّ ٱلكَريمَ عَلى ٱلعَلياءِ يَحتالُ
حَتّى غَدَوتَ وَلِلأخبارِ تَجوالُ وَلِلكَواكِبِ في كَفَّيكَ آمالُ
وَقَد أطالَ ثَنائي طولُ لابِسِهِ إنَّ ٱلثَناءَ عَلى ٱلتِنبالِ تِنبالُ
إن كُنتَ تَكبُرُ أن تَختالَ في بَشَرٍ فَإنَّ قَدرَكَ في ٱلأقدارِ يَختالُ
كَأنَّ نَفسَكَ لا تَرضاكَ صاحِبَها إلّا وَأنتَ عَلى ٱلمِفضالِ مِفضالُ

وَلا تَعدُكَ صَوانًا لِمُهجتِها إلَّا وَأنتَ لَها في الرَّوعِ بَذَّالُ
لَولا المَشقَّةُ سادَ النَّاسُ كُلُّهمُ الجُودُ يُفقِرُ وَالإِقدامُ قَتَّالُ
وَإنَّما يَبلُغُ الإِنسانُ طاقَتَهُ ما كُلُّ ماشِيَةٍ بِالرَّحلِ شِملالُ
إنَّا لَفي زَمَنٍ تَركُ القَبيحِ بِهِ مِن أكثَرِ النَّاسِ إحسانٌ وَإجمالُ
ذِكرُ الفَتى عُمرُهُ الثَّاني وَحاجَتُهُ ما قاتَهُ وَفُضولُ العَيشِ أشغالُ

١٣٩ وللمتنبي يمدح سيف الدولة ويذكر بناء قلعة الحدث

عَلى قَدرِ أهلِ العَزمِ تَأتي العَزائِمُ وَتَأتي عَلى قَدرِ الكِرامِ المَكارِمُ
وَتَعظُمُ في عَينِ الصَّغيرِ صِغارُها وَتَصغُرُ في عَينِ العَظيمِ العَظائِمُ
يُكَلِّفُ سَيفُ الدَّولَةِ الجَيشَ هَمَّهُ وَقَد عَجَزَت عَنهُ الجُيوشُ الخَضارِمُ
وَيَطلُبُ عِندَ النَّاسِ ما عِندَ نَفسِهِ وَذَلِكَ ما لا تَدَّعيهِ الضَّراغِمُ
يُفَدّي أتَمُّ الطَّيرِ عُمرًا سِلاحَهُ نُسورُ المَلا أحداثُها وَالقَشاعِمُ
وَما ضَرَّها خَلقٌ بِغَيرِ مَخالِبٍ وَقَد خُلِقَت أسيافُهُ وَالقَوائِمُ
هَلِ الحَدَثُ الحَمراءُ تَعرِفُ لَونَها وَتَعلَمُ أيُّ السَّاقِيَينِ الغَمائِمُ
سَقَتها الغَمامُ الغُرُّ قَبلَ نُزولِهِ فَلَمَّا دَنا مِنها سَقَتها الجَماجِمُ
بَناها فَأعلى وَالقَنا تَقرَعُ القَنا وَمَوجُ المَنايا حَولَها مُتَلاطِمُ
وَكانَ بِها مِثلُ الجُنونِ فَأصبَحَت وَمِن جُثَثِ القَتلى عَلَيها تَمائِمُ
طَريدَةُ دَهرٍ ساقَها فَرَدَدتَها عَلى الدِّينِ بِالخَطِّيِّ وَالدَّهرُ راغِمُ
تُفيتُ اللَّيالي كُلَّ شَيءٍ أخَذتَهُ وَهُنَّ لِما يَأخُذنَ مِنكَ غَوارِمُ
وَكَيفَ تُرَجّي الرُّومُ وَالرُّوسُ هَدمَها وَذا الطَّعنُ آساسٌ لَها وَدَعائِمُ

وقد حاكموها والمنايا حواكم   فما مات مظلوم ولا عاش ظالم

أتوك يجرون الحديد كأنهم   سروا بجياد ما لهن قوائم

إذا برقوا لم تعرف البيض منهم   ثيابهم من مثلها والعمائم

خميس بشرق الأرض والغرب زحفه   وفي أذن الجوزاء منه زمازم

تجمع فيه كل لسن وأمة   فما تفهم الحداث إلا التراجم

فلله وقت ذوب الغش ناره   فلم يبق إلا صارم أو ضبارم

تقطع ما لا يقطع الدرع والقنا   وفر من الأبطال من لا يصادم

وقفت وما في الموت شك لواقف   كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمر بك الأبطال كلمى هزيمة   ووجهك وضاح وثغرك باسم

تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى   إلى قول قوم أنت بالغيب عالم

ضممت جناحيهم على القلب ضمة   تموت الخوافي تحتها والقوادم

بضرب أتى الهامات والنصر غائب   وصار إلى اللبات والنصر قادم

حقرت الردينيات حتى طرحتها   وحتى كأن السيف للرمح شاتم

ومن طلب الفتح الجليل فإنما   مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم

نثرتهم فوق الأحيدب نثرة   كما نثرت فوق العروس الدراهم

تدوس بك الخيل الوكور على الذرى   وقد كثرت حول الوكور المطاعم

تظن فراخ الفتخ أنك زرتها   بأماتها وهي العتاق الصلادم

إذا زلقت مشيتها ببطونها   كما تتمشى في الصعيد الأراقم

أفي كل يوم ذا الدمستق مقدم   قفاه على الإقدام للوجه لائم

أَيُنْكِرُ رِيحَ ٱللَّيْثِ حَتَّى يَذُوقَهُ ... وَقَدْ عَرَفَتْ رِيحَ ٱللُّيُوثِ ٱلْبَهَائِمُ
وَقَدْ فَجَعَتْهُ بِٱبْنِهِ وَٱبْنِ صِهْرِهِ ... وَبِٱلصِّهْرِ حَمْلَاتُ ٱلْأَمِيرِ ٱلْغَوَاشِمُ
مَضَى يَشْكُرُ ٱلْأَصْحَابَ فِي فَوْتِهِ ٱلظُّبَا ... بِمَا شَغَلَتْهَا هَامُهُمْ وَٱلْمَعَاصِمُ
وَيَفْهَمُ صَوْتَ ٱلْمَشْرَفِيَّةِ فِيهِمِ ... عَلَى أَنَّ أَصْوَاتَ ٱلسُّيُوفِ أَعَاجِمُ
يُسَرُّ بِمَا أَعْطَاكَ لَا عَنْ جَهَالَةٍ ... وَلٰكِنَّ مَغْنُومًا نَجَا مِنْكَ غَانِمُ
لَكَ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلدُّرِّ ٱلَّذِي لِيَ لَفْظُهُ ... فَإِنَّكَ مُعْطِيهِ وَإِنِّيَ نَاظِمُ
وَإِنِّي لَتَعْدُو بِي عَطَايَاكَ فِي ٱلْوَغَى ... فَلَا أَنَا مَذْمُومٌ وَلَا أَنْتَ نَادِمُ
عَلَى كُلِّ طَيَّارٍ إِلَيْهَا بِرِجْلِهِ ... إِذَا وَقَعَتْ فِي مِسْمَعَيْهِ ٱلْغَمَاغِمُ
أَلَا أَيُّهَا ٱلسَّيْفُ ٱلَّذِي لَسْتَ مُغْمَدًا ... وَلَا فِيكَ مُرْتَابٌ وَلَا مِنْكَ عَاصِمُ
هَنِيئًا لِضَرْبِ ٱلْهَامِ وَٱلْمَجْدِ وَٱلْعُلَى ... وَرَاجِيكَ وَٱلْإِسْلَامِ أَنَّكَ سَالِمُ
وَلِمْ لَا يَقِي ٱلرَّحْمٰنُ حَدَّيْكَ مَا وَقَى ... وَتَفْلِيقُهُ هَامَ ٱلْعِدَى بِكَ دَائِمُ

الباب الحادي عشر
في المراسلات

مراسلات بين الملوك والأعيان

كتاب ابي القاسم بن الجدّ عن امير المسلمين الى اهل سبتة

١٦٠ كتابنا ابقاكم الله واكرمكم بتقواه . ويسّركم لما يرضاه . واسبغ عليكم نعماه . وقد رأينا والله بفضله يقرن جميع آرائنا بالتسديد . ولا يخلينا في كافة انحائنا من النظر الحميد . ان نولّي ابا زكرياء يحيى بن أبي بكر محل ابننا . الناشئ في حجرنا . اعزّه الله وسدّده فيما قلّدناه اياه من مدينتي فاس وسبتة وجميع اعمالها حرسهما الله على الرسم الذي تولّاه غيره قبله . فانفذنا ذلك له . لما توسّمناه من مخايل النجابة قبلهُ . ووصيناه بما نرجو ان يحتذيه ويمتثله . ويجري قوله وعمله . ونحن من وراء اختباره . والفحص عن أخباره . لاتني بحول الله في امتحانه وتجريبه : والعناية بتخريجه وتدريبه . والله عزّ وجلّ يحقق مخيلتنا فيه . ويوفّقه من سداد القول والعمل الى ما يرضيه . فاذا وصل اليكم خطابنا فالتزموا له السمع والطاعة . والنصح والمشايعة جهد الاستطاعة . وعظّموا بحسب مكانه منا قدره . وامتثلوا في كل عمل من أعمال الحق نهيه وامره . والله تعالى يمدّه بتوفيقه وهدايته ويعرّفكم يُمن ولايته بعزّته (لابن خاقان)

كتاب خالد الى ابي بكر يخبره بفتح اجنادين

١٦١ بسم الله الرحمان الرحيم اني احمد اليك الله الذي لا اله الّا هو. ثم أزيده حمدًا وشكرًا على سلامة المسلمين ودمار الاعداء واخماد جمرتهم وانصداع بيضتهم . وانّا لقينا جموعهم بأجنادين مع وردان صاحب حمص وقد نشروا كتبهم ورفعوا اعلامهم وتقاسموا بدينهم ان لا يفرّون ولا ينهزمون . فخرجنا اليهم واثقين بالله متوكلين على الله فعلم ربنا ما اضمرناه في افئدتنا وسرائرنا فرزقنا الصبر وأيّدنا بالنصر . وكبت اعداء الله فقتلناهم في كل فجّ وشِعب وواد . وجملة من احصينا من الروم ممّن قتل خمسون الفًا وقتل من المسلمين في أوّل يوم وثانيه اربع مائة وخمسة وسبعون رجلًا ختم الله لهم بالشهادة . ونحن راجعون الى دمشق فادعُ الله لنا بالنصر . والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته (فتوح الشام للواقدي)

كتاب الحريري الى المسترشد بالله لما ولي الخلافة بعد المستظهر

١٦٢ للدهر اعزّ الله أنصار الديوان العزيز وادام له مساعفة الأقدار . ومضاعفة الاقتدار . وايلاء صنائع المبارّ . والاستيلاء على جوامع المسارّ . خطوب متفاضلة القيم . كتفاضل ما تنشيه

من الغُمم . وضروب متفاوتة الدَرَج . بحسب ما تقتنيه من المُهَج . فأعظمها ايلاماً للقلوب . واضرامًا للكروب . واستجلاباً للواعج الغموم . وايجاباً للوازم الحزن على العموم . رزءٌ تساهم فيهِ الانام . واظلّت ليومهِ الأيام . وكان في معاهد الخلافة ناجمًا . وعلى سدّة الامامة المقدّسة هاجمًا . كالفجيعة بطود الدين الشامخ . ودوحة المجد الباذخ . وبحر الكرم الزاخر . وقِبلة المآثر والمفاخر . وانما هو خطب كاد يشيب منهُ الاطفال . وتنشقّ الأرض وتخرّ الجبال . غير انّ الله جلّت اسماؤهُ . وتعاظم علاؤهُ . نظر لأصناف عبيدهِ . ومنّ على أهل توحيدهِ . باستخلاف المسترشد بالله . ولولا هذه المنحة التي انتاشت الدين . وجبرت مصاب المسلمين . لفسدت الأرض . ولكن الله ذو الفضل على العالمين . نشر الله في الخافقين اعلام دولتهِ . وحلّى تواريخ السِيَر بمناقب سيرتهِ . وحقّق آمال المستشفعين والمستضعفين في اسعافهِ ونصرتهِ . قد التزم الخادم من شرائط هذين الأمرين المقدورين . والمقامين المشهورين . ما يلتزمهُ المباهي باخلاص الطاعة . المتناهي في الخدمة المستطاعة

١٤٣ كتاب ابن صُمادح الى المعتمد يغريه بقتل ابن زيدون وزير ابيهِ

يا أيها الملك العليُّ الأعظمُ ... إقطع وريدَيْ كلّ باغٍ ينئمُ
واحسِم بسيفك داء كلّ منافقٍ ... يبدي الجميل وضدّ ذلك يكتمُ
لا تحقرنّ من الكلامِ قليلهُ ... إنّ الكلام لهُ سيوفٌ تكلمُ
فاحسِم دواعي كلّ شرٍّ دونهُ ... فالداء يسري إن غدا لا يُحسَمُ
كم سِقْط زَندٍ قد نما حتى غدا ... بركانَ نارٍ كلّ شيءٍ يحطمُ
وكذلك السيلُ الجُحاف فانما ... أولاهُ طَلٌّ ثمّ وبلٌ يسجمُ
واذكر صنيع أبيك أوّل مرّةٍ ... في كلّ متّهمٍ فانك تعلمُ
لم يبقِ منهم مَن توقّع شرّهُ ... فصفت لهُ الدنيا ولذّ المطعمُ
فعلى مَ تنكل عن صنيعِ مثلهِ ... ولأنت أمضى في الخطوب وأشهمُ
وجنانك الثبت الذي لا ينثني ... وحسامك العضب الذي لا يكهمُ
والحال أوسع والعوالي جمّةٌ ... والجدّ أشمخُ والصريمة ضيغمُ
لا تتركنّ للناس موضع همسةٍ ... واحزِمْ فمثلك في العظائم يحزمُ
قد قال شاعر كِندةٍ فيما مضى ... بيتاً على مرّ الليالي يُعلمُ
لا يسلمُ الشرف الرفيع من الأذى ... حتى يُراقَ على جوانبهِ الدمُ
فاجعلهُ قدوتك التي تعتادها ... في كلّ ما يقي ورأيك أحكمُ
واسلم على الأيام انك زَينها ... وجمالها والدهر دونك مأتمُ
لازلتَ بالنصر العزيز مهنّأً ... والدين عن محمود سعيك يبسمُ
ووُقيتَ مكروهَ الحوادث واغتدت ... طير السعود بأيكِكم تترنّمُ

كتاب ألفُنس بن سانشِس الى المعتمد

(لمّا ملك اذفنش ابن شانجه اعمال طُلَيطلَة طمع في الاستيلاء على الجزيرة كلها . وهابت الملوك امره لكون طليطلة نقطة دائرتها وخاطب المعتمدُ على الله ابا القسم بن عبّاد يطلب منهُ تسليم اعماله الى رسلهِ وعمّالهِ وتشطط عليهِ في الطلب . واظهر لهُ السرور بالغلَب . فما خاطبهُ بهِ)

١٦٤ من الأنبيطور ذي المِلّتين الملك المفضل اذفنش بن شانجه الى المعتمد بالله سدّد الله آراءهُ وبصّرهُ مقاصد الرشاد . سلام عليك . من مشيد مُلكٍ شرّفتهُ القنا . ونبتت في ربعهِ المنى . باغترار الرمح بعاملهِ . والسيف بساعد حاملهِ . وقد ابصرتم بطليطلة نزال اقطارها . وما حاق باهلها حين حصارها . فاسلمتم اخوانكم . وعطلتم بالدعة زمانكم . والحذِرُ من ايقظ بالهُ . قبل الوقوع في الحبالة . ولولا عهدٌ سلفَ بيننا نحفظ زمامهُ . ونسعى بنور الوفاء امامهُ . لنهض بنا نحوكم ناهض العزم ورائدهُ . ووصل رسول الغزو ووارده . لكن الأقدار . تُقطَع بالاعذار . ولا يعجل الّا من خاف الفوت فيما يرومهُ . او خشيَ الغلبة على ما يسومهُ . وقد حمَّلنا الرسالة اليك القُمَّس البرهانس وعندهُ من التسديد الذي تلقى بهِ امثالك . والعقل الذي تدبّر بهِ بلادك ورجالك . ما اوجب استنابتهُ فيما يدقّ ويجلّ . فيما يصلح لا فيما يخلّ وانت عندما تأتيهِ من آرائك . والنظر بعد هذا من ورائك . والسلام عليك . يسعى بيمينك وبين يديك (تاريخ العباديين)

جواب المعتمد بالله الى الملك ألفنس بن سانشِس

١٦٥ من الملك المنصور بفضل الله المعتمد على الله محمد بن المعتضد بالله ابي عمرو بن عبّاد الى اذفنش بن شانجه الذي لقّب نفسهُ بملك الملوك وسماها بذي المِلّتين قطع الله بدعواهُ . سلام على من اتّبع الهدى . أما بعد فانهُ اوّل ما يبدأ بهِ من دعواهُ انهُ ذو المِلّتين والمسلمون احق بهذا الاسم لان الذي تملكوهُ من امصار البلاد . وعظيم الاستمداد . ومجبى المملكة لا تبلغهُ قدرتكم . ولا تعرفهُ ملتكم . وانما كانت سنة سعد ايقظ منها مناديك . واغفل عن النظر السديد جميل مباديك . فركبنا مركب عجزٍ نسخهُ الكيس . وعاطيناك كؤوس دعة قلت في اثنائها ليس . ولم تستحي ان تأمر بتسليم البلاد لرجالك . وانّا لنعجب من استعجالك . براي لم تحكم انحاؤُهُ . ولا حسُن انتحاؤُهُ . واعجابك بصنع وافقتك فيهِ الاقدار . واغتررت بنفسك اسوأ الاغترار . وتعلم انّا في العدد والعديد . والنظر السديد . ولدينا من كماة الفرسان . وحبل الانسان . وحماة الشجعان . يوم يلتقي الجمعان . رجال تدرَّعوا الصبر . وكرهوا القبر . تسيل نفوسهم على حدّ الشفار . وينعام المنام في القفار . يُديرون رحى المنون بحركات العزائم . ويشفون من خبط الجنون بحواتم العزائم . وقد اعدّوا لك ولقومك جلادًا رتّبهُ الاتفاق . وشفارًا حِدادًا شحذها الاصفاق . وقد يأتي المحبوب من المكروه . والندم من عجلة الشروه . نبهت من غفلة طال زمانها . وايقظت من نومة تجدد ايمانها . ومتى كانت لاسلافك الاقدمين مع اسلافنا الاكرمين يدٌ صاعدة . او وقفة

مقساعدة . الّا ذلَّ تعلم مقداره . وتتحقّق مثاره . والحمد لله الذي جعل عقوبتنا توبيخك وتقريعك بما الموت دونهُ . وبالله نستعين ولا نستبطئ في مسيرنا اليك والله ينصر دينهُ . والسلام على من علم الحق فاتّبعهُ . واجتنب الباطل وخدعه

مكتوب المعتمد بن عباد الى يوسف بن تاشفين يستنجدهُ على الاذفنش

١٤٦ (من اشبيلية في غرّة جمادى الاولى سنة ٣٧٩) . ايّد الله امير المؤمنين ونصرهُ ونصر بهِ الدين فانّا نحن العرب في هذه الاندلس قد تلفت قبائلنا . وتفرّق جمعنا . وتغيّرت انسابنا . بقطع المادة من حنيفتنا . فصرنا فيها شعوبًا لا قبائل واشتاتًا لا قرابة ولا عشائر . فقلّ ناصرنا وكثر شامتنا . وتولى علينا هذا العدو المجرم اللعين اذفنش . واناخ علينا بكلكلهِ ووطئ بقدمهِ واسر المسلمين واخذ البلاد والقلاع والحصون ونحن اهل هذه الاندلس ليس لاحدٍ منا طاقة على نصرة جارهِ ولا اخيهِ ولو شاءُوا لفعلوا . الّا ان الهواء والماء منعهم عن ذلك وقد ساءت الأحوال . وانقطعت الآمال . وانتم ايد الله سلطانكم سيد حمير . ومليكها الاكبر . واميرها وزعيمها نزعت بهمتي اليكم . واستصرخت بالله وبكم . واستغثت بحرمكم . لتجوزوا لجهاد هذا العدو الكافر وتحيوا شريعة الاسلام . وتذبّوا عن دين محمد . ولكم بذلك عند الله الثواب الكريم . والاجر الجسيم . ولا حول ولا قوّة الّا بالله العلي العظيم . والسلام الكريم . على حضرتكم السامية ورحمة الله وبركاتهُ (تاريخ غرناطة لابن الخطيب)

في الطلب والاشواق

١٤٧ لما استأسر الروم صِرار كتب الى اختهِ والى معشر الاسلام

ألا ايها الشخصان بالله بلّغا	سلامي الى اطلال مكّة والحِجرِ
فلاقيتما ما عشتما الف نعمة	بعزّ واقبالٍ يدوم مع النصرِ
ولا ضاع عند الله ما تصنعانهِ	فقد خفّ عني ما وجدت من الضرِّ
بصنعكما بي نلتُ خيرًا وراحةً	كذلك فعل الخير بين الورى يجري
ومالي وبيت الله موتي وانما	تركت عجوزًا في المهامهِ والقفرِ
ضعيفة حَيلٍ ليس فيها جلادةٌ	على نائبات الحادثات التي تجري
وكنت لها ركنًا بُعيدَ رجالها	وأُكرمها جهدي وان مسّني فقري
واطعمها من صيد كفّي ارانبًا	مع الظبي والوحش المقيمة في البرِّ
واحمي حماها أن تُضامَ فلم ازل	لها ناصرًا في موقف الشرّ والضرِّ
واني اردت الله لا شيء غيرهُ	وجاهدت في جيش الملاعين بالسمرِ
كذلك اختي جاهدت كل كافرٍ	وما برحت بالطعن في الكرّ والفرِّ
تقول وقد جار الفراق ببينهِ	الا يا أُخي ما لي على البين من صبرِ

الا يا اخي هذا الفراق فمن لنا   بخير رجوعٍ قادمٍ منك بالبشرِ
ألا بلّغاها عن اخيها تحيةً   وقولا غريبٌ مات في قبضة القهرِ
جريحٌ طريحٌ بالسيوف مبضّعٌ   على نُصرة الاسلام والطاهر الطهرِ
حمائمَ نجد بلّغي قول شائقٍ   الى عسكر الاسلام والسادة الغرِّ
وقولي ضرارٌ في القيود مكبّلٌ   بعيدٌ عن الأوطان في بلدٍ وَعرِ
حمائم نجد اسمعي قول مفردٍ   غريب كئيب وهو في ذلّة الاسرِ
وان سألوا عني الأحبّةَ خبّري   بان دموعي كالسحاب وكالقطرِ
حمائمَ نجد ان اتيتِ خيامنا   فقولي كذاك الدهرُ عسرٌ على يسرِ
وقولي لهم ان الأسيرَ بحرقةٍ   لهُ علّةٌ بين الجوانح والصدرِ
لهُ من عداد العمرِ عشرٌ وسبعةٌ   وواحدة عند الحساب بلا نكرِ
وفي خدّهِ خالٌ محتهُ مدامعٌ   على فقد اوطانٍ وكسرٌ بلا جبرِ
مضى سائرًا يبغي الجهادَ تبرعًا   فوافاهُ اولاد اللئام على غدرِ
ألا فادفناني بارك الله فيكما   ألا واكتبا هذا الغريبُ على قبري
ألا يا حمامات الحطيم وزمزمٍ   ألا أخبري أمي ودلّي على قبري
عسى تسمح الايام منها بزورةٍ   لقبر غريبٍ لا يزار من النكرِ

١٤٨ للصاحب فخر الدين بن مكانس يستدعي سراج الدين الاسكندريّ ويداعبهُ

يا ذا الذي فكرهُ مثل اسمهِ يقدُ   فندتَ عنا وما من شأنك الفندُ
بمَ اعتذارك عن هذا الصدود لنا   هذا وقد ضمّنا بالجيرة البلدُ
عافاك ربّك من داء القطيعة بل   شفاك من داء أمرٍ كلهُ نكدُ
فيمَ التوانيّ والخلّان قد حفلت   على المودّة لا حقدٌ ولا حسدُ
ان ذاع وصفك في تأديبهم طربوا   أو جال ذكرك فيما بينهم سجدوا
ان لم تشرّف بناديهم فما شرفوا   أو لم تنفق لهم آدابهم كسدوا
اذا هجرتَ بني الآداب فابدِ لنا   بمَ اعتذارك لا أهلٌ ولا ولدُ
قد صرتَ توحشهم بُعدًا وان قربوا   وكنتَ تؤنسهم قربًا وان بعدوا
ما هكذا تفعلُ الدنيا بصاحبها   فالناس بالناس والإخوان تفتقدُ
وبعدُ فاحضُر وذنب البعد مغتفرٌ   وان تطاول من هجرانك الأمدُ
بادر لنا فبنو الآداب كلهمُ   تجمعوا من فجاج الأرض واحتشدوا
وأوعدوك فان لم تأتِ نحوهمُ   وكلهم منجزٌ في الحال ما يعدُ
وأنت أدرى بقوم ان بلوا سلقوا   بألسنٍ ما لقتلى حربها قَوَدُ

لا زلتَ ترقى على زُهر النجوم عُلاً ما هبّتِ الريحُ اقواماً وما رصدوا

في العتاب واللوم

كتاب ابي بكر بن القصيرة عن اميرَ المسلمين وناصر الدين الى طائفة متعدية

١٤٩ اماّ بعد يا أُمّة لا تعقل رشدها . ولا تجري الى ما تقتضيهِ نعَم الله عندها . ولا تقلع عن اذى تفشيهِ قربًا وبعدًا جهدها . فانكم لا ترعون لجارٍ ولا لغيرهِ حرمة . ولا تراقبون في مؤمنٍ إلاًّ ولا ذمّةً . قد اعماكم عن مصالحكم الأشرُ . واضلكم ضلالاً بعيدًا البَطر . ونبذتم المعروف وراء ظهوركم واتيتم ما ينكر مقتديًا في ذلك صغيركم بكبيركم . وخاملكم بمشهوركم . ليس فيكم زاجرٌ . ولا منكم الّا غويٌ فاجرٌ . وما نرى الّا ان الله عزّ وجلّ قد شاء مسخكم . وأراد نسخكم وفسخكم . فسلّط عليكم الشيطان يغرّكم ويُغريكم . ويزيّن لكم قبائح معاصيكم . وكانكم بهِ قد نكص على عقبيهِ عنكم . وقال: اني بريءٌ منكم . وترككم في صفقة خاسرة . لا تستقيلونها ان لم تتوبوا في دنيا ولا آخرة وحسبنا هذا اعذارًا لكم . وانذارًا قبلكم . فتوبوا . وأنيبوا . واقلعوا . وانزعوا . واقتصّوا من انفسكم كل من وترتموهُ . وأنصفوا جميع مَن ظلمتموهُ وغشمتموهُ . ولا تستطيلوا على احد بعدُ . ولا يكن الى اذاهُ صدورٌ ولا وردٌ . والّا عاجلكم من عقوبتنا ما يجعلكم مثلاً سائرًا . وحديثًا غابرًا . فاتقوا الله في انفسكم واهليكم . واياكم والاغترار فانهُ يورطكم فيما يُرديكم . ويسوقكم الى ما يُشمِت بكم اعاديكم . وكفى بهذا تبصرةً وتذكرةً . ليست لكم بعدها حجّة ولا معذرة . ولا توفيق الّا بالله تعالى

كتاب الوزير الفقيه ابي القاسم ابن الجدّ عن امير المسلمين وناصر الدين الى اهل أشبيلية

١٥٠ كتابنا ابقاكم الله وعصمكم بتقواهُ . ويسّركم من الاتفاق والائتلاف الى ما يرضاهُ . وجنّبكم من اسباب الشقاق والخلاف ما يسخطهُ ويتهاهُ . من حاضرة مراكش حرسها الله لستّ بقينَ من جمادى الاولى سنة اثنتي عشرة وخمسمائة . وقد بلغنا ما تأكّد بين اعيانكم من اسباب التباعد والتباين . ودواعي التحاسد والتضاغن . واتصال التباغض والتدابر . وتمادي التقاطع والتهاجر . وفي هذا على فقهائكم وصلحائكم مطعنٌ بيّن . ومغمزٌ لا يرضاهُ مؤمن ديّن . فهلّا سعوا في إصلاح ذات البين سعي الصالحين . وجدّوا في ابطال اعمال المفسدين . وبذلوا في تأليف الآراء المختلفة وجمع الاهواء المفترقة جهد المجتهدين . ورأينا والله الموفّق للصواب . ان نعذر اليكم بهذا الخطاب . فاذا وصل اليكم . وقرئ عليكم . فاقمعوا الانفس الأمّارة بالسوء . وارغبوا في السكون والهدوّ . ونكبوا عن طريق البغي الذميم المشنوّ . واحذروا دواعي الفتن . وعواقب الإحَن . وما يجرُّ داء الضمائر . وفساد السرائر . وعمى البصائر . ووخيم المصاير . واشفقوا على

اديانكم واعراضكم . وتوبوا الى الصلاح في جميع اغراضكم واخلصوا السمع والطاعة لوالي اموركم . وخليفتنا في تدبيركم . وسياسة جمهوركم . اخينا الكريم علينا ابي اسحاق ابرهيم ابقاهُ الله. وادام عزَّهُ بتقواهُ . واعلموا ان يده فيكم كيدنا. ومشهدهُ كمشهدنا . فقفُوا عندما يحضكم عليهِ . ويدعوكم اليهِ . ولا تختلفوا في امر من الامور لديهِ . وانقادوا اسلم انقياد لحكمهِ وعزمهِ . ولا تقيسوا على نهج عناد بين حدّهِ ورسمهِ . والله تعالى يفيء بكم الى الحسنى . وييسّركم الى ما فيهِ صلاح الدين والدنيا . بقدرتهِ (قلائد العقيان لابن خاقان)

في المديح والتهنئة والشكر

من كتاب لابي محمد البسطامي الى بعض الامراء

١٥١ الحمد لله الذي اقام الامير مقاماً تسرّ بهِ الخواطر . واحيا بهِ بلدة العلوم احياء الروض بالسحب المواطر . واعاد شمسها المنيرة الى افقها . واحلّها بالمطالع الذي هو من حقها . فعاد الى وظيفتها عود الحليّ الى العاطل . واظهرها بهِ ظهور الحق على الباطل . فاصبحت منيرة شمسهُ ظاهرة في يومهِ بحسن ما عودها في امسهِ . فنظر اليها نظر السحاب الى مواقع وبلها . وحنوهُ على اهلها حنوّ المرضع على طفلها . فاصبحت رياح الأمن بها سارية . وسحاب اليمن من فوقها جارية والارزاق تنهلّ من اقلامهِ كما ينهلّ المطر من مُزنهِ . وانواع الخيرات تُجنى من كرمهِ كما جُني الثمر من غصنهِ . لا زالت اقلامهُ محكمةً في اراضي العلماء . نافذاً امرها في اقاليم الفضلاء

١٥٢ كتب ذو الوزارتين ابوبكر بن احمد بن رحيم الى الوزير المشرف اخيهِ يهنيه بمولود من قصيدةٍ

ورد الكتابُ بهِ فرحتُ كانني	نشوانُ راحٍ في ثياب تبختُرِ
لما فضضتُ ختامهُ فتجلّت	بيضُ الاماني في سواد الاسطرِ
قبَّلتُ من فرحٍ بهِ خدَّ الثرى	شكرًا ولا حظَّ لمن لم يشكرِ
يا موردَ الخبر الشهي وحاديَ ال	أمل القصيّ وهادي النبإِ السري
زدني من الخبر الذي اوردتهُ	يا برد ذاك على فؤاد المخبرِ
صفحًا وعفوًا للزمان فانهُ	ضحكت اسرّة وجههِ المتنمّرِ
طلع البشيرُ بنجم سعدٍ لاح من	أُفق العُلى وبشبلِ ليثٍ مخدرِ
لله دركَ ايَّ فرع سيادةٍ	اعطيتهُ وقضيب دوحة مفخرِ
طابت أرومتُهُ واينع فرعهُ	والفرع يُعرف فيهِ طيبُ العنصرِ
انت الجدير بكل فضلٍ نلتهُ	وحويتهُ وبكل مكرمةٍ حري
فهنا رحيماً انما قد انجبت	برحيمٍ المحمود اسنى مذخرِ
نامت عيونُ الدهر عن جَنَباتهِ	وحمت مناهلهُ متونُ الضُّمَّرِ

وصفا لهُ ولاخوةٍ يتلونهُ ... ماء الحياة لديك غير مكدّرِ
فلأنت بدر السعد وهو هلالهُ ... ولانت سيف المجد وهو السمهري
لا زلت تبقى للمحامد جامعاً ... مع احمدٍ في ظلِّ عيشٍ اخضرِ
والسعد ينشر فوق راسك رايةً ... تبقى مع العليا بقاء الادهرِ

١٥٣ قال صفي الدين الحلّي يشكر انعام السلطان الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل وقد حمل اليهِ تحفاً وكسوات البيت وآلاتهِ ومهماتهِ جميعها

جزاكَ الله من حسناك خيراً ... وكان لك المهيمنُ خيرَ راعِ
فقد قصَّرتَ بالاحسان لفظي ... كما طوَّلتَ بالإنعام باعي
فأخرني الحياء وليس يدري ... جميع الناس ما سببُ امتناعي
فأشكرُ حسن صنعك في اتصالٍ ... وخطوي نحو ربعك في انقطاعِ
وقافيةٍ شبيه الشمس حسناً ... تُردَّد بين كفي واليراعِ
لها فضلٌ على غُرَر القوافي ... كما فضل البقاع على البقاعِ
غدت تثني على علياك لمَّا ... ضمنت لرجها نجح المساعي
فدمتَ ولا برحتَ مدى الليالي ... سعيدَ الجدّ ذا امرٍ مُطاعِ

١٥٤ كتاب لسان الدين بن الخطيب الى بعض الفضلاء

تعرَّفت قرب الدار ممَّن أُحبُّهُ ... فكنت اجدّ السير لولا ضرورهْ
لاتلوَ من آيِ المحامد سورةً ... وأبصر من شخص المحاسن صورهْ

كنت ابقاك الله تعالى لاغتباطي بولائك . وسروري بلقائك . اودُّ أن اطوي اليك هذه المرحلة . واجدّد العهد بلقياك المؤمّلة . فمنع مانع . وما ندري في الآتي ما الله صانع . وعلى كل حال فشأني قد وضح منهُ سبيلٌ مسلوك . وعلمهُ مالكٌ ومملوك . واعتقادي اكثر مما تسعهُ العبارة . والالفاظ المستعارة . وموصلها ينوب عني في شكر تلك الذات المستكملة شروط الوزارة . المتّصفة بالعفاف والطهارة . والسلام (نفح الطيب للمقري)

في التعزية

كتاب ابي اسحاق الصابي الى محمَّد بن العبَّاس يعزيهِ عن طفلٍ

١٥٥ الدنيا اطال الله بقاء الرئيس أقدارٌ تُردُ في اوقاتها . وقضايا تجري الى غاياتها . ولا يُردّ منها شيء عن مداهُ . ولا يصدّ عن مطلبهِ ومنحاهُ . فهي كالسهام التي تثبت في الأغراض . ولا ترجع بالاعتراض . ومن عرف ذلك معرفة الرئيس لم عند يأثر الزيادة ولم يقنط عند المصيبة . ولم يجزع عند النقيصة . وأمن أن يستخفّ احد الطرفين حكمهُ . ويستنزل احد

الأمرين حزمهُ . ولم يدعْ ان يوطن نفسهُ على النازلة قبل نزولها . ويأخذ الاهبة لحالة قبل حلولها . وان يجاور الخير بالشكر . ويساور المحنة بالصبر . فيتخيَّر فائدة الأولى عاجلاً . ويستمري عائدة الاخرى آجلاً . وقد نفذ من قضاء الله في المولى الجليل قدراً . الحديث سنّاً ما أرمض وأقض . وأقلق وأمض . ومسَّني من التألم لهُ ما يحقّ على مثلي ممن توالت ايدي الرئيس اليه . ووجبت مشاركتهُ في الملمّ عليهِ . فانّا لله وانّا اليهِ راجعون . وعند الله نحتسبهُ غصناً ذوى . وشهاباً خبا . وفرعاً دلّ على اصلهِ . وخطيّاً انبتهُ وشيجهُ . وإياهُ اسأل ان يجعلهُ للرئيس فرَداً صالحاً وذُخراً عتيداً . وان ينفعهُ يوم الدين حيث لا ينفع الّا مثله بين البنين بجوده ومجده . ولئن كان المصاب بهِ عظيماً . والحادث فيهِ جسيماً . لقد احسن الله اليهِ . والى الرئيس فيهِ . أمّا اليهِ . فان الله نزّههُ باحترامهِ عن اقتراف الآثام . وصانهُ بالاختصار عن ملابسة الاوزار . فورد دنياهُ رشيدًا . وصدر عنها سعيدًا . نقيَّ الصحيفة من سواد الذنوب . بريَّ الساحة من دَرَن العيوب . لم تدنّسهُ الجرائر . ولم تعلق بهِ الصغائر والكبائر . قد رفع الله عنهُ دقيق الحساب . واسهم لهُ الثواب مع أهل الصواب . وألحقهُ بالصدّيقين الفاضلين في المعاد . وبوّأهُ حيث فضّلهم من مَدَد سعي واجتهاد . وأمّا الرئيس فان الله لمّا اختار ذلك قبضهُ قبل رؤيتهِ وقبل معاناتهِ على الحالة التي يكون معها لرقة . التي تتضاعف عندها الحرقة . وحماهُ من فتنة المرافقة . ليرفعهُ عن جزع المفارقة . وكان هو المبقى في دنياهُ . والواجب الماضي الذخيرة لأخراهُ . وقد قيل ان تسلم الجلة فالسخل هدرٌ . وعزيزٌ عليَّ ان اقول المهوّن للامر من بعدهِ ولا أُوفي التوجع عليهِ . واجب فقدهُ فهو لهُ سلالةٌ ومنهُ بضعةٌ . ولكن ذلك طريق التسلية . وسبيل التعزية . والمنهج المسلوك في مخاطبة مثلهِ ممّن يقبل منفعة الذكرى وان اغناهُ الاستبصار . ولا يأبى ورود الموعظة وان كفاهُ الاعتبار . والله تعالى يقي الرئيس المصائب . ويعيذهُ من النوائب . ويرعاهُ بعينهِ التي لا تنام . ويجعلهُ في حماهُ الذي لا يُرام . ويُبقيهِ موفوراً غير منتقص يقدمنا الى السوء امامهُ . والى المحذور قدّامهُ . ويبدأ بي من بينهم في هذه الدعوة . اذ كنت اراها من أسعد احوالي . وأعدّها من أبلغ امانيَّ وآمالي (للقيرواني)

لابي فضل الميكالي تعزية الى أبي عمرو البحتري في أخ

١٥٦ لقد عاش اخوك نبيه الذكر . جليل القدر . عبق الثناء والنشر . يتجمّل بهِ أهل بلدهِ . ويتباهى بمكانهِ ذوو مودّتهِ . ويفتخر الأثر وحاملوهُ بتراخي بقائهِ ومدّتهِ . حتى اذا تسنم ذروة الفضائل والمناقب . وظهرت محاسنهُ كالنجوم الثواقب . اختطفتهُ يد المقدار . ومحت أثرهُ بين الآثار . فالفضل خاشع الطرف لفقدهِ . والكرم خالي الربع من بعدهِ . والحديث يندب حامله ودارسهُ . وحسن العهد يبكي كافلهُ وحارسهُ

للفقيه الكاتب ابي عبد الله اللوشي رسالة كتب بها الى امير المسلمين يعزيه في الامير مزدلي

١٥٧ اطال الله بقاء امير المسلمين . وناصر الدين . الشائع عدلهُ . السابغ فضلهُ . العظيم سلطانهُ . العليُّ مكانهُ . السني قدرهُ وشانهُ . في سعد تطرف عنهُ اعين النوائب . وجدٍ تصرف دونهُ أوجه المصائب . كل رُزء ادام الله تأييدهُ وان عظم وجلّ . حتى استولى على النفوس منهُ الوجل . اذا عدا بابهُ . وتخطّى بجنابهُ . فقد اخطأ بحمد الله المقتل . وصدّ عن سواء الغرض وعدل . واذا كانت اقدار الله تعالى غالبةً لا تُصاول . واحكامهُ نافذة لا تُزاول . فالصبر لواقعها اولى . وكتبتهُ ادام الله تأييدهُ والنفس بنار زفراتها محترقة . والعين بماء عبرتها شرقة مغرورقة . لمّا نفذ قدر الله المقدور . وقضاؤهُ المسطور . من وفاة الامير الاجل ابي محمد مزدلي قدّس الله روحهُ . وسقى ضريحهُ . فيالهُ من رُزء قصم الظهر . ووسم النجوم الزُهر . واذكى الاحزان . وابكى الاجفان . واقصى المهاد بمكانتهِ من الدولة المنيفة . ومنزلتهِ من الامرة الرفيعة الشريفة . وعند الله نحتسبهُ ذخيرة عظمى . ونسألهُ المغفرة لهُ والرحمى . فانهُ كان نوّر الله وجههُ متوفر الهمة على الجهاد . من أهل الجد في ذلك والاجتهاد . وحسبهُ انهُ لم يقضِ نحبهُ الّا وهو متجهز في عساكرهِ فادركهُ الموت مهاجرًا . ومع الله تاجرًا . وارجو ان يكون تعالى قد قرن لهُ فاتحة السعادة . بخاتمة الشهادة . وأمير المسلمين اورى في الرئاسة زندًا من ان تضعضعهُ الخطوب وان ادلهمّت . وتوجعهُ الحوادث اذا ادلهمّت . والله يحسن عزاءهُ على فجعهِ . ولا يدني حادثًا بعدهُ من ربعهِ . بمنّهِ عزّ وجلّ

١٥٨ كتب الوزير ابو محمد بن القاسم معزيًا القاضي ابا الحسن بن زنباع في قريب مات لهُ

يشاطرك الصبابةَ والسهادا ويمحضك المحبةَ والوَدادا
صديقٌ لو كشفتَ الغيبَ عنهُ وجدتَ هواك قد ملأ الفؤادا
يعزّ عليهِ رُزءٌ بتّ عنهُ شقيق النفس تلهمها سدادا
أنشفق للعباد ونحن منهم من الرب الذي خلق العبادا
أراد بنا الفناء على سواءٍ ولا بدّ لنا ممّا ارادا
لئن قدّمتَ عِلقًا مستفادًا لقد اكرمت حظًّا مستفادا
ومثلك لا يضعضعهُ مصابٌ ولا يعطي لنائبةٍ قيادا
وما زلتَ الرشيدَ نُهًى وحاشى لمثلك أن نعلمهُ الرشادا

كتب بديع الزمان الهمذاني الى أبي عامر عدنان الضبّي يعزيه ببعض اقاربه

اذا ما الدهرُ جرّ على اناس   حوادثهُ اناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا   سيلقى الشامتون كما لقينا

١٥٩ احسنُ ما في الدهر عمومهُ بالنوائب . وخصوصهُ بالرغائب . فهو يدعو الجفلى اذا ساء . ويختصُّ بالنعمة اذا شاء . فلينظر الشامت فان كان أفلت . فلهُ ان يشمت . وينظر الانسان في الدهر وصروفهِ . والموت وصنوفهِ . من فاتحة امره . الى خاتمة عمره . هل يجد اثرًا في نفسهِ ام لتدبيره . عونًا على تصويره . ام لعملهِ . تقديمًا لأملهِ . ام لحيلهِ . تأخيرًا لأجلهِ . كلَّا بل هو العبد لم يكن شيئًا مذكورًا . خُلق مقهورًا . ورُزق مقدورًا . فهو يحيا جبرًا . ويهلك صبرًا . وليتأمل المرء كيف كان قبلًا . فان كان العدم اصلًا . والوجود فضلًا . فليعلم الموت عدلًا . والعاقل من رفع من حوائل الدهر ما ساء ليذهب ما ضرَّها نفع . وان احب ان لا يحزن فلينظر يمنةً . هل يرى الا محنةً . ثم ليعطف يسرةً . هل يرى الّا حسرةً . ومثل الشيخ الرئيس من تفطّن لهذه الاسرار . وعرف هذه الديار . فاعدّ لنعمتها صدرًا لا يعلوهُ فرحًا . ولبؤسها قلبًا لا يطيرهُ جزعًا . وصحب الدهر برأي من يعلم ان للمتعة حدًّا . وللعارية ردًّا . ولقد نُعيَ اليَّ ابو قبيصة قدَّس الله روحهُ . وبرَّد ضريحهُ . فعرضت عليَّ آمالي قعودًا . وأمانيَّ سودًا . وبكيت والسخي بما يملك . وضحكت وشرّ الشدائد ما يضحك . وعضضت الاصبع حتى افنيتهُ . وذممت الموت حتى تمنَّيتهُ . والموت خطبٌ قد عظُم حتى هان . وأمرٌ قد خشُن حتى لان . ونكرٌ قد عمّ حتى عاد عُرفًا . والدنيا قد تنكّرت حتى صار الموت اخفّ خطوبها . وخبثت حتى صار اصغر ذنوبها . واضمرت حتى صار ايسر غيوبها . واجمت حتى صار اظهر عيوبها . ولعل هذا السهم آخر ما في كنانتها . وازكى ما في خزانتها . ونحن معاشرَ التبع نتعلّم الأدب من اخلاقهِ . والجميل من افعالهِ . فلا نحثّهُ على الجميل وهو الصبر . ولا نرغّبهُ في الجزيل وهو الاجر . فليرَ فيها رأيهُ . ان شاء الله تعالى (رسائل بديع الزمان الهمذاني)

كتب ابو بكر الخوارزمي الى رئيس طوس يعزيهِ عن شقيقٍ لهُ

١٦٠ كتابي عن سلامة . وما سلامة من يرى كل يوم ركنًا مهدودًا . ولحدًا ملحودًا . واخًا مفقودًا . وحوضًا من المنيّة موردًا . ويعلم ان ايامهُ مكتوبةٌ . وأنفاسهُ محسوبةٌ . وان شباك المنايا لهُ منصوبةٌ . أفٍّ لهذه الدنيا ما اكدر صافيها . وأخيب راجيها . وأغدر ايامها ولياليها . وانغص لذّاتها وملاهيها . تفرّق بين الاحباء . والاحباب بالفوات . وبين الاحياء والاموات بالرفات . ورد عليَّ خبر وفاة فلان . فدارت بي الارض حيرة . واظلمت في عيني الدنيا حسرة . وملأ الولهُ والوهل قلبي وساوس وفكرة . وتذكّرت ما كان يجمعني وإيّاهُ من سكري الشباب والشراب . فعلمت انهُ شرب بكاسٍ انا شارب من شرابها . ورُمي بسهمٍ سوف أرمى بها . فبكيت

عليه بكاء لي نصفه . وحزنت عليه حزناً لنفسي شطره . وسألت الله تعالى فانه اكرم مسئول . واعظم مأمول . أن يفيض عليه من رحمته . ما يشمّم به سهمه من نعمته . وأن يتغمّد كل زلّة ارتكبها برحمته . ويضاعف له كل حسنة اكتسبها بمنّته . وان يذكر له تلك الاخلاق الكريمة . وتلك المروءة الواسعة العظيمة . ثم تذكّرت ما نزل بسيدي من الوحشة لفقده . والغمّة من بعده . والتحسر على قربه ببعده . فخلص الى قلبي وجع ثانٍ انساني الماضي وثالث انساني الثاني . حتى استفرغ ذلك ما في صبري . بل ما في صدري . وحتى صار الوجع وجعين . والمصاب اثنين . ثم رجعت الى أدب الله تعالى فقلت : انّا لله وانّا اليه راجعون اللهمّ لا شكاية لقضائك . ولا استبطاء لجزائك . ولا كُفران لنعمتك . ولا مناصبة لقدرتك . اللهمّ ارحم الماضي رحمةً تحبّب اليه مماته . وابق الحي بقاء يهنيه حياته . واطبع على قلبه حتى لا يطيع داعية الجزع . ولا يضع عنانه بيد الهلع . ولا يثلم جانب الاجر والذخر بالاثم والوزر . ولا يجد عدوه الشيطان سبيلاً اليه . ولا سلطاناً عليه . اقتصرت من تعزية سيدي على هذا المقدار . لا جرياً على مذهبي في الاقتصار والاختصار . ولكني لم اجد من لساني بسطة . ولا في قريحتي فضلة . ويحق لهذه الفادحة الحادثة ان تدع اللسان محصوراً . والبيان مقصوراً . او ان تحدث في العقل خللاً . وفي البيان شللاً . وليعرفني سيدي خبر ما هداه الله اليه من جميل العزاء . الذي لم يعدم جميل الجزاء . ليكون سكوني الى ما اعرفه من سلوته . اضعاف قلق كان عما ظننته من حرقته . وان كنت اعلم انه لا يخلي ساحة الحلم والعلم . ولا يخلّ بالواجب من التمسك بالحزم . ولا يحلّ عقدة صبره . ولا تتداعى اركان صدره . ولا يعمى الرشد في جميع امره . وهذه شريطة الكمال . ومحجة الرجال

وكتب الى قاضي سجستان حين نكبه اميرها

١٦١ أمّا بعد أيد الله القاضي فانه لم يحسن الى غيره من اساء الى نفسه . ولم ينصر اصدقاءه من خذل حوباءه . وانما يحب المرء اخاه بما فضل عن محبته لروحه التي له خيرها . وعليه ضيرها . وكانت محنة القاضي محنةً شملت الانام . وخصّت الكرام . ووجب على كل من اشتمّ روائح العقل . وميّز بين النقصان والفضل . ان ينفطر لها ألماً . وان يبكي عندها دماً . وخلص اليّ من ذلك ما اضحك مني الاعداء . وابكى لي الاصدقاء . حتى غضضت طرفاً طالما رفعته . وقبضت بناناً طالما بسطته . وحتى عُزّيت كما يعزّى الثكلان . وسُلّيت كما يسلّى اللهفان . وانا بعد ذلك استصغر فعل نفسي وهي جزعة هلعة . واستقلّ سعي عيني وهي سخينة دمعة . وكان يجب على مقتضى هذه الجملة . واساس هذه البنية . ان احضر مجلس القاضي فاصابره نهاراً واساهره ليلاً وتكون المحنة بيني وبينه احملها عنه ويحملها عني . ولكني علمت ان والينا هذا رجل ينظر الى الذنب الخفي . ويتغابى عن العذر الجلي . وله اذنان واحدة يسمع بها البلاغات وهي كاذبة . واخرى يصمّ بها عن المعاذير وهي صادقة . وليس بينه وبين العفو نسب . ولا له الى التثبت

طريق ولا مذهب . ولو تعرَّضت لتخطئتهِ . بعد ما عرفتهُ من شططهِ . لتحمَّلت دونهُ الوزر في ظلي . ولكنت مقدمتهُ الى ذمي . ومن قعد تحت الريبة ركبتهُ . ومن تعرَّض للظنَّة نالتهُ

ومن دعا الناس الى ذمّهِ   رموهُ بالحقّ وبالباطلِ

واقل ما كان ينبعث من حضوري ان يثب هذا الجواد وثبةً يصون القاضي عنها . ويبتذلني لها . فاكونُ قد ضررت نفسي ولم انفع غيري فاذا بالمحنة قد تضاعفت على القاضي ضعفين . وتكرَّرت عليهِ كرَّتين . يرى بولي من اوليائهِ . داء لا يقدر على دوائهِ . ويرى وقودًا لا يصل الى اطفائهِ . ويبقين في حالةٍ متَّصلة بحالهِ ثلمة لا يمكن سدُّها . ومحنة لا يستوي لها ردُّها . فلمَّا مثلت بين تخلُّفي آمنًا . وحضوري خائفًا . عدلت بين طرَفي الرؤية . ووزنت بين مقداري المحنة . فرأيت ان اميل مع السلامة . واقنع من العمل بالنيَّة . واغتفر عُهدة التفصيل لصحة الجملة . فغبت وكلي غير جسمي شاهد . وغبت وما انا الَّا مشاهد . وبعدت وقلبي سهيم واغضيت على عينٍ كلها قذى . وانطويت على صدرٍ كلهُ شجًا . وانصرفت بقلبٍ ساقط راضٍ واغمضت بجفن ضاحك باكٍ وقلت :

فان تسجنوا القسري لا تسجنوا اسمهُ   ولا تسجنوا معروفهُ في القبائلِ

ولقد سُجنت في ذمّ الظالم حللًا لا يبلّها الماء . ولا يجففها الهواء . ولا تغطّي عليها الظلماء . والمغبون مَن احتقب الاثم والغارم من غرم العرض والرابح مَن محنتهُ فانية . ومثوبتهُ باقية . ولو انصف الظالم لكان يعزى . ولو انصف المظلوم لكان يهنى . جعل الله تعالى هذه الحادثة بتراء عقماء ليس لها مدد . ولا ليومها غد . وجعل العمل بها آخر عهد القاضي بالعسر . وخاتمة لقائهِ لريب الدهر . ولا حرمهُ فيما نزل بهِ مثوبة الصابرين . ولا اخلاهُ فيما بعدهُ من الشاكرين . برحمتهِ

١٦٢ قال صفي الدين الحلّي يعزي الملك الافضل صاحب حماة بوالدهِ الملك المؤيد

خفّض همومك فالحياةُ غرورُ   ورحى المنون على الأنام تدورُ
والمرء في دار الفناء مكلَّفٌ   لا قادر فيها ولا معذورُ
والناس في الدنيا كظلٍّ زائلٍ   كلٌّ الى حكم الفناء يصيرُ
فالنكس والملك المتوَّج واحدٌ   لا آمرٌ يبقى ولا مأمورُ
عجبًا لمن ترك التذكُّر وانثنى   في الامن وهو بعيشهِ مغرورُ
في فقدنا الملك المؤيد شاهدٌ   ألّا يدوم مع الزمان سرورُ
ملكٌ تيمَّنت الملوك برأيهِ   فكأنهُ لصلاحهم إكسيرُ
ما آل أيوب الذين سماحهم   بحرٌ بامواج الندى مسجورُ
اضحت مدائحهُ الحسان مراثيًا   للناس منها رنَّة وزفيرُ
وبكت لهُ اهل الثغور وطالما   ضحِكت لدست الملك منهُ ثغورُ

أمسى عمادُ الدين يهدِ علومهِ ... ولطبّهِ عمّا عراهُ قصور
واذا القضاء جرى بأمرٍ نافذٍ ... غلط الطبيب واخطأ التدبيرُ
ان لمتُ صرف الدهر فيهِ اجابني ... أبت النُهى ان يُعتب المقدورُ
او قلت اين ترى المؤيد قال لي ... اين المظفّر قبلُ والمنصورُ
ام أين كسرى ازدشيرُ وقيصرٌ ... والهرمزان وقبلهم سابورُ
اين ابن داود سليمان الذي ... كانت بجحفلهِ الجبالُ تمورُ
والريح تجري حيث شاء بامرهِ ... منقادةً وبهِ البساط يسيرُ
فتكت بهم ايدي المنون ولم تزل ... خيل المنون على الانام تغيرُ
لو كان يخلد بالفضائل ماجدٌ ... ما ضمّت الرسل الكرام قبورُ
كلٌّ يصير الى البلى فاجبتهُ ... اني لأعلم واللبيب خبيرُ

١٦٣ كتب الطغرائي الى معين الملك فضل الله في نكبتهِ

فصبرًا معين الملك ان عنَّ حادثٌ ... فعاقبة الصبر الجميل جميلُ
ولا تيأسنْ من صنع ربك انهُ ... ضمين بان الله سوف يديلُ
فان الليالي اذ يزول نعيمها ... تبشّر أن النائباتِ تزولُ
ألم ترَ ان الليل بعد ظلامهِ ... عليهِ لإسفار الصباح دليلُ
ألم ترَ ان الشمس بعد كسوفها ... لها صفحةٌ تغشى العيون صقيلُ
وان الهلال النضو يقمر بعد ما ... بدا وهو شخت الجانبين ضئيلُ
فقد يعطف الدهرُ الأبيُّ عنانهُ ... فيشفى عليلٌ او يبلُّ غليلُ
ويرتاش مقصوص الجناحين بعد ما ... تساقط ريشٌ واستطارَ نسيلُ
ويستأنف الغصنُ السليبُ نضاره ... فيورق ما لم يَعتورهُ ذبولُ
وللنجم من بعد الرجوع استقامة ... وللحظ من بعد الذهاب قفولُ
وبعض الرزايا يوجب الشكر وقعها ... عليك واحداث الزمان تكولُ
ولا غروَ ان اخنت عليك فانما ... يصادم بالخطب الجليل جليلُ
واي قناةٍ لم ترنح كعوبها ... واي حسامٍ لم تصبهُ فلولُ
اسأتَ الى الايام حتى وترتَها ... فعندك أضغانٌ لها وتبولُ
وصارمتها فيما ارادت صروفها ... ولولاك كانت تنثني وتصولُ
وما انت الّا السيف يسكن غمدهُ ... ليشقى بهِ يوم النزال قتيلُ
وما لك بالصدّيق يوسف اسوةٌ ... فتحملَ وطء الدهر وهو ثقيلُ
وما غضَّ منك الحبس والذكرُ سائرٌ ... طليقٌ لهُ في الخافقين زميلُ

فلا تذعنن للخطب آدك ثقله ... فثلك للأمر العظيم حمول
فلا تجزعن للكبل مسك وقعه ... فانّ خلاخيل الرجال كبول

في الوصاة

كتب بديع الزمان الى ابي نصر الميكالي يوصيه بابي نصر

١٦٤ انا في مفاتحة الامير بين ثقة تعد . ويد ترتعد . ولم لا يكون ذلك البحر وان لم أرهُ. فقد سمعت خبرهُ . ومن رأى من السيف أثرهُ . فقد رأى اكثرهُ . واذا لم ألقهُ . فهل أجهل خلقهُ . وما وراء ذلك من تالد اصلٍ ونشبٍ . وطارف فضلٍ وأدبٍ . وبُعد همَّة وصيت. فمعلوم تشهد بذلك الدفاتر . والخبر المتواتر . وتنطق بهِ الأشعار . كما تختلف عليهِ الآثار . والعين اقلّ الحواس ادراكًا . والآذان اكثرها استمساكًا . ان شيخنا أبا نصر بن دوسنام سألني طول هذه المدَّة . مكاتبة تلك السدَّة . مستشفعًا بكتابي الى الخُلق العظيم . والعِلق الكريم . والفضل الجسيم . وكل شيء على الميم في باب التفخيم . وبي ان أعرف شغلٌ شاغل . وحتَّى أقبل وأداخل . دخولًا معلومًا . لا يقتضي لومًا . فلا تظنَّنَّ الّا الجميل وعرّفته ان المرء وجوده . ثمَّ جوده . وشفيعٌ لا يعرف غريبٌ ولكنهُ من غريب الخبيث . لا من غريب الحديث . فأبى الآن أفعل وقد فعلتُ على السخط من القرط . فان قبلتَ الشفاعة فالمجد يأبي الآن يعمل عملهُ . وان رُدَّت فليست كلمة السوء مثلهُ . والسلام

كتاب ابن الخطيب الى شيخهِ ابي عبد الله بن مرزوق التلمساني شافعًا

١٦٥ يا سيدي ابقاكم الله تعالى محطَّ الآمال وقبلة الوجوه . وبلَّغ سيادتكم ما تؤمّلهُ من فضل الله تعالى وترجوه . وكلأ بعين حفظهِ ذاتكم الفاخرة . وجعل عزَّ الدنيا متّصلًا لكم بعزّ الآخرة . بعد تقبيل يدكم التي يدها لا تزال تُشكر . وحسنتها عند الله تعالى تُذكر . أُنهي الى مقامكم ان الشيخ ابا فلان مع كونهِ مستحق التجلة . بهجرة الى ابوابكم الكريمة قدمت . ووسائل من اصالة وحشمة كرمت . وفضل ووقار وتنويه للولاية ان كانت ذات احتقار وسن اقتضى الفضل برهُ . وادب شكر الاختبار عليهِ وسرهُ . ولهُ بمعرفة سلفكم الارضى وسيلة مرعيَّة . وفي الاعتراف بنعمتكم مقامات مرضيَّة . وتوجه الى بابكم والتمسك باسبابكم . والمؤمل من سيدي سترهُ بجناح رعيهِ في حال الكبرة . ولحظهُ بطرف المبرَّة . اما في استعمال يليق بذوي الاحتشام . او سكون تحت رعي واهتمام . واعانة على عمل صالح يكون مسكة ختام . وهو احق الغرضين بالتزام . واحالة سيدي في حفظهِ رسم مثلهِ . على الله تعالى الذي يجزي المحسنين بفضلهِ . ومنهُ نسأل ان يديم ايام المجلس العلي محروسًا من النوائب . مبلَّغ الآمال والمآرب . والمملوك قد قرّر شأنهُ في اسعاف المقاصد المأمولة من الشفاعة اليكم . والتحسب في هذه الابواب عليكم . وتقليب القلوب بيد الله تعالى الذي يعطي ويمنع . ويملك الأمر اجمع . والسلام (نفح الطيب للمقري)

الباب الثاني عشر
في التراجم

شعراء الجاهليَّة

أعشى قيس (٦٢٩ م)

١٦٦ هو ميمون بن قيس بن جندل ويكنى أبا بصير وهو احد الاعلام من شعراء الجاهليَّة وفحولهم. وتقدَّم على سائرهم وليس ذلك بمُجمَع عليهِ لا فيهِ ولا في غيرهِ. وكان قوم يقدّمون الأعشى على سائر الشعراء فيحتجون بكثرة تصرفهِ في المديح والهجو وسائر فنون الشعر وليس ذلك لغيرهِ. ويقال انهُ أوَّل من سأل بشعرهِ وانتجع بهِ اقاصي البلاد. وكان يغنّي في شعرهِ فكانت العرب تسمّيهِ صنَّاجة العرب. ومن اخبارهِ انهُ أتى الأسود العنسي وقد امتدحه فاستبطأ جائزتهُ. فقال الأسود: ليس عندنا عينٌ ولكن نعطيك عَرَضاً. فاعطاه خمسمائة مثقال دهناً وبخمسمائة حللاً وعنبرًا. فلما مرَّ ببلاد بني عامر خافهم على ما معهُ فأتى علقمة بن عُلَاثة. فقال لهُ: أجرني. فقال: قد اجرتك. قال: من الجنّ والإنس. قال: نعم. قال: ومن الموت. قال: لا. فأتى عامر بن الطفيل. فقال: اجرني. قال: قد اجرتك. قال: من الجنّ والإنس. قال: نعم. قال: ومن الموت. قال: نعم. قال: وكيف تُجيرني من الموت. قال: ان متَّ وانت في جواري بعثت الى اهلك الدية. فقال: الان علمت انك قد اجرتني من الموت. فمدح عامرًا وهجا علقمة. فقال علقمة: لو علمت الذي اراد كنت اعطيتهُ اياهُ.

ويُخبَر عن الأعشى انهُ لمّا ظهر الاسلام وفد على محمد بقصيدةٍ. فبلغ خبرهُ قريشًا فرصدوهُ على طريقهِ وقالوا: هذا صنَّاجة العرب ما مدح احدًا قط الّا رفع في قدرهِ. فلما ورد عليهم قالوا لهُ: أين اردتَ يا ابا بصير. قال: اردت صاحبكم هذا الاسلم. قالوا: انهُ ينهاك عن خلال ويحرمها عليك. وكلها بك رفق ولك موافق. قال: وما هنَّ. فقال ابو سفيان بن حرب: القمار. قال: لعلّي ان لقيتهُ أن أصيب منهُ عوضًا من القمار. ثم ماذا. قالوا: الربا. قال: ما دنتُ ولا ادّنتُ. ثم ماذا. قالوا: الخمر. قال: اوه ارجع الى صُبابة قد بقيت لي في المِهراس فاشربها. فقال لهُ ابو سفيان: هل لك في خيرٍ مما هممت بهِ. قال: وما هو. قال: نحن وهو الآن في هُدنة فتأخذ مائة من الابل وترجع الى بلدك سنتك هذه وتنظر ما يصير اليهِ امرنا فان ظهرنا عليهِ كنت قد اخذت خلفًا وان ظهر علينا اتيتهُ. فقال: ما اكره ذلك. فقال ابو سفيان: يا معشر قريش هذا الأعشى والله لئن اتى محمدًا واتبعهُ ليضرمنَّ عليكم نيران العرب

بشعره . فاجمعوا له مائةً من الابل . ففعلوا فاخذها وانطلق الى بلده . فلما كان بقاع منفوحة رمى به بعيره فقتله (الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني)

أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ (٦٢٠ م)

١٦٧ قال الأصمعي : هو أوس بن حَجَر بن مالك شاعر تميم من شعراء الجاهليَّة وفحولها . يجيد في شعره ما يريد . وهو من الطبقة الثانية وكان انقطع الى فضالة بن كلدة لِمَا جاد عليهِ من النعم . فلما مات فضالة وكان يكنى ابا دليجة . قال فيهِ اوس بن حجر يرثيهِ :

يا عينُ لابد من سكبٍ وتَهمالِ … على فضالة جلِّ الرزء والعالي
أبا دليجةَ من توصي بارملةٍ … ام مَن لأشعث ذي طِمرَين مِمحالِ
أبا دليجةَ من يكفي العشيرة اذ … امسوا من الأمر في لبسٍ وبلبالِ
لازال مسكٌ وريحانٌ له ارجٌ … على صداك بصافي اللون سلسالِ

ومن فاضل مراثيهِ اياه ونادرها قوله :

ايتها النفس أجملي جزعا … ان الذي تكرهين قد وقعا
ان الذي جمع السماحة والنـ … ـجدة والحزم والقوى جُمِعا
الخلفُ المتلفُ المرزأ لم … يُمتَع بضعفٍ ولم يمت طَبَعا
اودى وهل تنفع الإشاحةُ من … شيء لمن قد يحاول النزعا

وعُمّر أوس بن حجر طويلاً وكانت وفاته في أول ظهور الاسلام

تَأَبَّطَ شَرًّا (٥٣٠ م)

١٦٨ هو ثابت بن جابر بن سفيان الفهمي احد صعاليك العرب ومغاويرهم المعدودين . وقد غلب عليهِ هذا اللقب لما اخبره الأصمعي قال : سار تأبط شرًّا في ليلة ذات ظلمة وبرق ورعد فاخذ عليهِ الطريق اسد وقيل غول فلم يراوغه وهو يطلبهُ ويلتمس غرَّةً منهُ فلا يقدر عليهِ حتى ظفر بهِ وقتله . فلما اصبح حمله تحت ابطهِ وجاء بهِ الى اصحابهِ فقالوا له : لقد تأبطتَ شرًّا فقال :

ألا مَن مبلغٌ فتيان فَهمٍ … بما لاقيت عند رحى بطانِ
واني قد لقيت الغولَ تهوي … بسهبٍ كالصحيفة صحصحانِ
فقلتُ لها كلانا نضو أينٍ … اخو سفرٍ فخلّي لي مكاني
فشدَّت شدَّة نحوي فاهوى … لها كفّي بمصقولٍ يماني
فأضربها بلا دهشٍ فخرَّت … صريعاً لليدين وللجرانِ
فقالت عُد فقلت لها رُويدًا … مكانكِ انني ثبت الجنانِ
فلم انفكَّ متكئًا عليها … لأنظر مصبحًا ماذا أتاني

اذا عينانِ في رأس قبيحٍ   كرأس الهرّ مشقوق اللسانِ
وساقا مُخدجٍ وشَواة كلبٍ   وثوبٌ من عباءٍ اوشنانِ

ومن اخباره انهُ كان يشتار عسلاً في غار من بلاد هذيل يأتيهِ كل عام. وان هذيلاً ذكرتهُ فرصدوه لإبَّان ذلك حتى اذا جاء هو واصحابهُ تدلى فدخل الغار وقد اغاروا عليهم. فانفروهم وسبقوهم ووقفوا على الغار. فحركوا الحبل فاطلع تأبط شرًّا راسهُ. فقالوا: اصعد. فقال: لا اراكم. قالوا: بلى قد رأيتنا. فقال: فعلامَ اصعد أعلى الطلاقة ام الفداء. قالوا: لا شرط لك. قال: فاراكم قاتليَّ وآكلي جنادتي. لا والله لا افعل. قال: وكان قبل ذلك نقب في الغار نقباً اعدَّهُ للهرب. قال: فجعل يسيل العسل من الغار ويهريقهُ ثم عمد الى الزق فشدَّهُ على صدره ثم لصق بالعسل. فلم يبرح يتزلَّق عليهِ حتى خرج سليماً. وفاتهم موضعهُ الذي وقع فيهِ وبين القوم مسيرة ثلاث. فقال تأبَّط شرًّا في ذلك:

اقول للحيانٍ وقد صفِرت لهم   وطابي ويومي ضيِّقُ الجحر معورُ
لكم خصلةٌ اما فداءٌ ومنّةٌ   واما دمٌ والقتل بالحرّ اجدرُ
واخرى أصادي النفس عنها وإنها   لموردُ حزمٍ ان ظفرت ومصدرُ
فرشت لها صدري فزلَّ عن الصفا   بهِ جؤجؤٌ صلبٌ ومتنٌ مخصَّرُ
فخالط سهل الأرض لم يلدح الصفا   بهِ كدحة خزيان والموت ينظرُ
فأبتُ الى فهمٍ وما كنت آئباً   وكم مثلها فارقتها وهي تصفرُ
اذا المرء لم يحتلْ وقد جدَّ جدُّهُ   اضاع وقاسى امرهُ وهو مدبرُ
ولكن اخو الحزم الذي ليس نازلاً   بهِ الامر الَّا وهو للحزم مبصرُ
فذاك قريعُ الدهر ما كان حُوَّلاً   اذا سُدَّ منهُ منخرٌ جاش منخرُ
فانك لو قايست بالصبّ حيلتي   بلحيان لم يقصر بي الدهر مقصرُ

وكان تأبط شرًّا اعدى ذي رِجلين وذي ساقين وذي عينين. وكان اذا جاع لم تقم لهُ قائمة فكان ينظر الى الظباء فينتقي على نظرهِ اسمنها. ثم يجري خلفهُ فلا يفوتهُ حتى ياخذهُ فيذبحهُ بسيفهِ فيشويهِ ثم ياكلهُ. وقيل ان تأبط شرًّا لقي ذات يوم رجلاً من ثقيف يقال لهُ ابو وهب كان جباناً اهوج وعليهِ حلَّة جيدة. فقال ابو وهب لتأبط شرًّا: بِمَ تغلب الرجال يا ثابت وانت كما أرى دميمٌ ضئيلٌ. قال: باسمي. انما اقول ساعة ما القى الرجل: انا تأبط شرًّا فينخلع قلبهُ حتى انال منهُ ما اردت. فقال لهُ الثقفي: فهل لك ان تبيعني اسمك. قال: نعم. قال: فبِمَ تبتاعهُ. قال: بهذه الحلَّة وبكنيتي. قال لهُ افعل ففعل. وقال لهُ تأبط شرًّا: لك اسمي ولي كنيتك. واخذ حلَّتهُ واعطاهُ طمريهِ ثم انصرف. وقال في ذلك يخاطب زوجة الثقفي:

ألا هل اتى الحسناء انَّ حليلها   تأبط شرًّا واكتنيت ابا وهبِ

فهبهُ تسمَّى اسمي وسُمّيتُ باسمهِ فاين لهُ صبري على معظَم الخطبِ
واين لهُ بأسٌ كبأسي وسورتي واين لهُ في كلّ فادحة قلبي

وقُتل تأبط شرًّا في بلاد هُذَيل. ورُمي بهِ في غار يقال لهُ رَخمان (الأغاني)

حارثُ بنُ حلزةَ (٥٦٠ م)

١٦٩ . هو ابن مكروه بن يزيد اليشكري البكري صاحب المعلّقة. وكان من خبر هذه القصيدة والسبب الذي دعا الحارث الى قولها ان عمرو بن هند الملك وكان جبارًا عظيم الشان والملك لمّا جمع بكرًا وتغلب ابني وائل واصلح بينهما اخذ من الحيين رهنًا من كل حيّ مائة غلام ليكفّ بعضهم عن بعض. فكان اولئك الرهن يكونون معهُ في مسيرهِ ويغزون معهُ. فأصابتهم سموم في بعض مسيرهم فهلك عامّة التغلبيّين وسلم البكريون. فقالت تغلب لبكر: اعطونا ديات ابنائنا فان ذلك لكم لازم. فأبت بكر بن وائل. فاجتمعت تغلب الى عمرو بن كلثوم وأخبروهُ بالقصة. فقال عمرو: ارى والله الامر سينجلي عن أحمر أصلع أصمّ من بني يشكر. فجاءَت بكر بالحارث بن حلزة وجاءَت تغلب بعمرو بن كلثوم. فلما اجتمعوا عند الملك قال عمرو بن كلثوم للحارث بن حلزة: يا أصمّ جاءَت بك اولاد ثعلبة تناضل عنهم وهم يفخرون عليك. فقال الحارث: وعلى من اظلّت السماء كلّها يفخرون ثم لا ينكر ذلك. وقام الحارث بن حلزة فارتجل قصيدتهُ هذه ارتجالًا. توكأ على قوسهِ وانشدها وانتظم كفهُ وهو لا يشعر من الغضب حتى فرغ منها. قال ابن الكلبي: انشد الحارث عمرو بن هند هذه القصيدة وكان بهِ وضح فقيل لعمرو بن هند ان بهِ وضحًا. فامر ان يجعل بينهُ وبينهُ ستر. فلما تكلّم اعجب بمنطقهِ فلم يزل عمرو يقول: ادنوهُ ادنوهُ حتى امر بطرح الستر واقعدهُ معهُ قريبًا منهُ لاعجابهِ بهِ. وعُمّر الحارث طويلًا وابنهُ ظليم من فحول شعراء العرب (شعراء الجاهلية لأبي عبيدة)

دُرَيدُ بنُ الصِمّةِ (٦٣٠ م)

١٧٠ هو معاوية بن الحارث فارس شجاع وشاعر فحل. وكان اطول الفرسان الشعراء غزوًا وابعدهم اثرًا واكثرهم ظفرًا. وأيمنهم نقيبة عند العرب يقال انهُ غزا مائة غزاة ما اخفق في واحدةٍ منها. فادرك الاسلام فلم يسلم. وخرج مع قومهِ يوم حنين مُظاهرًا للمشركين ولافضل فيهِ للحرب. وانما اخرجوهُ تيمّنًا بهِ وليقتبسوا من ورائهِ. فنعهم مالك بن عوف من قبول مشورتهِ. وقُتل دُرَيد في ذلك اليوم على شركهِ. ولهُ في اخيهِ عبد الله مراثٍ اجاد فيها ما اراد. واخبر ابو عُبيدة قال: هجا دُرَيد بن الصِمّة عبد الله بن جدعان التيمي تيم قريش فقال:

هل بالحوادث والايام من عجبِ ام بابن جدعان عبد الله من كلبِ

قال: فلقيهُ عبد الله بن جدعان بعكاظ فحيّاهُ وقال لهُ: هل تعرفني يا دُرَيد. قال: لا.

قال : فلِمَ هجوتني . قال : مَن انت . قال : انا عبد الله بن جُدعان . قال : هجوتُك لانك كنت امرءًا كريماً فاحببتُ ان اضع شعري موضعهُ . فقال لهُ عبد الله : لئن كنتَ هجوتَ لقد مدحتَ . وكساهُ وحملهُ على ناقةٍ برحلها . فقال دُرَيد يمدحه :

إليكَ ابنَ جُدعانَ أعملتُها ... مخفّفةً للسُّرى والنَّصَبْ
فلا خفضَ حتى تلاقي امرءًا ... جوادَ الرِضا وحليمَ الغضبْ
وجَلدًا اذا الحرب مرّت بهِ ... يعينُ عليها بجزلِ الحطبْ
رحلتُ البلادَ فما إن أرى ... شبيهَ ابنِ جُدعانَ وسطَ العربْ
سوى ملكٍ شامخٍ مُلكُهُ ... لهُ البحرُ يجري وعينُ الذهبْ

وكانت وفاتهُ في وقعة حُنَين ادركهُ ربيعة بن رفيع السلمي فاخذ بخطام جمله وهو يظن انها امرأَة وذلك انهُ كان شِعارٌ لهُ فاناخ بهِ . فاذا هو برجل شيخٍ كبير ولم يعرفهُ الغلام . فقال لهُ دُرَيد : ماذا تريد . قال : اقتلك . قال : ومن انت . قال : انا ربيعة بن رفيع السلمي . فانشأ دُرَيد يقول :

ويحَ ابن أكمةَ ماذا يريد ... من المرعَش الذاهبِ الأدردِ
فاقسم لو أنَّ بي قوَّةً ... لولَّت فرائصهُ ترعدِ
ويا لهفَ نفسيَ ان لا تكون ... معي قوَّة الشامخ الأمردِ

ثمَّ ضربهُ السلمي بسيفهِ فلم يغنِ شيئًا . فقال لهُ : بئس ما سلحتك أُمك . خذ سيفي هذا من مؤخر رحلي في القراب فاضرب وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ . فاني كذلك كنت اقتل بالرجال . ففعل كما قال فوقع صريعاً (لابي زكريا النووي)

زُهَيرُ بنُ أبي سُلمى (٦٣١ م) وابنهُ كَعبُ بنُ زُهير (٦٦٢ م)

١٧١ زُهَير هو ربيعة بن رياح المُزَني . وكان سيدًا كثير المال في الجاهلية حليماً معروفاً بالورع . وهو احد الثلاثة المقدَّمين على سائر الشعراء . وهم امرؤ القيس وزُهير والنابغة الذبياني . وكان ابو بكر يسمّيهِ شاعر الشعراء لانهُ كان لا يعاظل في الكلام . وكان يتجنَّب وحشيّ الشعر ولم يمدح أحدًا الَّا بما فيهِ ويبعد عن سخف الكلام . ويجمع كثير المعاني في قليل من الألفاظ . وكان يطنب في مديح هَرِم بن سِنان المرّي من آل أبي حارثة احد غطارفة العرب . ولهُ فيهِ غُرر القصائد . وكان هرم قد آلى ان لا يمدحهُ زُهير إلَّا اعطاهُ ولا يسألهُ إلَّا اعطاهُ . ولا يسلّم عليهِ إلَّا اعطاهُ عبدًا او وليدةً او فرساً . فاستحيا زُهير مما كان يقبلهُ منهُ . فكان اذا رآهُ في ملإٍ قال : عِموا صباحًا غير هرم وخيرَكم استثنيتُ . حدَّث الجوهري عن عُمَر قال : قال عمر لابن زُهير : ما فعلت الحُلَل التي كساها هرمٌ اباك . قال : ابلاها الدهر . قال : لكن الحُلَل التي كساها ابوك هرماً لم يبلها الدهر

وامّا ابنهُ كعب فهو من المخضرمين ومن فحول الشعراء وكان لهُ أخ اسمهُ بُجَير سمع من محمَّد فأسلم . فبلغ ذلك كعباً فقال :

ألا أبلغا عني بُجَيرًا رسالةً   على أي شيءٍ ويبِ غيرك دلَّكا
على خُلُقٍ لم تلفِ أمًّا ولا أبًا   عليهِ ولم تُدرِك عليهِ اخًا لَكا
سقاك ابو بكرٍ بكاسٍ رويّةٍ   فانهلك المأمون منها وعلَّكا

فبلغت اياتهُ محمدًا فغضب عليهِ واهدر دمهُ . وقال : من لقي منكم كعب بن زُهَير فليقتلهُ . فكتب اليهِ اخوهُ بُجَيرهُ وقال لهُ : انجُ وما أراك بِفلِت . وكتب اليهِ بعد ذلك يأمرهُ ان يسلم فأسلم كعب . وقال قصيدتهُ (بانت سعاد) يعتذر فيها الى محمد فأمَّنهُ (الأغاني)

أَلشَّنْفَرَى (٥١٠ م)

١٧٢ هو ثابت بن أَوس الأَزدي الشاعر من أهل اليمن . والشنفرى هو العظيم الشفتين . وهو شاعر من الازد من العدَّائين . وكان في العرب من العدَّائين مَن لا يلحقهُ الخيل منهم هذا وسليك بن السلكة وعمر بن برَّاق وأسيد بن جابر وتأبَّط شرًّا . وكان الشنفرى حلف ليقتلنَّ من بني سلامان مائة رجل فقتل منهم تسعة وتسعين . وكان اذا وجد الرجل منهم يقول لهُ الشنفرى : لطرفك . ثمَّ يرميهِ فيصيب عينهُ . فاحتالوا عليهِ فامسكوهُ وكان الذي أمسكهُ أسيد ابن جابر أحد العدَّائين رصدهُ حتى نزل في مضيق ليشرب الماء فوقف لهُ فيهِ فأمسكهُ ليلاً . ثمَّ قتلوه فمرَّ رجل منهم بجمجمتهِ فضربها برجلهِ فدخلت شظيَّةٌ من الجمجمة فمات منها . فتمَّت القتلى مائة . ولهُ الشعر الحسن في الفخر والحماسة منهُ لاميَّتهُ المعروفة بلاميَّة العرب (الميداني)

عُرْوَةُ بنُ الوَرْدِ (٥٩٦ م)

١٧٣ هو ابو نَجد عروة بن الورد بن زياد العبسي شاعر من شعراء الجاهليَّة وفارس من فرسانها المقدَّمين الأجواد . وكان يُلقَّب عروةَ الصعاليك لجمعهِ إيَّاهم وقيامهِ بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم . ولم يكن لهم معاش الّا مغزاهُ وكان يعارض حاتمًا في جودهِ . فكان غضَّ الطرف قليل الفحش كثير العطاء حاميًا لحقيقتهِ . ومن شعرهِ قولهُ :

إذا المرءُ لم يطلُب معاشًا لنفسهِ   شكا الفقرَ أو لامَ الصديقَ فأكثرا
وصار على الأدنَين كلًّا وأوشكت   صِلاتُ ذوي القربى لهُ أن تنكَّرا
وما طالبُ الحاجاتِ من كل وُجهةٍ   من الناس الّا مَن أجدَّ وشمَّرا
فسِر في بلاد الله والتمسِ الغنى   تعش ذا يسارٍ أو تموتَ فتُعذرا

وقُتِل عروة في بعض غاراتهِ . قتلهُ رجل من طُهَيَّة (من ديوانهِ)

عَمْرُو بنُ كُلْثُومٍ (٥٧٠ م)

١٧٤ هو ابن مالك بن عتاب التغلبيّ صاحب المعلّقة المعروفة . ولهُ في شعرهِ غرائب يغوص في بحر الكلام على دُرّ المعنى الغريب . وكان يقوم بقصائده خطيباً بسوق عُكاظ في مواسم مكّة . وبنو تغلب تُعظّمها جدًّا يروونها صغارها وكبارها . ولمّا حضرتهُ الوفاة وقد أتت عليهِ خمسون ومائة سنة جمع بنيهِ فقال : يا بَنيّ قد بلغتُ من العمر ما لم يبلغهُ أحد من آبائي . ولا بدّ ان ينزل بي ما نزل بهم من الموت . واني والله ما عيّرت أحدًا بشيءٍ الّا عُيّرت بمثلهِ . ان كان حقًّا فحقًّا وان كان باطلًا فباطلًا . فكفّوا عن الشتم فانهُ أسلم لكم . وأحسنوا جواركم يحسن ثناءكم . وامنعوا من ضيم الغريب . واذا حدّثتم فعوا . واذا حدّثتم فأوجزوا . فان مع الإكثار تكون الأهذار . وأشجع القوم العطوف بعد الكرّ كما ان اكرم المنايا القتل . ولا خير فيمن لا رويّة لهُ عند الغضب ولا من اذا عوتب لم يعتب . ومن الناس من لا يُرجى خيرهُ ولا يخاف شرّهُ . فبكوؤهُ خير من دَرّهِ . وعقوقهُ خير من برّهِ

عَنْتَرَةُ ٱلْعَبْسِيّ (٦١٥ م)

١٧٥ هو عنترة بن شدّاد العبسيّ . وكانت أمّهُ أمَةً حبشيّةً يقال لها زَبيبة . وكان سبب ادّعاء أبي عنترة ايّاهُ ان بعض احياء العرب أغاروا على بني عبس فأصابوا منهم واستاقوا إبلًا فتبعهم العبسيّون فلحقوهم فقاتلوهم عمّا معهم وعنترة يومئذٍ فيهم فقال لهُ أبوهُ كُرَّ يا عنترة . فقال عنترة : العبد لا يحسن الكرّ . انما يحسن الحلبَ والصرَّ . فقال : كُرَّ وأنت حرٌّ فكرّ . وقاتل يومئذٍ قتالًا حسنًا فادّعاهُ ابوهُ بعد ذلك وألحق بهِ نسبهُ

وعنترة أحد أغربة العرب وهم ثلاثة عنترة وخُفاف بن نُدْبة والسُّلَيك بن سُلَكة .

قال أبو عمرو الشيباني : غزت بنو عبس بني تميم وعليهم قيس بن زُهير فانهزمت بنو عبس وطلبتهم بنو تميم فوقف لهم عنترة . ولحقهم كبكبة من الخيل فحامى عنترة عن الناس فلم يُصب مدبر . وكان قيس بن زُهير سيدهم فساءهُ ما صنع عنترة يومئذٍ فقال حين رجع : والله ما حمى الناس الّا ابن السوداء . وكان قيس اكولًا فبلغ عنترة ما قال . فقال يعرّض بهِ قصيدتهُ التي يقول فيها :

بكرت تخوّفني الحُتُوفَ كأنّني ... اصبحتُ عن عرض الحتوف بمعزلِ
فاجبتها إنّ المنيّةَ منهلٌ ... لا بُدّ ان أُسقى بكأس المنهلِ
فاقني حياءكِ لا أبا لكِ واعلمي ... أنّي امرؤٌ سأموتُ إن لم أُقتلِ
إنّ المنيّة لو تُمثّل مُثّلت ... مثلي اذا نزلوا بضنك المنزلِ
إنّي امرؤٌ من خير عبسٍ منصبًا ... شطري واحمي سائري بالمُنصلِ

وإذا الكتيبةُ أحجمت وتلاحظت ... أُلفيتُ خيرًا من مُعمٍّ مُخوَلِ
والخيلُ تعلمُ والفوارسُ أنني ... فرّقتُ جمعهمُ بضربةِ فيصلِ
ان يلحقوا أكررْ وان يستلحموا ... اشددْ وان يُلفوا بضنكٍ أنزلِ
ولقد أبيتُ على الطوى وأظلّهُ ... حتّى انالَ بهِ كريمَ المأكلِ

وقيل لعنترة: أنت أشجع العرب قال: لا. قال: فبماذا شاع لك هذا في الناس. قال: كنت أُقدم اذا رأيت الإقدام عزمًا. وأُحجم اذا رأيت الاحجام حزمًا. ولا أدخل موضعًا الّا أرى لي منهُ مخرجًا. وكنت اعتمد الضعيف الجبان فاضربهُ الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع فاثني عليهِ فاقتلهُ. وحدث عن عمر بن الخطّاب انهُ قال للحُطَيئة: كيف كنتم في حربكم. قال: كنّا ألف فارسٍ حازمٍ. قال: وكيف يكون ذلك. قال: كان قيس بن زُهَير فينا. (وكان حازمًا) فكنّا لا نعصيهِ. وكان فارسنا عنترة فكنّا نحمل اذا حمل ونحجم اذا أحجم. وكان فينا الربيع بن زياد وكان ذا رأيٍ فكنّا نستشيرهُ ولا نخالفهُ. وكان فينا عروة بن الورد فكنّا نأتمّ بشعرهِ فكنّا كما وصفتُ لك. فقال عمر: صدقتَ. قال ابن الكلبي: كان عمرو بن معدي كرب يقول: ما أُبالي مَن لقيت من فرسان العرب ما لم يلقني حُرّاها وهجيناها يعني بالحُرَّين عامر بن الطفيل وعُتَيبة بن الحارث بن شهاب وبالعبدين عنترة والسُّلَيك بن السُّلَكة. وكان عنترة أحسن العرب شيمةً وأعلاهم همّةً وأعزّهم نفسًا. وكان مع شدّة بطشهِ حليمًا ليّن العريكة سهل الأخلاق. وكان شديد النخوة كريمًا مضيافًا لطيف المحاضرة رقيق الشعر. ولهُ فيهِ لطائف كثيرة يعرض فيهِ عن تنافر الألفاظ وخشونة المعاني. وعُمّر عنترة تسعين سنة

ألنَّابِغَةُ الذُّبيانيُّ (٦٠٤ م) والنَّابِغَةُ الجَعْدِيُّ (٦٨٠ م)

١٧٦ هو زياد بن مُعاوية ويكنى أبا أُمامة. وهو أحد الأشراف الذين غضّ الشعر منهم. وهو من الطبقة الاولى المقدَّمين على سائر الشعراء. وانما لُقّب نابغة لطول باعهِ في الشعر. وكان يُضرَب للنابغة قبّةٌ من أدَمٍ بسوق عُكاظ فتأتيهِ الشعراء فتعرض عليهِ أشعارها. وكان النابغة كبيرًا عند النعمان خاصًّا بهِ. وكان من ندمائهِ وأهل أُنسهِ. ثمّ تغيّر عليهِ وأوعدهُ وتهدّدهُ. فهرب منهُ فأتى قومهُ ثمّ شخص الى ملوك غسّان فامتدحهم. ثمّ كتب الى النعمان يعتذر اليهِ بقصيدتهِ الميميّة التي مطلعها (يا دارميّة). فأمّنهُ النعمان واستنشدهُ من شعرهِ فأذن لهُ ان يُنشدهُ قصيدتهُ التي يقول فيها:

حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبةً ... وليس وراء الله للمرء مذهبُ
لأنك شمسٌ والملوك كواكبٌ ... اذا طلعت لم يبدُ منهنّ كوكبُ

ثمّ أسنّ النابغة وكبر وتُوفي في السنة التي قُتل فيها النعمان بن المنذر

أمّا النابغة الجعدي فهو أبو ليلى حسّان بن قيس وكان أسنّ من النابغة الذبياني. وكان

شاعرًا مفلقًا طويل البقاء في الجاهليّة والاسلام. نادمَ المنذر ومدحهُ وكان على دين الحنيفيّة يقرّ بالتوحيد ويصوم ويستغفر ويتوقّع اشياء لعواقبها ومن قولهِ:

الحمد لله لا شريك لهُ — من لم يقلها فنفسهُ ظلما

الخالق الرافع السماء على ال — أرض ولم يبنِ تحتها دُعَما

وكانت وفاتهُ بأصبهان ولهُ من العمر ما ينيف على المائة (شعراء الجاهليّة لابي عُبيدة)

الشعراء المخضرمون

حسّانُ بنُ ثابتٍ (٦٧٥ م)(٥٤ هـ)

١٧٧ هو أبو عبد الرحمان حسّان بن ثابت بن المنذر الأنصاري من المخضرَمين. عاش ستّين سنة في الجاهليّة وستّين سنة في الاسلام وتوفّي بالمدينة. وقد أجمعت العرب على ان حسّان أشعر أهل المَدَر. ولمّا كان أهل مكّة يعيّرون الاسلام ويهجون صاحبهُ أذن محمّد لحسّان أن يحمي أعراض المسلمين فقال: اهجُهم وجبريل معك وسيعينك عليهم روح القدس. ومن قولهِ في الفخر:

نحنُ الملوك فلا حيٌّ يقاربنا — منّا الملوك وفينا يؤخذ الرُبُعُ

تلك المكارم حُزناها مقارعةً — اذا الكرام على أمثالها اقترعوا

كم قد نشدنا من الأحياء كلّهمِ — عند النهاب وفضلُ العزّ يُتّبعُ

ونَنحرُ الكومَ عَبطًا في منازلنا — للنازلين اذا ما استطعموا شبعوا

ونحنُ نُطعم عند المحل ما أكلوا — من العَبيط اذا لم يظهرِ القَزَعُ

وننصر الناسَ تأتينا سراتُهمُ — من كل أوبٍ فتمضي ثم نتّبعُ

وقد تُستحسن لهُ قصائد في وقعة بدرٍ يفخر بها. وفي آخر حياتهِ كُفَّ بصرهُ

ألحُطَيئة

١٧٨ ألحُطيئة لقبٌ لُقّب بهِ لقصرهِ واسمهُ أبو مليكة جَرْوَل بن أوس بن مالك من فحول الشعراء ومتقدّميهم وفصحائهم. متصرّف في جميع فنون الشعر من المديح والهجاء والفخر. وكان ذا شرّ وسفهٍ ينتمي الى كل قبيلة اذا غضب على الآخرين. وهو مخضرَم أدرك الجاهليّة والاسلام. وكان الحُطيئة مطبوعًا على الهجاء دنيء النفس قبيح المنظر رثّ الهيئة فاسد الدين. وكان بذيًّا هجّاء. فالتمس ذات يوم إنسانًا يهجوهُ فلم يجدهُ وضاق عليه ذلك فانشأ يقول:

أبتْ شفتايَ اليومَ إلّا تكلّمًا — بشرٍّ فما أدري لِمَن أنا قائلُهْ

وجعل يُدهور هذا البيت في أشداقهِ ولا يرى انسانًا اذ اطّلع في ركيٍّ فرأى وجههُ فقال:

أرى ليَ وجهًا شوّه الله خَلقَهُ — فقُبّح من وجهٍ وقُبّح حاملُهْ

قال ابن أبي بكرة لقيتُ الحُطيئة بذات عرقٍ فقلتُ لهُ: يا أبا مَلكة مَن أشعر الناس

فاخرج لسانهُ كأنهُ حيّة ثم قال : هذا اذا طمع . وأخبر المدائني قال : مرّ ابن الحمامة بالحُطيئة وهو جالس بفناء بيتهِ فقال : السلام عليكم . فقال : قلتَ ما لا ينكر . قال : اني خرجت من أهلي بغير زادٍ . فقال : ما ضمنت لأهلك قِراك . قال : افتأذن لي ان آتي ظلّ بيتك فاتفيأ بهِ . قال : دونك الجبل يفيء عليك . قال : انا ابن الحمامة . قال : انصرف وكن ابن أيّ طائرٍ شئت . ومن شعرهِ في المديح :

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا ... وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدُّوا
وان كانت النعماء فيهم جزوا بها ... وان انعموا لا كدَّروها ولا كدُّوا
وإن قال مولاهم على جُلّ حادثٍ ... من الدهر ردُّوا فضل أحلامكم رَدُّوا

وكان الحُطيئة يهجو الزِبرقان بن بَدْر . فاستعدى عليهِ الزبرقان عُمر بن الخطّاب فرفعهُ عمر اليهِ ثم أمر بهِ فجُعل في بئر فأنشدهُ :

ماذا تقول لأفراخ بذي مَرَخٍ ... زُغْبِ الحواصل لا ماء ولا شجرُ
ألقيتَ كاسبَهم في قعر مظلمةٍ ... فاغفر عليك سلامُ الله يا عُمَرُ
انت الإمام الذي من بعد صاحبهِ ... ألقى اليك مقاليدَ النُهى البشرُ
لم يؤثروك بها إذ قدَّموك لها ... لكن لأنفسهم كانت بكَ الأثرُ
فامنن على صِبيةٍ بالرمل مسكنهم ... بين الأباطح تغشاهم بها القِررُ

فاخرجهُ وقال لهُ : اياك وهجاء الناس . فاقام بالبادية الى وفاتهِ في خلافة عمر وكان قد بلغ من العمر نيفًا ومائة سنة (الأغاني للاصبهاني)

الخنساء (٦٤٦ م) (٢٤ هـ)

١٧٩ هي تُماضر بنت عمرو بن الشريد من سراة قبائل سُلَيم من أهل نجد من شواعر العرب . وأجمع علماء الشعر انهُ لم تكن قط امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها . وكان النابغة الذبياني يجلس لشعراء العرب بعُكاظ على كرسيّ يُنشدونهُ فيُفضّل من يرى تفضيلهُ . فانشدتهُ في بعض المواسم فأعجب بشعرها وقال لها : لولا ان هذا الأعمى انشدني قبلكِ (يعني الأعشى) فضّلتكِ على شعراء هذا الموسم . واكثر شعرها في مراثي اخويها معاوية وصخر . وكان صخر قُتل يوم الكلاب من أيام العرب . فلمَّا مات دُفن في أرض بني سُليم بقرب عسيب وحضرت الخنساء القادسيَّة مع بنيها وهم أربعة رجال فقالت لهم من أوَّل الليل : يا بنيَّ انكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين . والله الذي لا اله الاَّ هو انكم لبنو رجل واحد كما انكم بنو امرأة واحدة ما هجنت حسبكم . ولا غيَّرت نسبكم . واعلموا ان الدار الآخرة خيرٌ من الدار الفانية . اصبروا وصابروا ورابطوا واتَّقوا الله لعلكم تفلحون . فاذا رأيتم الحرب قد شمَّرت عن ساقها . وجلَّلت نارًا على أوراقها . فتيمَّموا وطيسها . وجالدوا رسيها . تظفروا بالغنم والكرامة . في

دار الخلد والمقامة . فلما اضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم فتقدَّموا واحدًا بعد واحد ينشدون اراجيز يذكرون فيها وصيَّة العجوز لهم حتى قُتِلوا عن آخرهم . فبلغها الخبر فقالت : الحمد لله الذي شرَّفني بقتلهم . وأرجو من ربي أن يجمعني بهم مستقرّ الرحمة . وكان عُمَر بن الخطَّاب يعطيها أرزاق بنيها الأربعة وكان لكل منهم مائتا درهم حتى قُبض . ومن قولها في أخيها صخر :

ألا يا صخر ان ابكيتَ عيني   فقد أضحكتني زمنًا طويلا
بكيتُك في نساء مُعولاتٍ   وكنتُ أحقَّ من أبدى العويلا
دفعت بك الخطوب وأنت حيٌّ   فمن ذا يدفعُ الخطبَ الجليلا
اذا قبح البكاء على قتيلٍ   رأيت بكاءك الحسنَ الجميلا

ولها فيه : إذهَبْ فلا يُبعدَنْك الله من رجلٍ   درّاك ضيمٍ وطلّاب بأوتارِ
فسوف أبكيك ما ناحت مطوَّقة   وما أضاءت نجومُ الليل للساري

وقالت ايضًا :

وما بلغت كفُّ امرئٍ متناوِلًا   من المجد الّا والذي نلتَ أطولُ
وما بلغ المهدون للناس مِدْحةً   وان أطنبوا الّا الذي فيك أفضلُ

وقيل ان الخنساء أدركت الاسلام وأسلمت (للشريشي)

عَمْرو بنُ مَعْدي كَرِب (٦٤٣ م) (٢١ هـ)

١٨٠ هو أبو ثور بن عبد الله الزَبيديّ الصحابيّ من سادات أهل اليمن وفصحائهم يقول الشعر الحسَن . وكان بعيد الغارة وشهد يوم القادسيَّة وله فيها بلاء حسن . وكان هو آخر القوم . وكانت فرسهُ ضعيفة فطلب غيرها . فأُتي بفرس فأخذ بعكوة ذنَبهِ وأخلد بهِ الى الأرضَ فأقعى الفرس فردَّهُ . وأُتي بآخر ففعل بهِ مثل ذلك فتحمَّل ولم يقع . فقال : هذا على كل حالٍ أقوى من تلك . وقال لأصحابهِ : اني حاملٌ وعابر الجسر فان اسرعتم بمقدار جزر الجزور وجدتموني وسيفي بيدي أُقاتل بهِ تلقاء وجهي وقد عقرني القوم وانا قائم بينهم وقد قتلت وجرّدت . وان ابطأتم وجدتموني قتيلًا بينهم وقد قُتِلت وجُرّدت ثم انغمس فحمل في القوم فقال بعضهم : يا بني زبيد تدَعون صاحبكم والله ما نرى ان تدركوهُ حيًّا . فحملوا فانتهوا اليهِ وقد صُرِع عن فرسهِ وقد أخذ برِجْل فرس رَجُل من العجم فأمسكها وان الفارس ليضرب الفرس فما تقدر ان تتحرَّك من يدهِ . فلما غشيناهُ رمى الأعجميّ بنفسهِ وخلّى فرسهُ فركبهُ عمرو وقال : أنا أبو ثور كدتم والله تفقدونني . قالوا : أين فرسك . قال : رُمي بنشّابة فشبّ فصرعني . ثم شدَّ على رُستم وهو الذي كان قدَّمهُ ملك الفرس وكان رُستم على فيلٍ . فجذم عرقوبيهِ فسقط فمات رُستم من ذلك فانهزم الفرس . ولهُ في الحروب أخبار مأثورة يضرب الأعداء بسيفهِ الصمصامة . قيل ان عُمَر بن الخطّاب استوهبهُ الصمصامة فوهبهُ عمرو لهُ . فقيل

عمرو : انهُ غيرهُ فذكر لهُ ذلك فغضب وقال : هاتهِ فضرب عنق بعير ضربةً واحدة فابانها وقال : انما اعطيتك السيف لا الساعد . وكان كثير الكذب فقيل لهُ : انك شجاع في الحرب والكذب فقال : اني كذلك : وشهد عمرو وقعة اليرموك وكان يستشيره القوّاد في حروبهم

لَبِيدٌ (٦٨٠ م)

١٨١ هو أبو عقيل بن ربيعة بن مالك العامريّ أحد شعراء الجاهليَّة المعدودين فيها والمخضرمين . وهو من أشرف الشعراء المجيدين والفرسان المعمَّرين . وأدرك لبيد الاسلام وحسن إسلامهُ ونزل الكوفة أيَّام عُمر فأقام بها حتى مات في آخر خلافة معاوية . وكان عمرهُ مائة وخمساً واربعين سنة . وكان لَبيد جوادًا من أفصح شعراء العرب واقلّهم لغوًا في شعرهِ يقضي منهُ العجب لجودة اختيارهِ وصحَّة إنشادهِ . وقيل انهُ هو الذي جمع القرآن . فقال عند جمعهِ :

أَلحمدُ لله اذ لم يأتني أجلي ... حتَّى لبستُ من الإسلام سِربالا

ولم يقل غير هذا البيت في الإسلام . وقيل ان عُمَر بن الخطَّاب استنشدهُ أيَّام خلافتهِ من شعرهِ فانطلق فكتب سورة البقرة في صحيفة ثم أتى بها وقال : ابدلني الله هذه في الإسلام مكان الشعر . فسرَّ عُمَر بجوابهِ وأجزل عليهِ العطاء . ولهُ المعلَّقة المقامة المشهورة (لابي عُبيدة)

الشعراء المسلمون

إبنُ خفاجةَ (٤٥٠ـ ٥٣٣ هـ) (١٠٦٠ ـ ١١٣٨ م)

١٨٢ هو أبو اسحاق بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة الأندلسيّ الشاعر وُلِد بجزيرة شُقر من أعمال بَلَنسِيَة من بلاد الاندلس وكان مقيماً شرق الأندلس ولم يتعرَّض لاستماحة ملوك طوائفها مع تهافتهم على أهل الأدب . ولهُ ديوان شعر احسن فيهِ كل إحسان . وابن خفاجة هذا هو مالك أعنَّة المحاسن وناهج طريقها . العارف بترصيعها وتنميقها . الناظم لعقودها . الراقم لبرودها . المجيد لإرهافها . العالم بجلائها وزفافها . تصرَّف في فنون الإبداع كيف شاء . وابلغ دلوهُ من الاجادة الرشاء . فشعشع القول وروَّقهُ ومدَّ في ميدان الاعجاز طلقهُ . فجاء نظامهُ ارقَّ من النسيم العليل . وآنق من الروض البليل . يكاد يمتزج بالروح . وترتاح لهُ النفس كالغصن المروَّح . ان وصف فناهيك من غرض انفرد بمضارهِ . وتجرد بحمى ذمارهِ . وان مدح فلا الأعشى للمحلّق . ولا حسان لأهل جلّق . وان تصرَّف في فنون الأوصاف . فهو فيها كفارس خصّاف . وكان في شبيبتهِ مخلوع الرسن . في ميدان مجونهِ . كثير الوسن . بين صفا الانتهاك وحجونهِ . لا يبالي بمن ألتبس . ولا اي نار اقتبس . الّا انهُ قد نسك نسك ابن أُذينة . وغضَّ عن ارسال نظرهِ في اعقاب الهوى عينه . وقد اثبت ما يقف عليهِ اللواء . وتصرَّف اليهِ الاهواء (قلائد العقيان لابن خاقان)

إبنُ دُرَيد (٢٢٣ ـ ٣٢١ هـ) (٨٣٩ ـ ٩٣٤ م)

١٨٣ هو أبو بكر محمد بن دُرَيد الأزديّ ولد بالبصرة ونشأ بعمان . وطلب علم النحو وكان من اكابر علماء العربيّة مقدَّمًا في اللغة وانساب العرب واشعارهم . وكان شاعرًا كثير الشعر . فمن ذلك مقصورتهُ المشهورة فكان يقال ان أبا بكر بن دُرَيد أعلم الشعراء وأشعر العلماء . ولهُ في الكتب كتاب الجمهرة في اللغة وكتاب الاشتقاق وكتاب الخيل الكبير وكتاب الخيل الصغير وكتاب الانواء وكتاب الملاحن وكتاب أدب الكتَّاب الى غير ذلك . وذكر انهُ مات هو وأبو هاشم الجبائي في يوم واحد ودُفنا في مقبرة الخيزُران . وقال الناس : مات علم اللغة والكلام بموت ابن دُرَيد والجبائي . ورثاهُ جحظة فقال :

فُقِدَت بابن دُرَيدٍ كلُّ منفعةٍ ... لمَّا غدا ثالث الاحجار والتربِ
قد كنتَ ابكي لفقد الجود آونةً ... فصرت ابكي لفقد الجود والأدبِ (للانباري)

إبنُ الرُّوميّ (٢٢١ ـ ٢٨٢ هـ) (٨٣٧ ـ ٨٩٦ م)

١٨٤ هو أبو الحسن بن جورجيس المعروف بابن الرومي . الشاعر المشهور صاحب النظم العجيب . والتوليد الغريب . يغوص على المعاني النادرة فيستخرجها من مكامنها ويبرزها في أحسن صورة . ولا يترك المعنى حتى يستوفيهُ الى آخرهِ ولا يُبقي فيهِ بقيَّةً . ولهُ القصائد المطوَّلة والمقاطيع البديعة . ولهُ في الهجاء والمديح كلّ شيء ظريف . فمن ذلك قولهُ وما سبقهُ أحد الى هذا المعنى :

آراؤُكم ووجوهكم وسيوفكم ... في الحادثات اذا دَجَونَ نُجومُ
منها معالمُ للهدى ومصابحٌ ... تجلو الدجى والأخرياتُ رُجومُ

ومات ابن الرومي ببغداد وفيها يقول وقد غاب عنها في بعض أسفارهِ :

بلدٌ صحبتُ بهِ الشبيبةَ والصبا ... ولبستُ ثوبَ العيش وهو جديدُ
فاذا تمثَّل في الضمير رأيتُهُ ... وعليهِ أغصان الشبابِ تميدُ

إبنُ زَيْدُونَ (٣٥٤ ـ ٤٠٥ هـ) (٩٦٦ ـ ١٠١٤ م)

١٨٥ هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزوميّ الأندلسيّ القُرطبيّ الشاعر المشهور كان غاية منثورٍ ومنظوم . وخاتمة شعراء بني مخزوم . أخذ من حرّ الأيَّام حُرًّا . وفاق الأنام طُرًّا . وصرَّف السلطان نفعًا وضرًّا . ووسَّع البيان نظمًا ونثرًا . الى أدبٍ ليس للبحر تدفُّقهُ . ولا للبدر تألُّقهُ . وشعرٍ ليس للسحر بيانهُ . ولا للنجوم اقترانهُ . وحظٍّ من النثر غريب المعاني . شعريّ الألفاظ والمعاني . وكان من ابناء وجوه الفقهاء بقُرطُبة . وبرع ادبهُ وجاد شعرهُ . وعلا شأنهُ وانطلق لسانهُ . ثمَّ انتقل عن قرطبة . الى المعتضد عبَّاد صاحب إشبيلية فجعلهُ من خواصهِ يجالسهُ في خلواتهِ . ويركن الى إشاراتهِ . وكان معهُ في

صورة وزير ولهُ شيء كثير من الرسائل والنظم فمن ذلك قولهُ :

يا بائعاً حظهُ مني ولو بُذلت ... لي الحياةُ بحظي منهُ لم أبعِ
يكفيك أنك إن حمَّلتَ قلبيَ ما ... لا يستطيع قلوبُ الناس يستطعِ
تهْ أحتملْ واستطِلْ أصبر وعِزّ أَهُن ... وولِّ أُقبلْ وقلْ أسمعْ ومُرْ أُطعِ

ولهُ القصائد الطنّانة ولولا خوف الاطالة لذكرنا بعضها . ومن بديع قلائدهِ قصيدتهُ النونيَّة التي منها :

تكادُ حين تناجيكم ضمائرنا ... يقضي علينا الأسى لولا تأسّينا
حالت لبعدكمُ أيامنا فغدت ... سُودًا وكانت بكم بيضًا ليالينا
بالأمس كنَّا وما يُخشى تفرُّقنا ... واليوم نحن وما يُرجى تلاقينا

وهي طويلة وكل أبياتها نُخَب . وكانت وفاتهُ باشبيلية (الذخيرة لابن بسّام)

إبنُ مَطْرُوح (٥٩٢ـ٦٤٩هـ)(١١٩٧ـ١٢٥٢م)

١٨٦ هو أبو الحسن يحيى بن مطروح الملقَّب جمال الدين من أهل صعيد مصر . ونشأ هناك وأقام بقوص مدَّةً وتنقَّلت بهِ الاحوال في الخِدَم والوِلايات . ثم اتَّصل بخدمة السلطان الملك الصالح أبي الفتح أيوب الملقَّب نجم الدين الأيوبي . وكان اذ ذاك نائبًا عن أبيهِ الملك الكامل بالديار المصريَّة فرتَّبهُ السلطان ناظرًا في الخزانة . ولم يزل يقرب منهُ ويحظى عندهُ الى ان ملك الملك الصالح دمشق . فرتَّبهُ بدمشق نائبًا في صورة وزيرٍ لها . فحسنت حالتهُ . وارتفعت منزلتهُ . ثم تغيَّر عليهِ الملك الصالح وتنكَّر لهُ وعزلهُ عن ولايتهِ لأمورٍ نقمها عليهِ . فبقي ابن مطروح مواظبًا على الخدمة مع الاعراض عنهُ الى أن مات الملك الصالح . فدخل مصر وأقام بها في دارهِ الى وفاتهِ . وكانت أدواتهُ جميلةً وخلالهُ حميدةً . جمع بين الفضل والمروءة والأخلاق المرضيَّة . ويستجاد لهُ قولهُ في بعض أسفارهِ وقد نزل في طريقهِ بمسجد وهو مريض:

يا ربِّ ان عجز الطبيبُ فداوني ... بلطيف صُنعك واشفِني يا شافي
أنا من ضيوفك قد حُسِبتُ وإنَّ من ... شِيَم الكرام البرَّ بالأضيافِ

وكان بينهُ وبين أدباء عصرهِ مذاكرات أدبيَّة لطيفة ومكاتبات في الغيبة . واجتمع في مصر ببهاء الدين زُهير الشاعر . ولابن مطروح ديوان شعر يتداولهُ الناس (لابن خلكان)

إبنُ النَّبيهِ (٥٥٩ـ٦١٩هـ)(١١٦٥ـ١٢٢٣م)

١٨٧ هو أبو الحسن عليّ الشاعر البارع كمال الدين بن النبيه المصريّ . بدر فصاحتهِ تحلَّى بصفة الكمال . وشمس بلاغتهِ لا يعتري سناها زوال . كلامهُ تعشقهُ الطباع . وتلتذُّ بهِ الأسماع . ولهُ شعر اعذب من الماء الزُلال وأغرب من السحر الحلال . ونثرٌ ألطف من كاسات الشَمول وأرقّ من نسمات الشَمال فالنظم والنثر عندهُ جنَّتان عن يمين وشمال . مدح بني

أيوب واتّصل بالملك الأشرف موسى وكتب لهُ الانشاء . فحبّر حلل البراعة ووشّى . واطرب المسامع وأنشا . ومدحهُ بقصائد نظم بها في جيد الدهر اللآلي . وخلّد ذكرهُ في صحائف الأيام والليالي . ولهُ الديوان المشهور انتخبهُ من نتائج فكرهِ . ونفثاتِ سحرهِ . لانهُ كان ينتقي الدرّة الفريدة واختها . ويتحرّى النادرة الشاردة ليثبتها . وسكن ابن النبيهِ نصيبين الشرق وتوفي بها

أبو تمّام حبيبُ بْنُ أوْسٍ (١٩٠ ـ ٢٢٨هـ) (٨٠٧ ـ ٨٤٣م)

١٨٨ قال الصولي : كان أبوهُ نصرانياً . وكان واحد عصرهِ في ديباجة لفظهِ ونصاعة شعرهِ وحسن اسلوبهِ . ولهُ كتاب الحماسة التي دلّت على غزارة فضلهِ . واتقان معرفتهِ بحسن اختيارهِ . ولهُ مجموع آخر سمّاهُ (فحول الشعراء) جمع فيهِ بين طائفة كبيرة من شعراء الجاهليّة والمخضرمين والاسلاميين . وكان لهُ من المحفوظات ما لا يلحقهُ فيهِ غيرهُ . قيل انهُ كان يحفظ أربعة آلاف ارجوزة للعرب غير القصائد والمقاطيع . ومدح الخلفاء وأخذ جوائزهم . وجاب البصرة . وقال العلماء : خرج من قبيلة طيّ ثلاثة كل واحد مجيد في بابهِ حاتم الطائي في جودهِ . وداود بن نصير الطائي في زهدهِ . وأبو تمّام حبيب بن أوس الطائي في شعرهِ . وأخبارهُ كثيرة ورأيت الناس يطبقون على انهُ مدح الخليفة بقصيدتهِ السينيّة فلمّا انتهى فيها الى قولهِ :

إقدام عمرو في سماحة حاتمٍ ... في حلم أحنفَ في ذكاء إياسِ

قال الوزير أتشبه أمير المؤمنين باجلاف العرب فاطرق ساعة ثمّ رفع راسهُ وأنشد يقول:

لا تنكروا ضربي لهُ مَن دونهُ ... مثلاً شرودًا في الندى والباسِ

فاللّه قد ضرب الاقلّ لنورهِ ... مثلاً من المشكاة والنبراسِ

فقال الوزير للخليفة : أي شيء طلبهُ فاعطهِ . وذكر الصولي ان أبا تمّام لمّا مدح محمد بن عبد الملك الزيّات الوزير بقصيدتهِ التي منها قولهُ :

ديمةٌ سمحةُ القياد سكوبُ ... مستغيث بها الثرى المكروبُ

لو سعت بقعةٌ لاعظام أخرى ... لسعى نحوها المكانُ الجديبُ

قال لهُ ابن الزيّات : يا أبا تمّام انك تحلي شعرك من جواهر لفظك وبديع معانيك ما يزيد حسناً على بهيّ الجواهر في أجياد الكواعب . وما يُدخر لك شيء من جزيل المكافاة الّا ويقصر عن شعرك في الموازاة . ورثاهُ الحسن بن وهب بقولهِ :

فُجع القريضُ بخاتم الشعراء ... وغدير روضتهِ حبيب الطائي

ماتا معاً فتجاورا في حفرةٍ ... وكذاك كانا قبل في الأحياء

أبو العَتاهِيَة (١٣٠ ـ ٢١١هـ) (٧٤٨ ـ ٨٢٧م)

١٨٩ هو أبو اسحاق اسماعيل بن القاسم العنزي المعروف بابي العتاهية الشاعر المشهور مولدهُ

بعين التمر وهي بليدة بالحجاز قرب المدينة . ونشأ بالكوفة وسكن بغداد وكان يبيع الجر فقيل له الجرّار . قال أشجع السلمي الشاعر المشهور . اذن الخليفة المهدي للناس في الدخول عليه . فدخلنا فامرنا بالجلوس فاتفق ان جلس بجنبي بشّار بن برد . وسكت المهدي فسكت الناس فسمع بشّار حسّاً فقال لي : مَن هذا . فقلتُ : أبو العتاهية . فقال : أتراهُ ينشد في هذا المحفل . فقلت : احسبهُ سيفعل . قال فامرهُ المهدي فانشد :

أتتهُ الخلافة منقادةً إليهِ تجرّر اذيالها
فلم تكُ تصلح الّا لهُ ولم يكُ يصلح الّا لها
ولو رامها احد غيره لزلزلتِ الارض زلزالها
ولو لم تطعهُ بنات القلوب لما قبل الله اعمالها

فقال لي بشّار : انظر ويحك يا أشجع هل طار الخليفة عن فرشهِ . قال أشجع : فوالله ما انصرف احد عند ذلك المجلس بجائزة غير أبي العتاهية . ولهُ في الزهد أشعار كثيرة وهو من مقدّمي المولدين في طبقات بشّار وأبي نُوَاس وتلك الطائفة . وشعرهُ كثير . وتوفي ببغداد ولمّا حضرتهُ الوفاة قال : اشتهي ان يجيء مخارق المغنّي ويغني عند رأسي . والبيتان لهُ من جملة أبيات

إذا ما انقضت مني من الدهر مُدّتي فإنّ عزاء الباكيات قليلُ
سيُعرَض عن ذكري وتُنسى مودّتي ويحدُث بعدي للخليل خليلُ

وأوصى ان يكتب على قبرهِ :

إن عيشاً يكون آخرهُ المو تَ لعيشٌ معجّلُ التنغيصِ (لابن خلّكان)

أبو فِراسٍ الحَمْدانيّ (٣٢٠ – ٣٥٧ هـ) (٩٣٣ – ٩٦٩ م)

١٩٠ هو الحارث بن أبي العلاء الحمداني كان فرد دهرهِ وشمس عصرهِ أدباً . وفضلاً وكرماً ومجداً . وبلاغةً وبراعةً . وفروسيّةً وشجاعةً . وشعرهُ مشهور بين الحسن والجودة . والسهولة والجزالة والعذوبة . والفخامة والحلاوة . ومعهُ رواء الطبع وسمة الظرف وعزّة الملك . ولم تجتمع هذه الخلال قبلهُ الّا في شعر عبد الله بن المعتزّ . وأبو فراس يُعدّ أشعر منهُ عند أهل الصنعة ونقدَة الكلام . وكان الصاحب بن عبّاد يقول : بدىء الشعر بملك وخُتم بملك . يعني امرأ القيس وأبا فراس . وكان المتنبي يشهد لهُ بالتقدّم والتبريز ويتحامى جانبهُ . فلا ينبري لمباراتهِ . ولا يجترئ على مجاراتهِ . وانما لم يمدحهُ ومدح من دونهُ من آل حمدان تهيّباً لهُ واجلالاً . لا اغفالاً واخلالاً . وكان سيف الدولة يعجب جدًّا بمحاسن أبي فراس ويميّزهُ بالاكرام على سائر قومهِ . ويستصحبهُ في غزواتهِ ويستخلفهُ في أعمالهِ . وأُسر أبو فراس مرّتين فالمرّة الاولى بمغارة الكحل في سنة ثمان واربعين وثلاثمائة وما تعدّوا بهِ خرشنة وهي قلعة ببلاد الروم والفرات يجري من تحتها . وفيها انهُ ركب فرسهُ وركضهُ برجلهِ فاهوى بهِ من أعلى الحصن

الى الفرات . والمرّة الثانية أسره الروم على منبج في شوّال سنة احدى وخمسين وحملوه الى قسطنطينيّة . وأقام في الاسر اربع سنين وله في الاسر أشعار كثيرة مثبتة في ديوانه . وكانت مدينة منبج اقطاعاً له . ومن شعره :

قد كنتَ عدّتيَ التي اسطو بها ... ويدي اذا اشتدَّ الزمان وساعدي
فرُميتُ منك بضدّ ما أمّلتهُ ... والمرء يشرَق بالزلال الباردِ
فصبرتُ كالولد التقيّ لبرّهِ ... أغضى على ألمٍ لضرب الوالدِ

ومحاسن شعره كثيرة . وقتل في واقعة جرت بينهُ وبين موالي اسرتهُ في سنة سبع وخمسين وثلاثمائة . ورأيت في ديوانهِ انهُ لمّا حضرتهُ الوفاة كان ينشد مخاطباً ابنتهُ :

ابنيّتي لا تجزعي ... كل الأنام الى ذَهابِ
نوحي عليَّ بحسرةٍ ... من خلف سترك والحجابِ
قولي اذا كلّمتني ... فعييت عن ردّ الجوابِ
زين الشباب أبو فرا ... سٍ لم يمتّع بالشبابِ

هذا يدلّ على انهُ لم يُقتل أو يكون قد جُرح وتأخَّر موتهُ ثم مات من الجراحة (اليتيمة للثعالبي)

أبو نُواس (١٤٥ـ١٩٨هـ) (٧٦٣ـ٨١٤م)

١٩١ هو أبو عليّ الحسن بن هانئ المعروف بأبي نواس الحكمي الشاعر المشهور ولد بالبصرة ونشأ بها ثم خرج الى الكوفة ثم صار الى بغداد فاستحلاهُ والبة بن الحباب . ورأى فيهِ مخايل النجابة فصار أبو نواس معهُ . وروي ان الخصيب صاحب ديوان الخراج بمصر سأل أبا نواس عن نسبهِ فقال : أغناني أدبي عن نسبي . فامسك عنهُ . قال اسماعيل بن نوبخت : ما رأيت قط اوسع علماً من أبي نواس ولا أحفظ منهُ مع قلّة كتبهِ . وهو في الطبقة الاولى من المولدين وشعره عشرة انواع وهو مجيد في العشرة . وقد اعتنى بجمع شعرهِ جماعة من الفضلاء منهم أبو بكر الصولي وعلي بن حمزة فلهذا يوجد ديوانهُ مختلفاً ومع شهرة ديوانهِ لا حاجة الى ذكر شيء منهُ . ورأيتُ في بعض الكتب ان المأمون كان يقول : لو وصفَتْ الدنيا نفسها لما وصفت بمثل قول أبي النُّوَاس :

ألا كل حي هالك وابن هالك ... وذو نسب في الهالكين عريقِ
اذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشّفت ... لهُ عن عدوّ في ثياب صديقِ

وكان محمد الأمين قد سخط على أبي نُوَاس لقضيَّة جرت لهُ معهُ فتهدَّدهُ بالقتل وحبسهُ . فكتب اليهِ من السجن :

بك أستجيرُ من الرَّدى ... متعوّذًا من سطو باسكْ
وحياة رأسك لا اعو ... دُ لمثلها وحياة راسكْ
مَن ذا يكون أبا نوا ... سك إن قتلت أبا نواسكْ

ولهُ معهُ وقائع كثيرة . وكانت وفاتهُ ببغداد . وانما قيل لهُ ابو نُواس لذؤابتين كانتا لهُ تنوسان على عاتقيهِ . وصفهُ ابو عبد الله الجماز قال : كان ابو نواس اظرف الناس منطقاً وأغزرهم أدباً . وأقدرهم على الكلام وأسرعهم جواباً واكثرهم حياء . وكان ابيض اللون جميل الوجه مليح النغمة والإشارة . ملتف الأعضاء بين الطويل والقصير . مسنون الوجه قائم الأنف . حسن العينين والمضحك . حلو الصوره لطيف الكف والاطراف . وكان فصيح اللسان جيّد البيان . عذب الالفاظ حلو الشمائل كثير النوادر . وأعلم الناس كيف تكلّمت العرب . راويةً للاشعار علاّمة بالأخبار كأن كلامهُ شعرٌ موزون (لابن خلّكان والقيرواني)

ألأبيوَرْدِيُّ (٤٩٨ ــ ٥٥٧ هـ) (١١٠٥ ــ ١١٦٣ م)

١٩٢ هو أبو المظفَّر محمد بن أبي العبَّاس الأبيوردي الشاعر المشهور . كان من الادباء المشاهير راويةً نسَّابةً شاعراً ظريفاً . قسم ديوان شعرهِ الى أقسام منها العراقيَّات ومنها النجديَّات وغير ذلك . وكان من أخبر الناس بعلم الأنساب . نقل عنهُ الحفَّاظ الأثبات الثقات . وكان فخر الرؤساء . حسن الاعتقاد جميل الطريقة متصرّفاً في فنون جمّة من العلوم . عارفاً بتاريخ العرب فصيح الكلام حاذقاً في تصنيف الكتب . وافر العقل كامل الفضل . فريد دهرهِ وحيد عصرهِ . وكان فيهِ تيه وكبر وعزّة نفس . ومن محاسن شعرهِ قولهُ :

ملكنا أقاليم البلاد فأذعنت ... لنا رغبةً أو رهبةً عظماؤُها
فلمَّا انتهت أيامنا علقت بنا ... شدائد أيَّام قليل رخاؤُها
وكان الينا في السرور ابتسامها ... فصار علينا في الهموم بكاؤُها
وصرنا نلاقي النائبات بأوجهٍ ... رقاق الحواشي كاد يقطر ماؤُها
اذا ما هممنا ان نبوح بما جنت ... علينا الليالي لم يدعنا حياؤُها

ولهُ تصانيف كثيرة مفيدة منها تاريخ ابيورد وكتاب المختلف والمؤتلف . وطبقات كل فنّ وما اختلف وائتلف في أنساب العرب . ولهُ في اللغة مصنفات كثيرة لم يسبق الى مثلها . وكان حسن السيرة جميل الأثر لهُ معاملة صحيحة . وكانت وفاتهُ باصبهان مسموماً (لابن خلّكان)

ألبُحْتُرِيُّ (٢٠٦ ــ ٢٨٤ هـ) (٨٢٢ ــ ٨٩٨ م)

١٩٣ هو ابو عبادة الوليد بن عبيد البحتري شاعر مقدَّم لا يُعدَل بهِ أحد يفضّل على حبيب. والناس في تفضيلها على اختلاف . وُلِد بمنبج ونشأ وتخرَّج بها . ثمَّ خرج الى العراق ومدح جماعة من الخلفاء أوَّلهم المتوكل وأقام ببغداد دهرًا طويلاً ثم عاد الى الشام . وكان حسن المذهب نقيّ الكلام خُتم بهِ الشعراء المحدثون . ولهُ تصرُّف في ضروب الشعر سوى الهجاء فان بضاعتهُ فيهِ نزرة . وحدَّث البحتري عن نفسهِ قال : وكان أوَّل امري اني دخلت على أبي

سعيد محمد بن يوسف الثغري فانشدته قصيدة أولها : (أأطلال صب من هوى فاقما) . فسرّ أبو يوسف بها وقال : أحسنتَ والله يا فتى واجدتَ . وفي مجلسهِ رجل رفيع نبيل قريب المجلس منهُ فوق كل من حضر . فاقبل عليَّ وقال : أما تستحي مني . هذا شعري تنحله وتنشده بحضرتي . فقال لهُ أبو سعيد : أحقًا ما تقول . قال : نعم . وانما علقهُ مني وسبق بهِ اليك وزاد فيهِ . ثم اندفع فانشد اكثر القصيدة حتى تشككني علم الله في نفسي وبقيت متحيرًا . فقال لي أبو سعيد : يا فتى قد كان لك في قرابتك مني ما يغنيك عن هذا . فجعلت احلف بكل محرجة من الايمان ان الشعر لي ما سمعتهُ منهُ ولا انتحلتهُ فلم ينفع ذلك شيئًا . وأطرق أبو سعيد وقطع بي حتى تمنّيت ان يساخ بي في الارض . فقمت منكسف البال اجرُّ رجلي فما بلغت باب الدار حتى ردّني الغلام . فاقبل عليَّ الرجل وقال : الشعر لك يا بنيَّ . والله ما قلتهُ قط ولا سمعتهُ الّا منك . ولكنني كنت ظننت انك تهاونت بموضعي فاقدمت على الانشاد بحضرتي تريد مضاهاتي حتى عرّفني الامير نسبك . ولوددتُ ان لا تلد طائيـة الّا مثلك . ودعاني وضمّني اليهِ وعانقني وأبو سعيد يضحك . فلزمتهُ بعد ذلك واخذت عنهُ واحتذيت فنّهُ

وعن أبي الغوث عن ابيهِ البحتري قال : قال لي أبو تمّام : بلغني ان بني حميد اعطوك مالاً جليلاً فيم مدحتهم فأنشدني شيئًا منهُ . فانشدتهُ فقال لي : كم اعطوك . فقلتُ : كذا . فقال لي : ظلموك . ما وفوك حقك والله لَبَيتٌ منها خيرٌ ممَّا اخذت . ثم اطرق قليلاً ثم قال : لعمري لقد مات الكرام وذهب الناس وغاضت المكارم وكسدت اسواق الأدب . انت والله يا بنيَّ امير الشعراء غدًا بعدي . فقمتُ فقبّلتُ رأسهُ ويديهِ ورجليهِ وقلتُ : والله لهذا القول اسرُّ لي مما وصل اليَّ منهم . قيل للبحتري أيكما أشعر انت اوأبو تمّام قال : جيّدهُ خيرٌ من جيدي ورديئي خير من رديئهِ . وصدق فان أبا تمّام لا يتعلّق بهِ احد في جيّدهِ . وربما اختلَّ لفظهُ لا معناهُ . والبحتري لا يختل لفظهُ . وقيل لهُ : قد عثرت باحتذائك ابا تمّام في شعرك . فقال : أَيُعاب عليَّ ان اتبع أبا تمّام ما عملت بيتًا قطُّ حتى أُخطر شعرهُ ببالي . وذكروا معنى تعاورهُ البحتري وأبو تمّام فقال المبرّد للبحتري : انت في هذا أشعر من أبي تمّام . فقال : لا والله ذلك الرئيس الأستاذ . والله ما اكلت الخبز الّا بهِ . قال المبرّد : شعر البحتري احسن استواء من شعر ابي تمّام . لان البحتري يقول القصيدة كلها فتكون سليمة من طعنِ طاعنٍ . وأبو تمّام يقول البيت النادر والبادر . (وهذا المعنى كان اعجب الى الاصمعي) وما أشبههُ الّا بغائص يخرج الدرّة ثم قال : لأبي تمّام والبحتري من المحاسن ما لو قيس باكثر شعر الأوائل ما وجدوا فيهِ مثلهُ وذكر المبرّد شعرًا لهُ وقدّمهُ على نظرائهِ :

وإذا ذكرتُ محاسن ابنَي صاعدٍ أدّت اليك مخايلـ ابنَي مخلدِ
كالفرقدين اذا تأمّل ناظرٌ لم يعلُ موضعُ فرقدٍ عن فرقدِ

وبعدها : أغنت يداهُ يدي وشرّد جودهُ بخلي فافقرني بما أغنـاني

ولهُ ايضاً في الفتح بن خاقان وقد نزل الى الأسد وقتلهُ :

حملتَ عليهِ السيفَ لا عطفكَ انثنى ولا يدُكَ ارتدَّتْ ولا حدُّهُ نبا
فاحجم لمَّا لم يجد فيكَ مطمعاً وصمَّم لمَّا لم يجد عنكَ مهربا

ولهُ فيهِ: وما منع الفتح بن خاقان نيلهُ ولكنها الايام تعطي وتحرمِ
سحابٌ خطاني جودُهُ وهو مسبلٌ وبحرٌ عداني فيضهُ وهو مفعم
أأشكو نداهُ بعدان وسع الورى ومَن ذا يذمُّ الغيثَ الَّا مذمَّمُ

والبحتري مكثر جدًّا وديوان شعرهِ نُسَخ مختلفًا بالزيادة والنقص لأن شعرهُ لا ينضبط لكثرتهِ . قال البحتري : كنت أذمُّ الشعر في حداثتي وكنت ارجع فيهِ الى الطبع ولم اكن اقف على تسهيل مأخذهِ ووجوه اقتضابهِ حتى قصدتُ أبا تمّام وانقطعت فيهِ اليهِ واتكلت في تعريفهِ عليهِ . فكان أوَّل ما قال لي : أبا عبادة تخيَّر الاوقات وانت قليل الهموم صفرٌ من الغموم . ومن ذاك وقت السحر لان النفس تكون قد اخذت بحظها من الراحة وقسطها من النوم . فان اردتَ النسيب فاجعل اللفظ رقيقاً والمعنى رشيقاً . واذا اخذت في مدح سيّد فاشهر مناقبهُ . وأظهر مناسبهُ . وأبن معالمَهُ . وإيَّاك ان تشين شعرك بالألفاظ الحجنيَّة . وكن كأنك خيَّاط تقطع الثياب على مقادير الأجسام . واذا عارضك الضجر فأرح نفسك ولا تعمل شعرًا الَّا وانت فارغ القلب . واجعل شهوتك الى قول الشعراء الذريعة الى حسن نظمهِ . فان الشهوة تجمع النفس. وجملة الحال ان تعتبر نفسك بما سبق من شعر الماضين فما استحسن العلماء فاقصدهُ وما تركوهُ فاجتنبهُ ترشد ان شاء الله تعالى . فأعملت نفسي فيما قال فوقفت على السياسة

ومن اخبار البحتري انهُ كان بحلب شخص يقال لهُ طاهر ابن محمد الهاشمي مات ابوهُ وخلَّف لهُ مقدار مائة الف دينار فانفقها على الشعراء والزوَّار في سبيل الله . فقصدهُ البحتري من العراق فلما وصل الى حلب قيل لهُ انهُ قد قعد في بيتهِ لديون ركبتهُ . فاغتمَّ البحتري لذلك غمَّاً شديدًا وبعث المدحة اليهِ مع بعض مواليهِ . فلما وصلتهُ ووقف عليها بكى ودعا بغلام لهُ وقال لهُ : بعْ داري . فقال لهُ : اتبيع دارك وتبقى على رؤوس الناس. فقال : لا بدَّ من بيعها. فباعها بثلاثمائة دينار فاخذ صرَّة وربط فيها مائة دينار وانفذها الى البحتري. وكتب اليهِ معها رقعة فيها هذه الأبيات:

لو يكون الحباء حسب الذي أ نت لدينا بهِ محلٌّ واهلُ
لحثيتُ اللجينَ والدرَّ واليا قوت حثواً وكان ذاك يقلُّ
والأديب الأريب يسمح بالعذ ر اذا قصَّر الصديق المقلُّ

فلما وصلت الرقعة الى البحتري ردَّ الدنانير وكتب اليهِ :

بأبي انت والله للبرِّ أهلُ والمساعي بعد وسعيك قبلُ
والنوال القليل يكثر ان شا ء مرجّيك والكثير يقلُّ

غير اني رددت برَّك اذ كا ن ربًا منك والربا لا يحلُّ
واذا ما جزيت شعرًا بشعرٍ قضيَ الحقُّ والدنانير فضلُ

فلما عادت الدنانير اليهِ حلَّ الصرَّة وضم اليها خمسين دينارًا أُخرى وحلف انهُ لايردّها عليهِ وسيَّرها فلما وصلت البحتري انشأ يقول:

شكرتك ان الشكر للعبد نعمةٌ ومن يشكر المعروف فالله زائدهُ
لكل زمانٍ واحد يُقتدَى بهِ وهذا زمانٌ انت لاشكَّ واحدهُ (الأغاني)

أَلْبُسْتِيُّ (٣٣٩ـ٤٠٠هـ) (٩٥١ـ١٠١٢م)

١٩٤ هو ابو الفتح عليّ بن محمد الكاتب البستي الشاعر المشهور صاحب الطريقة الأنيقة والتجنيس الأنيس. البديع التأسيس. وكان في عنفوان امرهِ كاتبًا لبايتوز صاحب بُستَ. فلما افتتحها الأمير ناصر الدولة ابو منصور سبكتكين أراد ابو الفتح ان يتخفَّى عن الخدمة فدلَّ عليهِ فاستحضرهُ وفوَّض اليهِ مهمَّات ديوانهِ مع كون بايتوز في قيد الحياة. فأشفق من سعي حسَّادهِ فطلب ان يعتزل في بعض أطراف المملكة حتى تسكن الفتنة ويستقرّ الأمر فأُجيب الى طلبهِ وأشار عليهِ بناحية الرُّخَّج. فبقي فيها حتى استدعاهُ السلطان المعظَّم يمين الدولة محمود بن سبكتكين وقد كتب لهُ عدَّة فتوح. فبقي عندهُ الى ان زحزحهُ القضاء عن خدمتهِ ونبذهُ الى ديار الترك فانتقل بها الى جوار ربّهِ. ولهُ نثر رائق بديع وفصول قصار تجري مجرى الأمثال

بَهَاءُ الدِّينِ زُهَيْرٌ (٥٨١ـ٦٥٦هـ) (١١٨٦ـ١٢٥٩م)

١٩٥ أبو الفضل زهير الملقَّب بهاء الدين الكاتب من فضلاء عصرهِ وأحسنهم نظمًا ونثرًا وخطًّا ومن اكبرهم مروءة. كان قد اتصل بخدمة السلطان الملك الصالح نجم الدين بن الملك الكامل بالديار المصريَّة. وتوجَّه في خدمتهِ الى البلاد الشرقيَّة. واقام بها الى ان ملك الملك الصالح مدينة دمشق فانتقل اليها في خدمتهِ. وأقام كذلك الى ان جرت الكائنة المشهورة على الملك الصالح. وخرجت عنهُ دمشق وخانهُ عسكرهُ وهو على نابلس وتفرَّق عنهُ. وقبض عليهِ ابن عمّهِ الملك الناصر داود صاحب الكرك واعتقلهُ بقلعة الكرك. فاقام بهاء الدين زهير المذكور بنابلس محافظة لصاحبهِ ولم يتَّصل بغيرهِ. ولم يزل على ذلك حتى خرج الملك الصالح وملك الديار المصريَّة. وقدم اليها بهاء الدين سنة سبع وثلاثين وستمائة فاجتمعتُ بهِ ورأيت فوق ماسمعت عنهُ من مكارم الاخلاق وكثرة الرياضة ودماثة السجايا. وكان متمكنًا من صاحبهِ كبير القدر عندهُ لايطلع على سرّهِ الخفي غيرهُ. ومع هذا كلّهِ فانهُ كان لا يتوسَّط عندهُ الَّا بالخير. ونفع خلقًا كثيرًا بحسن وساطتهِ وجميل سفارتهِ وانشدني كثيرًا من شعرهِ. وديوانهُ كثير الوجود بايدي الناس. ولهُ شعر جيّد. فمن ذلك ماقالهُ وقد غرقت بهِ سفينة فسلم

بنفسهِ منها وذهب ما كان معهُ :

لا تعتب الدهر في خطبٍ رماك بهِ ان استردَّ فقدماً طالما وهبا
حاسب زمانك في حالَي تصرفهِ تجدهُ اعطاك اضعاف الذي سلبا
والله قد جعل الأيام دائرة فلا ترى راحة تبقى ولا تعبا
ورأس مالك وهي الروح قد سلمت لا تأسفنَّ لشيءٍ بعدها ذهبا
ما كنت أوَّل مفدوح بحادثةٍ كذا مضى الدهر لا بدعاً ولا عجبا
وربَّ مالٍ نما من بعد مرزئةٍ أما ترى الشمع بعد القطف ملتهبا

وكانت وفاتهُ بالقاهرة بالوباء (لابن خلكان)

جريرٌ (٤٢ ـ ١١٠هـ) (٦٦٣ ـ ٧٢٩ م)

١٩٦ هو ابو حرزة جرير بن عطيَّة التميمي الشاعر المشهور من فحول شعراء الاسلام وكان بينهُ وبين الفرزدق مهاجاةٌ ونقائض وهو أشعر من الفرزدق والأخطل ويختلف في ايّهم المتقدّم . واحتجَّ من قدَّم جرير بانهُ كان اكثرهم فنون شعر واسهلهم الفاظاً واقلّهم تكلفاً وكان ديّناً عفيفاً . وسُئل اعرابي ايّهم عندكم أشعر الشعراء . قال : بيوت الشعر فخر ومديح وهجاء وفي كلّها غلب جرير . فقال في الفخر :

اذا غضبت عليك بنو تميمٍ حسبت الناس كلّهم غضابا

وقال في مديح ابن مروان :

ألستم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راحِ

وقال في هجاء راعي الشاعر :

فغضَّ الطرف انك من نميرٍ فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

وذكر الأصمعي قال : كان ينهش جريرًا ثلاثةٌ واربعون شاعراً فينبذهم وراء ظهرهِ ويرمي بهم واحدًا واحدًا وثبت لهُ الفرزدق والأخطل . وامتدح جريرٌ الخلفاء فمن قولهِ في مدح عُمَر : انَّا لنرجو اذا ما الغيث أخلفنا من الخليفة ما نرجو من المطرِ

نال الخلافة اذ كانت لهُ قدرًا كما أتى ربَّهُ موسى على قدرِ
أأذكر الجهد والبلوى التي نزلت ام تكتفي بالذي بُلِّغتَ من خبري
ما زلت بعدك في دارٍ تعرّقني قد طال بعدك إصعادي ومنحدري
لا ينفع الحاضر المجهود بادينا ولا يجود لنا بادٍ على حضرِ
كم بالمواسم من شعثاء أرملةٍ ومن يتيمٍ ضعيف الصوت والبصرِ
يدعوك دعوة ملهوفٍ كأنَّ بهِ خبلًا من الجنّ او مسّاً من البشرِ
ممن يعدّك تكفي فقد والدهِ كالفرخ في العُشّ لم ينهض ولم يطرِ (الأغاني)

صَفِيُّ الدِّينِ الحِلِّيُّ (٦٨٥ـ ٧٤٠ هـ) (١٢٨٧ـ ١٣٤٠ م)

١٩٧ هو عبد العزيز بن سرايا الحلّي الملقَّب بصفيّ الدين مناهل ألفاظهِ العذاب صافية من شوائب التعقيد . ورياض معانيهِ المفرحة بنشرها الألباب شافية لمن كرع من نحرها الرائق المديد واخبر عن نفسهِ قال : كنت قبل ان اشبَّ عن الطوق . واعلم ما دواعي الشوق . لهجًا بالشعر نظمًا وحفظًا . متقنا علومهُ معنًى ولفظًا . فاعدّهُ من أدب الفضائل . ثم جرت بالعراق حروب ومِحَن اوجبتْ بُعدي عن عريني . وهجر اهلي وقريني . بعد ان تكمل لي من الأشعار . ما سبقني الى الأمصار . فحططت رحالي بفناء ملوك آل أرتق اصحاب ماردين . فثبّتوا بالاحسان قدمي . وصانوا عن بني الزمان وجهي ودمي . فنظمت في مدح السلطان الأعظم نجم الدين ابي الفتح غازي تسعاً وعشرين قصيدة . كل منها تسعة وعشرون بيتاً على حرف من حروف المعجم يبدأ في كل بيت منها وبهِ يُختَم . ووسمتهُ بدرر النحور . في مدائح الملك المنصور . ثم قذف بي خوف بلادي الى الديار المصريَّة . واهلت للمثول في الحضرة الشريفة الملكيَّة الناصريَّة . فشملني من الانعام ما الزمني المروءة مكافأة تلك الحقوق . ورأيت كفرانها كالعقوق . فجمعت لهُ من جدّ شعرهِ وهزلهِ . ورقيق لفظهِ وجزلهِ . فبوَّبتهُ ابين التبويب . ورتّبتهُ احسن الترتيب . فوقع عندهُ بموقع الاستحسان . واكرم مثواي وأجزل عليَّ الاحسان . (اه) ولصفيّ الدين الحلّي مؤلفات منها كتاب في علم الرمي وكتاب في اغلاط العرب . وكانت وفاتهُ في بغداد (من ديوانهِ)

الخَوَارَزمِيُّ (٣١٦ ـ ٣٨٣ هـ) (٩٢٩ ـ ٩٩٢ م)

١٩٨ هو ابو بكر محمد بن العبَّاس الخوارزمي الشاعر المشهور ويقال لهُ الطبرخزي ايضًا ابن اخت الطبري صاحب التاريخ وأبو بكر المذكور احد الشعراء المجيدين الكبار المشاهير . كان اماماً في اللغة والانساب . أقام بالشام مدَّة وسكن بنواحي حلب وكان يُشار اليهِ في عصرهِ . ويُحكى انهُ قصد حضرة الصاحب بن عباد وهو بارَّجان فلما وصل الى بابهِ قال لاحد حجَّابه . قل للصاحب : على الباب احد الادباء وهو يستأذن في الدخول . فدخل الحاجب واعلمهُ فقال الصاحب : قل لهُ : قد ألزمتُ نفسي ان لا يدخل عليَّ من الادباء الَّا من يحفظ عشرين الف بيت من شعر العرب . فخرج اليهِ الحاجب واعلمهُ بذلك . فقال لهُ ابو بكر : ارجع اليهِ وقل لهُ : هذا القدر من شعر الرجال ام من شعر النساء . فدخل الحاجب فاعاد عليهِ ما قال . فقال الصاحب : هذا يكون ابو بكر الخوارزمي فاذن لهُ في الدخول . فدخل عليهِ فعرفهُ وانبسط لهُ . وابو بكر المذكور لهُ ديوان رسائل وديوان شعر ومن نظمهِ قولهِ :

رأيتك ان ايسرتَ خيَّمتَ عندنا   مقيمًا وان اعسرتَ زرتَ لِمامَا
فما انت الَّا البدرُ ان قلَّ ضوءُهُ   اغبَّ وان زاد الضياءُ اقاما

وكان ابو بكر قليل الوفاء فهجاه ابو سعيد احمد بن شهيب الخوارزمي :

ابو بكر لهُ أدبٌ وفضلٌ ولكن لا يدوم على البقاءِ
مودَّتهُ اذا دامت لخلٍّ فمن وقت الصباح الى المساءِ

وملحهُ ونوادره كثيرة . ولمّا رجع من الشام سكن نيسابور ومات بها (لابن خلكان)

أَلطُّغْرَائي (٤٥٥ـ ٥١٣ هـ) (١٠٦٦ ـ ١١٢٠م)

١٩٩ هو مؤيد الدين الاصبهاني المنشأ المعروف بالطغرائي كان عزيز الفضل لطيف الطبع . فاق أهل عصرهِ بصنعة النظم والنثر . ولهُ ديوان شعر جيد . ومن محاسن شعرهِ قصيدتهُ المعروفة بلاميَّة العجم . وكان عملها ببغداد في سنة خمس وخمسمائة يصف حالهُ ويشكو زمانهُ . وكان الطغرائي ولي الوزارة بمدينة اربل مدَّةً وذكر العماد الكاتب في تاريخ الدولة السلجوقيَّة ان الطغرائي المذكور كان يُنعَت بالاستاذ وكان وزير السلطان مسعود بن محمد السلجوقي بالموصل . وانهُ لمّا جرى بينهُ وبين اخيهِ السلطان محمود المصاف بالمقرب من همذان وكانت النصرة لمحمود فاوَّل من أُخِذ الاستاذ ابو اسماعيل وزير مسعود . فاخبر بهِ وزير محمود وهو الكمال نظام الدين السميرمي فقال : مَن يكُن ملحدًا يُقتَل . وقد كانوا خافوا منهُ فاعتمدوا قتلهُ بهذه الحجة وقُتِل في سوق ببغداد عند المدرسة النظاميَّة . وقيل قتلهُ عبد اسود كان للطغرائي المذكور لانهُ قتل استاذهُ (لابن خلكان)

أَلفَارِضي (٥٧٦ ـ ٦٣٢ هـ) (١١٨١ ـ ١٢٣٥م)

٢٠٠ هو عُمَر بن أبي الحسن الحموي الأصل المصري المولد والدار والوفاة المعروف بابن الفارض المنعوت بالشرف . لهُ ديوان شعر لطيف . واسلوبهُ فيهِ رائق ظريف . ينحو منحى طريقة الفقراء . ولهُ قصيدة مقدار ستمائة بيت على اصطلاحهم ومنهجهم . وما ألطف قولهُ من جملة قصيدةٍ طويلة :

أهلاً بما لم أكن أهلاً بموقعهِ قول المبشر بعد اليأس بالفرجِ
لك البشارة فاخلع ما عليك فقد ذُكِرتَ ثَمَّ على ما فيك من عوجِ

وأحسن ما قال في صفة الباري قولهُ :

وعلى تفنُّن واصفيهِ بحسنهِ يفنى الزمان وفيهِ ما لم يوصفِ

ولهُ دوبيت مواليًا والغاز . وسمعت انهُ كان رجلاً صالحًا كثير الخير على قدم التجرد جاور بمكَّة زمانًا وكان حسن الصحبة محمود العشرة . وكانت ولادتهُ بالقاهرة وتوفي بها ودُفِن من الغد بسفح المقطم (لابن خلكان) .

ألفرزدق (٣٨ ـ ١٢٠ هـ) (٦٥٩ ـ ٧٢٩ م)

٣٠١ اسمهُ همّام بن غالب بن صعصعة داريّ من أشراف تميم. والفرزدق لُقّب بهِ لجهومة وجهه وغلظهِ. والفرزدق قطع العجين. وكان الفرزدق رديّ الطباع قبيح المنظر. سيّء المخبر. قاذفاً للمحصنات خبيث الهجو. وكان مهيباً تخافهُ الشعراء. وقد يحتجّ البعض في تقديمهِ على انهُ يميل الى جزالة الشعر وفخامتهِ وشدّة اسرهِ. والفرزدق اكثر الشعراء مقلّداً والمقلّد المغنّى المشهور الذي يُضرَب بهِ المثل فمن ذلك قولهُ:

وكنّا اذا الجبّار صعّر خدّهُ ضربناهُ حتى تستقيم الاخادعُ

وقولهُ: وكنت كذئب السوء لمّا رأى دماً بصاحبهِ يوماً احال على الدمِ

وقولهُ: ترى كل مظلوم الينا فرارهُ ويهرب منا جهدهُ كلّ ظالمِ

وقولهُ: ترى الناس ما سرنا يسيرون حولنا وان نحن اومأنا الى الناس وقفوا

ولهُ القصائد الغرّاء في الرثاء والفخر والهجو والمديح فمن ذلك قصيدتهُ الميميّة في زين العابدين. وقولهُ في بني المهلّب:

فلأمدحنّ بني المهلّب مدحةً غرّاء قاهرة على الأشعارِ

مثل النجوم امامها قمراؤها تجلو العمى وتضيء ليل السارِ

ورثوا الطعان عن المهلّب والقرى وخلائقاً كتدفّق الأنهارِ

كان المهلّب للعراق وقايةً وحيا الربيع ومعقل الفرّارِ

واذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم خضع الرقاب نواكس الأبصارِ

ومات الفرزدق بالبصرة سنة مات فيها الحسن وابن سيرين وجرير (للشريشي)

ألَلخمي (٥١٩ ـ ٥٩٦ هـ) (١١٢٦ ـ ١٢٠٠ م)

٣٠٢ هو ابو عليّ عبد الرحيم بن احمد اللخمي العسقلاني المصريّ الدار المعروف بالقاضي الفاضل الملقّب مجير الدين وزير السلطان الملك الناصر صلاح الدين وتمكّن منهُ غاية التمكن. وبرز في صناعة الانشاء وفاق المتقدمين ولهُ فيهِ غرائب مع الاكثار. ان مسودات رسائله في المجلدات والتعليقات في الاوراق اذا جمعت ما تقصر عن مائة مجلّدة وهو مجيد في اكثرها. وهو ربّ القلم والبيان. واللسن واللسان. والقريحة الوقّادة. والبصيرة النقّادة. والبديهة المعجزة. والبديعة المطرّزة. والفضل الذي ما سمع في الأوائل بمن لو عاش في زمانهِ لتعلّق بغبارهِ. او جرى في مضمارهِ. يخترع الأفكار. ويفترع الأبكار. ويطلع الأنوار. ويبدع الأزهار. وهو ضابط الملك بآرائهِ. رابط السلك بلالائهِ. ان شاء انشأ في يوم واحد بل في ساعة واحدة ما لو

دُوَن لكان لاهل الصناعة . خير بضاعة . اين قسٌ عند فصاحتهِ . واين قيس في مقام حصافته ومن حاتمٌ وعَمرو في سماحتهِ وحماستهِ . وملحهُ ونوادرهُ كثيرة ولهُ في النظم ايضًا اشياء حسنة منها قولهُ:

وإذا السعادة لاحظتْك عيونُها ... نَمْ فالمخاوف كلهنّ أمانُ
واصطَدْ بها العنقاء فهي حبائلٌ ... واقتَدْ بها الجوزاء فهي عنانُ

وكانت وفاتهُ بالقاهرة (الخريدة للعماد الاصبهاني)

أَبُو ٱلْعَلَاء ٱلْمَعَرّي (٣٦٣ـ٤٤٩ هـ) (٩٧٤ـ١٠٥٨ م)

٢٠٣ هو أحمد بن عبد الله القضاعي المعرّي التنوخي كان علامة عصرهِ . ولهُ التصانيف المشهورة والرسائل المأثورة . ولهُ من النظم لزوم ما لا يلزم . ولهُ سقط الزند وهو متن التنوير وكتاب الايك والغصون . وكان متضلعًا من فنون الأدب . وأخذ عنهُ أبو القاسم التنوخي والخطيب أبو زكريا يحيى التبريزي شارح الحماسة وغيرهما ثم عَمي بالجُدَري . ومن تصانيفهِ كتاب اللامع العزيزي وهو شرح شعر المتنبي ولما قرئ عليهِ الكتاب المذكور أخذ الجماعة في وصفهِ واطرائهِ . فقال أبو العلاء : كانما نظر المتنبي اليَّ بلحظ الغيب حيث يقول :

أنا الذي نظر الأعمى الى أدبي ... واسمعت كلماتي من بهِ صممُ

واختصر ديوان أبي تمّام حبيب وشرحهُ وديوان البحتري وديوان المتنبي وتكلم على غريب اشعارهم ومعانيها ومآخذهم من غيرهم وما اخذ عليهم . وتولى الانتصار لهم والنقد في بعض المواضع عليهم . والتوجيه لخطأ في بعض الأماكن . ورحل الى بغداد مرّتين . ولمَّا رجع منها في المرّة الثانية لزم منزلهُ وشرع في التصنيف . وكان يملي على بضع عشرة محبرة في فنون من العلوم . وأخذ عنهُ ناس وسار اليهِ الطلبة من الآفاق والعلماء والوزراء وأهل الأقدار وسمَّى نفسهُ رهن المحبسين للزومهِ منزلهُ ولذهاب عينيهِ . ومكث خمسًا وأربعين سنة لا يأكل اللحم تزهدًا . وعمل الشعر وهو ابن احدى عشرة سنة . ولمَّا توفي قرئ على قبرهِ سبعون مرثية منها قول أبي الفتح حصينة المعرّي:

العلم بعد أبي العلاء مضيَّعٌ ... والارض خاليـة الجوانب بلقعُ
أودى وقد ملأ البلاد غرائبًا ... تسري كما تسري النجوم الطلَّعُ
ما كنت اعلم وهو يوضع في الثرى ... ان الثرى فيهِ الكواكب تودعُ
جبلٌ ظننت وقد تزعزع ركنهُ ... ان الجبال الراسيات تزعزعُ
وعجبت ان تسع المعرّة قبرهُ ... ويضيق بطن الارض عنهُ الأوسعُ
لو فاضت المهجات يوم وفاتهِ ... ما استكثرت فيهِ فكيف الأدمعُ
عينٌ تسهّد للعفاف وللتقى ... ابدًا وقلبٌ للمهيمن يخشعُ
شيمٌ تجمّلهُ فهنّ لمجدهِ ... تاجٌ ولكن بالثناء يرصَّعُ
جادت ثراك أبا العلاء غمامة ... كندى يديك ومزنة لا تقلعُ

ما ضَيَّعَ الباكي عليك دموعهُ ان الدموع على سواك تضيعُ
قصدتك طلاب العلوم ولا أرى للعلم بابًا بعد بابك يقرعُ
مات النهى وتعطّلت أسبابهُ وقضى التأدُّب والمكارم أجمعُ

أبو الطيِّب المتنبّي (٣٠٣ـ ٣٥٤) (٩١٦ـ ٩٦٦)

٢٠٤ هو ابو الطيب أحمد بن عبد الصمد الجعفي الكندي المعروف بالمتنبي الشاعر المشهور. وهو من أهل الكوفة وقدم الشام في صباه واشتغل بفنون الأدب ومهر فيها . وكان من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها وحواشيها . ولا يُسأل عن شيء الّا واستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر . واماً شعرهُ فهو في النهاية ولا حاجة الى ذكر شيء منهُ لشهرته لكن الشيخ تاج الدين الكندي كان يروي لهُ بيتين لا يوجدان في ديوانه وهما :

أبعين مفتقرٍ اليك نظرتني فاهنتني وقذفتني من حالقِ
لستَ الملوم انا الملوم لانني انزلتُ آمالي بغير الخالقِ

ولمَّا كان بمصر مرض وكان لهُ صديق يغشاهُ في علّته فلما أبل انقطع عنهُ . فكتب اليهِ : وصلتني وصلك الله معتلاً . وقطعتني مبلاً . فان رأيت ان لا تحبِّب العلّة اليَّ . ولا تكدّر الصحة عليَّ . فعلت ان شاء الله تعالى . والناس في شعره على طبقات . فمنهم من يرجحهُ على أبي تمّام ومن بعده ومنهم من يرجح ابا تمّام عليهِ ولهُ التشابيه البديعة كقولهِ :

في جحفلٍ ستر العيون غبارهُ فكأنَّما يبصرنَ بالآذانِ

واعتنى العلماء بديوانهِ فشرحوهُ اكثر من اربعين شرحًا ما بين مطولات ومختصرات ولم يفعل هذا بديوان غيره . ولا شكّ انهُ كان رجلاً مسعودًا ورُزق في شعره السعادة التامّة . وانما قيل لهُ المتنبي لانهُ ادّعى النبوءة في بادية السماوة وتبعهُ خلق كثير من بني كلب وغيرهم . فخرج اليه لؤلؤ امير حمص نائب الاخشيدية فاسرهُ وتفرّق اصحابهُ وحبسهُ طويلاً . ثم استتابهُ وأطلقهُ . وقيل غير ذلك وهذا اصحّ . وقيل انهُ قال : انا اوّل من تنبأ بالشعر . ثم التحق بالأمير سيف الدولة بن حمدان سنة ٣٣٧ . وكان لسيف الدولة مجلس يحضرهُ العلماء كل ليلة فيتكلّمون بحضرته. فوقع بين المتنبي و(بين) ابن خالويه النحوي كلام . فوثب ابن خالويه على المتنبي فضرب وجههُ بمفتاح كان معهُ فشجّهُ وخرج ودمهُ يسيل على ثيابه . فغضب وخرج الى مصر سنة ٣٤٦ وامتدح كافورًا ولما لم يرضهِ هجاهُ وفارقهُ سنة ٣٥٠ فوجه كافور خلفهُ رواحل الى جهاتٍ شتّى فلم يلحق بهِ . وقصد المتنبي بلاد فارس ومدح عضد الدولة بن بويه الديلمي فاجزل جائزتهُ . ولمَّا رجع من عندهِ قاصدًا بغداد ثم الكوفة في شعبان لثمانٍ خلونَ منهُ عرض له فاتك بن ابي الجهل الاسدي بعدّة من اصحابهِ . وكان مع المتنبي ايضًا جماعة من اصحابهِ فقاتلوهم . فقتل المتنبي وابنهُ وغلامهُ مفلح بالقرب من النعمانيّة (اليتيمة للثعالبي وغيرها ذلك)

الباب الثالث عشر
في التاريخ

اخبار الفرنج فيما ملكوا من سواحل الشام وثغوره وكيف تغلبوا عليه وبداية امرهم في ذلك ومصايره

الزحفة الاولى (١٠٩١ — ١٠٩٩ م)

٢٠٠ كانت دولة الفرنسيس من أعظم دول الفرنج واستفحل امرهم بعد الروم . وكان مبتدا خروجهم سنة تسعين واربعمائة (١٠٨٧ م) فتجهزوا لذلك . وكان ملوكهم الحاضرون بقدوين والقمص (ريموند) وغفريد و بوبيموند . فجعلوا طريقهم في البر على القسطنطينية فمنعهم ملك الروم (ألكسيس) من العبور عليه من الخليج حتى شرط عليهم ان يسلموا له انطاكية لكون المسلمين كانوا اخذوها من ممالكهم فقبلوا شرطه وسهّل لهم العبور في خليجه . فاجازوا في العدد العدّة وانتهوا الى بلاد قليج ارسلان صاحب قونية فجمع للقائهم فهزموه . ثم ساروا الى انطاكية وبها باغيسيان من امراء السلجوقية فاخذوها عنوةً ووضعوا السيف في المسلمين الذين بها ونهبوا اموالهم . وقُتل باغيسيان وحمل رأسه اليهم وردّوا امر المدينة الى بوبيموند (١٠٩٩ م) . فلمّا سمع كربوقا صاحب الموصل بحال الفرنج وملكهم انطاكية جمع العساكر وسار الى الشام في كثير من الامراء والقوّاد فزحفوا الى انطاكية وحاصروها ثلاثة عشر يوماً . فوهن الفرنج واشتدّ عليهم الحصار لما جاءهم على غير استعداد وطلبوا الخروج على الأمان فامتنع كربوقا . ثمّ ان كربوقا اساء السيرة فيمن اجتمع معهُ من الملوك والامراء فخبثت نياتهم عليه . وكان مع الفرنج راهبٌ مطاع فيهم فقال لهم : ان زجّ الحربة التي طُعن بها المسيح مدفونة بكنيسة القتيان فان وجدتموها فانكم تظفرون . وأمرهم بالصوم والتوبة ففعلوا ذلك ثلاثة ايام . فلما كان اليوم الرابع ادخلهم الموضع فحفروا عليها في جميع الاماكن فوجدوها كما ذكر . فقال لهم : أبشروا بالظفر . فقويت عزيمتهم وخرجوا اليوم الخامس . فلمّا تكاملوا ولم يبقَ بانطاكية احد منهم ضربوا مصافاً عظيماً فولى المسلمون منهزمين فقتل الفرنج منهم الوفاً وغنموا ما في العسكر من الاقوات والأموال والدواب والاسلحة فصلحت حالهم وعادت اليهم قوّتهم . وساروا الى معرّة النعمان فملكوها وزحفوا الى حمص فصالحهم اهلها واستولى بقدوين على مدينة الرها وملطية فملكها . ثمّ وخلت سنة اثنتين وتسعين واربعمائة فسار الفرنج الى ابيت المقدس وكان بيت المقدس قد

---

(٥) قد سبق الوعد بان نجعل خاتمة التاريخ ظهور الأتراك . فحصرنا في هذا الجزء اخبار الدّول الاسلاميّة وحروب الصليبيّين واكتفينا بلمعة من تاريخ التتر وسلاطين الدولة العثمانية

ملكهُ السلجوقيَّة . ثم طمع فيه أهلُ مصر فاستولوا عليه فصار امر القدس في يد خليفة مصر. فاستناب عليها افتخار الدولة الذي كان بدمشق فقصدهُ الفرنج وحاصروه اربعين ليلة ونصبوا على المدينة برجين وملكوها من الجانب الشمالي وركب الناسَ السيفُ فاحصي القتلى فكانوا سبعين الفًا او يزيدون . وغنموا من المدينة ما لا يقع عليهِ الاحصاء وجاء الصريخ الى بغداد صحبة القاضي ابي سعيد الهَرَوي فكثر البكاء والأسف . وقال في ذلك المظفَّر الابيوردي :

مزجنا دماءً بالدموع السواجمِ ... فلم يبقَ منَّا عُرضةٌ للمراجمِ
وشرُّ سلاح المرء دمعٌ يفيضهُ ... اذا الحرب شُبَّت نارها بالصوارمِ
وكيف تنام العين ملءَ جفونها ... على هفواتٍ ايقظت كلَّ نائمِ
واخواننا بالشام أضحى مقيلهم ... ظهور المذاكي او بطون القشاعمِ
يسومهم الرومُ الهوانَ وأنتمُ ... تجرُّون ذيل الخفض فعل المسالمِ
أترضى صناديدُ الأعارب بالأذى ... وتُغضي على ذلٍّ كماةُ الاعاجمِ
فليتهمُ إذ لم يذودوا حميَّةً ... عن الدين ضنّوا غيرةً بالمحارمِ

مُلكُ غدفريد (١٠٩٩ م) وبقدوين الاول (١١٠٠ م)

٢٠٦ وتمكَّن الفرنج من البلاد وولّوا على بيت المقدس غُفريد من ملوكهم . ولمَّا بلغ خبر الواقعة الى مصر جمع الافضل الجيوش والعساكر واحتشد وسار الى عسقلان وأرسل الى الفرنج بالتكبر والتهديد . فاعادوا الجواب ورحلوا مسرعين فكبسوهُ بعسقلان على غير أُهبة فهزموهُ واستلحموا المسلمين ونهبوا سوادهم . ونازل الفرنج عسقلان حتى مانع اهلها الفرنج بعشرين الف دينار وعادوا الى القدس . ثم اتموا الفتح واستولى تنكري على طبرية وتقلّد عليها الامارة ثم افتتح حصن حيفا . وكانت وفاة غفريد سنة ثلاث وتسعين واربعمائة

وقام بالأمر بعدهُ اخوهُ بقدوين صاحب الرُّها . وسار في ملكهِ الفرنج الى سروج وقيسارية فملكوها عَنوة (١١٠٠ م) وملكوا ارسوف بالأمان . وفي سنة ٤٩٥ هـ سار صنجيل (ريمونـد) الى طرابلس وشدَّ حصارها واعانهُ اهل الجبل والنصارى من أهل سوادها . ثمَّ صالحوهُ على مالٍ وخيل ورحل عنهم الى انطرسوس من اعمال طرابلس فحاصرها وملكها عنوة . ثمَّ رحل الى حمص ونازلها وملك أعمالها . ثم استفحل امر الفرنج بالشام وندب بقدوين جمعًا كثيرًا ممن سار الى زيارة القدس للغزو فاغاروا على عكّا وقيسارية واكتسحوا نواحيها . وفي سنة ٤٩٧ هـ وصلت مراكب من بلاد الفرنج تحمل خلقًا كثيرًا من التجّار والحجّاج فاستعان جم صنجيل على حصار طرابلس فحاصرها برًّا وبحرًا حتى يئسوا منها فارتحلوا الى جبيل وملكوها بالأمان . ثم سيَّر الأفضل صاحب مصر عسكرًا ضخمًا الى قهر الفرنج فملكوا الرملة واستنجدهم صاحب عسقلان وطغركين اتابك صاحب دمشق فقصدهم بقدوين فاقتتلوا وكثرت

بينهم القتلى واستُشهد صاحب عسقلان وتحاجزوا وعاد كلٌّ الى بلدهِ . ثم سار الفرنج الى حصن افامية فحاصروه حتى جهد اهلها الجوع وملكوا البلد والقلعة . وقتلوا القاضي المتغلب عليها . وفي سنة ٤٩٩ هـ سار صنجيل ثالثةً الى طرابلس وأقام عليها وبنى بالقرب منها حصناً وبنى تحتهُ رَبَضاً وهو المعروف بحصن صنجيل فسار صاحب طرابلس اليهِ واحرق الرَّبض ووقف صنجيل على بعض سقوفهِ المحرقة فانخسف بهِ فهلك وحُمل الى القدس ودُفن فيهِ . وفي سنة ٥٠٢ هـ سار طغركين اتابك من دمشق الى طبرية فزحف اليهِ ابن اخت بقدوين ملك القدس واقتتلوا فانكشف المسلمون ثم استماتوا وهزموا الفرنج واسروا ابن اخت الملك فقتلهُ طغركين بعد ان فادى نفسهُ بثلاثين الف دينار وخمسمائة اسير فلم يقبل منهُ الّا الاسلام او القتل . ولمّا كانت سنة ٥٠٣ هـ وصل القمص (ريمونْد) بن صنجيل بمراكب عديدة مشحونة بالرجال والسلاح والميرة وحاصروا طرابلس مع بقدوين ملك القدس ونصبوا عليها الأبراج . فاشتدَّ بهم الحصار وعدموا القوت لتأخُّر الاسطول المصري بالميرة فملكوها عنوةً واثخنوا فيها . ثم استولى الفرنج على بيروت عنوةً واجتمعوا مع قوم كثير ممن قصد الحجّ والغزو ونازلوا صيدا برًّا وبحرًا واسطول مصر يعجز عن انجادهم . ثم زحفوا الى صور في ابراج الخشب المصفّحة فضعفت نفوسهم ان يصيبهم مثل ما اصاب اهل بيروت فاستأمنوا فأمنهم الفرنج وعاد بقدوين الى القدس . ثم دخلت سنة ٥٠٤ هـ فقصد بقدوين الديار المصريّة فانتهى الى الفرما ودخلها وأحرقها وأحرق جامعها ومساجدها ورحل عنها راجعاً الى الشام وهو مريض فهلك في الطريق قبل وصولهِ الى العريش . فرحل اصحابهُ بجثتهِ فدفنوها بكنيسة القيامة (لابي الفداء ولمجير الدين الحنبلي)

ملك بقدوين الثاني (١١١٨ م) زنكي وفتوحاتهُ

٢٠٧ ووصى بقدوين ببلاده القمص صاحب الرُّها وهو بقدوين الثاني الذي كان اسرهُ جكرمش وأطلقهُ جاولي وكان حاضرًا في القدس لزيارة الحجّ . فسلّم امر الرها لجوسلين وكان شجاعًا من فحولهم أغار مرارًا على جموع العرب والتركمان وغنم اموالهم ومواشيهم . وفي عهد بقدوين الثاني سار ابو الغازي صاحب ماردين الى غزو الفرنج واجتمع بطغركين صاحب دمشق فاستولوا على رمبلة من اعمال دمشق وغيرها من بلاد الفرات فبالغوا في تحصينها واعتزموا على تخريب بلاد الفرنج . فاسروا وغنموا وقُتل صاحب انطاكية فاستنجد الفرنج ببقدوين فحشد العساكر وزحف الى مقاتلة المسلمين فناجزهم ابو الغازي وصدق الحملة عليهم فقاتلوهُ اشدّ القتال وهزموهُ . ثم رجع طغركين الى دمشق وأبو الغازي الى ماردين فاغتالتهُ بها المنيَّة . ثم قام بعدهُ بَلَك ابن أخيهِ فعاودوا الحرب ففتك بَلَك في الفرنج فتكة شنعاء فأسر جوسلين صاحب الرُّها وحبسهُ في خَرت برت فسار بقدوين اليهِ في جموعهِ فهزمهم بَلَك وأسر الملك وجماعة من زعمائهم وحبسهم في قلعة خرت برت مع جوسلين . ثم سار بَلَك الى حرّان وملكها ولمّا غاب من

خرت برت تحيّل الفرنج وخرجوا من محبسهم بمداخلة بعض الجند . وسار بقدوين الى بلده وملك الاخرون القلعة فعاد بَلَك اليهم وحاصرها وارتجعها من ايديهم ورتّب فيها الحامية . وفي سنة ٥١٨ ﻫ أخذ الفرنج يافا وملكوا مدينة صور بعد حصارٍ طويلٍ وكانت للخلفاء العلويين اصحاب مصر . وكان ملكها بالأمان فدخلها الفرنج وخرج المسلمون بما قدروا على حمله من اموالهم . وفي عهد بقدوين ظهر عماد الدين أتابك زنكي بن آقسنقر وكان أوّل امره ان السلطان محمود السلجوقي ولّاه على الموصل والجزيرة وديار بكر ثم استقلّ في ملكه واستولى على الشام وأورث بنيه ملكها . وكانت لهم دولة عظيمة ونشأت عن دولتهم دولة بني أيوب وتفرّعت منها . ثم سار زنكي الى قتال الفرنج وكانوا قد اجتمعوا على حلب وحاصروها فضاق الأمر على أهلها . فلمّا قرب زنكي من حلب اجفل عنهُ الفرنج ورحلوا عنها فسلّم أهل حلب المدينة والقلعة اليهِ . ثم اجتمع الفرنج سنة ٥٢٠ ﻫ وساروا الى دمشق ونزلوا مرج الصفر واستنجد طغركين صاحبها امراء التركمان من ديار بكر وغيرها فجاءوا اليهِ . وخرج الى الفرنج والتقى معهم فسقط طغركين في المعترك . فظنّ اصحابهُ انهُ قُتل فانهزم طغركين والخيّالة والفرنج في اتباعهم وقد اثخنوا في رجّالة التركمان . فلمّا اتبعوا المنهزمين خالف الرجّالة الى معسكرهم فنهبوا سوادهم وقتلوا من وجدوا فيهِ ولحقوا بدمشق ورجع الفرنج عن المنهزمين فوجدوا خيامهم وأثقالهم منهوبة فانهزموا ايضاً . فمات بعد زمان ملكهم بقدوين (١١٣١) (لابن خلدون)

فُلك (١١٣١ م) بقدوين الثالث (١١٤٥ م) حروب زنكي ووفاتهُ

٢٠٨ وصار الأمر الى فُلك من زعمائهم وفي عهدهِ سيّر زنكي عسكرًا كثيفًا لفتح دمشق فبعث معين الدولة أُنُر صاحبها الى ملك الفرنج ليستنجدهُ على مدافعتهِ على ان يحاصر قاشاش فإذا فتحها اعطاهم إيّاها . فاجابوا الى ذلك حذرًا من استطالة زنكي على دمشق فمحص الله عسكر زنكي فانهزموا . ثم سار معين الدولة مع الفرنج الى قاشاش فملكها وأعطاها الى الفرنج كما عاهدهم وكانت لزنكي . فاستحموا بها الحامية واستبدّ بها الفرنج . ثم استقام الأمر بعد فُلك لبقدوين الثالث (١١٤٥) . وفي ايامهِ مات صاحب الرها فسار عماد الدين اليها فحاصرها ثمانية وعشرين يومًا ونقب سورها ونصبوا عليها السلالم وتسلّموها وفتحوا البلد عنوةً واثخنوا في القتل والسبي والنهب . ثم نادوا بالأمان فتراجع النصارى الى البلد فاقرّوهم في الجزية . ثم أقام بها زنكي مدّةً حتى اصلح اسوارها وخنادقها فحسنت عمارتها وأنزل بها الحامية . ثم تسلّم مدينة سروج وسائر الأماكن التي كانت بيد الفرنج شرقيّ الفرات الّا البيرة لامتناعها . ومات زنكي صاحب الموصل سنة ٥٤١ ﻫ قتلهُ جماعة من مماليكهِ . وكان عماد الدين زنكي حسن الصورة اسمر اللون مليح العينين قد وخطهُ الشيب وكان قد زاد عمرهُ على ستين سنة . وكان شديد الهيبة على عسكرهِ . وكان لهُ للموصل وما معها من البلاد وملك الشام خلا دمشق . وكان شجاعًا فاتكًا وكانت الاعداء محيطة

بمملكتهِ من كل جهة وهو ينتصف منها ويستولي على بلادهم . ودُفِن في الرقة فولي امر الموصل بعدهُ اخوهُ قطب الدين مَوْدود . وكان اخوهُ الاكبر نورالدين محمود بالشام ولهُ حلب وحماة . فسار الى سَنجار وملكها ولم يحاققهُ اخوهُ قطب الدين ثم اصطلحا وأعاد نورالدين سنجار الى قطب الدين وتسلَّم هو مدينة حمص والرحبة فبقي الشام لهُ وديار الجزيرة لاخيهِ . فلمَّا قُتِل الاتابك زنكي طمع جوسلين ان يستردَّ الرها وكان مقيمًا في ولايتهِ في تل باشر فراسل أهل الرها وعامَّتهم من الارمن وحملهم على العصيان على المسلمين وتسليم البلد لهُ فاجابوهُ وأوعدوهُ ليوم عيَّنوهُ فسار في عسكرهِ وملك البلد . فزحف اليهم نورالدين واقتحم البلد واستباح اهلهُ

زحفة الفرنج الثانية الى المشرق (١١٤٧ م) غزوات نور الدين

٣٠٩ ولمَّا استولى المسلمون على الرها أخذ ظلّ الفرنج بالتقلص في المشرق فذهب القسوس والرهبان الى بلاد النصرانيَّة من الروم والفرنج يستنجدونهم على المسلمين ويخوفونهم استيلاءهم على انطاكية وما يخشى بعد ذلك من ارتجاعهم بيت المقدس . فتألبت امم الفرنج من كل ناحية وسيَّر وامددًا لهم على المسلمين لِما يرونهُ من تفرُّد هولاء بالشام بين عدوهم . فسار في سنة ٥٤٣ ﻫ ملك الفرنج (لويس الرابع) وملك الألمان (كونراد) مع الامراء في جموع عظيمة قاصدين بلاد الاسلام لايشكون في الغلب والاستيلاء لكثرة عساكرهم وتوفر عددهم وأموالهم فتجمَّعوا بالقسطنطينيَّة وساروا الى الشام فهلك منهم جمع كثير بدسائس ملك القسطنطينيَّة فلمَّا وصلوا الشام اجتمع عليهم عساكر بقدوين مستثلين امرهم . فجدُّوا بالمسير الى دمشق فحاصروها فقام معين الدولة أنز في مدافعتهم المقام المحمود . ثم قاتلهم الفرنج فنالوا من المسلمين بعد الشدَّة والمصابرة . فقوي الفرنج ونزل ملك الألمان الميدان الاخضر فبعث معين الدين الى سيف الدين غازي بن زنكي يدعوهُ الى نصرة المسلمين . فجمع عساكرهُ وسار الى الشام واستدعى أخاهُ نور الدين من حلب ونزلوا على حمص فبعث معين الدولة الى طائفتي الفرنج من سكَّان الشام والواردين مع الألمان يتهددهم بتسليم البلد الى صاحب الموصل . فلم يزل يضرب بينهم وجعل للفرنج حصن بانياس طُعْمة . فاجتمعوا الى ملك الألمان وخوَّفوهُ من صاحب الموصل وقتلوا لهُ في الذروة والغارب حتى رحل عن دمشق ورجع الى بلادهِ على البحر المحيط (١١٤٩ م) . وفي سنة ٥٤٦ ﻫ جمع نور الدين محمود عسكرهُ وسار الى بلاد جوسلين الفرنجي وهي شمالي حلب . وكان جوسلين فارس الفرنج غير مدافع قد جمع الشجاعة والرأي فسار في عسكرهِ نحو نور الدين فالتقوا واقتتلوا وانهزم المسلمون وقُتِل منهم وأُسِر جمع كثير . وكان في جملتهم سلاحدار نور الدين فاخذهُ جوسلين ومعهُ سلاح نور الدين فسيَّرهُ الى الملك مسعود بن قلج ارسلان صاحب قونية واقصرا وقال لهُ : هذا سلاح دار زوج ابنتك وسيأتيك بعدهُ ما هو اعظم منهُ . فلمَّا علم نورالدين الحال عظم عليه واعمل الحيلة على جوسلين وهجر الراحة ليأخذ ثارهُ .

وأحضر جماعة من الامراء التركمان وبذل لهم الرغائب ان ظفروا بجوسلين وسموه اليه . لانهُ علم عجزهُ عنهُ في القتال . فجعل التركمان عليهِ العيون فخرج متصيدًا فظفر بهِ طائفة منهم وحملوهُ الى نور الدين اسيرًا . فسار نور الدين الى قلاع جوسلين فملكها وهي عين تاب والراوندان ودلوك ومرعش وغير ذلك من اعمالهِ . وفي سنة ٥٤٨ ه ملك الفرنج مدينة عسقلان من يد العلويّة خلفاء مصر فاستطالوا على دمشق ووضعوا عليها الجزية . وكان صاحبها مجير الدين أنز واهي القوى مستضعف القوَّة فخشي نور الدين عليها من الفرنج . فكاتب أهل دمشق واستمالهم في الباطن ثم سار اليها وحصرها وملك المدينة فلحق مجير الدين بمدينة بغداد وأقام بها الى ان توفي واما نور الدين فزحف الى بعلبك واستنزل عنها صاحبها ونازل قلعة حارم وهي للفرنج فرحل عنها ولم يملكها . وفي بعض مسيره كبسهُ الفرنج وهو نازل في البُقَيعة تحت حصن الاكراد . فلم يشعر نور الدين وعسكرهُ الَّا وقد اظلَّت عليهم صلبان الفرنج وقصدوا خيمة نور الدين . فلسرعة ذلك ركب نور الدين فرسهُ وفي رجله السّنجة فنزل انسان كردي فقطعها فنجا نور الدين وقُتل الكردي فاحسن نور الدين الى مخلّفيهِ ووقف عليهم الوقوف . وسار نور الدين الى بُحَيرة حمص ولحق بهِ المنهزمون فتوافت اليهِ الامداد فسار الى حارم وأخذها من الفرنج بعد مصافّ جرى بين الفريقين وانتصر فيهِ نور الدين ودار رحى الحرب عليهم . ثم عزم على منازلة بانياس لقلَّة حاميتها فحاصرها وضيّق عليها ففتحها وشحن قلعتها بالمُقاتِلة والسلاح . وفي سنة ٥٥٤ه (١١٥٩ م) توفي بغدوين صاحب القدس في مدينة انطاكية (لابن الاثير)

ملك أموري (١١٥٩ م) وفاة نور الدين وظهور صلاح الدين

٢١٠ فقام بعدهُ بالأمر اماريك اخوهُ . وفي سنة ٥٥٦ ه تولّى العاضد لدين الله وهو آخر الخلفاء العلويّين بالديار المصريّة . وكانت دولة العلويّين بمصر قد أخذت في التلاشي وصار استبداد وزرائها على خلفائها . فهرب شاور وزير العاضد صاحب مصر من ضرغام الذي نازعهُ في الوزارة الى الشام ملتجئًا الى نور الدين ومستجيرًا بهِ . وطلب منهُ ارسال العساكر معهُ الى مصر ليعود الى منصبهِ ويكون لهُ ثلث دخل البلاد . فتقدَّم نور الدين بتجهيز الجيوش وقدَّم عليها اسد الدين شيركوه فتجهَّز وساروا جميعًا وشاور في صحبتهم . ووصل اسد الدين والعساكر الى مدينة بلبيس فخرج اليهم اخو ضرغام بعسكر المصريين ولقيهم فانهزم وخرج ضرغام من القاهره فقتل وخلع على شاور وأُعيد الى الوزارة . وأقام اسد الدين بظاهر القاهرة فغدر بهِ شاور وعاد عمَّا كان وعدهُ نور الدين . وأرسل الى الفرنج يستمدهم فسارعوا الى تلبية دعوتهِ ونصرتهِ فلما قربوا مصر فارقها اسد الدين وقصد مدينة بلبيس وجعلها ظهرًا يتحصن بهِ . فحصرهُ بها العساكر المصرية والفرنج ثلاثة اشهر وهو يغاديهم القتال ويراوحهم فلم يبلغوا منهُ غرضًا . فراسلهُ الفرنج في الصلح والعود الى الشام فاجابهم الى ذلك وسار الى الشام . ثم

عادهُ نور الدين الى مصر سنة ٥٦٢ هـ فاغار اسد الدين عليها ودوّخ بلادها . ثم هلك وقام صلاح الدين ابن اخيهِ مكانهُ . وفي ولايتهِ مات العاضد ومحا الله دعوة العلويين وذهب بدولتهم . فاستولى صلاح الدين على بلاد مصر وكان بها عاملاً لنور الدين ثم استطال صلاح الدين على نور الدين فاسترجعهُ فسار اليهِ صلاح الدين . ثم كرَّ راجعاً الى مصر وكتب لنور الدين يعتذر له بانهُ بلغهُ عن بعض سفلة العلويين بمصر انهم معتزمون على الوثوب . فلم يقبل نور الدين عذرهُ في ذلك واعتزم على عزلهِ عن مصر . فاستشار صلاح الدين اباه نجم الدين وكان خيّراً عاقلاً حسن السيرة ذا حزمٍ ورأيٍ فاشار عليهِ بملاطفة نور الدين ومراعاتهِ ففعل واظهر الطاعة . وكان نور الدين يستفحل ملكهُ مع الايام فدخل بلاد الفرنج وعبث بها فخافوا عن لقائه فاكتسح بلادهم وخرّب ما مرّ بهِ من القلاع . ثم شرع في التجهز لأخذ مصر من صلاح الدين بن أيوب فاتاه أمر الله الذي لا مردَّ له سنة ٥٦٩ هـ . وكان نور الدين اسمر طويل القامة ليس له لحية الّا في حنكه حسن الصورة وكان قد اتسع ملكهُ جداً وخطب له في الحرمين وفي اليمن ومصر وكان مولدهُ سنة ٥١١ هـ وطبّق ذكرهُ الارض بحسن سيرتهِ وعدلهِ . وكان في الزهد والعبادة على قدمٍ عظيم وكان يصلّي كثيراً من الليل فكان كما قيل :

جمع الشجاعة والخشوع لربّهِ ما احسن المحراب في المحرابِ

وهو الذي حصّن قلاع الشام وبنى الأسوار على مدنها لمّا تهدّمت بالزلازل . ولمّا توفي اجتمع الامراء والمقدَّمون وأهل الدولة بدمشق وبايعوا ابنهُ الملك الصالح اسماعيل وهو ابن احدى عشرة سنة . وأطاعهُ الناس بالشام . وكان صلاح الدين بمصر وخُطب له هناك وضرب السكّة باسمهِ ثم استفحل ملكهُ وعظمت دولة بني ايوب من بعده الى ان انقرضوا . ولمّا مات نور الدين سار ابن اخيهِ سيف الدين غازي من الموصل وملك جميع البلاد الجزيريَّة . واجتمع الفرنج وحاصروا قلعة بانياس من اعمال دمشق . فراسلهم أهل دمشق وتهدّدوهم بسيف الدين صاحب الموصل فصالحهم على مالٍ يبعثونهُ اليهم فتقرّرت الهدنة . وبلغ ذلك صلاح الدين فنكرهُ واستعظمهُ وكتب الى الصالح يقبّح مُرتكب أهل دمشق ويَعِدهم بغزوة الفرنج . وفي سنة ٥٧٠ هـ توفي اماريك ملك الفرنج صاحب القدس (١١٧٥) (كتاب الروضتين)

بقدوين الرابع (١١٧٥م) فتوحات صلاح الدين

٢١١ فعقبهُ في الملك ابنهُ بقدوين الرابع وكان مجذوماً . فلما رأى أهل دمشق ان العدو قد استفحل وكون ولد نور الدين طفلاً لا ينهض باعباء الملك كاتبوا صلاح الدين فطار اليهم . فخرج اليهِ أهل الدولة بمقدَّمهم وسلموا اليهِ المدينة فاستخلف عليها اخاهُ سيف الاسلام طغركين ابن ايوب . ثم سار الى محاربة سيف الدين غازي صاحب الموصل فاستولى على حمص وحماة ثم زحف الى حلب وأقام محاصراً لها وبها الملك الصالح بن نور الدين فاجتمع أهل حلب وقاتلوا

صلاح الدين وصدّوهُ عن حلب . وأرسل كمشتكين الى سنان مقدّم الاسماعيلية اموالاً عظيمة ليقتلوا صلاح الدين فارسل سنان جماعة فوثبوا على صلاح الدين فقتلوا غيرهُ . فرحل صلاح الدين عن حلب بسبب نزول الفرنج على حمص فاسترجعها . وملك بعلبك ثم سار الى ملاقاة سيف الدين فصدق عليهِ الحملة . فانهزم سيف الدين وغنم سوادهُ ومخلفهُ واتبع عساكر حلب حتى اخرجهم منها . وقطع صلاح الدين حينئذٍ الخطبة للملك الصالح وازال اسمهُ عن السكة واستبدَّ بالسلطنة . ورحل عن حلب سنة ٥٧٠ هـ ثم سار الى بلد الاسماعيلية فنهب بلادهم وخرّبهُ وأحرقهُ . ثم اتمّ مسيرهُ الى مصر فامر ببناء السور الدائر على مصر والقاهرة والقلعة التي على جبل المقطّم . ثم أمر ببناء المدرسة الشافعيَّة . ولمَّا دخلت سنة ٥٧٣ هـ سار صلاح الدين من مصر الى ساحل الشام لغزو الفرنج فوصل الى عسقلان . فاكتسح اعمالها ولم يرَ للفرنج خبرًا فانساح في البلاد وانقلب الى الرملة . فما راعهُ الّا الفرنج مقبلين في جموعهم وابطالهم وقد افترق اصحاب صلاح الدين في السرايا فتمَّت الهزيمة على المسلمين وقاربت حملات الفرنج السلطانَ فمضى منهزمًا الى مصر على البرّيَّة في فلّ قليل ولحقهم الجهد والعطش ودخل القاهرة . واخذت الفرنج العسكر الذين كانوا يتفرَّقون في الاغارات اسرى . فكان وَهنًا عظيمًا جبرهُ الله بوقعة حطّين (١١٦٩ م) . فطمع الفرنج بسبب بُعد السلطان بمصر وهزيمتهِ فهجموا على بلاد حماة وحارم وعاثوا فيها الى ان صانعهم المسلمون بالمال فرحلوا عنها . وفي سنة ٥٧٦ هـ توفي سيف الدين غازي صاحب الموصل والجزيرة ولهُ من العمر ثلاثون سنة وكان حسن الصورة مليح الشباب تامّ القامة ابيض اللون عاقلاً عادلاً عفيفًا من أموال الرعيَّة مع شحٍّ كان فيهِ . ثم توفي بعدهُ الملك الصالح بن نور الدين صاحب حلب . فسار صلاح من مصر واستخلف فيها ابن اخيهِ . ثم أغار على بيروت وسواحل الشام وانقلب الى الجزيرة وملك الرها والرقَّة وماردين ونصيبين وحصر الموصل وأقام عليها منجنيقًا . ثم علم انَّ حصارها يطول فاقلع عنها واحتلَّ مدينة حلب واقطعها اخاهُ الملك العادل . ثم سار الى الكرك وضيق مخنقها فجمعت الفرنج فارسها وراجلها فلم يتمكن السلطان من فتحها . فسار الى نابلس واحرقها ونهب ما بتلك النواحي وقتل وأسر وسبى ثم عاد الى دمشق . فلم يلبث ان خرج ثانيًا الى حصار الموصل فلم ينل منها بغيتهُ واستقرَّ الصلح بينهُ وبين صاحب الموصل بان يسلّم صاحب الموصل الى السلطان شهرزور وأعمالها وان يخطب لهُ ويضرب اسمهُ على الدراهم. فانحرف عن الموصل وأقام بحرَّان مريضًا واشتد بهِ المرض حتى أيسوا منهُ ثم انهُ عوفي وعاد الى دمشق (لابي الفداء وابن خلدون)

بقدوين الخامس (١١٨٥ م)

٣١٣ وكان بقدوين الرابع ملك القدس قد مات بالشام (١١٨٥م) وأوصى بالمُلك لابن اخيهِ صغيرًا فكفلهُ أرناط صاحب طرابلس . فقام أرناط بتدبير المُلك وكان من أعظم الفرنج

مكرًا وأشدّهم ضررًا وطمع ان تكون كفالتهُ ذريعةً الى الملك . ثم مات الصغير (بغدوين الخامس) فتزوجت الملكة ابن عمّ (غي دي لوسينيان) من الفرنج القادمين من المغرب وتوّجتهُ . وأحضرت البطرك والقسوس والرهبان والاستبارية والدواوية والبارونة واشهدتهم خروجها لهُ عن الملك . فأنِف أرناط وغضب وجاهر بالشقاق لهم . ووراسل صلاح الدين فسار بفرقة من عسكرهِ الى الكرك فحاصرها . وأمر ابنهُ الأفضل بارسال بَعث الى عكّا ليكتسحوا نواحيها . فصبحوا صفّورية وبها جمع من الفداوية والاستبارية فبرزوا اليهم . وكانت بينهم حروب شديدة تولى الله النصر فيها للمسلمين فانهزم الفرنج وقُتِل مقدّمهم . ثم سار صلاح الدين بنفسهِ ونزل على طبريّة وحصر مدينتها وفتحها عنوةً بالسيف . وكانت طبريّة للقومص (أرناط) وكان قد هادن السلطان ودخل في طاعتهِ . فارسلت الفرنج الى القومص المذكور القسوس والبطرك يَنهونهُ عن موافقةِ السلطان ويوبخونهُ فسار معهم واجتمع الفرنج لملتقى السلطان

ذكر وقعة حطّين (١١٨٩م)

٢١٣ فرحل الفرنج من وقتهم وساعتهم وقصدوا طبريّة للدفع عنها . فاخبرت الطلائع الاسلاميّة الامراء بحركة الفرنج فالتقى العسكران على سطح جبل طبريّة قرب تلّ يقال له تل حطّين فلما حان القتال خرج القومص محرضًا الناس يقول لهم : لا قعود بعد اليوم . ولا بدَّ لنا من رقم القوم . واذا أُخذت طبريّة أُخذت البلاد . وذهبت الطراف والتِلاد . فما يبقَ لنا صبرٌ . ولا بعد هذا الكسر جبرٌ . فالمسيح لنا والصليب معنا والمعمودية عمدتنا . والنصرانيّة نصرتنا . ورماحنا . قراحنا . وصحافنا . صفاحنا . وفي لوائنا اللأواء ومع اودّائنا الداوية الادواء . وطوارقنا الطوارق . وبيارقنا البوائق . وسيف الاستبار بتّار تيّار . ولقرن الباروني من مقارنتهِ بَوار . وقد عمّ بحرنا الساحل . وشدّد بابهُ المعاقد والمعاقل . وهذه الارض تسعنا نيفًا وتسعين سنةً . وسلاطين الاسلام ما صدقوا ان يسلموا الينا ويسالمونا . ويبذلوا لنا القطائع ويقاطعونا . وطالما ناصفونا وما صافونا . وهادونا وهادنونا . وفي جمعنا تفريقهم . وفي فيئتنا تعويقهم

ثم ماجت خضارمهم . وهاجت ضراغمهم . وطارت قشاعمهم . وثارت غماغمهم . وسدّت الآفاق غمائمهم . وهم كالجبال السائرة . وكالبحار الزاخرة . امواجها ملتطمة وافواجها مزدحمة . وفجاجها محتدمة واعلاجها مصطلمة . وقد جوي الجوّ . وضوي الضوء . ودوى الدوّ . وحوافر الحوافز للارض حوافر . والفوارس اللوابس في البيض سوافر . فرتّب السلطان في مقابلتهم اطلابهُ . وقصر على مقاتلتهم آراءهُ . وحجز بينهم وبين الماء . وللبوم قيظ . وللقوم غيظ . فنفر النفير وتصادم العسكران والتحم القتال فايقن القوم بالويل والثبور . وأحسّت نفوسهم انهم في غد زوّار القبور . كلّما خرجوا جرحوا . وبرح بهم مرّ الحرب فما برحوا . وحملوا وهم ظماء . وما لهم سوى ما بايديهم من ماء الفرند ماء . فشوتهم نار السهام وأشوتهم . وصمّمت عليهم

قلوب القسيّ القاسية وأصمتهم . وانجزوا وارعجوا . واحرجوا وأخرجوا . وكلّما حملوا رُدّوا وأُردُوا . وكلّما ساروا وشدّوا أُسِروا فاضطرموا واضطربوا . والتهفوا والتهبوا . فأووا الى جبل حطّين يعصمهم من طوفان الدمار . فاحاطت بحطّين بوارق البوار . فرشقتهم الحنايا . وفشرختهم المنايا . وصاروا للردى درايا . ومن بقي منهم فجرّدوا العزيمة . واحتالوا في الهزيمة . وأسروا الملك والبرنس أرناط ومقدم الفداوية . ولم يصابوا منذ ملكوا هذه البلاد بمثل هذه الوقعة . ثم استحضر صلاح الدين الأسرى وأوقع البرنس أرناط على ما قال وقال له : ها انا انتصر لمحمد ثم عرض عليه الاسلام فلم يفعل . ثم سلّ النجاء . وضربه بها . وقتل أسرى الفداوية والاستبارية اجمعين ثم استحضر الملك وأمّنه وطيّب قلبه (الفتح القدسي لعماد الدين الكاتب)

فتح القدس لصلاح الدين (١١٨٩م)

٢١٤ ولمّا فرغ صلاح الدين من طبرية سار عنها الى عكا فنازلها واعتصم الفرنج الذين بها بالأسوار واشاروا بالاستئمان فأمنهم . ثم ملك قيسارية وحيفا ويافا وصيدا وبيروت وجبل عسقلان . ثم شمّر عن ساق الجدّ والاجتهاد في قصد القدس . وكان نزوله عليه في رجب سنة ٥٨٣ هـ فنزل بالجانب الغربي . وكان مشحوناً بالمقاتلة والخيّالة والرجّالة . ثم انتقل لمصلحة رآها الى الجانب الشمالي ونصب عليه المناجيق وضايقه بالزحف والقتال وكثرة الرماة حتى اخذ النقب في السور ممّا يلي وادي جهنّم . فلمّا رأى العدو ما نزل بهم من الأمر الذي لا يندفع عنهم وظهرت لهم أمارات نصرة السلطان وكان قد القى في قلوبهم ممّا جرت على ابطالهم ورجالهم في السبي والقتل والأسر وما جرى على حصونهم من الاستيلاء والأخذ علموا انهم الى ما صاروا اليه صائرون . وبالسيف الذي قُتل به اخوانهم مقتولون . واستكانوا واخلدوا الى طلب الأمان . فأبى السلطان وقال : لا افعل بكم الّا كما فعلتم بالمسلمين حين ملكتموه سنة ٤٨١ هـ من القتل والسبي . فقال له باليان : ايها السلطان اعلم اننا اذا رأينا ان الموت لا بدّ منه لنقتلنّ اولادنا ونساءنا ونحرق أموالنا ولا نترككم تغنمون منّا ديناراً ولا درهماً . ولا تسبون وتأسرون رجلاً أو امرأة . فاذا فرغنا من ذلك أخربنا الصخرة والمسجد الأقصى ثم نقتل مَن عندنا من أسارى المسلمين وهم خمسة آلاف أسير ولا نترك لنا دابّة ولا حيواناً الّا قتلناه . ثم خرجنا كلّنا وحينئذ لا يُقتل الرجل منّا حتى يَقتل أمثاله ونموت اعزّاء ونظفر كرماء . فاستشار صلاح الدين اصحابه فاجمعوا على اجابتهم الى الأمان . وان لا يخرجوا ويحملوا على ركوب ما لا يُدرى عاقبة الأمر فيه عن اي شيء تنجلي . فاجاب صلاح الدين حينئذ الى بذل الأمان للفرنج واستقرّ ان يزن الرجل عشرة دنانير يستوي فيه الغني والفقير وتزن المرأة خمسة دنانير ويزن الطفل من الذكور والاناث دينارين . فمن أدّى ذلك الى أربعين يوماً فقد نجا والا صار مملوكاً . فبذل باليان عن الفقراء ثلاثين الف دينار فأجيب الى ذلك . وسلّمت المدينة يوم الجمعة السابع

والعشرين من رجب فخلّف اخاه الملك العادل بالقدس يقرّر قواعدها . وتحرّر عزمه على قصد صور لمحاصرتها فامتنعت عنهُ . فعدل الى فتح قلعة جَبلة ودخل اللاذقيّة واستولى على قلعة صهيون . ثمَّ سار الى مدينة صور وقد خرج اليها المركيس وصار صاحبها وقد ساسها أحسن سياسة . فقسم صلاح الدين القتال على العسكر كلّ جمعٍ لهم وقتٌ معلوم يقاتلون فيهِ بحيث يتّصل القتال على أهل البلد . على ان الموضع الذي يقاتلون فيهِ قريب المسافة تكفيهِ الجماعة اليسيرة من أهل البلد تحفظهُ . وعليهِ الخنادق التي قد وصلت من البحر الى البحر فلا يكاد الطائر يطير عليها . لان المدينة كالكف في البحر والساعد متّصل بالبرّ والبحر في جانبي الساعد والقتال انما هو في الساعد فلذلك لم يتمكّن منها صلاح الدين ورحل عنها (لابي الفرج الملطي)

زحفة الفرنج الثالثة الى المشرق (١١٩٠م)

٢١٥ فلما تمَّ الخطب على الفرنج بفتح القدس بعثوا الرهبان والاقسّة الى بلادهم بخبر بيت المقدس واستنصار النصرانيّة لها . فقام ملكُ الفرنسيس (فيليب) وملكُ انكلطرّة (ريكارد) وملك الألمان وجمعوا عساكرهم وساروا للجهاد . فسار فيليب وملك الانكتار بحرًا وقصد ملك الألمان قسطنطينيّة فعجز ملك الروم (ايساكيوس انكلوس) عن منعهِ وكان عاهد صلاح الدين بذلك . فكتب الى السلطان يعلمهُ : من ايساكيوس انكلوس ضابط الروم الى النسيب سلطان مصر صلاح الدين المحبّة والمودّة : قد وصل خط نسبتك الذي نفذت الى ملكي فما اظنّ ان نسبتك تسمع اخبارًا وديّة وانهُ قد سار في بلادي الألمان . ولا غروَ فان الاعداء يرجفون باشياء كذب على قدر اغراضهم . ولو تشتهي ان تسمع الحقّ فانهم قد تأذّوا وتعبوا كثيرًا وقد خسروا كثيرًا من المال والدواب والرجال ومات منهم وقُتِلوا . وبالشدَّة قد تخلّصوا من ايدي اجناد بلادي وقد ضعفوا . وبحيث انهم لا يصلون الى بلادك فان وصلوا كانوا ضعافًا بعد شدَّة كبيرة لا ينفعون جنسهم ولا يضرُّون نسبتك (تمّ) . ثم عبر ملك الألمان خليج القسطنطينيّة ومرّوا بمملكة قليج ارسلان وتبعهم التركمان يحفّون بهم ويتخطفون منهم وكان الفصل شتاء فهلك اكثرهم من البرد والجوع . ولما وصلوا الى بلاد طرسوس اقاموا على نهر (السيدنوس) ليعبروه فعنَّ لملكهم أن يسبح فيهِ فهلك غرقًا . فملك بعده ابنهُ واعتمّوا المسير الى الشام فبلغوا طرابلس وقد افناهم الموت ولم يبقَ منهم الَّا ستة آلاف رجل . وهلك ابن ملك الألمان في عكّا وحزن الفرنج عليهِ حزنًا عظيمًا . ثم وصل ملك الفرنسيس بحرًا . وكان عظيمًا عندهم مقدمًا محترمًا من كبار ملوكهم تنقاد اليهِ العساكر باسرها بحيث اذا حضر حكم على الجميع . وقدم في ست بَطَس تحملهُ وميرتهُ وما يحتاج اليهِ من الخيل وخواصّ اجنادهِ . ثم وصل بعده ملك الانكتار وكان شديد البأس بينهم عظيم الشجاعة قوي الهمَّة لهُ وقعات عظيمة ولهُ جسارة على الحرب وهو دون الفرنسيس عندهم في الملك والمنزلة لكنهُ اكثر مالًا منهُ وأشهر في

الحرب والشجاعة . وكان من خبره انهُ وصل الى جزيرة قبرس ولم يرَ ان يتجاوزها الّا وان تكون لهُ وفي حكمهِ . فاستولى عليها ثم زحف الى الشام (سيرة صلاح الدين لابن شازي)

حصار عكا والصلح (١١٩١م) زحفة الفرنج الرابعة (١١٩٦م)

٢١٦ فاتّفق الفرنج جميعاً على الرحيل الى عكّا ومحاصرتها فنزلوا عليها وأحاطوا بها من البحر الى البحر فليس للمسلمين اليها طريق . فنزل صلاح الدين قبالتهم وبعث الى الأطراف يستنفر الناس . فجاءت عساكر الموصل وديار بكر وسائر الجزيرة وبقي المسلمون يغادون القتال ويراوحونهُ اشهرًا . فتتابعت أمداد الفرنج من وراء البحر لاخوانهم المحاصرين لعكّا حتى جهد المسلمين بعكّا الحصارُ وضعفت نفوس أهل البلد ووهنوا . فبعثوا الى الفرنج في تسليمها على ان تصالحهم على الأمان فيعطوهم مائتي الف دينار ويطلق لهم خمسمائة اسير ويعيد لهم الصليب المصلوب فاجابوا الى ذلك . فدخل الفرنج عكّا واستراحوا ممّا كانوا فيهِ . ثم تخلّف صلاح الدين عن وفاء الشروط فركب الفرنج وخرجوا ظاهر المدينة بالفارس والراجل وركب المسلمون اليهم وحملوا عليهم فانكشفوا عن موقفهم . فوضع الفرنج السيف في المسلمين وقتلوا الأسرى . فلمّا رأى صلاح الدين ذلك رحل الى ناحية عسقلان واخربها . ثم همَّ بترميم ما ثُلِم من أسوار القدس وسدَّ فروجهُ وأمر بحفر خندق خارج الفصيل . فنُقِلت الحجارة للبنيان وكان صلاح الدين يركب الى الأماكن البعيدة وينقلها على منكبيهِ فيقتدي بهِ العسكر . ثم سار ملك الانكتار في ساقة الفرنج فحملهم وانهزموا الى يافا . فاقاموا بها والمسلمون قبالتهم ثم ساروا الى قيسارية والمسلمون يتبعونهم ثم رحلوا الى ارسوف فسبقهم المسلمون اليها فحملوا على المسلمين وهزموهم . ثم ساروا الى داروم ثم الى القدس فانتهوا الى بيت قوجة على فرسخين من القدس . فاستعدّ صلاح الدين للحصار فوفد عليهِ رسول الفرنج وعقدت الهدنة معهم . وكان سبب ذلك ان ملك الانكتار قد طال مغيبهُ عن بلادهِ وطال عليهِ البيكار . فكاتب الملك العادل يسألهُ الدخول على السلطان فاجاب السلطان الى ذلك واتّفق عليهِ رأي الامراء لما حدث عند العسكر من الضجر ونفاد النفقات . فتحالفوا على ذلك ولم يحلف ملك الانكتار بل أخذوا يدهُ وعاهدوهُ . واعتذر بان الملوك لا يحلفون وقنع السلطان بذلك . وكانت الهدنة على ان يستقرّ بيد الفرنج يافا وقيسارية وارسوف وحيفا وعكّا مع اعمالها وان تكون عسقلان خرابًا وأذن للفرنج في زيارة القدس . وكان يومًا مشهودًا غشي الناس من الطائفتين من الفرح والسرور ما لا يعلمهُ الّا الله . وارتحل ملك انكلطرّة في البحر عائدًا الى بلدهِ . وأقام الكند هنري صاحب صور بعد المركيس ملكًا على الفرنج بسواحل الشام وتزوّج الملكة التي كانت تملكهم قبلهُ . وكرّ صلاح الدين راجعًا الى دمشق وكانت وفاتهُ فيها سنة ٥٨٩ هـ وعمرهُ سبع وخمسون سنة . وكان صلاح الدين حليمًا كريمًا حسن الاخلاق متواضعًا صبورًا كثير التغافل عن ذنوب اصحابهِ .

وكان ذا سياسة حسنة وهيبة عظيمة وعدلٍ وافر وغزوات كثيرة . وكان يوم وفاته لم يُصب الاسلام والمسلمين بمثله منذ فقدوا الخلفاء الراشدين . وغشي القلعة والبلد والدنيا من الوحشة ما لم يعلمهُ الّا الله . فيتمنّى الناس ان يكونوا فداءً من يعزّ عليهم . واستقرّ بعده الملك لابنهِ العزيز عثمان في مصر ولولده الملك الأفضل بدمشق . ولمّا توفي صلاح الدين وملك اولادهُ بعدهُ جدَّد العزيز الهدنة مع الكند هنري ملك الفرنج كما عقد ابوهُ معهُ . وكان أمير بيروت يبعث الشواني للاغارة على الفرنج فشكوا ذلك الى العادل فلم يكفّهم . فارسلوا الى ملوكهم وراء البحر يستنجدونهم فامدّوهم بالعساكر واكثرهم من الألمان . فوصل منهم جمع عظيم الى الساحل واستولوا على قلعة بيروت . فسار الملك العادل صاحب الجزيرة الى يافا واتتهم النجدة من مصر والجزيرة . فملكوا المدينة وخربوها وامتنع الحامية بالقلعة فحاصروها وفتحوها عنوةً واستباحوها . فجاء الفرنج من عكّا لصريخ اخوانهم فبلغهم وفاة الكند هنري فرجعوا ثم اعتزموا ونازلوا تبنين سنة ٥٩٤ هـ فارسل الملك العادل الى الملك العزيز صاحب مصر . فسار العزيز بنفسهِ واجتمع بعمّهِ على تبنين فرحل الفرنج على اعقابهم الى صور خائبين . ثم اختاروا لهم ملكاً صاحب قبرس اموري الثاني خليفة غيدو فجاءهم وزوَّجوهُ بملكتهم زوجة الكند هنري . ثم تناوش المسلمون والفرنج القتال ثم تراسلوا مع الملك العادل في الصلح وانعقد بينهم في السنة ورجع العادل الى دمشق وسار الفرنج الى بلادهم (لابن شازي)

زحفة الفرنج الخامسة واستيلاؤهم على القسطنطينية (١١٩٨—١٢٠٤م)

٢١٧ كان هولاء الفرنج بعد ما ملكوا الشام اختلفت احوالهم في الفتنة والمهادنة مع الروم التي كانت بايديهم من قبل . وظاهرهم الروم على المسلمين في بعض المرات فملكوا مدينة القسطنطينية من الروم . وكيفيّة الخبر عن ذلك ان ملوك الروم اصهروا الى ملوك الفرنج وتزوَّجوا منهم بنتاً لملك الروم فولدت ابناً . ثم وثب على الملك اخوهُ فانتزع الملك من يدهِ وحبسهُ . فلحق الولد بملك الفرنج مستصرخاً بهِ فوصل اليهم وقد تجهَّز الفرنج لاستنقاذ القدس من يد المسلمين وانتدب لذلك ثلاثة من ملوكهم دموس البنادقة وهو صاحب الاسطول الذي ركبوا فيهِ وكان شيخاً أعمى لا يركب ولا يمشي الّا بقائد ومقدّم الفرنسيس ويسمّى المركيش والثالث يسمّى كند فلندر وهو أكثرهم عدداً . فجعل الملك ابن أختهِ معهم وأوصاهم بمظاهرتهِ على ملك القسطنطينيّة ولمّا وصلوا اليها خرج عمُّ الصبي وقاتلهم . وأضرم شيعة الصبي النار في نواحي البلد فاضطرب العسكر ورجعوا وفتح شيعة الصبي باب المدينة وادخلوا الفرنج وخرج عمّهُ هارباً . ونصّب الفرنج الصبي في الملك واطلقوا اباهُ من السجن واستبدُّوا بالحكم . فعظُم ذلك على الروم فوثبوا على الصبي وقتلوهُ واخرجوا الفرنج من البلد . فاقام الفرنج بظاهرها محاصرين لهم فاقتحموها وافحشوا في النهب ونجا كثيرٌ من الروم الى الكنائس واعظمها كنيسة ايا صوفيا فلم تغنِ عنهم . ثم تنازع الملوك الثلاثة

على الملك بها وتقارعوا فخرجت القرعة على الكند فلندر فملكها على ان يكون لدموس البنادقة الجزائر البحرية اقريطش وردس وغيرها ويكون لمركيش الفرنسيس الخليج مثل نيقية وفيلادلف ولم تدم لهُ فانها تغلّب عليها بطريق من بطارقة الروم اسمهُ لشكري . ولم تزل القسطنطينيّة بيد الفرنج الى سنة ٦٦٠ هـ فقصدها الروم واستعادوها من الفرنج

ولمّا ملك الفرنج القسطنطينيّة من يد الروم تكالبوا على البلاد ووصل جمع منهم الى الشام وارسوا بعكّا عازمين على ارتجاع القدس من المسلمين . ثم ساروا في نواحي الاردن فاكتسحوها وكان العادل بدمشق استنفر العساكر من الشام ومصر . وسار فنزل بالطور قريباً من عكّا لمدافعتهم وهم قبالتهُ وساروا الى كفركنّا فاستباحوهُ . ثم تراسلوا في المهادنة على ان ينزل لهم العادل عن كثير من مناصف الرملة وغيرهم ويعطيهم يافا . ولمّا استقرّت الهدنة اعطى العساكر دستورًا وسار الى مصر وأقام في دار الوزارة . فقصد الفرنج حماة وقاتلهم صاحبها ناصر الدين فهزموهُ . وفي سنة ٦٠٣ هـ أكثر الفرنج الغارات بالشام بحدثان ما ملكوا القسطنطينيّة فعجز المسلمون عن دفاعهم . وأغار اهل قبرس في البحر على اسطول مصر فظفروا منهُ بعدّة قطع وأسروا مَن وجدوا فيها . فبعث العادل الى صاحب عكّا يحتجّ عليهِ بالصلح فاعتذر بان أهل قبرس في طاعة افرنج القسطنطينيّة وانهُ لا حكم لهُ عليهم فخرج العادل في العساكر الى عكّا حتى صالحهُ صاحبها على اطلاق اسرى من المسلمين . ثم نازل طرابلس ونصب عليها المجانيق وعاث العسكر في بلادها وقطع قناتها ثم عاد عنها الى دمشق (لابن خلدون)

زحفة الفرنج السادسة الى المشرق (١٢١٦م) الزحفة السابعة (١٢٢٨م)

٢١٨ كان صاحب روميّة اعظم ملوك الفرنج بالعدوة الشماليّة من البحر الرومي وكانوا كلهم يدينون بطاعتهِ . فبلغهُ اختلاف احوال الفرنج بساحل الشام وظهور المسلمين عليهم فانتدب الى امدادهم وجهّز اليهم العساكر فامتثلوا امرهُ من اياالتهِ . وتقدّم الى ملوك الفرنج ان يسيروا بانفسهم وتوافت الامداد الى عكّا سنة ٦١٤ هـ . فسار الملك العادل من مصر الى نابلس فبرز الفرنج ليصدّوه وكان في خِفّ من العساكر فحجم عن لقائهم فاغاروا على بلاد المسلمين ونازلوا بانياس ورجعوا الى عكّا وامتلأت ايديهم من النهب والسبي . ثم حاصروا حصن الطور وهو الذي اختطّهُ الملك العادل فرجعوا عنها . فبعث السلطان وخربها لئلا يملكها الفرنج وخرب اسوار القدس حذرًا عليهِ منهم ثم سار الفرنج في البحر الى دمياط وارسوا بسواحلها والنيل بينهم وبينها . وكان على النيل برج حصين تمرّ منهُ الى سور دمياط سلاسل من حديد محكمة تمنع السفن في البحر الملح ان تصعد في النيل الى مصر . فلما نزل الفرنج بذلك الساحل خندقوا عليهم وبنوا سورًا بينهم وبين الخندق وشرعوا في حصار دمياط واستكثروا من آلات الحصار فبعث العادل الى ابنهِ الكامل الامر بان يخرج في العساكر ويقف قبالتهم ففعل . وألحّ الفرنج على قتال ذلك البرج اربعة

اشهر حتى ملكوهُ. فعبروا الى البر المتّصل بدمياط واشتدَّ في قتالها وهي في قلّة من الحامية لاجفال المسلمين عنها بغتــةً . ولمّا جهدهم الحصار وتعذّر عليهم القوت استأمنوا الى الفرنج فملكوها سنة ٦١٦ هـ وقاموا في عمارتها وتحصينها وأقام الكامل قريباً منهم لحماية البلاد وبنى المنصورة بقرب مصر عند مفترق البحر من جهة دمياط . وكان الكامل قد خلف اباهُ السلطان العادل بالملك في مصر وكان العادل قد توفي سنة ٦١٥ هـ وكان لهُ من العمر خمسٌ وسبعون سنة . وكان العادل حازماً متيقناً غزير العقل سديد الآراء ذا مكر وخديعة أتتهُ السعادة واتّسع ملكهُ . وفي سنــة ٦١٨ هـ كان اجتماع الملك المعظّم والملك الأشرف مع نجدة صاحب ماردين وعسكر حلب والملك الناصر صاحب حماة والملك المجاهد صاحب حمص واتّصال الجميع بالملك الكامل على عزم قصد الفرنج وردّ دمياط منهم . فاحاطوا بهم وضيّقوا السبيل عليهم فاجابوا الى الصلح على تسليم دمياط واطلاق ما بايديهم من أسرى المسلمين واطلاق ما بايدي المسلمين من أسراهم وقرّر الصلح الدكاد نائب البابا وملك عكّا وملوك فرنجة ومقدّمو الفداوية والاسبتارية . وتسلّم الكامل دمياط يوم الاربعاء تاسع عشر رجب وكانت مدّة مقام الفرنج بها سنة كاملة وأحد عشر شهراً

وفي سنة ٦٢١ هـ قدم امبراطور الألمان الى عكّا مع جموعهِ والامبراطور معناهُ ملك الامراء. واسم الامبراطور المذكور فَرَديك (فريدبريك الثاني) وكان بين ملوك الفرنج محبّاً للحكمة والمنطق والطب مائلاً الى المسلمين . وكان الملك الكامل قد أرسل اليهِ فخر الدين يستدعيهِ الى قصد الشام بسبب اخيهِ المعظّم . فوصل الامبراطور وقد مات المعظّم فنشب بهِ الملك الكامل . ولمّا وصل الامبراطور استولى على صيدا وكانت مناصفة بين المسلمين والفرنج وسورها خراب . فعمّر الفرنج سورها واحتلوا فيهــا ثمّ ترددت الرسل بين الملك الكامل وبين الامبراطور . ولمّا طال الامر ولم يجد الملك الكامل بُدًّا من المهادنة اجاب الامبراطور الى تسليم القدس اليهِ على ان تستمرّ اسوارها خراباً ولا يعمّرها الفرنج . ولا يتعرّضوا الى قبّة الصخرة ولا الى الجامع الأقصى ويكون الحكم في الرساتيق الى والي المسلمين . ويكون لهم من القرايا ما هو على الطريق من عكّا الى القدس فقط ووقع الاتفاق على ذلك وتحالفــا عليهِ . وتسلّم الامبراطور القدس ورجع الى عكّا وركب البحر الى بلدهِ . وكانت وفاة الملك الكامل صاحب مصر بدمشق سنة ٦٣٥ هـ . فاستولى على مصر ابنهُ العادل فخرج بعد وفاة الكامل صاحب الكرك الناصر داود الى القدس وكان الفرنج عمّروا قلعتها فحاصرها وفتحها وضرب القلعة وخرّب برج داود (لابي الفداء)

زحفة الفرنج الثامنة الى المشرق (١٢٤٨ — ١٢٥٢م)

٢١٩ كان ملك افرنسة (هو لويس بن لويس) من أعظم ملوك الفرنج ويسمّونهُ ريد افرنس فاعتزم على سواحل الشام وسار لذلك كما سار من قبلهِ ملوكهم . فخرج قاصداً الديار المصريّة فجمع عساكرهُ فارسها وراجلها وركب البحر باموالٍ جزيلة وأهبة جميلة فاجاز الى

قبرس وشتّى بها . ثم عبر سنة ٦٤٧ هـ الى دمياط وبها بنو كنانة انزلهم الصالح ابن الملك العادل بها حامية . فلما رأوا ما لا قبل لهم به اجفلوا عنها . فملكها ريد افرنس بغير تعب ولا قتال وكان هذا من أعظم المصائب . فبلغ الخبر الى الصالح وهو بدمشق وعساكره تاز له بحمص فكرّ راجعاً الى مصر ونزل المنصورة وقد اصابه بالطريق وعك . فامر بصلب الامراء المنهزمين من دمياط وكانوا أربعة وخمسين اميراً فاشتدّ عليه فتوفي . وكان ملكه في الديار المصرية تسع سنين وكان مهيبًا عالي الهمة عفيفًا طاهر اللسان والذيل وكان جمع من المماليك الترك ما لم يجمع غيره . وكتم أهل الدولة موته حذرًا من الفرنج وقامت زوجته شجرة الدرّ بالأمر وكانت تركية داهية لا نظير لها في النساء والرجال . فجمعت الامراء وقوّت جاشهم واستحلفتهم . فبايعوا ابن الصالح الملك المعظّم تورانشاه ثم انتشر خبر الوفاة . فشرِهَ الفرنج الى قتال المسلمين ودلف طرف منهم الى المعسكر فانكشف المسلمون وقتل الاتابك فخر الدين مقدم العسكر . ودخل الفرنج المنصورة ولم ينالوا منها نيلاً طائلاً لانهم حصلوا مضايق أزقتها . وكانت العامة يقاتلونهم بالحجارة والآجرّ والتراب وخيولهم الضخمة لم تتمكّن من الجولان بين الدروب . ثم عبّى ريد افرنس جيوشه وسار بهم طالبًا ارض مصر فصبر المصريون الى ان عبر الفرنج الخليج من النيل المسمّى اشمون فتوجّهوا نحوهم والتقى العسكران واقتتل الفريقان قتالاً شديدًا وانجلت الحروب عن كسرة الفرنج برًّا وبحرًا . فضعفت حالهم لذلك فارسلوا يطلبون القدس وبعض الساحل وان يسلّموا دمياط الى المسلمين فلم تقع الاجابة الى ذلك . ثم أقام الفرنج قبالة المسلمين بالمنصورة وفنيت أزوادهم وانقطع عنهم المَدَد من دمياط فلم يبق لهم صبر على المقام . فرحلوا متوجهين الى دمياط وركب المسلمون اكتافهم وبذلوا فيهم السيف فلم يسلم منهم الّا القليل وقُتِل منهم اكثر من ثلاثين الفًا . واعتقل الملك ريد افرنس ومعه جماعة من خواصه واكابره . وفي خلال ذلك هلك الملك المعظّم قتله المماليك لشهرين من ملكه وقدّموا عليهم اميرًا منهم يُلقّب بعز الدين التركماني . ونهضوا الى ريد افرنس وجدّدوا معه اليمين وافتدى منهم بالف الف دينار وتسليم دمياط فاطلقوه . فاقلع مع اصحابه الى عكّا سنة ٦٤٨ هـ واتمّ عمار يافا وهدم المسلمون سور دمياط لما حصل للمسلمين عليها من الشدّة مرّة بعد أُخرى . ثم استقرّ الملك بعد قتل شجرة الدر في ايدي الأشرف موسى فبقي في امارته مدّة وعُزِل لخمس سنين من ولايته وانقرض به مُلك بني أُيوب . واجتمعت مصر والشام في مملكة الترك فاستبدّوا بالملك . وكان أوّل ملكهم المعز ايبك التركماني ثم خلفه ابنه المنصور خلعه قطز المعزي فاستبدّ بالملك وارتجع الشام من التتر وكانوا استولوا عليها سنة ٦٥٨ هـ . ثم قتل المظفّر قطز واستقلّ الظاهر بيبرس البندقداري سنة ٦٥٨ هـ ثم جهّز العساكر فسار الى مقاتلة التتر فاجفلوا وولّوا هاربين . وقصد قيساريّة وهي للفرنج فاقتحم عليها وفتحها وشنّ على اعمالها الغارة . وسرّح عسكرًا الى حيفا وأرسوف وملكهما

عنوةً ثم كرَّ راجعاً الى طرابلس وبها بويموند الفرنجي فلم يدرك منها وطرهُ . فسار الى صفد وفتحها واستلحم الفرنج الذين بها وافحش في قتلهم ثم رجع الى مصر وأمر بتجديد الجامع الأزهر واقامة الخطبة بهِ . ثم خرج الى دمشق واكتسح بسائط عكاً واحتلَّ مدينة يافا وصيدا وسار الى انطاكية ثانيةً وفتحها على الامان فخرب قلعتها واضرمها نارًا فبقيت في ملك الفرنج نحو ١٧٠ سنة

زحفة الفرنج التاسعة وحصار تونس (١٢٧٠) انقراض دولة الفرنج في المشرق (١١٩١)

٢٢٠ وفي سنة ٦٦٨ هـ في ايام المستنصر بالله عبد الله محمد صاحب تونس اعتزم ريدفرنس لويس بن لويس على الحركة الى تونس . فارسل الى ملوك النصارى يستنصرهم الى غزوها وارسل الى البابا خليفة المسيح بزعمهم فاوعز الى ملوك النصرانيَّة لمظاهرته . فاجاب جماعة من ملوك الفرنج لغزو بلاد المسلمين فشاع خبر استعداد النصارى للغزو . وهمَّ المسلمون بترميم الثغور وامر المستنصر بسائر عمالاته بالاستكثار من العدَّة وأرسل في الثغور بذلك وباصلاح الأسوار واختزان الأحباب . واوفد السلطان على ملك افرنسيس رسلهُ ومشارطتهُ على ان يكفَّ غربهُ فلم يرضَ وجمع الطاغية حشدهُ وركب اساطيلهُ الى تونس سنة ٦٦٨ هـ . فاجتمعوا بسردانية ونادى السلطان بالنذير بالعدو والاستعداد لهُ والنفير الى اقرب المراقب وبعث الثواني لاستطلاع الخبر . فتوالت بعد مدَّة الاساطيل بمرسى قرطاجنَّة فنزلوا بالساحل وكانوا زهاء ستة آلاف فارس وثلاثين الفًا من الرجال . وكانت اساطيلهم ثلاثمائة بين صغار وكبار وكانوا سبعة يعاسيب فيهم الفرنسيس واخوهُ صاحب صقليَّة والعجة زوج الطاغية وتسمَّى الرينة . وأنزلوا عساكرهم بالمدينة القديمة من قرطاجنَّة وكانت ماثلة الجدران فوصلوا ما فصلهُ الخراب من أسوارها بالواح الخشب ونضدوا شرافاتها وأداروا على السور خندقاً بعيد المهوى . وتحصنوا وأقاموا متحرسين بتونس ستة اشهر والمَدَد يأتيهِ في اساطيلهِ من البحر من صقليَّة والعدوة بالرجال والاسلحة والاقوات . وبعث السلطان في ممالكهِ حشدًا فوافتهُ الامداد من كل ناحية من المغرب والاندلس وقبائل العرب فاتصلت الحرب ومات من الفريقين خلقٌ . وفي خلال ذلك هلك ريد افرنس يقال اصابهُ مرض الوباء ولما توفي اجتمع النصارى على ابنهِ فبايعوهُ . ثم بعث مشيخة الفقهاء لعقد الصلح مع الفرنج بما لٍ اغرقهُ لهم صاحب تونس . فرجع الفرنج الى عدوتهم . وفي سنة ٦٨٨ هـ في ايام السلطان المنصور قلاوون استنفر المسلمون من مصر الى حصار طرابلس فنصب عليها المجانيق وفتحها عنوة فاستباحها . ثم خلفهُ في الملك ابنهُ الأشرف خليل فكان اوَّل اعمالهِ حصار عكاً متماً عزم ابيهِ . فتناوشوا القتال مع الفرنج وهدم الخليل كثيرًا من ابراجها وشحنها بالمقاتلة واستلحموا من كان فيها واكثروا القتل والسبي في الفرنج واستوعبهم السيف . وبلغ الخبر الى الفرنج بصور وصيدا وبيروت فاجفلوا عنها وتركوها خاوية فانقطع امر الفرنج من المشرق سنة ٦٩٠ هـ (لابن خلدون)

ذكر التتر — فتوحات جنكزخان (١١٦٣ — ١٢٢٧ م)

٢٢١ اتّفق اهل التاريخ انّ التتر اممٌ لا يضبّها إحصاء . وهم رجال يسكنون الخيام المتخذة من اللّبود لشدّة البرد في بلادهم . وأكثر دوابهم الخيل وافواههم الأرزّ وألبان الخيل ولحومها . وتُعرف ملوكهم بالخان وهي سِمتهم الخاصّة . وكانوا مبدَّدين في دشت قبجان في حدود ملك الخطا والصين في سهولٍ واوعارٍ يتهارجون فيها كالحيوانات السائمة لا حاكم يردعهم ولا دين يجمعهم حتى نبغ فيهم هذا الطاغية جنكزخان . وكان ظهوره في زمان ركن الدين بن زنكي . وكان وقتئذ المستولي على قبائل الترك المشارقة أُوتُك خان . وهو المسمّى الملك يوحنّا من القبيلة التي يُقال لها كُريت وهي طائفة تدين بالنصرانيّة . وكان رجلٌ مؤيّد من غير هذه القبيلة يقال له تموجين ملازماً لخدمة أُوتُك خان من سنّ الطفوليّة الى انْ بلغ حدّ الرجوليّة . وكان ذا بأسٍ في قهر الأعداء فحسده الاقران وسعوا بهِ الى أُوتُك خان . ولا زالوا يغتابونهُ عنده حتّى اتّهمهُ بتغيير النيّة وهمّ باعتقالهِ والقبض عليهِ . فاطّلع تموجين على المكيدة فكرّ مع خدمهِ على أُوتُك خان فقتلهُ وابطالهُ فسُمّي جنكزخان . ثمّ علا شأنهُ وارسل الرسل الى جميع الترك فمن اطاعهُ وتبعهُ سُعِد ومن خالفهُ خُذِل . فسار اوّلاً يقصد سلطان الخطا والصين والتون خان فاباده . واستصفى ولايتهُ وبلاده (٦٠١ هـ)

وكان جنكزخان رجلاً امّياً لا يقرأ ولا يكتب وكان لم يتقيّد بدين بل يعظم علماء كل طائفة . وكان يميل الى النصارى ويُحسن الظنّ بهم ويكرّمهم ويرجع الى قول اساقفتهم ولا يعدل عن رأيهم . واخترع جنكزخان هو لنفسهِ في الملك قواعد سلك فيها . ولمّا لم يكن للتتر كتاب ولا خط فأمر عقلاء مملكتهِ واذكياء قبيلتهِ ان يضعوا خطّاً وقلماً فوضعوا لهُ قلم المُغل ورتّبوا لهُ كتاباً اسمهُ الياسق الكبير . وكان كرسي مملكتهِ قراقروم . وكان سبب مسيرهِ الى ممالك الاسلام انهُ ارسل الى خوارزم شاه محمد رسلاً بهدايا يسألهُ الموادعة والإذن للتجّار من الجانبين في التردّد في متاجرهم فاستنكف السلطان من ذلك وقتل الرسل خفيةً . ففشا الخبر الى جنكزخان فسار في العساكر واستولى على اترار وبخارى وسمرقند واضرموا في محالّها النار وجعل عمّالها وامراءها نكالاً لغيرهم . وتوغلوا في البلاد وانتهوا الى بلاد ديجور واكتسحوا كل ما مرّوا عليهِ . ففرّ من وجههِ خوارزمشاه فسرّح جنكزخان العساكر في اثرهِ نحواً من عشرين الفاً فاجفلوهُ الى خراسان والى طبرستان فخاض بحرها ووصل الى بعض الجزائر فطرقهُ المرض فمات (تاريخ القرماني وابي الفرج الملطي)

٢٢٢ فسار التتر بعد مهلك خوارزم شاه الى خراسان ففتحوا كلات من احصن القلاع الى جانب جيحون واوسعوها نهباً وعبروا الى بلخ وملكوها على الأمان (٦٠٧ هـ) . ثمّ ساروا الى مرو وهراة وهما من امنع البلاد فحاصروهما عشراً وصدقوا عليها الحملة فملكوهما

واحرقوهما وضبوا نواحيها . ثم ساروا لقتال جلال الدين بن خوارزم شاه وكان عهد له ابوهُ قبل موتهِ وكان جلال الدين هذا استظهر على التتر وكبسهم في قندهار . فبعث جنكزخان الى مدينة خوارزم عسكرًا عظيمًا لعظمها لانها كرسي الملك وموضع العساكر . فسارت عساكر التتر اليها مع ابنيهِ جغاطاي واوكطاي فحاصروها خمسة اشهر ونصبوا عليها الآلات وامتنعت . فاستمدُّوا عليها جنكزخان فامدَّهم بالعساكر متلاحقة . فزحفوا اليها وملكوا جانبًا منها وما زالوا يملكونها ناحيةً ناحية الى ان استوعبوها ثم فتحوا السدَّ الذي يمنع ماء جيحون عنها فسار اليها جيحون فغرَّقها . وانقسم اهلها بين السيف والغرَق . ثم جدوا في عقِب جلال الدين وهم ينقمون عليهِ فادركوهُ وهو نازل مع عسكرهِ على نهر السِند . ولمَّا لم يرَ وسيلةً للخلاص اقتحم النهر بفرسهِ وفرَّ ناجيًا بنفسهِ وتخلَّص مَن عسكرهِ ثلاثمائة فارس واربعة آلاف رجل وبعض امرائهِ . فاجاز التتر الى بلاد ما وراء النهر والى همذان وقزوين وأذربيجان وهم يضعون السيف في من قاومهم ويؤمّنون من سالمهم ويفتحون عنوةً المدن الممتنعة عنهم ويستبيحونها . ثمَّ انضاف الى التتر جموع من التركمان والاكراد وساروا الى الكرج واثخنوا فيهم . وافتتحوا قصبتهم تبريز (لابن خلدون وابن الاثير)

٢٢٣ ثم ساروا الى بيلقان فحاصروها . وبعثوا الى اهل البلد رجلًا من اكابرهم يقرّر معهم في المصانعة والصلح فقتلوهُ . فاقام التتر في حصارهم وملكوا البلد عنوةً (٦٠٨ هـ) . واستلحموا اهلها واثخنوا في القتل واستباحوا جميع الضاحية قتلًا ونهبًا وتخريبًا . ثم ساروا الى قاعدة اران وهي كنجة فصالحوا اهلها ثم عبروا الدربند (الدنيبر) وخرجوا الى الارض الفسيحة وبها امم القفجاق واللان واللكز وطوائف من الترك . فاوقعوا بتلك الطوائف واكتسحوا عامة البسائط . وقاتلهم جموع من القفجاق واللان ودافعوهم ولم يطِق التتر مغالبتهم . ثم عادوا الى محاربة قفجاق وانتهوا الى مدينتهم الكبرى سراي على بحر نيطش المتصل بخليج القسطنطينيَّة فلكوها . وافترق اهلها واعتصم بعضهم بالجبال والغياض وركب بعضهم الى بلاد الروم . ثم ساروا سنة (٦١٠ هـ) الى بلاد الروس المجاورة لقفجاق وهي بلاد فسيحة واهلها يدينون بالنصرانيَّة فاستطرد لهم التتر مراحل ثم كرُّوا عليهم واكتسحوا بلادهم واثخنوا فيهم قتلًا وسبيًا ونهبًا . ثم قصدوا بلغار وهدموا واحرقوا ونهبوا وارهقوا . وفي سنة (٦١٤ هـ) قفل جنكزخان من الممالك الغربيـة الى منازلهِ القديمة الشرقيَّة فعرض لهُ مرض في طريقهِ . ولمَّا قوي مرضهُ استدعى اولادهُ جغاطاي واوكطاي وتولي خان واورخان واوصاهم بوصايا وطرائق في سياسة الملك وعيَّن لكل من هولاء مملكةً من الممالك واوصى بالتخت لاوكطاي

ظهور تيمورلنك وفتوحاتهُ (٧٣٦ ـ ٨٠٣ هـ) (١٣٣٦ ـ ١٤٠٥ م)

٢٢٤ ذُكر لتيمور نسب يتَّصل بجنكزخان من جهة النساء . وكان رجلًا ذا قامة شاهقة

ابيض اللون مشرباً بحمرة عظيم الجبهة والراس عريض الاكتاف مستكمل البنية جهير الصوت وبهِ قَزَل . فلما بلغ أشدَّهُ جعل يطوف في الصحاري والغابات يتربّص الفرصة لاستنقاذ بلدهِ فانضمَّ الى الحسين امير خراسان لمحاربة امير بلاد ما وراء النهر فظفر بهِ . ثم حاول على الامير حسين ونقض عهدهُ وانتزع منهُ مدينة بلخ فاخرجها وقتل الحسين شرَّ قتلة . ثم عبر جيحون وحاصر السلطان غياث الدين في هراة وكبس المدينة وفتك بغياث الدين ثم عاد الى خراسان ووضع السيف في اهل سجستان وافناهم من بكرة ابيهم . ثم خرَّب المدينة ولم يبقِ لها من اثر . وفي سنة (٧٨٨ هـ) زحف الى بلاد فارس وعراق العجم فاستولى عليها . ولمّا بلغهُ موت فيروز شاه سلطان الهند قفل الى الهند وفتح مدنها الحريزة واستخلف عليها رجلاً من اصحابهِ . وسار نحو سيواس وكان يملكها الامير سليمان بن السلطان بايزيد فحام عن لقاء تيمور وفرَّ ناجياً بنفسهِ . ثم اجمع على فتح الشام فضمَّ اليهِ طرافةُ لقتال ملكها فَرَج برقوق من الملوك الشراكسة فالتقى بابنهِ عند حلب فهزمهُ ودخل المدينة واستباحها . وملك حماة وبعلبك على الأمان . ثم زحف الى دمشق فخرج برقوق لمحاربتهِ فالتحم الفريقان وآل القتال الى كسرة برقوق وقهرهِ فافتتح تيمور دمشق عنوة وقتل وسفك الدماء وعاث فيها واضرم النار في جامعها الأموي . وفي سنة (٧٩٥ هـ) كرَّ بعساكرهِ على مدينة بغداد وهزم سلطانها احمد من وُلْد هولاكو وتملَّكها بعد ان اوسع اهلها قتلاً وسبياً . ثم صمَّم العزم على الاغارة على ممالك الاتراك فسار الى قراباغ وكان لا يدخل في مسيرهِ قريةً الّا افسدها ولا ينزل على مدينة الّا ومحاها وبدَّدها . ثم راسل السلطان بايزيد خان المجاهد الغازي يدعوهُ الى طاعتهِ فتوجَّه الى ملاقاتهِ واجتمع العسكران على نحو ميل من مدينة انقرة . فاشتعلت الحرب بين الفئتين من الضحى الى العصر حتى ترك السلطان طائفةٌ من عسكرهِ وذهبوا الى تيمور فكان ذلك سبباً لكسرتهِ ووقوعهِ في مخالب تيمور فكبّلهُ في قفصٍ من حديد فقضى فيهِ نحبهُ . ثم اندرأ تيمور راجعاً الى سمرقند مظفَّراً فما فتئَ ان وافتهُ المنون وكشف الله عن العالم كربهُ (٨٠٧ هـ) فملك بعدهُ ابنهُ شاه رخ ثم انتقل الملك الى اعقابهِ الى ان تلاشى واضمحلَّ (لابي الفرج)

ظهور الدولة العثمانية وذكر سلاطينها (٦٩٩ ـ ١٣٠٣ هـ (١٢٩٩ ـ ١٨٨٤ م)

٢٢٥ قال القرماني : وهم من اعظم السلاطين ابّهةً وجلالةً واشدهم قوةً وآثاراً . واول من ملك منهم الامير عثمان الغازي (٦٩٩ هـ ١٣٠٠ م) واصلهُ من التراكمة الرحّالة النزّالة من طائفة التتر وهو ابن ارطغرل بن سليمان شاه . وكان شجاعاً مقداماً افتتح بلاداً كثيرة من يد السلجوقيين فاستقلَّ عليها . ثم ولي بعدهُ ابنهُ اورخان (٧٢٦ هـ ١٣٢٦ م) افتتح بَروسا وجعلها مقرّ سلطنتهِ واستولى على كليبولي وهي مدينة جليلة على شاطئ البحر بينها وبين قسطنطينية ستة وثمانون ميلاً . ثم ملك بعدهُ ولدهُ مراد الاول الغازي (٧٦١ هـ ١٣٦٠ م) افتتح أدرنة سنة

٧٦١ هـ . وهو اول من اتخذ المماليك وسمَّاهم ينشريَّة يعني العسكر الجديد والبسهم اللَّباد الابيض المثنى . ثم ملك بعده ولده السلطان يلدرم بايزيد خان (٧٩٢ هـ ١٣٨٩ م) وله فتوحات كثيرة منها نيقية عاصمة بلاد الكرمان وتوقات وصامسون . وحاصر الاستانة ولم يفتحها والتزم صاحبها بالخراج . ثم استظهر تيمورلنك على بايزيد كما مرَّ (١٤٠٢ م) . ثم خلفه ابنه محمَّد الاول بعد ان قتل اخوته (٨١٦ هـ ١٤١٤ م) وفتك ببلاد القرمان . ثم خلفه ابنه مراد الثاني (٨٢٤ هـ ١٤٢٢ م) الذي غزا بلاد ارنود وفتح مورة وسالونيك وضرب السكَّة باسمه وانتصر عليه ملك المجر . ثم ولي الامر بعده ابنه محمَّد الثاني (٨٥٥ هـ ١٤٥١ م) وهو الذي فتح القسطنطينيَّة (١٤٥٣ م) وغزا بوسنة وغلبه القرال (حنَّا هونياد) في بلاد بلغراد ودفعه الاسبتارية عن رودس . ثم ملك بعده ابنه بايزيد الثاني (٨٨٦ هـ ١٤٨١ م) قاتل اخاه جِمّ وغلبه ثم استنزل عن الملك لابنهِ سليم الاول (٩١٨ هـ ١٥١٣ م) . ففتح سليم مصر والشام واستولى على بلاد العرب وفارس واباد ملك الجراكسة فيها . ثم خلفه ابنه سليمان خان (٩٢٦ هـ ١٥٢٠ م) استولى على رودس وكوفوس وعراق العجم وردَّه النصارى عن فينَّا ومالطة (وكان يحميها لافالت) . ثم ملك بعده سليم الثاني ابنه (٩٧٤ هـ ١٥٦٧ م) فتح تونس وقبرس واليمن وغلبه الفرنج في خليج (ليبنت) . ثم تولى بعده السلطان مراد الثالث (٩٨٢ هـ ١٥٧٣ م) قهر الكرج وفتح تفليس . ثم ملك ابنه محمد الثالث (١٠٠٣ هـ ١٥٩٥ م) غزا المجر وغلبهم . ثم عقبه ابنه احمد الاول (١٠١٢ هـ ١٦٠٣ م) وهادن الفرنج . ثم تولى بعده السلطان اخوه مصطفى الاول وخلعه الينشريَّة لثلاثة اشهر من ملكه . ثم ملك عثمان الثاني ابن احمد الاول (١٠٢٧ هـ ١٦١٨ م) قتله الينشريَّة وارجعوا مصطفى ثانيةً (١٠٣١ هـ) . ثم خلفه مراد الرابع (١٠٣٢ هـ ١٦٢٣ م) فتح بغداد وقهر العجم . ثم تولى الملك بعده ابنه ابراهيم (١٠٤٩ هـ ١٦٤٠ م) ثم السلطان الغازي محمد الرابع (١٠٥٨ هـ ١٦٤٧ م) غلبه المجر في سنغودار وكسر عسكره سوبيسكي في فينَّا ثم ملك بعده سليمان خان الثاني (١٠٩٩ هـ ١٦٨٨ م) فتح جزيرة كندية . ثم ملك بعده احمد الثاني (١١٠٢ هـ ١٦٩١ م) انتهر عليه اللان . ثم ملك مصطفى الثاني (١١٠٦ هـ ١٦٩٥ م) . ثم الغازي احمد الثالث (١١١٥ هـ ١٧٠٤ م) . ثم الغازي محمود الاول (١١٤٣ هـ ١٧٣٢ م) . ثم عثمان الثالث (١١٦٨ هـ ١٧٥٧ م) . ثم مصطفى الثالث (١١٧١ هـ ١٧٦٩ م) . ثم عبد الحميد خان الاول (١١٨٧ هـ ١٧٧٥ م) . ثم سليم خان الثالث (١٢٠٣ هـ ١٧٩٠ م) . ثم مصطفى الرابع (١٢٢٢ هـ ١٨١٠ م) . ثم الغازي محمود الثاني (١٢٢٣ هـ ١٨١٠ م) . ثم الغازي عبد المجيد خان (١٢٥٥ هـ ١٨٦١ م) . ثم عبد العزيز خان ١٢٧٧ هـ ١٨٦٣ م) . ثم مراد خان الخامس فخلع (١٢٩٣ هـ ١٨٧٦ م) . ثم السلطان عبد الحميد (١٢٩٣ هـ ١٨٧٦ م) فخُلع سنة (١٣٢٧ هـ ١٩٠٩) وخلفه اخوه رشاد السلطان الدستوري وسمّي محمد الخامس . ايَّده الله بالعزّ والتوفيق

فهرس الجزء السادس من كتاب مجاني الادب

تمّ طبع هذا الكتاب في المطبعة
الكاثوليكية ، بيروت ، في السابع
عشر من شهر نيسان سنة ١٩٥٧

٦ / ٢٦٢٢ — ١٧ — ٤ — ٥٧